كلمة العدد

تأملات رمضانية :

الاسلام .. الجوهر والدلالة

(١) - بين التجمد والتجدد
(٢) - السلفية القديمة والحديثة والعبودية للاشياء

شاء الله سبحانه ان يجعل هذا الشهر الكريم «رمضان» شهر تحرير الانسان بازاء نفسه ومجتمعه فأنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان لتقترن طهارة الروح بطهارة العقل والبدن وبالعمل الصالح كمنظومة معرفية ايمانية عملية يكتمل الايمان باكتمال الانسان بالحياة العلة والغاية

فبالقرآن تحققت النعمة والمحبة مشروطة بالطاعة والطاعة مشروطه بالطهارة والطهارة بالتكامل ، والتكامل هو المعنى الوجودي للانسان . وهكذا اقترنت طهارة الروح بطهارة البدن بالصلاة والصيام والزكاة ليقترن تكامل الفرد بتكامل المجتمع بين الحق والفضيلة ولتكون الطاعة اقرارا بنعمة الخلق والعناية والرعاية واقرارا بنعمة الاسلام وتتسق بعد دلك النية بالقول والعمل مضافا اليها طهارة اللسان من الفحش والبغي وما يندرج ضمنهما من الخصال القبيحة ، كتفسير لمفهوم الصوم لغة ومعنى وشرعا وللصلاة كمروض زاجر ناه وآمر لان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - **اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا** -(دعوه فإن صلاته تنهاه الح)(**والذين اذا مروا باللغو مروا كراما واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**) واللغو دون الفحش ، فما بالك بالفحش . ثم عزز الله سبحانه وتعالى في الخطاب القرآني بالندب الى خصال الكمال والجمال والجلال والاكرام (**ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربي وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي**) وهذه الآية سماها العلماء المجتهدون شجرة المعرفة بل قالوا ان القرآن ماهو الا تفريع لها ، مثل القرطبي والزمخشري وابن تيمية وابن عبد السلام ، **فهي جماع** الايمان والعلم والعمل والاخلاق الفاضلة يكتمل بها صلاح الدنيا والاخرة ، **وهذا هو اكتمال** تحقق الانسان واتساقه مع نفسه وغيره وخالقه في الحياة الحرة الكريمة وبالسعادة الدائمة التي ترقى بالانسان من عالم التراب الى عالم الروح - [**الاتحاد عند بعض المتصوفة**] - ليكون اقرب الى ربه الذي كرمه على الملائكة والجان وفضله على كثير من خلقه واختاره خليفة له وسخر له في سبيل ذلك مافي السموات ومافي الارض ومنحه من صفاته ما قدره عليه واقتضت به حكمته لاستقامة الاستخلاف ، لان الملائكة مجبولون على الطاعة بالفطرة ، وكذلك فإن الانسان يجزى

على طاعته لربه والملائكة لايجزون على شيئ من ذلك ، بل ان له جزاءا مضاعفا على حسناته وجعل الله حسنات الانسان ما حيات لسيئاته ، وفوق هذا وذاك لا يواخذ بما يوسوس به صدره من شر او سوء نيه بل جعل امامه باب الرجاء مفتوحا حتى آخر نفس من حياته وما زاد حتى اوكله الى عظيم مغفرته وواسع رحمته يوم القيامة ، ولم يرجئ سبحانه وتعالى جل هذا الجزاء الى يوم القيامة فقط ، اذ تكفل بأن يرزقه ويحييه حياة طيبة ويجعله الوارث للارض من كل الطغاة والمستعبدين وكتب على نفسه أن ينصره وان كان ذا فئة قليلة ولم يشترط عليه أي شرط يضربه أو لايقدر عليه غير الايمان والعمل الصالح الذين هما من اجله وفي صالحه دنيا وآخره ، وأمده بنعمة الرضاء والسماحة ولذة الأحسان التي تهوّن عليه كل مصائب الدنيا ومصاعبها .

وإنما الشرط الوحيد هو ان لايظلم نفسه او يحرمها مما احل الله لها من شهوة المأكل والملبس والمنكح والمسكن والزينة بالحق ، وأحب ان يظهر عبده نعمته عليه ثم مد له حبل العون فقال له ادعني كلما ألم بك من ألم أو ضر أو ضعف أو قصور أستجب لك ، وأشكرني أزدك وأعنك على بشريتك من الوهيتي وأدفع الشيطان عنك إذا وهن جهدك .

والشرط الثاني ان لايظلم نفسه او غيره بقول أو فعل لان مردود ذلك عليه إن آجلا أو عاجلا .

وأمره بأن يكتم هناته وزلاته إذا غلبته على أمره حفظا لما وجهه وسلامة نفسه وعلاقته بالاخرين لكي يتمكن من التوبة واستعادة ثقته بنفسه وبربه ، وحرم عليه نشر الفاحشة وتتبع عيوب غيره لكونها لاتليق به ولا ينتظم معها معاشه ، وما أستعصى عليه بعد ذلك فقد امده الله سبحانه بالقرآن والنذر والعبر القريبة والبعيدة لتذكره وتوقظه من غفلته وبعد ذلك ماظهر من غلوه وطغيانه واستكباره فقد شرح له أحكاما تأديبية هي في صالحه . لأنها تطهير له من ذنبه - هزه كهربائية تعيد إليه توازنه وإتساقه وإمتلاك قدراته - وتكف في نفس الوقت شره المستطير عن غيره ، وهي مشروطه كذلك بالشهادة العادلة المزكاة أو بإقرار المرء على نفسه ، وإقراره حجة عليه . ورغم شرعية ذلك ومنطقيته فإن هذين الشرطين مدفوعان اما بالجرح واما بالشبهات او الأكراه والاضطرار ، بعد ان اكمل الله سبحانه للانسان خلقه وعززه بالعقل كميزان توازن بين الشهوة والعاطفة وبين الحلال والحرام والحسن والقبيح ، وبعد ان زينه بالخلق الحميد وهداه النجدين تأكيدا لحرية الاختيار ومنحه حجة البلاغ وفرصة التجربة والممارسة وفتح له بأزاء ذلك باب التوبة يلجأ اليه عند كل خطأ .

وقد ركز القرآن الكريم على الثوابت ألاصولية العقدية والعملية والأخلاقية تحليلا وتحريما ، وجوبا وندبا وإستحسانا ، وما عداها من التفاصيل والأخلاقيات والمستجدات والمصالح المرسلة فقد أوكلها إلى الانسان (فردا وسلطة وجماعة) مضافا الى الأخذ بالقدوة من الانبياء والمصلحين والرجوع إلى أهل الذكر وإجماع الامة ، فحماه بذلك من نفسه وحما نفسه منه ، فليس له ان يقتلها أو أن يجيعها أو يحرمها أو يستهين بها فيذلها لشهواتها أو لغيرها ، وليس له ان يخاف أو يذل او يطيع أو يدين أو يستكين إلا لله وفي الله لأن كل ذلك إنما هو لله وحده ، كما حماه من الجان بالخليقة منذ البدء اذ خلقهم من مارج من نار وخلق الانسان من طين إلا في حالة الطغيان والعشو بالاقتران لا التمازج او الاتصال لقوله تعالى (ومن يعش عن ذكر

الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) والشيطان في القرآن يندرج في تفسيره الانسان والجان ، بل ان الجن من الجن وهو الكن وهو مايخفي في باطن الانسان من نزعات وغرائز أو ما يخفى عن ادراكه العقلي والحسي ، ومعنى ذلك ضعف القدرة على الحضور والتحقق وهما ثمرة يقظة العقل والروح وصدق القول والفعل ، ولم يشترط سبحانه وتعالى عليه لذاته عز وجل ازاء ما وهبه واكرمه به بالنعمة والمحبة والرضى وحسن الجزاء غير الايمان بوحدانيته الذي هو قطب الرحآء الذي تدور عليه مصلحة الانسان اذ لاينفع الله شيئ من طاعته ولا يضره شيئ من عصيانه بقدر ما ينفع او يضر الانسان نفسه ومجتمعه . .

الارتهان السلفي وعبودية الاشياء :ـ

ان السلفية الكهنوتية الجامدة فكرة شيطانية استغلالية تحولت مع الزمن والممارسة وعبر محاولاتها المستمرة لصياغة الواقع على هواها وتدجين العقل البشري طبق مسلماتها ، الى ظاهرة معرفية اجتماعية مرضية استعصت على جدلية التاريخ والمجتمع باساليبها الماحقة زمنا طويلا في سبيل إبطال حتمية التطور ومنطق الحياة حتى اكتسب الزمن الماضوي عظمته وقداسته من رهبة ابطاله واستطاعت الاسطورة والخرافة أن تلغي دور العقل لعدم الحاجة اليه في حياة نمطية قد فصلت على هذا المقاس .

وصار العجز عن التأمل والمحاكاة والتساؤل واستكناه حقائق المعقولات الماثلة وتفكيك بنيتها المعرفية والبنائية من المستحيل ، ونظر اسلافنا الى مخلفات الماضي وآثاره مثل القصور والهياكل والسدود ونحوها على انها من اعمال الابطال ابناء الآلهة والذين سخروا في سبيل بنائها الجن والسحرة ـ الاغريق والرومان ـ والعماليق العرب ـ عاد وثمود ـ ولما كان (الماضي) في السائد المألوف هو زمن التأسيس وتقسيم الخطوظ والادوار في الحياة على الافراد والطبقات والشعوب فما على المستعبدين والمظلومين إلا التسليم بقدرهم المحتوم كقطعان الماشية المعزولة في حضيرة الدغمائية حيث لاظل ولا كلاء أو ماء .

وكانت الاديان السماوية تأتي لتؤكد ارادة الحياة ودور الانسان فيها ولتصحيح مساره التاريخي ثم ما تلبث ان تنجذب معرفيا ومسلكا بالخلخلة والزحزحة والتحريف والتشويه الى متاهات الركود والتخثر ليعلوا صوت الشيطان من جديد كما حدث للابراهيمية ، اليهودية ، النصرانية ، والاسلام .

وهكذا اضطهد الانبياء والرسل والمصلحون والمفكرون والمجددون ، بل قتلوا او صلبوا أو نفوا من الارض كما لو كانوا مفسدين فيها .

واحرق ابراهيم بالنار وطورد في الاقطار ، وذهب اخناتون مع الذاهبين ، وقتل يشوع نبيه موسى ، وارتكس بالعقل والحياة والعقيدة من عالميتها الانسانية الى حضيض العرقية والشوفينية (شعب الله المختار) .

وصلب المسيح لأنه دعى الى تحرير الارض والانسان والى المحبة والسلام العالمي ثم صار على ايدي أبناء الشيطان إلها وابن اله وقتل العقل بالحكم على سقراط بالاعدام لمروقة على

المقدس السائد وتحولت طوباوية افلاطون ومثالياته الى طبقية ارستقراطية قرمطية ، ومنطق سقراط حل محله التهويمات الغيبية الهرمسية الباطنية ، واستحالت جمهورية روما الى تأليه الحاكم المحارب (يوليوس قيصر) ومجد الادباء والشعراء والتراجيديون عصور الديكتاتورية .

وصار ماني وزرادشت زنديقين يدعوان الى المساواة بين البشر في الاعمال والمعاش والاعتبار .. وصار الداعية المصلح بوذا إلها دوريشا يقتل العقل والنفس والحياة ويصرف اذهان الناس عن واقعهم ويسلبهم الاحساس بظلمهم واضطهادهم ليتساموا في المجهول ويتفانوا من اجله .

ونال محمد عليه الصلاة والسلام ماناهم لأنه اراد ان يجعل الآلهة إلها واحدا والقبائل الممزقة امة واحدة ، وان لا حكم ولا ملك ولا طاعة ولا فضل إلا لله وأن الانسان اخو الانسان أحب أم كره ، فسادت القبيلة بل الاسرة الواحدة ، (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) ففضل فرد على كل العالمين في ظل رسالته الاممية (يا أيها الذين أمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل) ، ولا داعي لسرد الاختراقات والانحرافات وسيادة هذه الظاهرة في ظل الاسلام اذ يكفي ان ننظر الى واقع المسلمين اليوم .. هل هو الواقع الذي بشر به محمد واسس له ؟ .

ماذا يجري في عالم اليوم واين نحن منه ؟

واليوم نرى الراسمالية تتجدد من داخلها وكذلك الاشتراكية كنظريتين عالميتين غيرتا مجرى التاريخ المعاصر في العالم وانبثقت عنهما ثقافة العصر وانجازاته العلمية والحضارية والسياسية وينساقان في اتجاهما نحو التحديث في سياق تطورهما التاريخي صوب المقاصد والقيم الانسانية التي هي مقاصد وقيم الاسلام وإن لم يقصدا ذلك .

فهل يكون مقابل ما يجري هو هذا الدور المتخلف التقليدي الذي طالعناه في ثنايا تاريخنا القديم والمعاصر كلما هبت رياح التغيير علينا او فاجأتنا طلائع التقدم ، وهو الاحتماء بقواقعنا وجحور ماضينا بل نرانا نذهب الى ابعد من ذلك كأن مصالحنا مرهونة بالتخلف وبجهل العامة ، بينما كان المفروض علينا ان يكون لنا دور الريادة لأن ديننا هو دين التجديد والتطور ، دين يملك كل مقومات التجدد والانفتاح والسعادة للبشر في مختلف العصور.

والسؤال هنا : ماذا سيبقى لنا كمواطنين في العالم الثالث وكمسلمين من مشجب نعلق عليه اسباب تخلفنا وقصورنا ومن حائط نبكي فيه على موروثنا وعقيدتنا أو من سرداب نتجمع خارجه بانتظار عودة المسيح المخلص او المهدي المنتظر ؟ .

ولماذا اذا هذا العبث الفكري والعملي خارج نطاق الزمان والمكان والتاريخ ، ونحن نعلم ان ديننا الحنيف بما تضمنه من اصول ومبادئ واخلاقيات لا يتجاوزها الزمان ولا المكان ، ولا يمكن ان يؤثر فيه اي تطور حضاري بالزحزحة او الاحلال او الالغاء اذ لايتناقض مع كل تقدم في الفكر والسلوك والعمل لان مشروطيته هي كرامة الانسان واحترام عقيدته واختياره

واستخلافه لاعمار الحياة والكون بالحق والعدل والفضيلة ، فهل يجدي اليوم في هذا المعترك العالمي استحضار الامثال من اعماق التاريخ كما لو كانت قوالب جامدة قابلة للانتقال عبر الزمان والمكان في عملية جر او اجترار ، بينما كان المفروض أن يشكل الاسلام الجديد في الحياة للانسانية كلها لانه دين الناس كافة ذكرى وبشرى ورحمة للعالمين .

وبأي حق نسمح لأنفسنا بالحكم على المسلمين بالايمان والكفر ونضيق ما بين ابناء الملة الواحدة مساحات الحوار والرأي والرأي الاخر كما كان يفعله اعداء الشعوب في التاريخ الاسلامي خدمة لمصالحهم ، وكما كان يفعله الكهنة والرهبان في ايجاد هذا الشرخ العميق الذي نعيش اليوم على جوانبه كالحشرات مما نتج عنه بعد ذلك الانفصام القائم بين الدين وسنة التطور وعزل الكنيسة عن شئوون الحياة .

وهكذا تتحول في ظل هذه الظاهرة الازلية العقائد والافكار والمعارف الى أقنعة تخفي وجه الحقيقة او الى اشياء للاستهلاك .

وهذا ما عنيناه في مقالنا المنشور في العدد السابق بـ(التشظي في عمق الواقع المتلبس بالحداثة والتشيؤ بمنجزات الحضارة العالمية) وآلان هل يمكن ان نتعامل مع هذه الحالة باعتبارها (ظاهرة) وبحكم ان اي ظاهرة سائدة في مجتمع ما لابد وان يكون لها ما يبررها في الواقع والتاريخ لأن لاشيئ يأتي من العدم ولابدون سبب ، ومن ثم نمعن فيها تأملا ودراسة وتمحيصا ونقف بادراك واع على دلالتها ونستجلي حقيقتها كما هي ولن يتأتي لنا ذلك الا باختراق هذه الظاهرة بصفتها بنية تراكمية تاريخية من مختلف المؤثرات والظروف والدواعي ، وذلك عبر تفكيك مكوناتها وارجاعها الى اصولها ومن ثم الدخول الى مكنوناتها لاستخلاص القيمة منها على ضوء هذا التركيب والفعل وعلى ضوء نتائجها المترتبة جدليا على الحاضر والمستقبل المحتملة والمتوقعة وذلك عن طريق طرح اسئلة تحل محل الافتراضات المسبقة وتساعد الكاتب والمفكر العربي من خلال بحثه عن أجوبة - على تيسير عملية التفكيك هذه وتفسير مركباتها واحدة واحدة فنقول هل هذه الظاهرة موضوع البحث يمكننا اعتبارها تعبيرا عن الرفض او المقاومة السلبية للجديد لذات المقاومة كما يرفض الجسم اي عضو غريب عنه يزرع فيه .

وفي هذه الحالة تتحدد الاشكالية بانعدام قابلية التكيف بين القديم الموروث وبين الجديد الوافد ، ومعنى ذلك ان الجديد لم ينبت في ارضية الواقع ولم يستنبت فيها حتى يتأقلم بها ويصبح قادرا على الحياة والفعل فيها .

ام ان هذا الجديد من الضعف بحيث لم يستطع ان يوغل في هذه البنائية التراكمية للواقع ما بالك بالامتزاج بها والتفاعل معها في عملية خلق جديد او تجديد لمخلوق قديم ، ولذلك تصبح كل معطيات الحداثة والحضارة المعاصرة فكرا وثقافة ومسلكا تشريعا وتنظيما في اغلب الحالات تراكمات على سطح الواقع هي بحاجة الى وقت غير قصير للتعايش معه أو إحلالها محله بعد اكتسابها مقومات الهوية والشخصية المحلية ، وبعد ان نمتلك الاستعداد

الكافي للتعايش مع حياة العصر ثقافته وانجازاته .

ومن هذا المنطلق لانستغرب ان تصبح هذه المحاولات على اختلاف مناحيها رغم دورها الطليعي والريادي ، تراثا تاريخيا نقليا منذ اليوم التالي لصدورها لامرجعا مرشدا او حكما محكما ، وتصبح اشكالها المعبرة عنها معالم تقليدية اعلانية كوقائع واحداث ذاتية بحته لاعلاقة لها بالسياق الفلسفي للتاريخ وعلاقته بالمجتمع وتصبح الاشياء مفصلة على مقاس اصحاب النفوذ لا على مقاس الواقع أشبه ما تكون بالملصقات الجدارية الاحتفالية التي ينتهي اثرها بإنتهاء سببه ونتيجة لهذه المفارقة يصبح القديم رغم مافيه من ضعف ووهن هو السائد ، لان غير هذا يعني توقف الحياة مثلما أن انعدام أو ضعف سيادة مركزية الدولة يجعل بالضرورة الاعراف والتقاليد القبلية البديل المتحقق بالفعل ، وان غياب الديمقراطية أو النظرة الحديثة للسلطة والفرد والمجتمع واستحكام العلاقة القديمة بينهم رغم تلبس بعض الانظمة بالحداثة والمعاصرة يجعل من التشبث بالمفاهيم الماضوية وتحجيم حركة المجتمع وثقافته والمغالاة بتنفيذ الاحكام الشرعية مع غياب التكامل بين العقيدة والشريعة ونظام الحياة ، الحارس الامين لها ولمصالحها في معرض المباهات بالاخلاص للتراث والتاريخ والدين على انها امجاد للشعب المكذوب عليه ، اذ لو تغيرت بنية الواقع لتغيرت العلاقات الاقتصادية والاجتماعية وتغير بالضرورة مفهوم الدين والدولة والمجتمع ومن ثم تبدلت المصالح والمنافع وهذا هو ما لاتريده بعض الانظمة .

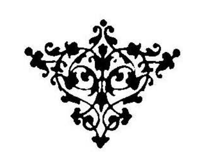
ومن هنا نشأت الازدواجية الملحوظة في شخصية المجتمع العربي المعاصر ، ونجدها على رغم ما فيها من شقوق وشروخ تاريخية مزمنة ما تزال قادرة على الامتناع عن الاستجابة لأي تجديد وافد مهما كان مصدره وبصرف النظر عن اهميته والحاجة اليه مالم يمثل هذا الجديد تحديا تاريخيا يتسرب من خلال تلك الشقوق ليفجر تراكمات الماضي بحثا عن الاصيل المطمور تحتها .

ومالم تمتلك القدرة بالقدوة والبرهان بالعمل المتحقق على الواقع لأن عملية التحول الاجتماعي الشامل لايمكن ان تحقق انجازا تاريخيا مالم تتسم بالثورية ومالم تتحول من شعارات كلامية وملصقات اعلانية الى صناعة وتصنيع عبر تطور مفهوم السلطة وعلاقتها بالمجتمع بأعتبارها مجموعة من السلطات كطبق السلطة كل له دور فيها ومسئول عنها وان اي عمل سياسي في الحاضر والمستقبل لايمكن ان يستهدف الحصول على السلطة وامتلاك أزمتها أو التأثير فيها بالضغط وقوة النفوذ بقدر ما يستهدف المشاركة في البناء الكلي وحماية المصالح الوطنية العامة ليتناغم العمل الوطني في منظومة كلية اجتماعية وسياسية وثقافية كجوقة جمعت بين ابداعية التعدد والتنوع ووحدة المعزوفة الشاملة ويكون تبادل السلطة سلميا دون محاكم تفتيش او بيانات انقلابية ولا مرشات عسكرية ، وان تعي تماما بأن التراكم الكمي في التحديث والمعاصرة لايمكن ان يرتفع فوق مستوى ذاتيته الشيئية الى مستوى القيمة إلا اذا شكل تراكما معرفيا يمتزج بوجدان وعقل المجتمع فيصنف تفكيره وسلوكه وحاجياته وقدراته الابداعية بشكل توالد زمني يتجاوز الحدث في لحظته الراهنة الى ابعاده بإتجاه المستقبل .

وبعد فاذا كنا اليوم على قاب قوسين أو أدنى من الوحدة فلا يسعنا الا القول بأنه اذا كان بالثورة قد تم التجذر وبالديموقراطية قد صار التشكل فان بالوحدة سيكون التحقق للوجود المتكامل الفاعل كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها وليس معنا ذلك ان قد القت عصاها وأستقر بها النوى بل ان الذي ينتظرنا من المسئوليات هي أهم وأعظم لأنها مسئوليات الالتحام بالتاريخ في مسيرة الانتاج والعطاء في طريق التقدم . .

واذا كانت النفوس كباراً ￼ تعبت في مرادها الاجسام

رئيس التحرير



اليمن إبان القرن السادس ب.م.

(الحلقة "٤")

تأليف: أ. ج. لوندين
ترجمة: محمد علي البحر

الفصل الثاني

المبحث الثاني:

الارهاصات التاريخية العربية نحو التوحيد قبيل الاسلام من غزوة ابرهة الى معركة ذي قــار

بعـد أن عزز ابـرهة وضعه في داخل البلاد أقدم على عدد من الحملات الى الشمال. ويتحدث النقش RY 506 عن احدى تلك الحملات. ووفقاً لما جاء في النقش، استهـدفت الحملة قبيلة معد (٤٨) أو على الاصح اتحاد مجموعة القبائل القوية العربية الشمالية، المعروفة جيداً في المصادر البيزنطية والابغـرافية. وبتقهقـر الـدولـة الكندية القوية في منتصف القرن السادس، انتقلت السيطرة في وسط الجزيرة العربية، والى حد كبير، الى أيدي اللخميين (٤٩). ويدل النقش RY 506 على أن قبيلة معد، التي خضعت مدة طويلة لسلطة كندة، وقعت منذ عام ٥٤٧م تحت نفوذ اللخميين (٥٠)، أما عن خضوع بنو معد للدولة الحميرية في ذلك الوقت، لايمكن حتى مجرد الحديث عنه (٥١).

ويشير النقش الى ان الحملة نفذت، عندما تمردت قبيلة عامر (٥٢). وكـان اسم قبيلة عامر واسع الانتشار في ذلك الحين في العربية الشمالية، اذ أورد كشـاف (اعلام الاسلام) عشرات القبائل العربية الشمالية التي تحمل هذا الإسم (٥٣)، ومن الـطبيعي ان يشكـل هذا عائقـاً قوياً للمطابقة.

ولكن تحقيق (عمـرم) الوارد في النقش المقترح من قبـل ج. ريكمنس (٥٤) على انه القبيلة العربية عامر بن صعصعة، يعتبر تحقيقاً راجحاً. قطنت هذه القبيلة شاطىء البحر الاحمر، من حدود منطقة نجران حتى تثليث (٥٥) في هذه المنطقة يقع (بئر المورابجان) حيثما اكتشف النقش موضوع البحث. وتذكر المصادر العربية، غير مرة عامر بن صعصعة، وتتحدث كثير من القصص والحكايات تارةً عن علاقاته وصلاتها الودية وتارة اخرى عن العدائية مع الدولة الحميرية (٥٦).

وحتى عام ٥٤٧م كان ابرهة يرى بأن بنو عامر بن صعصعة لايزالون خاضعين للدولة الحميرية، وعلى أية حال لم يترك مصطلح / قسد/ الوارد في الـنقش بمعنى (عصى، تمرد)، أيما شك بان المعـارك المـوجهة ضد بنى عامر لاتخرج عن كونها ترويض وتهدئة لرعايا عصاة، بيد ان النقش RY 506 يبين بأن الاحداث التي جرت في وسط الجزيرة العربية في الاربعينات اخرجت بني عامر وبني معد من دائرة نفوذ الدولة الحميرية.

ويروي النقش اخبار حرب كبيرة نفذتها قوات

ابـرهة المكونة من عدة فرق. وخاض ابرهة بنفسه المعركة ضد بنو معد في /حلبن/ حسبما جاء في النقش.

ويشيرج. ريكمنس الى ان وادي حلبن يقع على مسافة ٤٢٠ كيلو متر الى الشمال من المورايجان، في اتجاه الحيرة وعلى مسافة مائة ك/م جنوب غرب وادى المأسل [مأسل لحج] (٥٧) والذي كان فيما مضى ولمدة طويلة يشكل حداً للنفوذ الحميري في وسط الجزيرة العربية. وهناك في تلك المنطقة توجد حالياً قرية بنفس الاسم. وتؤكد معطيات الجغرافيين العرب القـرووسـطية هذا التـطابق (٥٨) وتجـدر الاشارة هنا الى ان (حلبن) ترد في أشعار جرير (٥٩).

لم تشترك القبائل العربية التى رافقت قوات ابرهة في هذه المعارك، اذ نشطت بشكل مستقل (٦٠) فكان ابوجابر على رأس قبيلة كندة وبشر بن حسن على رأس قبيلتي مراد وسعد (٦١).

مراد أحد بطون مذحج، ومعروفة من خلال النقـوش RY 508,7,/ RES 2761,. الاسم الثاني /سعـدم/ ويصعب تحقيق هذا الاسم لانـه كان واسـع الانتشـار في الجـزيرة العـربية مرحلة ماقبل الاسلام (٦٢) والظاهر ان النقش يقصد هنا البطن الثـاني الكبـير من (مـذحج) سعد العشيرة او كما تسمى سعد بن مذحج (٦٣).

لم يحاول أحـد من البـاحثـين الـذين قاموا بتحليل ودراسـة النقش، تحقيق اسـماء ابو جابر الكنـدي وبشر بن حسن من قبيلة مذحـج ممثـلي القبائل الحليفة لحمير. واذا كان من الصعب تحديد شخصية الحاكم الكندي في الحالة الاولى نظراً لمعرفة الاسـم الاول فقط، فمـن البـديهي بأن عملية التحقيق أسهـل في الحـالـة الثـانية نظراً لتحـديد الاسم، واسم الاب والقبيلة، ومع ذلك لم يقم احد من الباحثين المعنيين بالنقش بأية محاولة بهذا الصدد.

ان تحليل المصادر العربية - تتيح العثور على معلومات ودلائل، بقطع النظر عن كونها ضئيلة، عن بشر بن حسـن: فعـلى سبيل المثـال يشير ابن خلدون في حديثـه بشـأن (ايام جبلة) عن القائد الكندي معاوية بن شرحبيل بن حسن (٦٤)، على احتمال انه قريب لبشر بن حسن وعلى ذلك فبشر ينتمي الى بطن جنوبي من قبيلة كنـدة الحاكمة، كما هو الحال بالنسبة ليزيد بن كبشة وبموجب النقش، كان بشر على رأس سعد بن مذحج، التي من الممكن انها كانت خاضعة لسلطة دولة كندة (٦٥).

وبعـد ذلـك يتحـدث النقش عن المعركة الدائرة /بود/ بمنهل/ تربن/ في الوادي قريبا من بئر تربن (٦٦). اما تحقيق المنطقة فينبغي ان تكون وادي التراب، أو (تربا) الواقع على مسافة ١٣٠ ك/م شمال شرق الطائف (٦٧). ومن المؤسف له ان النقش أصيب بتلف في هذا الجزء، الامر الذي يصعب تفسيره. ومـع ذلـك يمكن القـول بعدم مشـاركـة قوات ابرهة في المعركة الدائرة عند وادي تربن، وهي المعـركة التي خاضتها جنبا الى جنب قوات أبو جابر وبشر بن حسن (٦٨)، بمعنى اخر قبيلتا كندة ومراد وسعد ضد بني عامر، وربما قبائل اخرى لم تحفظ اسماؤها (٦٩).

يرسم النقش خط سير حملة عام ٥٤٧م كما يلي: إبان حملة ابرهة الى الشمال ضد بني معد، تمردت قبيلة عامر بن صعصعة القاطنة على شاطىء البحـر الاحمـر. عنـدهـا وجه ضدها وضد (قبائل اخـرى) ابـو جابـر وبشر الذين تمكنا من القضاء عليها. وفي ذات الوقت واصل ابرهة حملته على رأس القـوة الاسـاسية وقـابل بني معد عند وادي حلبن وحطمهم. واذا ما قيمنا نتائج المعركة من حيث ان النقش لم يتحـدث عن الغنائم فيمكن القول بأن النصر لم يكن حاسـمـا. ولم يستـطع اللخميون لانشغـالهم بالحرب الدائرة في الشمال، تقديم اي عون فعال لانصارهم بني معد، فاضطر الاخيرون من الاعتراف بالسلطة العليا للدولة الحميرية وقدموا لها الرهائن. (٧٠).

بعـد ذلـك بدأت مفاوضـة السـلام مع اللخميين، والتي قام بها، على مايبـدو عمرو بن

المنذر العامل اللخمي ، على معد ، ووفقا لشروط السلام أصبح كما يبدو ذلك جليا ، عامل معد، ولكنه اعترف بالسلطة العليا لابرهة وقدم اليه ابنه رهينة . (٧١) .

لقد اعير السؤال الهام حول أسباب وأهداف حملة ابـرهـة ، كبـير الأهتـمام في اعـمال مختلف الباحثين. لقد كانت مقترحات (سميث) على وجه الخصوص ، وبالذات ، بشأن ارتباط حملة ابرهة بالحـروب البيزنطية ـ الايرانيه ، احدى حججه الاساسية لاثبات تزامنها لعصر حميري جديد (٧٢) .

ويشـير (بـوكـوبيوس) الى ان الامـبراطـور يوستنيان اقترح غير مرة على ابرهة الهجوم على ايران عبر الصحـراء لمساعـدة بيزنـطا في صراعهـا مع الفرس. وبذلت الدبلوماسية البيزنطية جهودا مظنية لانشاء تحالف ضد الفرس من الحميريين والكنديين والـقـبـائـل العـربية الـداخلة في نطاق سلطة الامبراطورية ، ولتحقيق هذا الهدف ارسلت بيزنطا سفارات عدة ، قامت بزيارة الجزيرة العربة مابين سنوات ٥٣٠ و٥٤٠م ووفقا لما أورده (بروكبيوس) تمكن يوستنيان من استنهاض الحميريين ، غير ان هذا لم يجلب لبيزنطا اية فائدة ملموسة : ووجه ابرهة ذات مرة حملة لهذا الغرض ، غير أنه سرعان ما أوقف سيرها ، ومن ذلك الحين لم يكرر مثل هذا التصرف (٧٣) . بيد أن التفسير القائل بأن الحملة كانت بفعل ضغط السياسة البيزنطية فقط ، يفتقد الى الاسس الكافية ، ولا سيما ان الحرب بين بيزنطا وإيران فيما بين النـهـرين انـتـهـت عام ٥٤٦م . بالاضافة الى ذلك ركز سفراء بيزنطا ابتداء من عام ٥٣١م على مثل تلك الحملة، اولا مع سميفع وفيما بعد مع ابرهة ، وعلى الرغم من ذلك لم تتم هذه الحملة الا بعد انقضاء ستة عشر سنة منذ مجيء البعثة الدبلوماسية الاولى التي كانت تسعى لتحقيق نفس الهدف .

ومن دون شك فأن اسباب الحملة لم تكن خارجة عن نطاق المصالح الخاصة للدولة الحميرية .

ويؤكد النقش RY 506 فرضيتنا بشأن التغير الجذري لميزان القوى في وسط الجزيرة العربية في الاربعينـات مقـارنـة بثلاثينيات القـرن السادس وانكماش رقعة اراضي الحميريين وانحسار نفوذهم وتدهور وانحطاط الدولة الكندية . لم يشارك في حملة ابرهة الى جانب الحميريين من قبل الجزيرة العربية سوى كنـدة ومـذحـج ، حلفـاء الـدولـة الحميرية الاوفياء. لم يتضمن النقش اي اشـارة الى القبائل العربية الشمالية الخاضعة لكندة وعلى رأسها حينذاك الحارث بن عمرو ، أو فيما يتعلق بالقبائل الاخرى مثـل مغـد وبنـو عامر بن صعصعة، الذين كانوا مرتبـطين بالحمـيريين حتى دخولهم في معركة ضد ابرهة عام ٥٤٧م .

في غضـون ذلـك تتـوالى هزائم الحارث بن عمرو في صراعه مع المنذر الثاني (٧٤) ، وتنتهي معارك ابنه حجر مع قبيلة أسد بهزيمة حجر (٧٥) ، وتدور رحى حرب داخلية بين ابني الحارث وهما سلام وشرحبيل (٧٦) .

ان مغـامرات امرؤ القيس ترسم صورة حية للحياة في شمال ووسط الجزيرة العربية في سنوات ٣٠ ـ ٤٠ ، وتعتـبر مؤشرا للانحسـار الهائل لنفوذ الدولة الحميرية في هذه المناطق (٧٧) .

ويرتبط تاريخ العربية الجنوبية في هذه المرحلة بتـأريخ سقوط سميفع وصراع ابرهة ضد محاولات التـدخل الحبشي وتمرد يزيد بن كبشة وخراب سد مارب. ومن الطبيعي أن لاتتوفر الامكانيات اللازمة لدى ابرهة حتى منتصف الاربعينات التي تمكنه من التدخل الفعال في الاحداث الدائرة في وسط شبه الجزيرة العـربية ، والحد من تدهور سلطة الدولة الكندية ولم يكن بمقدور اعداد وتجهيز حملة الى وسط شبـه الجزيرة العـربية ومحاولة استعادة نفوذ الدولة الحميرية في هذا الجزء من شبه الجزيرة العربية، الا في مطلع ٥٤٧م. وفي غضون ذلك تمكن ابرهة من تعزيز مواقعه الى حد كبير، عن طريق اقامة علاقات ودية مع الحبشة بعد موت (ايلا اصباحا) من جهة وابـرام اتفـاق مع يزيد بن كبشـة والاقيال المتمردة وتحطيم أخطر منافسيه ، مثل معد كرب بن سميفع من جهة اخرى (٧٨) .

وفي هذه المرحلة كانت الاوضاع في وسط وشمال شبه الجزيرة العربية مهيأة لمحاولة ابرهة الرامية الى ايقاف تدهور الدولة الكندية ، وتعزيزها ، وبالتالي استعادة نفوذ الدولة الحميرية في وسط شبه الجزيرة العربية . في عام ٥٥٤م ابرمت اتفاقية سلام بين يوستنيان وخسروف، بيد أن المسألة المهمة بالنسبة للدولة الحميرية لم تكن تصرفات وموقف بيزنطا وإيران بقدر ما كانت مواقف القوى المجاورة لها ـ الغساسنة واللخميين ، الذين تنازعوا وتنافسوا بعد سقوط كندة ، على شمال ووسط الجزيرة العربية . اذ بعد ابرام السلام بين إيران وبيزنطا سرعان ما أندلعت الحرب بين الغساسنة برئاسة الحارث بن جبلة واللخميين برئاسة المنذر الثالث واستمرت حتى عام ٥٥٤م .

وينبغي تقييم هذه الحرب كصراع من أجل تقسيم اراضي كندة . ولم يكن النصر في هذه الحرب من نصيب أي من الطرفين المتحاربين ، اذ اوقع المنذر هزيمة بالحارث بن جبله واسر ابنه، الذي قدمه فيما بعد فدية للرب (٧٩)، غير ان المنذر بعد هذا الانتصار مني بهزائم عدة وفي عام ٥٥٤م قتل في احدى المعارك مع قوات الحارث. (٨٠) .

يحتمل تحالف ابرهة مع الغساسنة في حملة ٥٤٧م (٨١) .

أما شهرة ابرهة في التراث الاسلامي فمرتبط بالاساس بحملته التي أشار اليها القرآن الكريم والتي سميت (حملة الفيل) (٨٢) . ويتضمن التراث العربي الذي ينقل اخبار هذه الحملة على كثير من التفاصيل ذات الطابع الاسطوري ، كما يحتوي على عدد كبير من المتناقضات ، الامر الذي يتطلب معه خضوعه للدراسة النقدية .

وهنا ينبغي لنا التوقف عند تاريخ (حملة الفيل) ان تأكيد بروكوبيوس على ان ابرهة لم يقم الا بحملة واحدة الى وسط شبه الجزيرة العربية لايمكن ان يكون الدليل القاطع لتطابق حملة ٥٤٧م و(حملة الفيل) لان بروكوبيوس لم يشر الى الاحداث الجارية بعد عام ٥٥٠م (٨٤) . ان هذا التأكيد يمكن ان يشكل مادة تاريخية ، حيث يدلل على ان ما أورده بروكوبيوس يتعلق تحديداً بحملة عام ٥٤٧م .

ووفقا للتراث العربي سمي عام حملة ابرهة الى مكة ب(عام الفيل) . وفي هذا العام ايضا ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، اي عام ٥٧٠/ ٥٧١م (٨٥) . وعلى الرغم من ذلك توجد خلافات بين العلماء المسلمين انفسهم حول هذا الموضوع اذ يرى البعض من المؤرخين العرب الاوائل ، مثل المؤرخ محمد الكلبي ، والذي يرى بأن (حملة الفيل) حدثت قبل ٢٣ عاماً (٨٦) من مولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، اي عام ٥٤٧/٥٤٨م.

ويحتوي النقش RY 506 الذي يتحدث عن حملة ابرهة الى وسط شبه الجزيرة العربية على التاريخ الدقيق للحملة ـ ٦٦٢ حميريه ٥٤٧م والمتطابق مع معطيات الكلبي (٨٧) .

يبرز تساؤل حول علاقة حملة ابرهة في عام ٥٤٧م و(حملة الفيل) وهو الموضوع الذي تناوله صاحب النقش بشكل طفيف وكذا الحال ايضا بالنسبة للعلماء الذين قاموا بدراسة وتحليل النقش .

ويرى ج. ريكمنس بأن حملة عام ٥٤٧م شكلت الاساس الذي قامت عليه قصة (حملة الفيل) (٨٨) ويدون سميث في جدوله التاريخي حملتين لابرهة الى وسط شبه الجزيرة العربية : حملة عام ٥٤٧م بعام ٥٤٤ و(حملة الفيل) (٨٩) ، غير ان نص الدراسة لم يتضمن الحجج والبراهين على ذلك .

يقف (التهايم وشتيل) فقط ، بثقة مع مطابقة حملة ٥٤٧م و(حملة الفيل) (٩٠) . ارتكزت حججهما ، بشكل أساسي ، على البراهين التاريخية لبيانات ومعلومات محمد الكلبي . ولكن صواب هذا الموقف لايعني البرهان على تطابق (حملة الفيل) وحملة عام ٥٤٧م .

أن أسماء القبائل العربية وقاداتها المشار اليهم في النقش RY 506 لا تنطبق مطلقا مع اسماء المشتركين في (حملة الفيل) الوارد ذكرهم في التراث العربي الشمالي، فنحن لم نعثر فيها على اسماء ابو جابر ، وبشر بن حسن ، وقبيلة مراد ، وسعد ،

وعامر بن صعصعة .

ومن جهة اخرى لم يتضمن النقش RY 506 اي اشارة الى نفيل بن حبيب ، الـذي كان وفقاً للمصادر العربية المرشد والدليل الاساسي لابرهة (٩١) ومحمد بن خزيمة والذي يزعم ان ابرهه عينه عاملاً على معد . الخ (٩٢). ويقع بئر الموريجان ، حيثما اكتشف النقش بعيداً عن طريق الحجاج اليمنيين والحضارمة الى مكة ، وهذه الطريق لاتزال حتى الآن تسمى ب (طريق الفيل) (٩٣) . كما ان الفرق كبير جدا في التواريخ ، اذ لايمكن ان يكون بفعل مرور ٦٠ عاما او يزيد (الفرق بين حملة عام ٥٤٧ وبداية الدعوة المحمدية) قد محى الى هذا الحد المتصور عن زمن مثل تلك الاحداث التأريخية الكبيرة. وفي هذا الصدد تحتل معطيات محمد الكلبي أهمية خاصة: ففيها اتضحت فعلاً حملة ابرهة، المدونة في النقش RY 506 وهي المعلومات التي لم تحتفظ بها اي مصادر عربية اخرى .

وهكذا نستنتج مما سبق بأن تراث العربية الشمالية بشأن (حملة الفيل) ليس له علاقة بأحداث عام ٥٤٧م . وهنا يبرز سؤال اخر: هل يستند تراث العربية الشمالية على اساس تاريخي ما ام انه يعتبر مجرد اسطورة؟ ومما لاشك فيه انه كان لسورة الفيل تأثيرا قوياً على المؤلفين المسلمين وأهلت نزعة أو توجه تحليل المعلومات الشفوية ، للتراث ومهما يكن الامر فأنه ليس هناك مجال للتشكيك ب (حملة الفيل) كحدث تاريخي . ومن الحجج القاطعة في هذا الصدد الاثر المحفوظ في (ديوان قبيلة خزيعة) والذي يعطينا وصفاً شاملاً للاحداث (٩٤) .

وطبقا للمصادر العربية فقد كانت (حملة الفيل) موجهة في الاساس ضد مكة بهدف تحطيم الكعبة وتوجيه الحجاج الى الكنيسة المسيحية (القليس) التي بناها ابرهة في صنعاء (٥٩) .

وبالرغم من ان الباعث على حفظ الاثر يحمل طابعاً دينياً الا انه يجسد وقائع تاريخية : اذ يعد الحج الى مكة في الاشهر الحرام ذا أهمية تجارية كبيرة ففي موسم الحج تنتشر الاسواق التجارية في مكة وضواحيها حيث يلتقي في هذه الاسواق تجار من مختلف اطراف جزيرة العرب . لذلك كان هدف حملة الفيل نفس هدف حملة عام ٥٤٧م وهو الاستيلاء والسيطرة على الطرق التجارية واخضاع القبائل البدوية القاطنة في وسط شبه الجزيرة العربية. ومن الجائز ان لا تكون مكة هي الهدف الرئيسي (لحملة الفيل) بقدر ما كانت المستوطنات اليهودية الواقعة بالقرب منها، والتي كانت تربطها علاقات وصلات تجارية مع ايران . هذا مجرد احتمال بينما الصراع الدولي على طرق التجارة البرية والبحرية قد جر كل العرب الذين تمر عبر اراضيهم ويقومون بنقلها على جمالهم .

ان مسالة تفصيل تاريخ (حملة الفيل) غير واضحة ويعتبر الاثر العربي (عام الفيل) العام ، الذي ولد فيه (محمد صلى الله عليه واله وسلم) ويتوافق هذا العام مع الاعوام ٥٧٠/٥٧١م وهذا التقدير لايستدعي الشك ولكن تحديد تاريخ مطلق يحتمل الخطأ . والى جانب هذا وذاك فأن عام ميلاد محمد (صلى الله عليه وسلم) لم يحدد بدقة ، فعلى سبيل المثال يرى الطبري (٩٦) بأن عام ميلاد (محمد صلى الله عليه وسلم) هو العام التاسع لحكم عمرو بن المنذر اي عام ٥٦٣م . في ظل غياب نظام التوريخ الصحيح في شمال شبه الجزيرة العربية ماقبل الاسلام، فالاحداث المزامنة التوريخية تبدو لنا أكثر أمانة. ونرى بأن التاريخ المحتمل (لحملة الفيل) هو مطلع ستينات القرن السادس اي حوالي عام ٥٦٣م والمشار اليه من قبل الطبري .

أشتركت في الحملة القوى الكبرى للعربية الجنوبية، التي دخل فيها ايضا الاحباش ، بيد انه ينبغي القول بأن القوة الحبشية المعنية هنا ليست قوات نجاشي الحبشة، وانما الاحباش الذين استوطنوا العربية الجنوبية بعد الحروب الحميرية - الحبشية. ويمكن الاعتراف بمصداقية الأخبار الدالة عن وجود فيلة (حرب) في القوات الحميرية. اشتركت في هذه الحملة كما في الحملات السابقة للملوك الحميريين الى وسط الجزيرة العربية، والقبائل الحليفة للدولة الحميرية ، وبهذا الصدد اشار الشاعر امية بن ابي الصلت الى (مشاركة ملوك

كندة المشهورين في بأسهم في المعارك (٩٧) .

ان معلومات وشواهد التراث العربي عن حملة الفيل متعددة وكثيرة ، الا انه ينبغي عدم الاعتماد عليها كمعلومات يقينية . ونشير هنا فقط الى ان الحملة لم يحالفها الحظ اذ انتشرت الاوبئة بين القوات الحميرية وهي المعبر عنها مجاز (بالطير الابابيل) المترجم فكانت مضطرة للتراجع ، فوقع عدد كبير من الفارين في اسر القبائل البدوية ، ووفقا لما أورده الازرقي في ظل الكثير من هؤلاء في مكة حيث عملوا في الرعي (٩٨) .

تراجع الحميريون بشكل منظم الى حد ما . ففي طريق عودتهم اخذوا رهائن من القبائل البدوية ، التي هاجمت فرقهم (٩٩) ، اما الملك الحميري المشترك في هذه الحملة فقد تمكن من العودة الى العربية الجنوبية ، حيث أستمر حاكما عليها لبعض الوقت . (١٠٠) . ؟

□□ مراجع وهوامش البحث الثاني من الفصل الثاني
حملة ابرهة الى وسط الجزيرة العربية

٤٨ ـ النقش RY 506'2-3 كغزيو/ معدم/ غزوتن/ ربعتن/ عندما قاموا بالهجوم للمرة الرابعة على (قبيلة) معد هناك صعوبة في ترجمة هذا المقطع من النقش . ويرى ج . ريكمنس بأنه مع الفعل/ غزيو/ الأسم/ معدم/ ويترجم العبارة هكذا/ وعندما قامت قبيلة معد بغزوتها الربيعية (انظر: .J.Ryck (انظر ص ٢٧ ـ ٢٨ Caskel. Entd.eckungen, : ص ٢٧٨ J. RYck Mans. iSA,X يعتبر تفسير بيسون قريب من الصحة والذي يرى بأن الاسم الأنسب مع هذا الفعل هو ـ ابرهة مع وجوب استخدام صفة التعظيم الجماعية (فخامتهم) تماماً كما هو الحال بالنسبة للفعل السابق/ سطروا .

ص ٣٩٠ .Beeston. Notes) أخذ بهذا التفسير ج . ريكمنس (ص ٩٤ ,J.RyckMans. Bo,Xn1957 ويستنتج مما سبق بأن الحملة تمت ليس ردا على هجوم بنو معد وانما بهدف اخضاع هذه القبيلة القوية التي لعبت دورا هاماً في تاريخ وسط العربية . وأوضح ج . ريكمنس بأن ترجمة كلمة /ربعتم/ (ربيعي) والمأخوذ بها من قبل باحثين سابقين لاتتوافق مع تاريخ النقش ونحن نأخذ بتفسير ج . ريكمنس (الرابع) (انظر ص٩٤و١٧×و
J.Ryck Mans B0,

٤٩ ـ في مطلع الثلاثينات حدث تغير مفاجىء في توازن القوى في وسط شبه الجزيرة العربية انحسار انهيار انحطاط الدولة الحميرية القوية وحليفتها الدولة الكندية ، في نفس الوقت الذي تعاظمت فيه قوة وتأثير الدولة اللخمية والى حد ما الغساسنة ، وفي هذا الصدد من الحكمة أن نتذكر معطيات نقش ابرهة الماربي الذي احتوى على قائمة بشعارات مختلف الدول التي حضرت الى مارب لتهنئة ابرهة حيث يأتي مباشرة بعد الوفد الايراني ، وفد حاكم لخمة الشهير المنذر الثالث . والعجيب هو ان يرد اسم المنذر وهو من الحكام المعادين للدولة الحميرية العربية والواقعين تحت تأثير النفوذ الفارسي وقبل الحكام الغساسنة الذين كانوا خاضعين لبيزنطا وتربطهم علاقات ودية بالعربية الجنوبية وهذا يرتبط بوضوح بالدور المتعاظم لدولة المنذر الثالث التي لعبت دوراً هاماً ليس في نطاق شبه الجزيرة العربية فقط بل وفي العلاقات البيزنطية ـ الايرانية أيضا .

كما أرسل ملوك الغساسنة الحارث بن جبلة وأبوكرب بن جبلة بوفودهم الى ابرهة (أنظر بيجلوفسكايا . ن . ف . عرب القرن السادس ميلادي وفقاً للمصادر الربانية . الدورة الثانية لجمعية المستعربين . لينجراد ١٩٤١ ص ٦٠ .

انظر أيضا : بيجلوفسكايا بيزنطا ص ٣٢٣ (مرجع سابق) .
انظر أيضا :ـ
Kaway. Procopius ، ص ٢٠٥ ـ ٢٢١
nKaway. Aretnas (ص ٨٣ ـ ٨٧ وسابقا نُظر الى دولة اللخميين ودولة الغساسنة كدولتين حاجزة وثيقتا الارتباط بالايرانيين والبيزنطيين أكثر من ارتباطها بالمناطق المتاخمة لهما من شبه الجزيرة العربية . ولم تثار حتى مسألة دور هاتين الدولتين في تاريخ وسط شبه الجزيرة العربية . ولكن ومن خلال ربطنا لتاريخ الغساسنة واللخميين على وجه الخصوص بالاحداث السياسية في الدولة الحميرية تبين بأن هذا الدور كان كبيرا : اذ كانت كل منطقة شبه الجزيرة العربية تقريبا مقسمة بين كندة ولخم والغساسنة وكانت غالبية القبائل العربية واقعة الى هذا الحد أو ذاك تحت نفوذ هذه الدولة او تلك من الدول الثلاث . ان تاريخ تلك الدولة كان وثيق الأرتباط في العمليات الداخلية الدائرة في حياة قبائل شبه الجزيرة العربية اكثر من التقديرات السائدة في هذا الصدد سابقاً .

٥٠ ـ كان على رأس هذه القبيلة عمرو بن المنذر الثالث الشهير . وحكم عمرو هذا من عام ٥٥٤ الى ٥٦٩ أما في عام ٥٤٧ لم

يكن قد اصبح حاكما مستقلاً وانما نائبا لأبيه على قبيلة معد. وتنقل لنا المصادر العربية الشمالية عند حديثها عن انحطاط الدولة الكندية وخضوع قبيلتا بكر وتغلب للدولة اللخمية ان المنذر الثالث عين ابنه رئيسا لهاتين القبيلتين (انظر على سبيل المثال ص ٣٩٧ ابن الاثير SIA وكذلك : ص ١٠٣ - ١٠٤ Olider. Kings وتؤكد معطيات النقش موضوع البحث هذه المعلومات ويمكن ان تستخدم كمادة تاريخية لتحديد الترتيب الزمني (لتقويم) (الايام).

٥١ ـ انظر :

Altheim - Stiehi Finazgeschichte

F. Altheim und R. Stiehi Finanzge- Schichte der Spatantike. Frankfurt am Main 1957.

(ص ١٤٤.

وكانا التخايم وشتيل على صواب فيما ذهبا اليه من أن بني معد في عام ٥٤٧ وقعوا تحت نفوذ اللخميين غير انهما لم يأخذا بالحسبان خضوعها في العصور السالفة للدولة الكندية الامر الذي ادى الى تشويه الافاق التاريخية.

٥٢ ـ أنـظر : RY 506,3 كقسد/ كل/ بنيعمرم/ يقترح كاسكيل /فسد/ /تمرد/ [ص٢٠٢٧ Caskel.Entdec- kungen ولكن دراسة وتحليل النص ووفقاً لشهادة (لراي) ج. بيرن تجعلنا نستبعد القراءة المقترحة من قبل كاسكيل RY 535 ص ١٧٨ J. Ryckmans. Persecution وهنا الشكل الثاني من فعل/ قسد/ اختيار تعيين قائد والتي تعنى /الاستيلاء على السلطة/ أما اسم قبيلة عمرم فيمكن قراءته/ عامر/ /عَمر/ عُمَر/.

٥٣ ـ أنظر:ـ

Caetani. Annali. L. Caetani. dell'islami

ميلانو، ١٩٠٥ - ١٩١٣م ص ١٢٦٢ - ١٢٦٣ ، ١٢٦٦

٥٤ ـ أنظر:ـ

J. Rycmans. inscription-G. Ryckmans Unc inscription Chtetienne Sabeene aux Musees d'antiquites d'istabul. le Museon, Lix1946 ص ٣٤١.

-Caskel. Entdeckungen- W. Caskel Entdeckungen in apaoien Koln- Opladen, 1952 Cvaflnw,30.

ص ٢٨.

٥٥ ـ أنظر ص ٣٤٦ - ٣٤٧ Amir b. Sasa. El, L,

٥٦ ـ هذه القبيلة شاركت في (ايام جبلَة) ضد تميم وذوبيان متحالفة مع بطون كندة الجنوبية (انظر نقائض جرير والفرزدق المجلد الثاني ص٦٥٧ - ٦٥٩ A ص ٤٧٤ - ٤٧٥ (مرجع سابق ياقوت. معجم البلدان. طبعة برلين سان بطرسبورغ ، باريس. ترجمة فردناندو ستنفيلد. لايبزج ١٨٦٦ - ١٨٧٠م المجلد الثاني ص ٢٤ - ٢٧. وفي وقت لاحق وكما يبدو في مطلع القرن السابع قاتل العامريون في يوم فيف الريح ضد محور قبائل العربية الجنوبية المختلفة.

[انظر على سبيل المثال : نقائض جرير والفرزدق ص ٤٦٩ - ٤٧١ ابن الاثير ص٤٧٤ - ٤٧٥ أنظر ايضا :ـ Mufadd The Mufaddahy.

at,an anthology of ancient Anabian odes. ed. ch.j Lyall, 1-11 oxford. 1918-1921,111 leiden 1924

ص ٧٠٦ - ٧١١.

وتدل معطيات (الايام) على أن عامر بن صعصعة كان مرتبطا بعلاقات ودية وثيقة في النصف الاول من القرن السادس ،مع كنده، وبالتالي، مع العربية الجنوبية.

٥٧ ـ أنـظر : ص ٣٣٩ (مـرجـع سابق) .J.Ryckmans inscriptions historiques.

٥٨ ـ أنظر :

Vakyt- Jacuts geo raphisches Worterbuch aus den Handschriften zu Berlin. St. petersdurg und paris, hrsg, von Ferdinand, Wustenfeld 1-7 lepipzig 66-1870, Caskel Entdeckungen. ص ٢٩

٥٩ ـ أنظر : نقائض جرير والفرزدق ج٢/ ص ٨٩٤.

٦٠ ـ ان واقعة ذكر معركتين في النقش وليس معركة واحدة والذي اكتشفه للمرة الاولى بيستون تغير كليا لتصوراتنا عن مسار الاحداث. ويتبين بأن رأي ريكمنس في أن القوات الحميرية لم تشترك في الحملة /لا أساس له/ وبالعكس فمن المحتمل ان الحميريين شكلوا القوة الرئيسية في جيش ابرهة والتي يدعمها التوجه ضد بني معد أنظر : مرجع سابق ص ٣٩١ Beeston.Notes.

ص ٣٤٢ .J. Ryckmans. inscription historiques

٦١ ـ النقش Ry 506, 4-5 وذكي/ ملكن/ ابجبر/ بعم/ كدت/ وعل/ وبشرم/ يتحصنم/ بعم/سعدم/وأرسل الملك اباجابر مع (قبيلة كندة وعلى وبشر وبن حصن (؟) مع (قبيلة سعد.

ان قراءة كل الاسماء مشكوك فيها. يمكن القراءة بصورة اخرى أيضا ، مثلا /جابر/ أو يشير/. وهنالك صعوبة في فهم كلمة /وعل/ وفهمهاج. ريكمنس هكذا /كنده وآل/ أنظر:ـ J. ryckmans IsA- G. Ryckmans inscriptions Sud- arabes publles dans le Museon serieles inceriptions العدد ١٠ ص ٢٨١

ولكن قبيلة (آل) غير معروفة في المصادر الاخرى. أما كاسكل فيفهم مصطلح /وعل/ كأسم لمدينة بالقرب من الجند حينها قطنت كندة أنظر : ص ٢٨ Kaskel. Entdeckungen واعتراض بيرن أنظر :ـ .Pirenne. Ry 535- J. pirenne. L. inscription

Ryckmans 535 et la chronologie. Sud- arabe le Museon. Lxix, 1956, ص ١٧٨

على هذا التفسير يبدو غير مقنع.

اذن فان المصطلح /وعلي/ في سباق النقش Ry 506, 5

المتلف مساويا للمصطلح /وعل/ وينبغي فهمه صفة نسب .
٦٢ - انظر : فهرسة الأغاني لأبن الفرج علي الاصفهاني. بولاق ١٣٨٥م ص ٣٧١ - ٣٧٣.
مرجع سابق ، ص١٤٥٣ - ١٤٥٤ ج ٢ Caetani Annali
٦٣ - أنظر (مرجع سابق) ص ١٤٥٣ ج٢ Caetani Annali
انظر : نقائض جرير والفرزدق. ج١ ص ١٥١ ، ٢٩ ص ١٥٦ ، ٤٦٩
ص ٢٩ Caskel. Entdeckungen
أما مقترح سميث (أنظر : Smith. Event- S. Smith Event in Apadia.
ص ٤٣٦ In the bth century. A.D. Bsoas, 1954, 16,4
الذي يرى بأن /سعدم/ الوارد في النقش يتطابق مع سعد احد بطون قبيلة قريش غير مدعم بالبراهين ومعطيات المصادر تدحض مثل هذا التطابق .
ومن النقش يتضح جلياً بأن قبيلة سعد قاتلت الى جانب
٦٤ - انظر : عبدالرحمن ابن خلدون كتاب العبر. بولاق ١٣٨٤ ج٢ ص ٢٧٥
٦٥ - يفترض اليندر بأن اسم (حصن) خطأ بليغرافيا بسيطاً ، ومن المحتمل جداً أن يكون أتياً من (اخضر) أنظر : ص ٢١١ - ٢١٢ .Olinder Ai al-Gaun لأن المصادر الأخرى السابقة وعند حديثها عن (ايام جبلة) تسمي هذا الشخص ايضا معاوية بن شرحبيل بن أخضر (انظر : نقائض جرير والفرزدق ص ٦٥٦) (مرجع سابق) الأغاني لابي الفرج الأصفهاني ط/ بولاق ١٣٨٥هـ. ج/١٠ ص ١٨ ، ٣٤ ومع بعض من الأختلاف ص ١٣ ، ٣٥. ومن وجهة نظرنا، فأن الاحتمال الاكبر حدوث خطاء عكسي لأن اسم حصن مثبت في النقش . وتجدر الاشارة الى ان المصادر الاخرى لم تشر الى وجود حاكمين مستقلين عن بعضهما لكندة والحديث عن تدهور قوة الدولة الكندية وسقوطها في الفترة مابين ٥٤٠ - ٥٤٧م واكتمال هذه العملية بغرض احتمال ربطه بأنتفاضة يزيد بن كبشة، وفي الحقيقة أنتهت هذه الانتفاضة بابرام يزيد اتفاقية مع ابرهة حصل بموجبها يزيد على منصب اعلى بيد أنه وبعد مرور خمس سنوات لم يرد في النقش الذي يتحدث عن الكنديين اية اشارة الى يزيد ومن غير المحتمل ان يكون هذا بفعل الصدف .

في مطلع القرن السابع لقيت الدولة الغسانية واللخمية مصيرا واحدا عندما أدى تعاظم هاتين الدولتين العربيتين الى أن اصبحتا خطيرتين بالنسبة لحماتها اللذان قاما بالقضاء عليهما بالقوة العسكرية . وعلى مايبدو فقد واجهت كندة نفس المصير بعد اخماد ابرهة لانتفاضة يزيد بن كبشة .

٦٦ - النقش Ry 506,5-6 . ان القراءة العادية ل منهج (طريق) ل٢ المقترحة من قبل بيستون بالاستناد الى رسالة فيلبي (ص ٣٢ Beeston- cakel قراءة بلوغرافية وبالتالي يبدو أنها الأفضل ، حيث ان تربن وفقاً لمعطيات فيلبي مصدر (ص ٥٧ - ٥٩ Philby -Hi hiands

٦٧ - أشار ج. ريكمنس الى ان هناك عدة مناطق تعرف بهذا الاسم ص ٢٨٢ ، ج ١٠ G. Ryckmans. i sA. ولكن إعادة المسألة الى المؤلفات تظهر ان المقصود في جميع الاحوال منطقة واحدة انظر (ص ١٢٢ Wissmann- Hofner (ترابة - على شرق عسير أنظر : ص١٥١٨ Caetani nnali أو ترابة أو تربة - وادي قرب الطائف (ص ٥٧ - ٥٩) Philby. Highiands ومنها أخذ ج. ريكمنس معلوماته (انظر ص ٣٥٣ - ٣٥٤ Al-theim- stiehi. Fihah28 eschichte .
٦٨ - النقش Ry 506,5 /وخضو/ وضرو/ قدمي/ جيشن/ كلا القائدين للجيش حاربا وقاتلا. ويقترح كاسكل ترجمة مغايرة (ص ٢٩ Caskel.Entdeckungen بيد أن وجهة نظره دحضت باقناع من قبل بيستون (ص ٢٩٢ - ٢٩٣ Bees-ton-Entdeckungen وينظر ج. ريكمنس الى مصطلح/ قدمي/ كلهجة في المقدمة على راس أنظر ص ٢٨١ G.Ryckmans,isAX أفضل رؤية يقدمها بيستون/ قدمي/ يفهم كمثنى من قدم والجمع /أقدم/ قائد/ آمر(انظر ص ٣٩٠ Beeston - Caskel وتقابل هذا المصطلح في نقوش العربية الجنوبية النقش RES 53308,1 والنقش J 547,2 Nmi72-73 وفيها تذكر (قائدان) - بدون شك ، أبو جبر كندي وبشر بن حصن من قبيلة سعد.
٦٩ - النقش Ry 506,5 على / بتيعمرم/ كدت/ وعلي/ . . مردم/ وسعدم/ ضد بني عامر كدات وعي . . . مراد وسعد. ويعد كلمه علي النقش متلف ويقرأه - ريكمنس/ ود. ع/ز (؟) رن/ بدون ترجمة. ولم يقدم بيستون أيضا أي تفسير لهذا الجزء من النقش. وكانت المحاولة الوحيدة لفك الرموز لكاسكل الذي يقرأها هكذا/ وعلي/ ود/ (ق) مع/ مزد (ست) ويترجمها ويقابل الوادي قاع مرنن (انظر : ص ٢٢٧ ٢٩ Caskel, En-tdeckungen . ومن الناحية البلوغرافية فأن مثل هذه القراءة ممكنة ، الا أنها تخلق مصاعب جديدة .

ومن سياق النص يجب ان يكون الاسم هنا، اسم القبيلة او القبائل التي قاتلها بشر بن حصن وابوجابر. ومن غير المحتمل ان تحل اسماء جغرافية محل اسماء القبائل. علاوة على ذلك ومن غير المتوقع تكرر /في واد قاع/ ود/فع/. يظل المكان غير واضح. وبدون اسس كافية يعرض كاسكل المعركة التي أشتركت فيها قبيلة مراد وسعد.

٧٠ - النقش Ry 506,6-7 . /ودنو/ خيل/ معدم/ ورهنو/ وأخضعت قوات معد وقدموا الرهائن/ ويرى ج. ريكمنس أن تقرأ هكذا : ودنو/ كظل/ معدم/ ويترجها/ ويردو ٢١ كالظل/ مسعد/ (ص ٢٧٨ G. Rckmans iSA,x الا ان كاسكل رفض هذه الترجمة والتفسير ولم يقترح البديل ، أما بيستون فيشير بحق الى ان استعارة من هذا النوع غريبة على اسلوب هذه النقوش/ .

(انـظر: ص ٣٩١ Beeston. Notes وفي الحقيقـة يستحيل العثور في نقوش العربية الجنوبية حتى على مثال واحد من هذا القبيل.

يعتبر ج. ريكمنس الفعل/ دنو/ قريبا من/ دنو/ في اللغة العربية الشمالية /وقع في المذلة، في الخطاء/ أنظر: (ص ٩٢٠ ـ ٩٢٢ Lan 21-35, ص ٢٨٣ G. Ryckmans. ISA.X ويترجمها/ تبدد/ الامر الذي لايعتبر كافياً من حيث معنى الاصل. اما بيستون فيترجم هذا المصطلح هكذا: (يكون منتصراً) الا انه لم يدعم رأيه بالحجج والبراهين ويعتبر التفسير الصحيح هو المقترح من كاسكل والذي يعتبر فيه بأن الفعل/ دان مشتق من الاصل/ دون/ بمعنى استمع، خضع/ اذعن/ ، أطاع/ ويستند في تفسيره الى شعراء ماقبل الاسلام. (انظر: ص٢٩ Caskel. Entdekungen وأنظر ايضا:ـ ص ٩٣٠ ـ ٩٤٠ Lane 1'3 أما الكلمة التالية فقرائها خلافية. ونقرأ لدى ج. ريكمنس هكذا/ كظل دون ان يتطرق الى احتمالات اخرى. ولكن كاسكل يرفض هذه القراءة دون أن يتقدم لتفسيره.

(أنظر: ص ٢٧ ـ ٢٩ Caskel. Entdeckungen . والقراءة المقرة من قبلنا/ خيل/ جند/ فرقة/ مقترحة ايضا من قبل بيستون (انظر ص ٣٩١ Beeston. notes كلمة/ خيل/ بنفس المعنى الواردة فيه في النقش RES 3904,5

٧١ ـ انظر النقش Ry 506,7-8 وبعد نهو/ وسمهو/ عمرم/ بن/ مذرن/ ورهنهمو/ بنهو/ وستخلفهو/ علي/ معدم/ وبعد هذا أبرم معهم عمرو بن المنذر اتفاق سلام، وسلمهم ابنه رهينة وعينة الملك واليا على معد.

أما مسألة لمن تعود حالات الضمير للجماعة هنا فلا تزال محل خلاف (انظر ص ٣٠ Cackel. Entdeckun gen

ص ٣٤١ J.Ryckmans. inscriptions,

J.Ryckmans. Persecution

ص ٣٩١ Beeston. Notes. ولا يمكن اعتبارها مسألة قد حلت نهائيا ويعتبر الشرح والتفسير الاتي اكثر احتمالاً: /همو/ حالة ضمير الجماعة تعود لأبرهة ، انها تعني التعظيم المستخدمة في النص عند الحديث عن فعاليات ابرهة في تلك الحالات عندما لايسمى فيه /ملكن/ وبعد صفة المفرد والفعل يستعمل في حالة المفرد: انظر: ذكي/ ملكن السطر الرابع/ مخض/ ملكن/ السطر السادس. ان حالة المفرد لايمكن ان تكون عائدة على ابرهة ، بل يمكن ان تكون عائدة فقط على المنذر أو عمرو.

الفعل/ رهن/ يأتي مباشرة بعد ذكر اسم عمرو بن المنذر فيعود على عمرو في حين ان الفعل الذي يليه/ ستخلف/ فيجب ان يكون عائداً على المنذر/ ويرى بيستون هذا الفعل وارد في حالة الماضي (انظر ص ٣٩١ Beeston. notes, تعيين عمر حاكما على معد حدث اذن قبل كل الاحداث المدونة ولهذا السبب بالذات تولى عمرو المفاوضات، ولهذا السبب بالذات قدم كرهينة ونورد الملاحظة الدقيقة لكاسكل، ومفادها بأن مؤلف النقش موضوع البحث لم يفصل كلمة /بن/ عن الاسماء التالية بعلامات الفصل أنظر /بنحصم/ السطر الرابع/ بتيعمرم/ السطر الثالث والخامس، وهذا يسمح بفهم/ بن/ في هذا المقام كحرف جر/ من/ [انظر: ص ٢٩ Caskel Entdeckungen وفي ظل هذا التفسير فان فعل / ستخلف/ و/ ورهن/ يعودان الى المنذر ولكن من غير الواضح كيف يمكن أن يكون عمرو في وقت واحد مقدم رهينة ومعين حاكماً على معد . وعلاوة على ذلك يثير تفسير كاسكل اعتراض لغوي نحوي محظ [ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦ Hofner. ZDMG, 106,1956

٧٢ ـ Smith. Events- S. Smith. Events in arabia in the bth century. AD. BsoAs 1954,16,3 و ص ٤٣٦

٧٣ ـ (مرجع سابق) ص ١١٠ Procopius,1,

ـ ديستوتس ـ بروكوبيس ص ٢٨١ (مرجع سابق).

٧٤ ـ Olinder. Kings- G. Olinder. The Kings of kinda. of the family of Akil AL- Murar. Lund 1927 ص ٦٢ ـ ٦٩ (Lunds Univ Arrkr, 1927, N F 1,23, No 6)

ـ أنظر على سبيل المثال: الاغاني لابى الفرج الاصفهاني ج٨ ص ٦٤ ـ ٦٥ (مرجع سابق)

وأيضا: ابن الاثير ص ٣٧٣ ـ ٣٧٦ أيضا

ـ ابن عبده ربه الاندلسي، العقد الفريد، القاهرة ١٣٠٥ ص ٣ ص ٧٧ Igd

٧٥ ـ انظر (مرجع سابق) ص ٤٢٢ ـ ٤٢٩. Mufadd.

ـ الأغاني لابى الفرج الاصفهاني ج٨ ص ٦٥ ـ ٦٨. مرجع سابق

ـ ابن الاثير ص ٣٧٦ ـ ٣٧٨و

ص ٧٥ ـ ٨٢. Olinder. kings.

٧٦ ـ أنظر:

ـ نقائض جرير والفرزدق ص ٥٥٢ ـ ٥٥٣، ١٠٧٢ ـ ١٠٧٣ (مرجع سابق)

ـ ابن الاثير ص٤٠٦ ـ ٤٠٨، ٤٦٤ ـ ٤٦٦، (مرجع سابق).

ـ ياقوت. معجم البلدان. ط. برلين ج١ ص ٢٩٣ ـ ٢٩٦ (مرجع سابق) Uakyt

ـ (مرجع سابق) ص ٨٢ ـ ٩٣. Olinder. Kings,

٧٧ ـ أنظر إبن الاثير ص ٣٧٤ ـ ٣٨٣، (مرجع سابق) ص ٩٤ ـ ١١٧. Olinder, Kings.

٧٨ ـ ولفقاً لتفسير ج ـ ريكمنس المقر من قبلنا ، فحملة عام ٥٤٧ كانت الحملة الرابعة لأبرهة ضد معد. وكما يظهر فالحملات الثلاث الاولى لم تكن واسعة النطاق، وكانت ذات طابع استطلاعي ودخل ضمن تلك الحملات فرق حميرية غير كبيرة مثل تلك التي يدل عليها العدد الكبير للالقاب الحميرية/ مقتت/ (قادة عسكريون) المكتشفة في المناطق الجنوبية للعربية السعودية (انظر ص٥٦٢ G. Ryckmans. Graffites sabeens

وحملات الحكام العرب غير المستقلين المماثلة ، مثل حملة أمرؤ القيس الشهيرة ضد بني أسد بمشاركة قوات حميرية . وكما يبدو ينبغي ان تنسب الحملات الثلاث الأولى الى فترة ماقبل عام ٥٤٧ مباشرة . ان ذكر عدة حملات يدل على انتظام حملة ٥٤٧م ويؤكد على اهتمام الدولة الحميرية الخاص بهذه الحملة .

٧٩ - أنظر :

مرجع سابق ص ٢٨٤ ,procopius

- ديسنونس - بروكوبيوس ج١ ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

٨٠ - Hitti. History- Ph. K. Hitti History of the Apads 4th ed AoHdon, 1949 ص ٨٣

٨١ - ومن المهم الاشارة الى ان الهزيمة الأولى للمنذر تعود الى عام ٥٤٦م وارتباطا بهذا من المغرى ان يفسر منعطف مجرى الحرب في عام ٥٤٦م في ان حملة ابرهة أجتذبت قسما كبير من قوات الدولة اللخمية الى مسرح العمليات الحربية الجديدة .

٨٢ - انظر سورة الفيل .

٨٣ - (مرجع سابق) ص ١١٠ ,Procopius,1 وديسنوس - بروكوبيوس (ص ٢٨١ (مرجع سابق)

٨٤ -(مرجع سابق)ص ٣٦٤ Altheim- stlhi. Finanzgesehicnte ويرى ج. ريكمنس بأن بروكوبيس لم ينوه الى الاحداث الجارية بعد عام ٥٤٥ (ص ٣ J. Ryckmand. Persecution) ولكن هذا غير صحيح اذ انه يتحدث عن الحرب في أزاك Aazuk وحرب الغساسنة مع اللخميين بعد التوصل الى السلام بين بيزنطا وايران عام ٥٤٥م (مرجع سابق) ص ٢٨٢ - ٢٨٩ ,Procopius,11

- ديسنونس - بروكوبيوس ج٢ ص ٢٠٣ - ٢١٥

٨٥ - (مرجع سابق) ص ٦٤ ,Hitti. History

٨٦ - مرجع سابق ص ٢٠٥ ,Noldeke- Tabari

(مرجع سابق) ص ١٤٦ Altheim- stiehi Finazgeschichte

٨٧ - ويرى ج. البندر الذي قام بتحليل بعض معطيات محمد الكلبي بالتفصيل (ايام العرب) يشير الى صلته بتقاليد العربية الجنوبية (ص ٢٢ Olinder. Kings

٨٨ - (مرجع سابق) ص ٣٤٢ J.Ryckmans. inscriptions historiques

٨٩ - (مرجع سابق) ص ٤٦٥ .Smith Events

٩٠ - (مرجع سابق ص ١٤٥ - ١٤٨ ، ٣٥٣ - ٣٥٥ -Altheim Stxyiehi Finazgeschichte

٩١ - مرجع سابق ص ٩٣٦، ٩٤٢ Tabari وص ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٣ Noldeke-TABARi

٩٢ - نفس المرجع السابق ص ٩٣٥ وص ٢٠٣

٩٣ - (مرجع سابق) ص ٣٣٩ J.Ryckmans. inscriptions historiques

٩٤ - Kosearten. poems- J.G.L. Kosegarten. The Hudsailian Poems. London 1854 ص ١١٢

٩٥ - انظر: مرجع سابق ص ٩٣٤ - ٩٤٢ Tabari

مرجع سابق ص ٢٠٠ - ٢٠٦ Noldeke - Tabari

ابن الاثير (مرجع سابق ص ٣٢٠ - ٣٢٤ iA

ابو عبدالرحمن بن خلدون . كتاب العبر. ط بولاق ١٣٨٤هـ ص ٦١ - ٦٢ ibn Haldun

٩٦ - انظر (مرجع سابق) ص ٩٠٠ Tabari

مرجع سابق ص ١٧٢ Noldeke Tabari

٩٧ - Schulthess. Umajja. F. Schulthess. umajja ibn Abi-s-salt Die Unter Seinen Namen uberlieferten Gedichtfragmente ges und ubexrs von.F sculthess. Leipzig 1911 ص ٢٧٢ - ١٢٩ -Kosegarnixten. pocms- J.G.L Kosegarten The Hudsailian pocnis. London 1854 ص ١١٢

٩٨ - الازرقي . تاريخ مكة . وستينفلد . لايبزج ١٨٥٨م ص ٩٧

٩٩ - (مرجع سابق) ص ٢١٧ - ٢١٨ Noldeke - Tabari ص ٩٤٣ - ٩٤٤ Tabari

Kosegarten.poems ١١٢

١٠٠ - (مرجع سابق) ص ٩٧ Azraki ص ٢٢٠ Noldeke Tabari - (مرجع سابق) ص ٩٤٥ Tabari

ص١١٢ Kosegarten poems

من الجائز ان (حملة الفيل) لم يقم بها ابرهة وانما ابنه يكسوم، ومن وجهة نظرنا امتدت فترة حكم إبرهة من ٥٣٥ - ٥٥٨ . ولم تشر المصادر العربية المعاصرة للحملة الى اسم ابرهة، وورد اسم ابرهة مرتبطا ب /حملة الفيل/ في مصادر مابعد نزول القرآن الكريم ونحن نعرف القليل عن يكسوم ، وطبقا للمصادر العربية بلغت مدة حكم يكسوم تسعة عشر عاماً بيد ان هذه المصادر لم يرد فيها أية إشارة الى الأحداث الواقعة ابان حكمه ، عدا ماعرف عن حملته الى شمال شبه الجزيرة العربية التي أشار اليها لبيد (ص ٣، ٢٦ Aabid . وتجدر الاشارة الى أن المصادر العربية ، عندما تتحدث عن ابرهة، تسميه في أغلب الحالات (ابرهة ابويكسوم) أو(ابو يكسوم) انظر مرجع سابق صفحة ٢١٢، ٢١٥ Kosegarten وهذا يدل على ان يكسوم لم يكن أقل شهرة من والده إن لم يكن أكثر.

وبناء على ماسبق يمكن التوصل الى فرضية مفادها بان (حملة الفيل) ينبغي ان ترتبط بأسم يكسوم؟ الا انه يجب القول بأن المادة الوثائقية المتوفرة غير كافية لحسم هذه المسألة نهائيا

مسكوكات القرن الأول الهجري

د/ ناهض عبد الرزاق دفتر
جامعة بغداد - كلية الآداب

□□ مقدمة تاريخية عن المسكوكات :-

لم يعرف الانسان القديم المسكوكات في معاملاته التجارية او حياته اليومية ، حيث كانت جميع المواد مبذولة له ضمن حدود امكانياته البدنية منها ملاحقته للحيوانات واصطيادها ، وقطف ثمار الاشجار بدون ثمن ، واتخذ الملاجيء والكهوف مسكناً له. وعند حدوث الزحف الجليدي الأخير قبل خمسة وعشرون الف سنة واستمر حتى اثناعشر الف سنة من الآن حيث غطت الثلوج معظم مرتفعات العالم ، اضطر الانسان الى النزوح الى ضفاف الانهار حيث كانت اكثر دفئا ، وبذلك كانت البدايات الاولى لنشوء المجتمعات الصغيرة وبدأت حاجة الانسان لأخيه الانسان. وبدأت المقايضة سلعة بسلعة لكن هذه العملية رافقتها بعض الصعوبات في عدم توافق الرغبات ، هذه الصعوبات دفعت بالانسان لأختيار السلعة الوسيطة تكون ملائمة عند الجميع. وقد تباينت السلعة الوسيطة من بلد لأخر. فاتخذت الحبوب وخاصة الشعير ومعدن الفضة في مجتمعات العراق القديم ، واتخذ المحار في بلاد الصين، واتخذ حيوان الثور في اليونان واتخذت بلدان اخرى الرز والشاي والخيول وحتى العبيد سلع وسيطة ففي العراق القديم اوردت القوانين والشرايع العراقية القديمة العديد من النصوص ذكرت فيها الحبوب (الشعير) ومعدن الفضة واستخدامها في الحياة اليومية . . لكن التداول بالحبوب ليس بالامر الهين فالتاجر الذي يتعامل بالحبوب عليه ان يوفر مكان واسع لحفظه لحين مبادلته ، كما يحتاج الى وسائط نقل لنقله من مكان لأخر كما أن اتخاذ بعض المجتمعات للعبيد والخيول للتداول عليهم توفير غذاء لهم لادامة حياتهم. هذه الصعوبات وصعوبات اخرى دفعت بالانسان الى التفكير بالمعادن النفيسة، فالمعادن غير قابلة للتلف بسهولة ، وحجمها صغير مما يسهل حفظها ونقلها من مكان لأخر، والمعادن قابلة للتجزئة دون ان تتعرض للتلف ويمكن صهرها وصبها حسب الرغبة ، لهذه المميزات أصبحت المعادن هي المعتمدة في التجارة .

وتطورت التجارة والمعاملات المالية في العراق القديم تطوراً واسعاً حتى غدت من الاسس التي يعتمدها البناء الاقتصادي للدولة والمجتمع . حيث ابتكر قدماء العراقيين من الاشوريين خلال القرن الثامن قبل الميلاد اقراص فضية دائرية الشكل ذات أوزان معلومة منها شيقل ونصف شيقل. من ذلك يمكن القول ان قدماء العراقيين اول من تداولوا المسكوكات ، وعنهم أنتقلت صناعة المسكوكات الى الليديين سكان المدن الساحلية في تركيا ، وعن الليديين انتقلت صناعة المسكوكات شرقا وغربا ، واتخذت كل دولة ومدينة شعارا لها نقشته على مسكوكاتها .

□□ المسكوكات قبل الاسلام :-

لقد تداول العرب قبل الاسلام ثلاثة انواع من المسكوكات وهي الدنانير الذهبية البيزنطية في بلاد الشام وشمال افريقيا ، والمسكوكات الفضية الساسانية في العراق ، والمسكوكات الفضية في جنوب الجزيرة العربية ، حيث قامت دول عربية مستقلة عن السلطتين البيزنطية والساسانية ، ومنها الدولة المعينية والحميرية والسبئية ، وكانت لهم مسكوكاتهم الفضية الخاصة واستخدام الخط المسند عليها .

وفي الجزيرة العربية قبل الاسلام فقد كان التعامل يتم بجميع الانواع ، فالدنانير الذهبية البيزنطية كانت معروفة وهي عبارة عن قطعة ذهبية دائرية الشكل وزنها اربعة غرامات وربع غرام حملت على الوجه صورة للملك البيزنطي الحاكم اما لوحده أو مع ولديه ، وعلى الجانب الاخر الشارات المسيحية من المدرج والصليب وقد نقشت تلك الدنانير بالنصوص اللاتينية. ولفظة دينار يونانية الاصل. وقد عرف العرب الدينار قبل الاسلام وذكر في اشعارهم ، وكانوا يعرفونه ايضاً ب (العين) أو (التبر) وكانت قيمة الدينار تتراوح مابين اربع عشرة الى عشرة دراهم ، وتزيد وتنقص حسب نقائه وجودة سكه .

أما الدراهم الفضية الساسانية ، التي كانت متداولة قبل الاسلام فقد كانت على نوعين الاول يعرف ب (البغلية ووزنها ثمانية دوانق والنوع الآخر الطبرية ووزنها اربعة دوانق) وقد حمل الدرهم الفضي الساساني صورة نصفية جانبية للملك الحاكم وهو يعتمر على رأسه التاج المجنح وعلى الطوق في الاركان الاربع صورة الهلال يقابل النجمة وهو رمز الرخاء عند قدماء الشرقيين ، اما الجانب الاخر للدرهم الساساني فقد حمل دكة النار المجوسية في الوسط يقف حولها حارسان لحماية النار وقد توزعت الكتابات الفهلوية على الجانبين للدرهم الساساني وهي تذكر اسم الملك وتاريخ السك ومدينة السك والعبارات الدعائية وتردد ذكر الدينار والدرهم صراحة أو بالقابهما في الشعر العربي قبل الاسلام وبعد ومنها ماذكره الشاعر قيس بن الخطيم :

ووجها خلقه لما بدالي
غداة البين دينارا نقيداً

■■ وذكر الشاعر عبد بن الحسحاس :-

تريك غداة البين كفا ومعصماً
ووجها كدينار الأعزة صافيا

■■ وذكر الشاعر ربيعة بن المكدم :-

نوحي على الدهر أم سيار
فقد رزئت فارساً كالدينار

■■ وقد ذكر الشاعر عمرو بن تبع :-

فضلنا الناس كلهم جميعا
كفضل الهبرزي على اللجين

الهبرزي يعني الدينار ، واللجين تعني الفضة وهو الدرهم .

■■ وقال الشاعر عمارة بن صفوان :-

سألت عليه شعاب الحي حين دعا
أنصاره بوجوه كالدنانير

وذكر الشاعر المرقش الاكبر حين شبه وجوه النساء بالدنانير فقال :-

النشر مسك والوجوه
دنانير وأطراف الاكف عنم

وفي ذكر الدراهم قال الشاعر الاعشى ميمون :-

دراهمنا جيد كلها
فلا تغرون بتنقادها

وقال الشاعر تميم بن ابي مقبل العامري :

فكان ماجاء لي لاجاد عن سعة
دراهم زائغات ضربجيات (١)

المسكوكات في الاسلام :-

أقر الرسول الكريم محمد (ﷺ) تداول المسكوكات السابقة على الاسلام فقد قبل الزكاة والجزية بقدر معلوم منها ، ووافق على صداق ابنته

فاطمة (ع) من الامام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بقدر من الدراهم ٤٨٠ درهم وزن ستة دوانق (٢) .

وقد ورد ذكر الدينار والدرهم في القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة ومنها :
بسم الله الرحمن الرحيم : (ومنهم منْ أن تأمنه بدينار لايؤده اليك الا ما دمت عليه قائما) (٣) صدق الله العظيم .
«وشروه بثمن بخس دراهم معددودة» (٤)
و«فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة» (٥) .
ومن الاحاديث النبوية الشريفة منها :

عن أبي موسى الاشعري (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) :- (ان هذا الدينار والدرهم اهلكا من كان قبلكم ولا اراهما الا مهلكيكم). (رواه الطبراني في الكبير والاوسط وأسناده حسن) مجمع الزوائد الجزء العاشر ص ٢٤٥ باب ما يخاف على الغني من ماله وغيره) .

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) :- (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم الذي انما همه دينار أو درهم يصيبه فياخذه) مجمع الزوائد : الجزء العاشر ص ٢٤٨ .

وبقيت الدنانير الذهبية والمسكوكات الفضية الساسانية متداولة في صدر الاسلام ، وكان التغير المهم الذي حدث للدراهم الساسانية بصدر الاسلام هو جعل الوزن الشرعي للدرهم في الاسلام ستة دوانق بدلا من الفئتين (البغلية ثمانية دوانق والطبرية اربعة دوانق.) .

أستمر تداول تلك المسكوكات بعد وفاة الرسول الكريم (ص) خلال فترة الخليفة الراشدي الاول أبوبكر الصديق (رضي) ١١ - ١٣هجرية بسبب انشغال الخليفة باخماد الفتن وحروب الردة وتثبيت اركان الدين الاسلامي .

لكن الحال بالنسبة للمسكوكات كان قد تغير زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) ١٣ - ٢٣هـ/ ٦٣٤ - ٦٤٣م حيث توسعت مساحة الدولة الاسلامية بتحرير بلاد الشام والعراق ومصر وقد احدث الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رضى) تغييرا على المسكوكات الفضية الساسانية عندما أضاف لها كلمات وعبارات بالعربية مثل البسملة (بسم الله) وكلمة (جيد) و(بركة) و(محمد) وذلك لتميز المسكوكات العربية الاسلامية عن المسكوكات الساسانية .

وأغتيل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي) وخلفه الخليفة عثمان بن عفان (رضي) ٢٣ - ٣٥هـ وفي عهده زادت الكلمات والعبارات العربية على المسكوكات ومنها (بسم الله - الملك)وفي خلافة الخليفة الراشدي الرابع علي بن أبي طالب (رضي) (٣٥ - ٤٠هـ) أستمرت المسكوكات بحملها الكلمات والعبارات العربية ومنها (ولي الله) . ان وضع كلمات عربية على المسكوكات الساسانية له مدلول مهم في الاستقلال السياسي-والاقتصادي ، وتعتبر تلك البداية الاولى للتعريب وتخليص الدراهم من النفوذ الاجنبي الساساني . .

◻◻ المسكوكات في العصر الاموي

أعتبر الخليفة معاوية بن أبي سفيان ٤١ - ٦٠هـ/ ٦٦١ - ٦٧٩م أول خلفاء الدولة الأموية قد أولى اهتماما واسعاً بالمسكوكات باعتبارها رمز استقلال السلطة وتكسب صاحبها حقا شرعيا بالسلطة. وقد ذكر الكرملي (٦) ان الخليفة معاوية كان قد سك دنانير نقش عليها صورته وهو متمنطق بسيفه غير انه لم يصل الينا مثل هذا الدينار ، ويذكر بان بعض هذه الدنانير قد وقعت بيد شيوخ الجند فجاءوا بها الى معاوية وقالوا له : (يامعاوية وجدنا ضربك شر ضرب) أما الدراهم الفضية في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان فقد سك منها نوعين الاول مشابه لما كان زمن الخلفاء الراشدين ، اي ان المسكوكات الساسانية قد حملت كلمات وعبارات بالعربية. والنوع الثاني كانت على الطراز الساساني وأضاف عليها بالحروف الفهلوية عبارة (معاوية أمير أور شنكان) وترجمتها (معاوية أمير المؤمنين) . (٧)

أستمرت المسكوكات الفضية العربية

المضروبة على الطراز الساساني والتي حملت كلمات وعبارات بالعربية على الطوق زمن الخلفاء الامويين الذين أعقبوا الخليفة معاوية وهم (يزيد بن معاوية ٦٠ ـ ٦٤هـ ومعاوية بن يزيد ٦٤ ـ ٦٤هـ، ومروان بن الحكم ٦٤ ـ ٦٥هـ)

وقد نقش الامير عبدالرحمن بن زياد عبارة (لله الحمد) بالعربية على المسكوكات الساسانية ، ونقش الحكم بن العاص على مسكوكاته (بسم الله رب الحكم) وعبارة (الله رب الحكم) في السنوات ٥٦ ـ ٥٨هـ (٨) .

□□ مسكوكات الخليفة عبدالملك بن مروان ٦٥ ـ ٨٦هـ / ٦٨٤ ـ ٧٠٥م

تولى عبدالملك بن مروان الخلافة سنة ٦٥هـ /٦٨٤م ، وكانت الدولة العربية الاسلامية مجزئة حيث كان عبدالله بن الزبير الذي اعلن عصيانه في الحجاز وأخيه مصعب في العراق والقطري بن الفجاءة زعيم الخوارج والذي نقش لقبه (أمير المؤمنين) على المسكوكات وكذلك شعار الخوارج «لاحكم الا الله» وكذلك فعل عطية بن الاسود الحنفي حيث أعلن عصيانه ضد الدولة الأموية في الخليج العربي في منطقة عمان كما سك أولاد الزبير عبدالله ومصعب مسكوكات خاصة بهم . وقد أعلن ناتسال الجذامي في فلسطين عصيانه على الدولة الاموية أيضا.

هكذا كانت الحالة في الدولة الاموية عند وصول عبدالملك بن مروان للخلافة إضافة لذلك كان هناك خطر خارجي يتمثل بالروم البيزنطيين وأذنابهم الجراجمة ـ وهم شعب مجهول الأصل كانوا يسكنون جبال اللكام في لبنان ـ ويهددون باثارة الفتن في بلاد الشام .

وقرر عبدالملك بن مروان القضاء على الحركات الانفصالية في الدولة الاموية لذلك عقد اتفاقية مع جستنيان الثاني ملك الروم يدفع بموجبها الخليفة عبدالملك الف دينار ذهبي أسبوعيا الى البيزنطيين اضافة لبنود اخرى مقابل أن يتعهد جستنيان الثاني بعدم التدخل في شئون الدولة العربية (٩) . وأمنت هذه الاتفاقية فرصة للخليفة عبدالملك الذي نجح بالقضاء على الحركات الانفصالية سنة ٧٣هـ/٦٩٢م (١٠)

ولم تكن المعاهدة المبرمة بين الخليفة عبدالملك بن مروان وجستنيان الثاني سنة ٦٧هجرية متكافئة الشروط ، وكان موقف الخليفة في عقدها -اضحا في سياق الاحداث التي كانت تحيط بالدولة العربية في بداية خلافته .

ومع ذلك فقد حافظ الخليفة عبدالملك على الاتفاقية مع البيزنطيين والتي كانت أمدها عشرة سنوات (٦٧ ـ ٧٧هـ) وعندما تمكن الخليفة عبدالملك من القضاء على جميع الحركات الانفصالية وكان اخرهم عبدالله بن الزبير في الحجاز سنة ٧٣هجرية . هذه الانتصارات مكنت الدولة الاموية من فرض سيطرتها وأصبحت السلطة مركزية بيد الخليفة ، قرر اعداد الجيش لمواجهة الخطر البيزنطي ، وقد دفع الأتاوة للملك البيزنطي بدنانير ذهبية بيزنطية عليها نصوص من القرآن الكريم بالعربية وقد رفض جستنيان الثاني تلك الدنانير وهدد بالحرب وبالفعل جهز جيشا قدره ستون الف مقاتل لمحاربة عبدالملك بن مروان، وكان الخليفة عبدالملك قد أعد العدة لذلك وجهز جيشاً بقيادة عثمان بن الوليد الذي تمكن من تحقيق النصر على الاعداء في موقعة بنواحي ارمينية (١١) .

هذا الانتصار المهم للعرب على البيزنطيين مكن الخليفة عبدالملك من الاستغناء عن استخدام الدنانير الذهبية البيزنطية وسك دنانير عربية خاصة بهم ، وقد استمرت عملية تعريب الدنانير مابين ٧٤ ـ ٧٧ هجرية ، بعدها ظهرت الدنانيرالعربية خالية من التأثيرات الخارجية .

خطوات تعريب الدنانير مابين ٧٤ - ٧٧هجريـة :-

شهدت عملية تعريب الدنانير ، ففي سنة ٧٤هـ/٦٩٣م أستبدل وضع الحرفين AB الموجودين حول الصليب الى BA كما حذف الجزء الاعلى من الصليب ليصبح بشكل حرف T لاتيني واحاط اشكال الظهر بالنصوص القرآنية العربية والبسملة .

(بسم الله لا اله الا الله وحده محمد رسول الله) في حين ابقى صوره الملك البيزنطي على الوجه واستمرت هذه الحالة في السنة اللاحقة ٧٥ هجرية بعدها حذف صورة الملك البيزنطي ونقش صورة يعتقد بانها **للخليفة عبدالملك بن مروان** واقفا متمنطقا بسيفه المستقيم وقد اعتمر كوفية تتدلى على كتفيه ، تحيط به النصوص العربية التالية **(بسم الله لااله الا الله وحده محمد رسول الله)** اما الجانب الثاني من دينار سنة ٧٦ هجرية فقد ظهر المدرج وهو يحمل بقايا الصليب على شكل عمود وتحيط بالشكل النصوص العربية التالية (بسم الله ضرب هذا الدنير سنة ست وسبعين) .

وفي سنة ٧٧ هجرية ظهرت الدنانير العربية حيث حملت في نصوصها مايلي :-

مركز الوجه : لا اله الا
الله وحده
لاشريك له

الطوق : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

مركز الظهر: الله احد الله
الصمد لم يلد
ولم يولد

الطوق: بسم الله ضرب هذا الدنير في سنة سبع وسبعين. (١٢) .

وكانت النصوص بدون شكل او اعجام (حركات أو تنقيط) واستمر هذا النمط طيلة العصر الاموي ولم يحدث فيها تغير الا سنة ١٠٥هـ عندما حملت بمعدن أمير المؤمنين .

أما الدراهم الفضية ، فقد حملت بعض النصوص العربية بالحجاز منذ عهد الخليفة **عمر بن الخطاب** (رضي الله عنه) ١٣ - ٢٣هـ واستمرت الكلمات والعبارات تزداد على المسكوكات الساسانية ، **وفي خلافة عبدالملك بن مروان** وخاصة بعد الانتصارات التي حققها الجيش العربي على البيزنطيين سنة ٧٣هـ زادت النصوص العربية على المسكوكات الساسانية ، ومنها الدرهم المضروب بدمشق سنة ٧٣هجرية ، حيث حمل النصوص التالية :

«بسم الله لا اله الا الله وحده محمد رسول الله دمشق ثلث وسبعين» وقد نقش الخليفة **عبدالملك بن مروان** صورة مشابه لما حملته الدنانير في مرحلة التعريب ، حيث يبدو واقفاً متمنطقاً بالسيف المستقيم ، وعلى جانبيه الايمن عبارة (أمير المؤمنين) وعلى الجانب الايسر له عبارة **(خلفت الله)** (١٣) .

وفي درهم آخر يظهر النص العربي امام وجه الملك الساساني عبارة (ضرب في سنة خمس وسبعين) وعلى الطوق النص العربي الاتي :-

(بسم الله لا اله الا الله وحده محمد رسول الله) .

وعلى درهم اخر تبدو صورة للملك الساساني وفي الطوق عبارات بالعربية نصها **(بسم الله لا اله الا الله وحده محمد رسول الله)** اما الجانب الاخر لهذا الدرهم فقد نقش شكلاً معمارياً يشبه المحراب أو العقد كتب حوله عبارة **(أمير المؤمنين - خلفت الله)** أما في وسط الشكل المعماري كتبت عبارة **(نصر الله)** وعلى الطوق كلمة **«الله»**.

تعريب الدراهم سنة ٧٨ هجرية

لاحظنا مما تقدم ان النصوص العربية زادت على الدراهم الساسانية وخاصة خلال فترة الحجاج بن يوسف الثقفي في السنوات ٧٥ - ٧٦هـ ان اقدم

درهم عربي معروف اليوم هو الدرهم المضروب بارمينيه سنة ٧٨هجرية ويحتفظ المتحف العراقي بهذا الدرهم الفريد والنادر.

ونصوصه كما يلي :-

مركز الوجه : لا اله الا
الله وحده
لا شريك له

الطوق : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

مركز الظهر : الله احد
الله الصمد لم
يلد ولم يولد
ولم يكن له
كفوا احد

الطوق : بسم الله ضرب هذا الدرهم بارمينية في سنة ثمان وسبعين (١٤) .

ولم تكن نصوص الدراهم منقطة كما هو الحال في الدنانير ولكن نلاحظ ان هناك بعض الفوارق بين نصوص الدنانير الأموية والدراهم الأموية منها ان نصوص الطوق في مركز الوجه تتوقف عند .... ليظهره على الدين كله . في حين قد اكتملت في الدراهم حتى (ولو كره المشركون) ، كما ان نصوص مركز الظهر قد اكتملت سورة الاخلاص على الدراهم في حين تتوقف على الدنانير حتى (ولم يولد) . لم تحمل الدنانير مدينة السك في حين حملت الدراهم مدينة السك منذ سنة ٧٨هـ ولم يستمر طراز الدراهم العربية الذي ظهر في درهم ارمينية سنة ٧٨هـ فقد طرأت بعض التغييرات في نمط الدراهم منذ سنة ٧٩هـ وأصبحت كما يلي :-

مركز الوجه : لا اله الا
: الله وحده
لاسريك له

الطوق : بسم الله ضرب هذا الدرهم بدمشق سنة تسع وسبعين .

مركز الظهر: الله احد الله
: الصمد لم يلد
ولم يولد ولم يكن
له كفوا احد

الطوق : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

نلاحظ في نمط دراهم سنة ٧٩هـ انتقال طوق الظهر الى الوجه وطوق الوجه الى الظهر . وقد استمر هذا النمط طيلة القرن الهجري الاول . وقد سكت العديد من المدن الدراهم منذ سنة ٧٩هـ منها البصرة والكوفة اضافة الى العاصمة دمشق وعدد من المدن في المشرق الاسلامي .

ولم تحمل المسكوكات الأموية (الدنانير والدراهم) طيلة القرن الاول اسم لخليفة او أمير ولا حتى لأمر السك، بل حملت الدراهم في الطوق بعض الدوائر الصغيرة توزعت باشكال مختلفة ربما دلت على تعاقب سك الخلفاء او لتميز امر سك عن اخر ولم تحمل الدنانير الأموية مدينة السك التي سكت فيها على اساس انها تسك بالعاصمة وتحت اشراف الخليفة مباشرة . وكان الوزن الشرعي للدينار هو مثقال واحد ٤٫٢٥ غرام اما الدرهم فكان وزنه ٢٫٩٨ غرام .

توفي الخليفة عبدالملك بن مروان في سنة ٨٦هـ/ ٧٠٥م وتولى الخلافة بعده ابنه الوليد بن عبدالملك ٨٦ - ٩٦هـ/ ٧٠٥ - ٧١٥م وقد أستمرت الدنانير العربية بنفس النمط الذي سكن عليه سنة ٧٧ هجرية دون الاشارة الى مدينة السك ، اما الدراهم الفضية فقد سكت على نمط دراهم سنة ٧٩هجرية وفي العديد من المدن منها (دمشق والبصرة والكوفة وواسط وابرشهر واصطخر واران ودار بجرد وهرات وغيرها من المدن الاخرى) .

وفي سنة ٩٦ هجرية تولى الخلافة سليمان بن عبدالملك ٩٦ - ٩٩هـ/ ٧١٥ - ٧١٨م واستمرت المسكوكات في عهده على نمط مسكوكات أخيه الوليد .

هكذا كانت المسكوكات خلال القرن الاول

الهجري ، لكن الحال لم يبق كما هو عليه ففي القرن الثاني أصبحت المسكوكات واحدة من مستلزمات الخلافة المهمة اضافة الى انها اصبحت مرآة عاكسة للاحداث واصبحت المسكوكات العربية وثيقة مهمة في خدمة البحث والتاريخ ، وكشفت عن الكثير من الحقائق التي اغفلتها المصادر التاريخية . .

الهوامش :-

١ - الابيات الشعرية من مجلة المقتطف : منزلة الشعر في التاريخ المجلد ٢٨ ، ١٩٠٣ ص ١٧ - ١٨

٢ - ابن سلام ، كتاب الاموال ص ٥٢٥

٣ - سورة آل عمران الآية ٧٥

٤ - سورة يوسف الاية ٢٠

٥ - سورة الكهف الاية ١٩

٦ - الكرملي : النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة ١٩٣٩ ص ٣٣

٧ - ابو الفرج العش : كنزام حجره الفضي . دمشق ١٩٧٢م ص ٢١

8- Walker. A .cat . of the Mahammadan Coins in the B.M Arab Sassanian coins. London 1967 P.86

٩ - الدكتور عبدالأمير دكسن : الخلافة الأموية . بيروت ١٩٧٣ ص ٢٠٠

١٠ - المسعودي : مروج الذهب ج ٥ ص ٢٦٦ ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٢٥٣

١١ - الطبري : تاريخ الرسل والملوك : القاهرة ١٩٣٩ ج ٥ ص ٣٥

١٢ - المتحف العراقي : رقم الدينار ١٣٦١٤ مس

١٣ - ناصر النقشبندي : الدرهم العربي المضروب على الطراز الساساني بغداد ١٩٦٩ ص ٥٨

١٤ - رقم الدرهم بالمتحف العراقي ١٤٤٧٢مس



الدينار الذهبي البيزنطي

الدينار الفضي الساساني







دراهم في مراحل التعريب



الدينار العربي في مراحل التعريب سنة ٧٦هـ





الدرهم في مراحل التعريب سنة ٧٥ هجرية





اول دينار عربي ضرب سنة ٧٧هـ





أول درهم عربي ضرب سنة ٧٨هـ



دراهم أموية بواسطة الاول سنة ٨٥هـ



درهم أموي بواسطة سنة ٨٨هـ

المدرسة والمعلم في صدر الاسلام

د. نوري عباس عبد الله العلواني
جامعة صنعاء - كلية التربية

□□ المدرسة : لفظ (١) المدرسة من الالفاظ المولدة المشتقة عند العرب قد ورد في قولهم (هذه مدرسة النعم) اي طريق النعم فهو يأتي بمعنى قرأ كما ورد في القرآن الكريم (ودرسوا مافيه) وأشتقت من كلمة درس .

والمدرسة هي مؤسسة اجتماعية وبواسطتها ينقل التراث الثقافي والحضاري ويمكنها المحافظة عليه . وهي المكان لذي يدرس فيه عدد من التلاميذ على أيدي معلمين متخصصين في التدريس وفي التاريخ الإسلامي يقصد بالمدارس تلك الدور المنظمة التي يأوي اليها طلاب العلم وتدر عليهم فيها الارزاق ويتولى التدريس لهم وتثقيفهم فئة صالحة من المدرسين والعلماء يوضع عليهم في الرزق ويختارون بحسب شروط المواقف ممن يحسنون القيام بالغرض الذي ندبوا اليه ويجازون بما تعلموا من ضروب المعارف الآلهية والبشرية .

□□ الاماكن والمعاهد التربوية عند المسلمين قبل المدارس :-

لقد مارست الاسرة مهامها التربوية بشكل مؤثر وفعال وذلك ان تربية الاطفال أول ماتبدأ في البيت وما ان يكون بمقدور الطفل التكلم حتى يقوم والده بتعليمه كلمة (لا اله الا الله) فاذا بلغ السادسة من عمره ترتب عليه القيام بفرض الصلاة وبها تبدأ تربيته الرسمية (٢) .

ويصور لنا القرآن الكريم الاطفال زينة الحياة الدنيا (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) ومن أهم المعاهد لدى المسلمين مايلي :-

□□ ١ - الكتاب : وهو أقدم أنواع المعاهد التعليمية ويعني الكتاب في اللغة المكان الذي فيه تعليم القراءة والكتابة وقد عرف الكتاب في بلاد العرب في مرحلة ماقبل الاسلام وكان الهدف من تأسيسه هو تعليم القراءة والكتابة وقد كتب البلاذري يقول ان الاسلام «دخل وفي قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب ويقرأ ومن نساء العرب عرفن الكتابة هي حفصة بنت عمر وكانت عائشة أم المؤمنين تقرأ ولا تكتب» .

وأيضا بعد ظهور الدين الاسلامي اصبح الكتاب المكان الرئيسي للتعليم حيث كان يتعلم فيه الاطفال قراءة القرآن الكريم أولاً والكتابة ثانياً اضافة الى تعليمهم قصص الانبياء والمرسلين والاحاديث النبوية الشريفة والقواعد الاساسية في الرياضيات والأشعار وكانت طرق التدريس قائمة على الحفظ والتلقين وقوة الذاكرة وقد حظيت هذه المؤسسة التربوية بمكانة مرموقة في الحياة الاسلامية وهي بمثابة المدرسة الابتدائية في الوقت الحاضر .

وأن هناك نوعين من الكتاتيب اختص الأول بتعليم القراءة والكتابة في حين اختص الثاني بتعلم الامور الدينية كقراءة القرآن الكريم وشرح تفسير مبادىء الدين .

وفي القرآن الكريم آيات تؤكد وتدل على ان القراءة والكتابة كانت منتشرة قبل الاسلام (الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم) وأنتشرت الكتاتيب بانتشار الدين الاسلامي في الأقطار .

□□ ٢ ـ المسجد :ـ إسم مكان السجود وهو أشرف اعمال الصلاة وهو قرب العبد من ربه والكعبة اول معبد ومسجد لله كما جاء في القرآن الكريم (أن اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين).

ثم هناك المسجد الأقصى والذي يقول الله سبحانه وتعالى فيه (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) (٣)

وأن أول مسجد بني في الاسلام هو مسجد قباء والذي يقال له مسجد التقوى. وأصبح المسجد المؤسسة التربوية الثانية والتي أخذت على عاتقها نشر التربية والتعليم بين المسلمين في عهد النبي محمد (ﷺ) والخلفاء الراشدين..

ولم يكن المسجد مكاناً للعبادة فقط بل كان محكمة للتقاضي ومكاناً للدراسة وميداناً لأجتماع الجيش ففي المسجد النبوي الشريف والمساجد التي شيدت في عهد النبي محمد (ﷺ) كانت تدرس أمور الدين فيها وشرح تعاليم الدين الجديد وقد حذا الخلفاء بعد الراشدين حذو من سبقهم في إعتبار المسجد مركزا فكريا وثقافيا وتربويا على الرغم من ان هدفه كان دينيا وقد اعطى للتعليم مرتبة ثانية بعد أمور الدين ولم تكن الحلقات العلمية التي تعقد في المساجد مقتصرة على الدراسات الدينية بل شملت غيرها من العلوم والمعارف فالدراسات اللغوية والادبية كانت تتم في المسجد إضافة الى تدريس الطب فيه وهذا الأمر يبين لنا أن المسجد منذ نشأته تولى مهمة نشر العلم دون الاقتصار على جانب واحد فهو بمثابة الجامعة الحالية. وقد كان أيضا يجتمع في المسجد اصحاب المذاهب يلقون دروسهم المختلفة تشمل علوم الكلام والفلسفة واللغة والتاريخ وكان يقوم في التدريس في المسجد من يجد في نفسه القدرة والكفاءة في توصيل المعلومات وإدارة حلقات التلاميذ. وفي القرآن الكريم من الأيات القرآنية التي يحثنا الله سبحانه وتعالى على تعمير المساجد وقال الله سبحانه وتعالى «انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة واتى الزكاة ولم يخشى إلا الله فعسى اولئك أن يكونوا من المهتدين) (٤).

وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر القادة الفاتحين للبلاد ببناء المساجد لأقامة الصلاة

ومن أشهر الجوامع التي بنيت والتي أقيمت فيها حلقات العلم والدين هي :ـ

□□ ١ ـ جامع عمرو بن العاص : في عام ٢١ للهجرة (٦٤١ ـ ٦٤٢ للميلاد) حينما تم لعمرو بن العاص تحرير مصر من الرومان واسس مدينة الفسطاط وقد أختار عمرو لمسجد الفسطاط مكاناً يشرف على النيل بناء على امر من الخليفة عمرو بن الخطاب الى حكام البلاد والتي حررها الأسلام.

□□ ٢ ـ الجامع الأموي: ويسمى مسجد دمشق بناه الوليد بن عبدالملك سنة ٧٠٦م وتم العمل فيه سنة ٩٦هـ (٧١٤م) وذلك عندما تولى الخلافة وهو من أشهر جوامع الاسلام حسنا واتقانا ومن اعظم مواطن الثقافة في الشام.

□□ ٣ ـ مسجد الكوفة: اختطه سعد بن ابي وقاص في مدينة الكوفة عام ١٧هـ ٦٣٨ بعد أن أفتتح المدائن حاضرة الدولة الساسانية وبدأ بتأسيس المسجد الجامع بالكوفة ولقد شهد مسجد الكوفة الكثير من مظاهر النهضة العلمية والأدبية ونشطت فيه المجالس العلمية وحلقات الدرس وكان الكميت الشاعر فكان يجلس في مسجد الكوفة لتعليم الصبيان وكان المسجد ايضا مركزا للقصاص.

□□ ٤ ـ جامع المنصور : بناه الخليفة ابو جعفر المنصور عندما بدأ عام ١٤٥هـ بانشاء العاصمة الجديدة بغداد وأن الخليفة أشرف بنفسه بتخطيط بغداد وبنائها وقد اختار ان يكون موضع المسجد في مركزها ومحورها ـ وقد أندثر المسجد واعاد بنائه الخليفة هارون الرشيد في سنة ١٩٢هـ ٨٠٧م وقد ضاق في المصلين وقد وسعه الخليفة المعتضد بالله.

ويوجد في المسجد عدد من العلماء والذين يقومون بمهمة تدريس التلاميذ .في الأمور الدينية والدنيوية.

□□ ٥ ـ جامع القيروان : فقد شرع عقبة بن نافع في بناء مدينة القيروان عام ٥٠هـ وإبتدأ بتخطيط دار الامارة وانتهى البناء بعد ذلك بخمس سنوات وكان اول ما اختطه في المدينة مسجدها الجامع. وقد جدد المسجد مرة ايام حسان بن النعمان وجامع

القيروان اكبر المساجد الجامعة وأعظمها .

فطالب العلم اذا ما اجتاز المراحل التعليمية الموجودة في القيروان يشد الرحال الى المشرق بغية الحج الديني وهذا ماجعل الحج من الفرائض التي يحرص عليها كل مغربي على ادائها .

□□ أسباب ظهور المدارس الاسلامية : - بعد ان تحدثت عن الكتاب والمساجد والدور المهم في العملية التربوية لابد أن نبحث عن أسباب ظهور وهي ليست نتاج للمراكز التعليمية في بداية الدعوة الاسلامية وانما المدرسة هي مؤسسة اجتماعية انشئت وتطورت في المجتمع نتيجة لما بذل الافراد من جهود لتوجيه حياة الناشئين على مواجهة ظروف الحياة الاجتماعية وما يحتاجه الافراد من قيم ومعارف ومعلومات عليمة مختلفة .

□□ الاسباب : (٥)

١ - المعارك الفكرية والتي شهدها العالم الأسلامي منذ بدأ الخلاف بين الخليفة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان فقد انقسم المسلمين بين الشيعة والسنة وداخل كل فريق مذاهب وكان الغلبة السياسية للسنة طول عهدي الأمويين والعباسين وعندما حكم البويهيين العراق من سنة ١١٤٦ - ١١٥٥م كانوا شيعة متطرفين عملوا على اضعاف الخلافة العباسية من هنا بدأ التفكير وظهرت المدارس الفكرية .

٢ - لقد تطور العلم في الاسلام فالمكان الذي يتعلم ويتدارس فيه المسلمون أمورهم الدينية واحيانا الدنيوية هو المسجد لكن قد حصل تطور في حياتهم الاجتماعية وتطورت العلوم المختلفة مثل الكيمياء والطب والفيزياء والرياضيات والفلسفة . . وقد لايكون مناسب تدريسها في الجامع او المسجد فلابد من التفكير بمكان آخر تتوفر فيه المستلزمات المختلفة لتدريس هذه العلوم فقد فكر الاغنياء والأمراء بتشييد المدارس لتدريس العلوم المختلفة وقد توفر فيه المدرسون والمستلزمات لأنجاح عملية التدريس .

٣ - ان احتكاك المسلمين بغيرهم من الشعوب عندما افتتحوا الامصار لقد ترجموا وتعرفوا على الثقافات والأنظمة التعليمية من هذا المنطلق فقد فكروا بناء وتشييد المدارس لكي تكون وسيلة اتصال ونقل المعارف المختلفة بين المسلمين وهذه الشعوب . والانفتاح على خبرات الشعوب والحضارات يتفق مع عقيدتنا الاسلامية «وفوق كل ذي علم عليم» اي التعرف على مايفيدنا ان استخدام طرق التدريس من قبل المدرسين في المساجد للأمور الدينية تختلف عن طرق تدريس علوم الكيمياء والرياضيات والطب والتي قد يستخدم المدرس الأجهزة المختلفة من هنا بدأ التفكير في تشييد المدرسة لتدريس العلوم .

٥ - بدأ التفكير بان المدرسة هي نمط آخر بالاضافة الى المسجد والكتاب للتقرب الى الله وعمل الخير والاقتداء برسولنا محمد (ﷺ) عدما جعل فداء الأسير بتعليم عشرة من المسلمين .

□□ ١٥ - المعاهد والمدارس : تعتبر التربية العربية الاسلامية ليست هدفاً دنيوياً اكتساب علوم ومعارف وكذلك لم تكن هدفاً دينياً كما موجود في بعض الديانات وانما هدف التربية العربية الإسلامية دينياً ودنيوياً كما جاء في الحديث الشريف «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» فلابد من تحقيق هدف التربية بنقل هذا التراث الخالد والمحافظة عليه من خلال المؤسسات التربوية وهي (المدارس) والمعاهد التربوية وقد أنتشرت المدارس في بغداد والقاهرة ودمشق وقرطبة والتي تدرس مختلف المعارف والعلوم ومن أشهر هذه المعاهد والمدارس :

□□ أ - بيت الحكمة : أسسه الخليفة المأمون عام ٨٣٠م في بغداد ويعتبر أول كلية اسلامية للدراسات العليا فقد كان معهداً للعلم ودار كتب عامة وله مرصد ملحق به - وهناك من يقول بأن هارون الرشيد هو الذي أسس بيت الحكمة وقام المأمون بتوسيعه أيام خلافته وكان يجتمع في هذا البيت زمن المأمون صفوة العلماء والأدباء ويقدم اليه طالبوا العلم والمعرفة وفيه استنسخت كتب كثيرة وترجمت مؤلفات عديدة من لغات اجنبية الى اللغة العربية .

□□ ب - المدرسة النظامية : لقد انشأ الوزير السلجوقي نظام الملك مدارس عديدة باسم المدارس النظامية اذ لم يخل بلد منها وتحتل المدرسة النظامية في بغداد منزلة رفيعة في نفوس المسلمين ويمكن اعتبارها أول مؤسسة علمية في الاسلام فقد هيأ للطلبة جميع اسباب العيش واختصت هذه المدرسة بتعليم الفقه وقام بالتدريس فيها نخبة من العلماء والمشاهير مثل الامام الغزالي حيث درس فيها اربع سنوات وقد بدأ العمل في المدرسة عام ٤٥٧هـ وكانت تقع على نهر دجلة وقد كان يقدم اليها طلاب العلم من مختلف البلاد الاسلامية ليأخذوا العلم والمعرفة من اساتذة اكفاء في مختلف الاختصاصات .

□□ ج - المدرسة المستنصرية : لقد بنى هذه المدرسة الخليفة العباسي المستنصر بالله في بغداد وذلك عام ١٢٣٤م ٦٢٦هـ وقد زودت بساعة من نوع المزولة وجهزت بالحمامات والمطابخ كما كان فيها مستشفى ودارا للكتب وتعتبر هذه المدرسة من أجل المدارس الاسلامية في القرن الثالث عشر وكان يدرس فيها الفقه والمذاهب الدينية الاربعة .

□□ د - المدرسة النورية الكبرى : لقد أنشأ هذه المدرسة نور الدين محمود الزنكي سنة ٥٦٣هـ في مدينة دمشق وقد ضمت هذه المدرسة مرافق عديدة منها الأيوان الذي يرادف قاعة المحاضرات بالتعبير الحديث والمسجد ومساكن الطلبة وقام نور الدين بانشاء المدارس في مدن سوريا وانشأ الايوبيون مدارس عديدة في مصر ودمشق وقد أشار بن جبير في احصائيته ان هناك ثلاثين مدرسة في بغداد ونحو عشرين مدرسة في دمشق وفي الموصل ستة مدارس وفي حلب مدرسة واحدة .

□□ منازل العلماء : يمكن إعتبار دار الأرقم بن أبي الأرقم أول مؤسسة تربوية اتخذها الرسول الكريم (ﷺ) مركزا لتعليم الصحابة الذين أمنوا بالدين الجديد منذ بزوغ نوره تعاليم ومبادىء هذا الدين كما كان الرسول (ﷺ) يجلس بمنزله بمكة ويلتف حوله المسلمين ليعلمهم ولعبت منازل العلماء والمدارس حيث كان يقصدها الطلبة لتلقي العلم فيها على ابدي اصحابها ومن أهم المنازل بيت الامام الغزالي .

□□ حوانيت الوراقين : نتيجة لانتشار الورق واستخدامه في ارجاء البلاد الاسلامية كثرت الكتب واصبحت عملية اقتنائها سهلة للراغبين فيها وظهرت المكتبات وحوانيت الوراقين ومما بلغت الانتباه ان هذه الحوانيت والمكتبات ساهمت مساهمة فعالة في نشر العلم والمعرفة اذ لم يكن غرضها تجاريا صرفا بل كانت اماكن قياسية لاجتماع الادباء ومحبي المعرفة تثار فيها المناقشات والتي غالبا ماتتحول الى ندوات علمية تطرح فيها مختلف الاراء حول الموضوع الواحد . وقد أنتشرت هذه الحوانيت في العواصم والبلدان المختلفة ومارس الوراقين والذين امتازوا بالثقافة مثل ابن النديم صاحب الفهريت . وياقوت الحموي مؤلف معجم الادباء . ومعجم البلدان

□□ القصور: اتخذ الخلفاء والأمراء قصورهم اماكن لتعليم ابنائهم باشراف معلمين خاصين يذهبون الى القصور لتزويد الاولاد بقدر من الثقافة والمعرفة التي تؤهلهم لتحمل الاعباء التي سينهضون بها وكان الأب هو الذي يضع المنهج المقرر لتعليم ابنه أو يشارك في وضعه وتخطيطه وقد اطلق على المعلم الخاص الذي توكل اليه مهمة تعليم ابناء الخلفاء والامراء والأغنياء اسم مؤدب وقد خطى الفاطميون خطوات واسعة حيث قاموا بانشاء مدارس خاصة في قصورهم يلتحق بها أولاد الطبقات المترفة ذات الشأن والنفوذ . وقد أزداد نشاط جلسات الصالونات والصور في زمن هارون الرشيد فكانت تجري مناقشات حول قضايا العلم وبين الادباء والشعراء مناظرات وكذلك غص بلاط المأمون بالعديد من العلماء والادباء والفلاسفة والشعراء ونالوا احتراما من قبل المأمون . لابد بعد انتهاء أهم الاماكن والمعاهد التربوية من التطرق الى المعلم وهو الأساس في العملية التربوية . .

□□ المعلمون في القرن الرابع الهجري : - (٦)

□□ أولا معلموا الكتاتيب : في صدر الاسلام كان الوالد يقوم بتحفيظ ولده القرآن الكريم وتعليمه أمور دينه ولما انتشر الاسلام واستقر

المسلمين تقرر أن يوجد من الناس من يتطوع لتعليم أبناء المسلمين .
١ ـ لذا اتخذ المسلمين لأولادهم معلماً يختص بهم ويداومهم ويرعاهم
٢ ـ ويحمل عن آباء الصبيان. تأديبهم ويبصرهم استقامة احوالهم وما ينمي لهم في الخير.
٣ ـ اذ لو أنتظر المسلمون من يتطوع بمعالجة تعلم الصبيان في القرآن لضاع كثير من الصبيان ولما تعلم القرآن كثير من الناس فتكون الفائدة في السقوط في فقدان القرآن من الصدور والداعين الى تثبت أطفال المسلمين على الجهالة .
٤ ـ أرسل المسلمين اولادهم الى الكتاتيب وأسندوا تعليمهم الى المعلم حيث يحفظون القرآن الكريم .
ان المعلمين في الكتاتيب لم يعدوا اعداد مهنيا وانما من يجد في نفسه الكفاءة يقوم بمهمة التدريس من تلقاء نفسه لقاء الأجر والثواب .

□□ ثانيا : المؤدبون :ـ

النوع الثاني من المعلمين وقد جرت العادة ان يتدب الاغنياء والامراء اصحاب الجاه معلمين خاصين لابنائهم بدلا من ارسالهم الى الكتاب وعرف هؤلاء المؤدبين والمؤدب يقوم بمثل عمل معلم الكتاب وكان يختار ممن اشتهروا بالعلم والنجابة فالمؤدب يرعى الصبيان ويعلمهم فأبوا (داود بن سهل) كان مؤدب سيف الدولة الحمداني كان المؤدب يعلمهم بالاضافة الى القرآن الكريم والعربية علوم اخرى وقد جرت العادة ان يشترك المؤدب ووالد الطفل في تحديد المنهج الذي يراد تعليمه .

□□ ثالثا : المعلمون العلماء :

أصبح التعليم في القرن الرابع الهجري صناعة وفنا اختصت به طائفة من العلماء والتي تمتعت بكثير من الأجلال والتقدير من خاصة الناس وعامتهم .

□□ القاب المعلمين :ـ

أ ـ المعلم : كان اقل الرتب العلمية وأعمها ولم يكن يدل على كثير من العلم والادب او المقدرة او المقام الاجتماعي
ب ـ المؤدب : كان معلماً خصوصياً يذهب الى بيوت الخاصة لتأديب ابنائهم كما هو الحال اليوم في تدريس الخصوصي لقاء ثمن وتدفع له مبالغ طائلة ، وهناك

صفات للمعلم في نظر الغزالي (٧) .
١ ـ الشفقة على المتعلمين وان يعاملهم معاملة طيبة
٢ ـ ان يقتدي بالرسول (ﷺ) فلا يطلب على افادة العلم اجراً ولا يقصد به جزاء ولا شكورا بل يعلم الطلاب لوجه الله وطلبا للتقرب اليه
٣ ـ الا يدع من يضع المتعلم شيئا
٤ ـ ان يواجه المتعلم عن سوء الخلق بطريقة التعريف لا التصريح وبطريقة الرحمة لا بطريقة التوبيخ .
٥ ـ ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه اقتداء في ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم «نحن معشر الانباء ان ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم»
٦ ـ الا يلقي على المتعلم القاصر الا الجلي اللائق به .
٧ ـ ان يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يكذبه في قوله أو فعله حيث ان مثل المعلم المرشد من المسترشيدين مثل الظل من العود فكيف يستوي الظل والعود اعوج .

لذا تعتبر المدرسة والمعلم لهما الاهمية الخاصة في نفوس العرب والمسلمين وان خير العلم ما اخذ عنها فالمدرسة عن طريقها حافظ العرب على تراثهم وقد نقل المعلم الى تلامذته هذا التراث واحتل المعلم المكانة المرموقة في صدر الأسلام اقتداء بالمعلم الأول نبينا محمد (ﷺ) فالرسول هو المثل الاعلى وهو القدوة «لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة» .

لهذه الاسباب ان المدرسة والمعلم قد نالت حظاً وافراً لدى العرب المسلمين وقد انتشرت المدارس في كافة الاقطار التي فتحها العرب والمسلمين قبل ان يعرف الاوروبيين المدرسة بشكلها وتنظيمها وتخطيطها الجيد والسليم

هذا ومن الله التوفيق

□□ المصادر :ـ

١ ـ د . سعيد اسماعيل علي معاهد التربية الاسلامية المكتبة العربية دار الفكر العربي ١٩٨٦م
٢ ـ د. احمد حقي الحلي وأخرون مبادىء التربية رئاسة جامعة بغداد ١٩٨٥م
٣ ـ د . سعيد اسماعيل علي مصدر سابق
٤ ـ القرآن الكريم سورة التوبة /١٨
٥ ـ د. سعيد اسماعيل علي ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤
٦ ـ د. حسن عبدالعال التربية الاسلامية في القرن الرابع الهجري ١٩٧٧م
٧ ـ د. هاني عبدالرحمن صالح فلسفة التربية عمان ١٩٦٧
٨ ـ د. احمد شلبي تاريخ التربية الاسلامية مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦
٩ ـ محمد عطية الابراشي التربية الاسلامية وفلاسفتها ط ٣ ١٩٧٥م
١٠ـ عبدالله عبدالدائم التربية عبر التاريخ دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٨م .

الانكشارية
نشأتها .. وتطورها

د/ محمود علي عامر
جامعة صنعاء - كلية الآداب

مع بداية العصر الحديث ظهر الأتراك على مسرح الأحداث الدولية وتمكنوا خلال فترة زمنية من تكوين إمبراطورية ترامت أطرافها شرقا وغرباً، وحق للسلطان سليم الأول (١٥١٢ - ١٥٢٠م) القول: **(هل تتسع هذه الدنيا لأكثر من سلطان واحد)** (١) بعد ما أزال ممالك ودول بالأمس كانت تعتز بنفسها والآن أصبحت خاصعة لسلطانه.

بقي السؤال يطرح نفسه، كيف تمكن العثمانيون من إقامة إمبراطوريتهم، بالرغم من بداوتهم ونظمهم الرعوية التي حملوها معهم، عندما دفعتهم القبائل المغولية إلى شبه جزيرة الأناضول، وأستمر اندفاعهم إلى أن أستقر المقام بهم في الجزء الشمالي من شبه الجزيرة في منتصف القرن الثالث عشر (٢).

وواقع الأمر، فقد وردت إجابات عدة، فمن قائل بفضل الظروف المضطربة التي كانت تعانيها المنطقة، ومن قائل بفضل الشجاعة التي تمتعوا بها ورأفقوا بها عبارة (الترك عسكر)، ومهما كان نوع الإجابة، فهناك جوانب اخرى إذا جمعت في قناة واحدة قد تغطي جانبا كبيراً من السؤال، وما من شك أن ظروف المنطقة كانت مضطربة، وأن الموقع الذي أستقروا به كان مناسباً لهم. وأن النظم الرعوية القائمة على جمع السلطة بيد شخص واحد، كانت مناسبة لدولة فتية في دور التكوين والنمو وخاصة بعد ما تعاقب على حكمها سلاطين أقوياء، اتصفوا بالقوة والحزم وعلى أكتافهم تكونت تلك الإمبراطورية الواسعة، ولكي تكتمل دائرة الاحتمالات التي تصب في دائرة الإجابة عن قيام هذه الإمبراطورية، فإن الضرورة تقتضي منا معالجة قواتها العسكرية، تلك القوات التي أرهبت أعداءها لعدة قرون، وفي فترة الاحتضار أرهبت سلاطينها ومواطنيها على حد سواء.

إن القوات العسكرية للإمبراطورية العثمانية متعددة الأنواع والاختصاصات تندرج جميعها تحت اسم الإنكشارية (٣) وأطلق على الجيش العثماني (الأوردي الهمايوني) (٤) الذي شكل من القابي قول (عبيد الباب) وعسكر الإيالات (٥) والقوات البحرية، وكانت تشكيلات القابي قول تتألف من عدة (أوجاقات) (٦) وقد أطلق على العساكر ذات الاختصاص الواحد أو التي تقوم بوظيفة ما: اسم (اليولداش) (٧) ثم إستبدال إلى أوجاق، وقد قسمت تلك (الأوجاقات) إلى سبعة أقسام، ثم استبدل إلى أوجاق، وقد قسمت تلك **(الأوجاقات)** **الى سبعة أقسام هي:-**

١ - يكيجريلر (بني تشاري)
٢ - عجمي أوغلانلر (أولاد العجم)
٣ - جبة جيلر (المدرع)
٤ - طوبجي لر (المدفعية)
٥ - طوبة ارابه جيلرى (عربات المدفعية)
٦ - سقالر (السقاؤون).

إن تلك الأوجـاق السـبعـة تنبثق من الإنكشارية ، والإنكشارية تأسست في الاصل من (عجمي او غلانلري) (٨) الـذين هم من نتـاج (الـدفشرمـة) (٩) ولهـذا سنعـالـج في بحثنا هذا (أوجاقات الانكشارية .

إن الدولة العثمانية باديء الأمر ، أعتمدت في حروبها على العساكر المرتزقة التي كانت تتقاضى رواتب بشكل منتظم من الدولة .

والـتي عرفـت باسم (اليايا) (١٠) وهم في الأصل مشاة ، ولم يكن وقتها لدى العثمانيين جيش منـظم يخضع لهم بصورة مستمرة ودائمة قبل تولى مراد الأول (١٣٦٠ - ١٣٨٩م°) (١١) وقد عمل جندرلي قره خليل على تشكيل هذه القوات ، وكان أجر الجندي الواحد أوقات الحرب (اقجتين) يوميا اي نصف درهم (١٢) وبعد انتهاء الحرب يعودون الى قراهم ومزارعم لممارسة أعمالهم وحياتهم كالمعتاد ، ولقـاء استجابتهم للنداء الموجه اليهم ، أعفتهم الدولة من الضرائب ، أما قسم الخيالة منهم فكانوا يسمون (المُسلَم) (١٣) وبعد تشكيل الإنكشارية ، وزعـت قوات (يايا) و(المُسَلَم) على الـولايات ، وأرسلوا بصـورة خاصـة الى الـروميلي (الروم إيلي) وهناك منحوا إقطاعات أرضية عرفت باسم التيمار والـزعامت (١٤) ، ونظرا لاتساع رقعة الدولة فقد عهدت اليهم بناء القلاع وإقامة الجسور وحراستها وكـانت أوجـاقاتهم تضم ثلاثين شخصا ، وعرف رئيسهم ب(بـك المشاه) ، وقد خصص للمزرعة الواحدة خمسة عشر شخصاً ، وخلال الحرب يكلف عشرهم بالذهاب للحرب ، أما الباقون فيعملون بالمـزرعـة ، ويطلق عليهم المناوبـون ، وكـانت مهمتهم نقـل المحصول ، وإذا اقتضت الضرورة يشـاركـون في الحرب ويقتصر عملهم على نقل الذخيرة وشق الطرق .

إن تلك الـتشكيلات كانت موجـودة لدى سلاجقة الأناضول ومماليك مصر ولكنها لم تكن على نفس الدرجة من الدقة والانضباط كما كانت لدى الـدولـة العثمانية فالانتصارات التي حققتها الدولة العثـمانية في أوربـا وآسيا كان يفضـل النـظام والانـضبـاط والتبعية التي تحلت بها أوجـاقـات الإنكشارية ، وقد أسست تلك الأوجاقات في عهد مراد الأول ، وقبل ذلك لم يكن لدى الدولة اي قوات نظامية فالقوتان السابقتان (يايا) و(المُسَلَم) أسستا من قبل الغازي أورخان بك (١٣٢٤ - ١٣٦٠م) وكانتا تتألفان من خمس الأسرى إضافة الى مسلمي الروميلي والأناضول ، وكانت مسألة جمعهم تسبب اربـاكـا للدولـة ، لأنهم يمارسون الأعمال الزراعية أوقات السلم ، ونظرا للظروف التي تواجهها الدولة في مرحلة التـأسيس والتوسع ، فقد اقتضى الأمر إيجاد جيش منظم يتصف بالجاهزية القتالية بصورة دائـمـة ، ولهذا فإن أورخان بك عقد مجلساً خاصاً لمناقشة تلك المسألة المهمة ، وقد استشار أخاه علاء الدين وشارك في هذا المجلس جندرلي قرة خليل ، وكان الغرض معالجة التشكيلات العسكرية وإيجاد الحـل ، كما بحث المجلس إعـطاء رواتب دائمـة للجنـد ، لأن الأعباء القتالية والمناوبة غدت فوق طاقة عناصر (يايا) و(المُسَلَم) ، فقد أدركت تلك القوات مدى حاجة الدونة اليها ، فبدأت برفع عضا الطاعة وأعلنت العصيان مالم يستجيب لطلباتها ، وخـوفا من انتشار الفوضى في مختلف التشكيلات العسكـرية ، عمـدت الـدولـة الى تبـدل القطعة العسكرية التي اعلنت التمرد ، وخشية من تكرار الامـر إقـترح جنـدرلي قرة خليل إيجاد تشكيلات عسكرية اخرى إلى جانبهما ، وظل اقتراح جندربي قرة خليل مجرد اقتراح إلى أن تولى مراد الأول السلطنة ، ومع أن جميع المصادر التركية تؤكد ذلك ، إلا اننا لم نتمكن من تثبيت تاريْخ تشكيلهـا ، والاحتمال الأقرب للصحة هو منتصف القرن الخامس عشر ، وبهذا الصدد يذكر إسماعيل حقي أوزون تشارشلي (ان الألف أسير الذين وقعوا في أيدي الدولة قبل ذلـك التاريخ منح كل منهم (١٢) أقجة يوميا ، وهـذا يدفعنـا للاعتقاد بأن التشكيلات الأعجمية أسست في ذلك التاريخ اضافة الى ذلك فإن قانونا صدر مابين ١٣٦٢ - ١٣٦٣م بهذا الشأن ، واعتماد هذا القـانـون يؤكـد لنـا تأسيس الإنكشـارية

والأوجـاقـات الأعجمية ، ورغم ذلـك فإن هذا الاحتمال غير مؤكد ولا يؤكد لنا حقيقة الأمر (١٥) ويضيف قائـلا (رغم ذلـك فإننا لانجهل القاعدة الأساسية التي اقيمت بموجبها الإنكشارية ولهذا فإن ما سنكتبـه عن الإنكشـارية يعـود إلى مابعد هذا التاريخ (١٦) .

والواقع ان سياسة جندرلي قره خليل أسفرت عن نتائج مدهشة (١٧) وبهذه المناسبة يذكر هامر نقلا عن إسماعيل حقي أن فكرة جندرلي قرة خليل من أهم ثمارها توجيه ضربة قاصمة لمدفعية البارود التي أعقبها هدوء تام في أوربا نتيجة للانتصارات التي حققتهـا الإنكشارية خاصة والقوات العثمانية عامة ، وبناءً على ذلك فقد استبدل الاقتراح الذي وضعه جندرلي من الحل او النظام الجديد (١٨) ، الى الجندي الجديد ، أما الأوربيون فقد اطلقوا على الانكشارية اسم Janiser (٢٠)٠

لقـد خضع أفراد الإنكشارية لتدريبات قاسية وفي مقدمتها الطاعة العمياء وتحمل التعب والصبر على الجوع ومن ثم الشجاعة وعدم التراجع ، فالشجاعة المقرونة بالطاعة ، كانت من أهم العوامل والأسس التي توصـل صاحبهـا إلى أعـلى المراتب ، وبهذه الوسيلة والصفات التي تحلت بها الإنكشارية تمكنت من اقتحام آسيا وأوربـا وأثبتت وجودها كقوة لاتقهر ، أما سبب تسميتها بالأنكشارية وكما ورد في المصادر العثمانية التي تذكر أن الغازي أورخان بك كان يتمشى في أماسيه في منطقة (صولوجة)، وهناك كان يقيم متصوف يقال له الحاج بكطاش ، وكان أثناءها الغازي أورخان يكلم نفسـه نتيجـة الهموم والمشاكل التي تواجه دولته وشدة حاجتـه إلى قوات عسكـرية ، وفجـأة تذكر المتصوف فتوجه اليه وتوسل اليه أن يلهمه تسمية مناسبة لقواته العسكرية التي ينوي تأسيسها . . الخ ويذكر إسماعيل تشارشلي أن هذه الرواية لا أساس لها من الصحة ، لأن الإنكشارية عندما أسست لم يكن الحجي بكطاش على قيد الحياة . (٢٢) .

كان الغـازي أورخـان بك يجمع عساكر المشاة (يايا) من الاهالي ، وعندما زادت حاجته إلى العساكر جنَد مسلمي الأناضول والروميلي ، وقسمها الى قسمين أطلق عليهما (يايا) و(المُسَلَّم) وأعطى كل شخص منهم أقجتين يوميا أوقات الحرب ، ولقاء استجابتهم لنداء الدولة عند اللزوم اعفاهم من الضرائب كمكافأة لهم ، وحينما تولى ابنه مراد الأول السلطنة أصدر قانوناً يقضي بتـطبيق الخمس ، وكلف خير الدين باختيار عناصر الخمس من الأسرى ، كما كلفه بجمع أموال الغنائم ووضعها في بيت المال وأمره بإعطاء خمس وعشرين أقجة لكل أسير . (٢٣) وقد جمعت عناصر الأسرى ووضعت بين الاهالي ، وكلفهم بتربيتهم تربية تركية وتعليمهم اللغـة الـتركية ، ومـع مرور الـزمن صار الأسرى من المسلمين وممن يتقاضون رواتب ، وبعد إزدياد أعدادهمّ ، اختـار العنـاصر القوية والسليمة ونقلهم إلى باب الـدول وأطلق عليهم قابي قول (عبيد البـاب) (٢٤) وألبست تلك العنـاصر غطاء أبيضـا على رؤوسهم ، ولـدى إزدياد أعـدادهم وخـاصـة بعـد تطبيق نظام الـدفشرمة ولكن على نطاق ضيق ، قسمت تلك الى أقسام ووضعوا ضمن مايسمى (أوضة) (٢٥)، وأطلق عليهم اسم (الإنكشـارية) ، وهكـذا فإن مصطلح الإنكشـارية استخدم لأول مرة في عهد السلطان مراد الأول (٢٦) .

وعلى الرغم من أن تسمية الإنكشارية جاءت من كبـار متصوفي الطرق الصوفية ، إلا أنها لم تسلم من أكـاذيب المفسدين والملحدين ، فقد كانوا يرددون أن الأرواح الخبيثة تسكن أجساد تلك العسكر ، وبنفس الوقت كان لتلك الشائعات ايجابية ، فقد تخوف الأهالي منها ، ولزموا الهدوء والسكينة .

إن إزدياد أعداد الإنكشارية دفع السلاطين إلى إقامة ثكنات خاصة بهم وقد بلغ عددها أربعا وتسعين ثكنة (٢٧) وحينما ضاقت الثكنات عليها نقلت أعـداد منها الى السراى الهمايوني وقسم أخر نقـل إلى مدينـة استـانبـول وكلفت هذه العناصر بحفظ الأمن ضمن المـدينة وعرفت فيما بعد باسم (الضبـطية) (٢٨) ، أما العناصر التي نقلت إلى السراى الهـمايوني فقـد أضيفت إلى عناصر خدمة السلطان وقد عين عليهم آغا خاص وهي تختلف

عن عنـاصر القـابي قول (عبيد البـاب) (٢٩) ولم يكتف أهـل الفسـاد والنفاق بإلحـاق الشـائعات بعناصر الإنكشارية ، بل سعو الى إقناع الأهالي بأن تلك العناصر ترتكب أعمالاً مخالفة للعادات والشرع الإسلامي ، وان كافة أفعالها وأطوارها وخيمة ومخلة بالتقاليد التركية ، وظلت تلك الشائعات ملتصقة بها حتى انتهائها والقضاء عليها سنة ١٨٢٦م (٣٠) .

أما بالنسبـة لغطاء الـرأس الأبيض الذي ترتـديه عناصر الإنكشارية فهو مقتبس من جماعة الطرق الصوفية مثل البابكية والجلالية (المولوية) ، ولدى التجول في مناطق الأناضول نرى أعداداً كبيرة من الشيوخ والمريدين يرتدون هذا الغطاء ويؤكد إسـماعيل حقي أن منـاطق الأناضول كانت تعج بأصحـاب الطرق الصوفية خلال عهد عثمان بك وابنه أورخان وحفيده مراد الاول وظل الأمر كذلك إلى أن فتحت استانبول سنة ١٤٥٣م (٣١) .

ويعلل إسماعيل حقي سبب انتشار الطرق الصوفية بهذه الكثرة ، بأن هذه المناطق التي كان السلطان يحكمها كانت ضيقة وهي مليئة بالأسر ، ولكي يتمكن من احكام قبضته عليها ساهم في نشر الـطرق الصوفية وعمل على تقويتها وتعميقها بغية تقـوية مركزه وقد كان هو نفسه منتسبا إلى إحدى الطرق ، فمن خلال أصحاب تلك الطرق تمكن من نشر قواتـه في مختلف مناطق الأناضول ، لأن النفوذ فيها كان بيد ثلاث عشائر هي صاحبة الحل والربط ، ولو لم يلجأ الى تلك الوسيلة لما تمكن من تحقيق النجـاح الـذي حققـه وحكم المـنطقة بيد فولاذية . علاوة على ذلك لما ارتبطت به تلك العشائر وعملت وفق رغباته ، ولهذا فإن والد زوجته عثمان بك وابـن أخيـه حسن جيدرلي قرة خليل والشيخ محمد زادة تمتعوا بنفوذ قوي وكانوا من علية القوة ، ولـدى انتقال مركز السلطنة الى إذنيق قام أورخان بك بتـعيين المتصـوف داود القيسري مدرسـاً له ولحاشيته ، يضاف إلى ذلك فإن أورخان بك تمكن من تأسيس تشكيلات عسكرية من الأهالي الذين استجـابوا لرغبته وأطلق عليهم (بابا) وتأكيدا على إرتباطه بالطرق الصوفية أمر بإلباسهم غطاء ابيضا مشابها تماما للغطاء الذي يرتديه أصحاب الطرق الصوفية ، وحينما أسس مراد الأول الإنكشارية سار على نهج والده ، ويستفاد من هذا أن نفوذ الأهالي ظل قويا على التشكيلات العسكرية العثمانية حتى العقد الأخير من القرن الرابع عشر ، ومن بعد ذلك أصبحت جميع الطرق الصوفية تنضوي تحت اسم البـابكية ، وقـد أشتق اسمهـا من الابوة والمرتبط بالمؤسس الأول الحجي بكـطاش وفي أواخر القرن الـرابـع عشر ، غدا اسم البكـطاشية هو الأسم المقصود به (٣٢) .

وهكذا فإن التشكيلات العسكرية الجديدة (الانكشـارية) ، غدت مؤسسـة عسكـرية متـأثرة بالبكـطاشية ، ويعتقـد إن إتبـاع السلاطين لهذا النهج الديني في نظمهم العسكرية ، يراد منه اسباغ الصبغـة الإسـلامية عليها وإحاطتها بحاجز قوي يميزها عن التشكيلات المسيحية التي كانت قائمة قبـل قيام دولتهم ، وتـأكيدا لما ذكـر فأن بعض أوجاقاتها سميت أوجاق البكطاشية .

■■ وانطلاقا مما ذكرناه فإن تلك التشكيلات تمر بمرحلتين :

○ **المرحلة الأولى : مرحلة التأسيس** : وكانت مؤلفة بادىء الأمر من الأهالي ، ومن الأسرى الذين علموا اللغـة والعـادات التركية ، وقد وضع الأسرى بين فلاحي الأنـاضـول وعاشوا بين ظهرانيهم ، وكان يعـطى كل فرد منهم اثنتي عشرة أقجـة يومياً أثناء الحـرب ، وكـانـوا يمارسون حياتهم الاعتيادية من فلاحة وزراعة أوقات السلم ، وقد قسموا قسمين بيادة (مشـاة) وسـوارى (خيالـة) ، وبعد تأسيس الإنكشـارية وزعـوا على الولايات ، وكلفوا ببعض الأعمال مثل إقامة الجسور وبناء القلاع وحمايتها ، وكان الأوجاق الواحد يتألف من عشرين عنصرا ، ومع نهاية القرن السابع عشر أصبح الأوجاق الواحد يتألف من ثلاثين عنصرا ، وكان يرأسهم بك يلقب (بـك المشـاة) (٣٤) ، ومـن ثم عرفت بعض

أوجاقاتهم باسم القابي قول ، أما العناصر التي أستقرت في مناطق الأناضول عرفت باسم السباهية ، ولدى تكليفها بأعمال خارجية خصص لكل فرد منهم أربع وعشرون اقجة يوميا (٣٥) .

○○ المرحلة الثانية : مرحلة الدفشرمة . وهذه المرحلة تمت عقب هزيمـة يلدرم بيايزيد الأول (١٣٨٩ - ١٤٠٢م) أمام تيمور لنك في معركة أنقرة سنة ١٤٠٢م وقد تعرض التوسع العثماني إثرها الى الشلل ، بل يمكننا القول انه تعرض للتراجع ، ولهذا اضطرت الدولة العثمانية لتوسيع وتقوية الخطوة التي بدأهـا السلطات مراد الأول حينما قرر جمع الأسرى والابناء الذين ليس لهم آباء . . فصدر فرمان همايوني (فرمان سلطاني) يخول السلطة القائمة جمع الغلمان المسيحيين وحدد أعمارهم من ٨ - ١٤ سنة ثم أجاز للجنة المكلفة بجمع الشبان من ١٤ - ١٨ سنة او ١٥ - ٢٠ سنة ، شريطة أن يكونوا من ذوي الصحة الجيدة ، ومن متوسطي القامة أما اصحاب القامة الطويلة فيؤخذون فقط ليضموا الى عناصر القابي قول ، وحدد القانون بادىء الأمر البانيا ثم شمل الأمر اليونان والبلغار والصرب والبوسنة والهرسك والمجر ، وحرم القانون دفشرمة مسيحي الأناضول ، ولدى تولى السلطان سليم الأول عرش السلطنة (١٥١٢ - ١٥٢٠م) أمر بجمع شبان مسيحي الأناضول ومع نهاية القرن السابع عشر شمل نظام الدفشرمة جميع المسيحيين التابعين للدولة العثمانية ، وقد عهد إلى آغا الإنكشارية رفع تقرير إلى الديوان الهمايوني عن وقت وزمان حاجة الدولة لتلك العناصر مع كمية الأعداد المطلوب جمعها ، وعلى ضوء هذا التقرير يصدر الديوان الهمايوني فرماناً الى اللجنة المكلفة بذلك بالتوجه إلى الدفشرمة ويحدد الفرمان المنطقة والقضاء والناحية التي سيتم الجمع منها ، وفي حال عدم تأمين الأعداد المطلوبة في المنطقة المحددة يسمح للجنة التوجه الى منطقة أخرى شريطة إعلام آغا الإنكشارية مسبقاً ليتمكن الديوان من تبليغ المنطقة المزمع التوجه إليها ، وتتألف اللجنة من أمين الدفشرمة ، مأمور الدفشرمة ، سكبان باشي ، صولاق باشي ، زغارجي باشي ، سكونجي باشي ، طونجي باشي ، حصكي باشي ، دوه جي باشي ويايا باشي (٣٧)

وتنطلق اللجنة الى المنطقة المحدد حاملة فرمان الديوان الهمايوني وأمر آغا الإنكشارية إلى أمير الصنجق والقاضي ، وبعد مقارنة الفرمان والأمر بالفرمان والأمر الذي بحوذتهما يقومان بمساعدة اللجنة في عملها ويبحث أولا عن الشبان الذين تتراوح اعمارهم من ٨ - ١٤ سنة وفي حال عدم توفر الاعداد المطلوبة يرفع من ١٤ - ١٨ سنة ثم من ١٥ - ٢٠ سنة وهو الحد الاقصى المسموح به (٣٨) ويحذر الفرمان جمع الشبان المتزوجين أو من أصل يهودي أو أرمني ، كما يمنع أخذ الولد الوحيد لأبويه ، وعلى اللجنة انتقاء الشبان الذين تنطبق عليهم الشروط الواردة في قانون الدفشرمة . (٣٩) ويطلق على الشبان الذين جمعوا اسم (القطيع) ويظل هذا الاسم واللقب ملازمهم حتى دخولهم إستانبول . (٤٠)

ثم يجمعون في احدى الثكنات ويعطون ألبسة ونقودا ، ويضعون على رؤوسهم قبعة وبعد ارتداء القبعة يسمون أصحاب (الخلعة البهاء) أو (عبدة الدراهم) (٤١) وفي بادىء الامر يعطى كل فرد منهم مئة أقجة ثم يتركون لمدة ثلاثة أيام للاستراحة ، ثم يحدد يوم تطهيرهم ومن ثم يعلنون إسلامهم ، وبعد إسبوع يوزعون على القصور لتعليمهم اللغة التركية وتلقي العلوم العسكرية ، وبعد استقرارهم في القصر (السرايا) المحدد لهم يطلق عليهم غلمان القصر . (٤٢)

□□ غلمان القصر:

يتم جمع الغلمان بعد فترة ويعاد قراءة اسماء العناصر التي جمعت إستنادا إلى الدفتر ويشترط أن يكون مسجلا فيه اسم الأب والأم والاسم الحقيقي والقضاء والناحية والقرية التي جمع منها الشخص ثم يضاف عليه الاسم الجديد بعد إعلان اعتناقه للإسلام ويتقدم آغا الإنكشارية إلى الدفتر ويتأكد من صحة المعلومات ومهر القاضي ومهر سورباشي

(رئيس القطيع) وبعد ذلك يوقع عليه ويسلمه الى رئيس الأوضة والذي هو أكبرهم سنا . (٤٣) .

وبعد ذلك يستدعى آغا الإنكشارية آغا الروميلي وآغا الأناضول مع كتابيهما ويكلفهما باجراء تفتيش دقيق لكل شخص عائد له ، ثم يسلم كل منهما عناصرة ثمان أقجات للشخص الواحد وبعد الانتهاء يتقدم بوستانجي باشى لاستلام الدفاتر والعناصر ويتحمل مسؤولية نقلهم إلى سراي التدريب بعدما يعد مذكرة بروراتبهم ، وهم يتقاضون رواتبهم خلال فترة التدريب كل أربعة أشهر أما العناصر التي أصيبت بالمرض فتعالج وبعد الشفاء تباع للمزارعين الأتراك ، أما الذين توفوا فيحذفون من الدفتر المسجلين به ، وفي حالة هروب أي منهم يتحمل الكتخدا مسئولية البحث عنهم ويأخذ خمسة عشر عنصرا من عناصره ولا يعود إلا والعناصر الهاربة في حوزته والعناصر التي هربت تفصل عن بقية زملائها وبعد تعرضها للعقوبات الشديدة والقاسية تعرض للبيع ، أما الذين يهربون بعد اعتناقهم للإسلام ، تطبق عليهم عقوبة المسلم المرتد ، كذلك أهل العنصر الهارب يتحملون مسئولية إعادة ابنهم وتسليمه إلى أمير اللواء ، والا تطبق عليهم عقوبة الجلد والسجن ، وتؤخذ منهم الدراهم التي اخذوها عندما أخذ ابنهم للدفشرمة . (٤٤)

ترسل الغلمان إلى القصور المحددة لإعدادها وتدريبها وتقضي سبع سنوات وتتلقى خلال ذلك مبادىء القراءة والكتابة وقراءة القرآن والأعمال الحربية من قفز وجري والرمي بالقوس والنشاب والرمى على المدافع ، وعبور الجبال واختراق الوديان ، وبعد انتهاء فترة التدريب يتقدم المعلم الأول بتقرير الى آغا الإنكشارية عن جاهزيتهم ، وبعد أن يتأكد مما ورد في التقرير يقوم بدوره بإعداد تقرير للسلطان ، ويحدد السلطان يوم التخرج الكبير وفي اليوم المحدد يتوجه السلطان بكامل أعضاء هيئته الإدارية لمشاهدة العرض العسكري لهؤلاء الغلمان فإذا نال العرض استحسانه يقدم مكافأة للمشرفين وأثناء العرض يشير بإصبعه عن الشخص الذي نال إعجابه وبعد انتهاء العرض تفرز العناصر حسب اختصاصاتها الى أورطات الإنكشارية أما العناصر التي نالت استحسانه فتتقدم اليه وتقبل حذاءه وأطراف ثوبه علامة على التبرك ونيل الشرف ، وكانت العناصر الخريجة تفرز بادىء الأمر إلى أوضتين (ثكنتين) أوضه قديمة (أسكى أوضه) والأوضه الجديدة (يني أوضة) وكانت يني أوضة (الثكنة الجديدة) مخصصة للعناصر الجديدة (الدفشرمة) وكانت الثكنة الواحدة تتألف من ١٩٩ دائرة (٤٥) وكان في كل دائرة مطبخ وبيت مؤنة وحجرة كبيرة ، وعليها ضابط ، وأمام كل دائرة عمود من المرمر مزين بنقوش من الأعلى ، وكانت أكثرية الغلمان توزع على الثكنة الجديدة ، وكانت العناصر الخريجة تسلم إلى خصكى باشا ، أما العناصر التي أرسلت الى أسكدار لتلقي تعليمها فيحدد طعامها من مخصصات السراي الهمايوني ، وللغلمان الأعجمية في غرفهم مسجد وله مؤذن يتقاضى شهريا سبع أقجات وإمام يتقاضى ثمان أقجات ، وفي عهد السلطان سليم الأول اقيم لهم في غرفهم حمام وخصصت سفينة خاصة لإحضار الحطب اللازم وتكلف مجموعة منهم بقطع الحطب (٤٦) .

وفي بادىء الأمر كانت مجموعة الغلمان الأعجمية توضع في بلوك واحد (٤٧) إلا أنها فصلت إلى تسعة بلوكات ، بعدما رفعت تلك العناصر عصا الطاعة ، وعين على كل بلوك رئيس يعرف باسم بلوك باشي ، ويترأس البلوكات التسعة باش بلوك باشي ، وفي عهد محمد الرابع ١٦٢٣م أقيم لهم ثكنة كبيرة ، وبنى بجانبهما بناءان ، إحدهما اطلق عليه (دائرة الكتخدا) والآخر (دائرة الشاويش) وخصص عنصران للوقوف على الباب الرئيسي ويتحمل هذان العنصران المسئولية كاملة في دخول أو خروج أي شخص إلا بإذن من الكتخدا ، والشخص الذي يرتكب ذنبا بهذا الخصوص يؤمر بخنقه بعدما يأمر الكتخدا بذلك . (٤٨)

أما العناصر التي نالت إعجاب السلطان

تسلم إلى آغا القابي قول ثم يوزعهم على أقسام القصر ، ويؤخذ بعين الاعتبار المهن التي كانوا يمارسونها في بلادهم ، أما العناصر الوسيمة تفرز الى قسم الحرملك (قسم الحريم) بعد إجراء عملية الخصي ، أما العناصر التي تمتاز بقامة طويلة تفرز إلى قسم الركاب الهمايوني (٤٩) .

إن عناصر الدفشرمة خضعت لقوانين صارمة جداً ، فكان أي خطأ مهما كان بسيطا ، ينال مرتكبه عقوبات قاسية ، وكانت عقوبة الجلد والتعذيب تتم أمام زملائه ، ويحدثنا نعيما في تاريخه عن العصيان الذي حدث في أواخر سنة ١٦٤٩م من قبل العناصر التي تلقت تعليمها في غلطة سراي وسراي إبراهيم باشا وقد أسفر العصيان عن وقوع صدام بينهم وبين إدارة القصر وعماله ، وعلى الفور توجه آغا الإنكشاية وأمر بصلب عدد منهم وطبق عقوبة الجلد على الجميع وبعد تخرجهم أرسلوا للعمل في الأسطول كمجدوفين ، كما عرض لنا حالة الانهيار والانحلال اللذين تسربا إلى صفوف الغلمان ، فيذكر أن قادتهم وخاصة (أوضة باشي) كان يكلفهم بأعمال البقالة والحمالة مقابل قروش زهيدة (٥٠) . ويذكر علي أفندي في رسالته : أن الغلمان الذين وجدوا في عهد السلطان أحمد الأول (١٦٠٣ ـ ١٦١٧م) بلغ عددها ٩٤٠٦ عناصر وهؤلاء العناصر لم يتلقوا من التدريب سوى ثلاثة أشهر ، وأقيم لهم حفلة تخرج وأطلق على هؤلاء الخريجين (كمال البهاء) ووزع معظمهم إلى سراي البوغاز (المضيق) وآت ميداني (ميدان الخيل) أما البقية فقد وزعوا على ثكنات استانبول . وحدث مثل ذلك في عهد السلطان محمد الرابع (١٦٤٨ ـ ١٦٨٧م) وكانت أعدادهم ١٥٣٢٤ عنصرا وهؤلاء لم يتلقوا من التدريب والتعليم إلا النذر اليسير ، ووزعوا إلى بلوك سكبان باشي (٥١) ، والمعروف عن السلطان محمد الرابع أنه مولع بالصيد حتى لقب بالسلطان الصياد (٥٢).

إن تجاهل السلاطين لغلمان القصر انعكس على أوجاق الإنكشارية عامة وعم الفساد وغدت الأوجاقات بمجموعها تطالب بالبخشيش والترفيع وكأنه حق مكتسب من حقوقها وحذت عساكر الولايات حذو انكشاري استانبول .

إن الدولة العثمانية منذ عهادها لقانون الدفشرمة وتخصيص السراى الهمايوني لتدريب وتعليم الغلمان الأعجمية سواء في بورصة أو اذنيق وأخيرا استانبول غدت تهيء دفعات جديدة من العساكر لضمها إلى الأوجاق الإنكشارية ، بهدف إعداد قوات تحمي أطراف ممالكها ، ولكن هذه العناصر لم تؤد المهام التي أوكلت اليها وحسب الروايات التركية فقد بلغ عدد عساكر الدولة بجميع صنوفها وتشكيلاتها بالطبع ماعدا العناصر العاملة في السراي الهمايوني قرابة مليون جندي تحت السلاح (٥٣) .

إن زيادة أعداد الإنكشارية دفع القادة العسكريين إلى استخدام ثكنة بدلاً من أوضة في حين ظل استخدام الأورطه والبلوك حتى مطلع القرن العشرين ، وبلغ عدد الثكنات التي أقيمت تسعين ثكنة تركزت معظمها في استانبول ، وكانت ثكنات استانبول تقام مابين ثكنة ابن السلطان ومسؤول الخزينة ، وبالقرب من ثكنة الإنكشاريين القدماء ويكلف الكتخدا بالإشراف عليهم يعاونه عدد من الضباط والقادة ، وكان يطلق على الآغا العام (آغا استانبول) وهو يرتبط بدوره بنائب السلطان (آغا الإنكشارية) وقد تعددت الألقاب التي أطلقت على عناصر الدفشرمة من أهمها (عجمي أوغلانر) و(طوربة اوغلانر) و(شادي) و(عبدالراهم) وما شابهها من ألقاب ، كما بلغ عدد الأورطات ١٦٥ أورطة ثم أصبحت ١٩٦ أورطة ، أما الغلماني فقد قسمت إلى اربع أورطات ثم أصبحت ٥٩ أورطة ومع انتشار الفوضى اختلط الأمر على قادتها وغدت تعرف بالأرقام بدلاً من الأقسام مثل فرقة (رعاة الجمال) وتضم : الأورطة الأولى والثانية والرابعة والخامسة والثامنة والثالثة والثلاثين والتاسعة والثلاثين والسادسة والخمسين

والسـابعـة والخمسـين والخامسة والتسعين . وفرقة (رعـاة الجـمال القـدمـاء) وتضم الأورطـة التاسعة والعشرين وفرقة (الخصكي) وتضم الأورطة الرابعة عشرة والتـاسعـة والأربعـين والسـادسـة والستين والسابعة والستين ، وفرقة (طورنجي) وتضم الأورطة الثامنة والستين ، وفرقة (زعارجي) وتضم السادسة والأربعـين وفرقة (صمسونجي) وهذه الفرقة كفرقة فدائية ، وقـد ألغي هذا الاختصاص في منتصف القرن السابع عشر ، ويترأس كل أورطة عدد من الضباط أما آغا الإنكشارية وكبير البوابين فينتخبون من ضباط الإنكشارية أو من الوزراء ، وفي العقد الأخير من القـرن السـادس عشر، وبدلا من أن يكـون آغـا الإنكشـارية نائب السلطان غدا آغـا الانكشارية نائبا للصدر الأعظم ، وذلك منذ تخلى السلاطين عن قيادة الجيوش أثناء الحرب وكان أول السـلاطين الذي أوكل ذلك هو السلطان سليمان القانوني لكن السلطان سليمان لم ينصرف إلى حياة القصور كما فعل السلاطين فيما بعد ، وكان من أكثر الضبـاط استقلالية هو آغا الركاب الهمايوني ، ولم يكن ينافسه سوى آغا الكزلار (آغا البنات) وكان هذا الآغا يتمتع بنفوذ قوي جدا (٥٤)

مقربين من جواري القصر ، وقد تمنع هؤلاء عن دفع ماعليهم من التـزامـات تجاه الخـزينة ، فانقصت الرواتب بسبب تعرض الخزينة للإفلاس فاشتعلت الثورات في مختلف أرجاء الممالك العثمانية فاضطرت الدولة إلى زيادة الرواتب ، ولكنها أمرت دور الضرب بخلط العملة بالمعـادن الاخرى . (٥٥) ولم يكن سبب إفـلاس الخـزينة بسبب الحروب أو الأعمال العمـرانية وانما بسبب المصاريف التي كان القصر يستهلكها ، فمثلا كان على الخزينة أن تدفع من ميزانيتهـا ١٢٫٨٤٨٫٠٠٠ أقجـة للحـرم السلطاني وآغـوات الحـرم ، علاوة على الأمـور الاخرى فإذا كانت مصـاريف القصر الهمايوني وحده فقط تبلغ ١٤٥٫١١٠٫٧٨ أقجة فمن أين لهذه الخـزينة أن تستـطيع دفـع مخصصـات السلطان وقد خصص للسلطان مراد الثـالث ١٥٪ من ميزانية الـدولـة وعبدالمجيد (١٨٣٨ - ١٨٦١م) طالب ١٠٪ و٢٥٪ للحرملك لأن عدد الجواري في قصره (دولمة باغجة) ألفـين جارية عدا عن مخصصات الصدر الأعظم وآغا الانكشارية وآغا الكزلار وآغا الخصيان ومفتي الإسلام . (٥٦)

بدأت مرحلة الانحلال والفوضى تتسرب إلى صفوف الإنكشارية منذ تولى مراد الثالث السلطنة (١٥٧٤ - ١٥٩٥م) حيث لجأ محمـد شيخ زاده (الصدر الأعـظم) الى دفـع عنـاصر الإنكشارية لممارسـة الألعـاب البهلوانية والتـمارين الـرياضية استعدادا لمشاركتها في حفلات الطهور والأعراس ، فتفشى الفساد والانحلال بين صفوفها ، ويوضح لنا قوجي بك في لائحته أسباب فساد الانكشارية قائلا : (إن القوانين التي نظمت بموجبها الإنكشارية لم تطبق بشكلهـا السليم والصحيح علاوة على ذلك فإن السلاطين عهدوا بقيادتها الى اشخاص ليسوا أهـلا لذلـك ، وقد لجأ هؤلاء القادة إلى إحداث تبـدلات وتعـديلات تنـاسبت ومصالحهم الخاصة ومنحـوا رتبـا لأشخـاص لايستحقـونها كذلك فإن السـلاطـين منحـو (الزعامات والتيمار) لأشخاص

فكيف يمكن دفع رواتب الجند ، ومن أين للدولـة العثمانية أن تعد قواتها كما كانت في مرحلة القـوة اي مطلع القـرن السادس عشر ، مادامت الإنكشارية قد ابتعدت عن مهنتها الحقيقية وغدت تمارس البـيع والشراء ، ومن كان منهم لاعلم له بالتجـارة مارس السلب والنهب، لأن التصـدي للأعـداء لم يعـد يفي بالغرض المطلوب ولا يروي ظمأها وأقتصر دور هذه القوات فقط على الدفاع ولكن دفاع عن حدود الممالك مشروط بالترفيع وزيادة رواتب وخمس الغنائم له ، ويؤكد قوجي بك انه من المستحيل على العطار أو البقال التفوق في الحرب لأن كلا منهما مشغول بمهنته ولهذا فهم في الظاهر عسكـر وليس بعسكـر (٥٧). فالسلطان سليم عنـدما ، فتح حلب والشام والقاهرة استدان من أحد التجار ستين ألف فلوري ، وأعتقد التاجر أنه

يستطيع التطاول ويطلب من السلطان السماح لابنه الإنتساب إلى الانكشارية ، ولدى سماع السلطان برغبة التاجر عضب غضبا شديداً وقال له : (من أجل أرواح أبائي وأجدادي يتوجب علي قتلك ولكن الذي منعني مخافتي أن يقال أن السلطان سليم الأول فاتح الحرمين الشريفين قتل تاجراً وأخذ ماله والذي ينجيك من القتل هو أخذك لمالك وولدك وفرارك من بلادي فوراً) (٥٨) . إن هذه الحادثة تؤكد لنا استحالة دخول عناصر مسلمة إلى الانكشارية ولكن السلطان مراد الثالث هدم بفرمان ماصنعه أباؤه وأجداده ، فقد فتح باب الإنتساب إلى الإنكشارية على مصراعيه ، وأصدر فرمانا وفتوى دينية تخول الصدر الأعظم قيادة الانكشارية بدلاً عنه ، ودفع تلك العناصر المقاتلة لممارسة الألعاب البهلوانية ، وتغاضى عن ممارستها للتجارة وكيف يمكن للجندي أن يكون مقاتلاً وتاجراً بآن واحد فالقتال رجولة وعنفوان والتجارة تخنث وتذلل وشتان مابين المهنتين ، (٥٩) ولهذا فإن تاريخ الإنكشارية يقسم إلى مرحلتين أساسيتين .

□□ المرحلة الاولى :ـ

تبدأ من عثمان بك وحتى مراد الثالث ، وقد بلغ أعداد الإنكشارية خلال هذه الفترة (٤٨٦٨٨) إنكشارياً وعرفت هذه المرحلة بمرحلة النظام والانضباط العسكري ، وحققت الدولة خلالها انتصارات باهرة على كافة الجبهات وإن توسعاتها شرقا وغربا تمت في تلك المرحلة ، وسطع نجم الإنكشارية كقوة ضاربة فخافها الأعداء والأصدقاء على حد سواء وتدافع ملوك أوربا لخطب ود الدولة العثمانية .

□□ المرحلة الثانية :ـ

وتبدأ منذ تولى مراد الثالث السلطنة وتستمر حتى القضاء على الإنكشارية سنة ١٨٢٦م. وبلغت أعداد الإنكشارية بكافة أوجاقاتها أكثر من نصف مليون جندي وهذه المرحلة عرفت بمرحلة الفوضى والفساد والهزائم ، وعلى الرغم من أن الدولة العثمانية ظلت محافظة على ممتلكاتها ، إلا أن الإنكشارية كانت في موقع المدافع ، وبدأ التدخل الأوربي يأكل أطراف ممالك الدولة العثمانية ، وتجلى رد السلطان العثماني على ذلك باحتجاج افلاطوني ، ولو أن السلطان أراد أن يعد الإنكشارية للرد على التدخل الأوربي فهو يحتاج إلى زمن طويل لإقناع الإنكشارية بذلك هذا من جهة ومن جهة أخرى فهو بحاجة لجمعها من الأسواق لإن الإنكشارية سائحة في الأسواق تمارس أعمال البيع والشراء وحتى العزب منها (غير المتزوج) مستقر في غرفة ويتقاضى راتب المتزوج ، إلى هذا الحد بلغ فساد الإنكشارية وإخلالها بالقوانين وتجاهلها لقادتها ورؤوسائها . (٦٠) .

وقد نتج عن هذه الفوضى التي حلت في صفوف الإنكشارية إلى المجاهرة بالرشوة علناً وخاصة لدى تولي شخص السلطنة أو تعيين صدر أعظم ، وكل من يتولى منصباً عليه تقديم رشوة للجند إذا كان راغبا في الاستمرار في منصبه وضمان حياته ، وغدا متوسط راتب الإنكشاري ثلاثة آلاف أقجة ، وراتب السباهي عشرة آلاف وراتب الغلمان الأعاجم اثنا عشر ألف أقجة وراتب كل من المدرع والمدفعجي عشرة آلاف أقجة عدا عن البخشيش والهدايا التي يحصلون عليها في المناسبات فخلت الخزينة العامرة من الأموال ، ولم يكن أمام السلطان من وسيلة سوى فرض الضرائب وبيع المناصب ، فحملت الولايات أكثر من طاقاتها ، ونشبت الثورات في كل مكان ولم يكن إنكشاريو الولايات المتحدة أقل شأناً من زملائهم المتواجدين في المركز ، فثاروا قبل الأهالي مطالبين بالترفيع وزيادة الرواتب فاستجابت الدولة لهم ، ولجأت الدولة إلى خلط العملة لتلبية مطالب الجند الثائرة وأنتهت المقولة القائلة (أن اربعين جندياً منهم كانوا يافدون بشعرة) (٦١) .

ولا تخلو هذه الفترة من قيام بعض السلاطين

بعض المحاولات الجادة بهدف إعادة الانضباط والنظام إلى الإنكشارية وكانت نتيجة ذلك فقدانهم لحياتهم ، وإذا كان السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ ـ ١٨٣٩م) قد نجح سنة ١٨٢٦م في توجيه المدفعية عليهم ليلاً وأبادهم في ثكناتها ، فالفضل يعود إلى جديته في التخلص من العبء الثقيل الذي تركه له أباؤه وأجداده ، ووقف الأهالي إلى جانبه ، كما انه استكبر المقولة التي شاعت في أصقاع الدنيا (إن واجب أمراء عثمان أن يمروا تحت سيوف الجند قبل أن يتسلموا العرش) (٦٢) . وإذا كان بنو عثمان قد تخلصوا من سيوف الجند، فهلا أصلحوا ادارتهم ، وأغلقوا قصورهم التي تعج بالمفاسد وسعوا مخلصين لحماية المناطق الإسلامية التي رحبت بهم .

إن الإنكشارية بمختلف أوجاقاتها كانت أداة طيعة تستجيب للأوامر المعطاة اليها ، ولم تظهر تخاذلاً في أي معركة من المعارك التي خاضتها ، فالتخاذل بدأ أولاً من قادتها التي عهدت أمر قيادتها إلى اشخاص ليسوا أهلاً لتحمل المسئولية الملقاة على عاتقهم ، علاوة على هذا ، فإن تلك القادة كانوا من جنسيات وقوميات متعددة غير متجانسة فيما بينها ، وفي نفس الوقت غرباء بل في الأصل من أشد الأعداء كرها للأتراك ، ودليلنا على ذلك ماجاء على لسان كبار مؤرخي الدولة العثمانية إسماعيل أوزون تشارشلي في كتابه المشهور **(تشكيلات القصر في الدولة العثمانية)** وما ذكره محمد جميل بيهم في كتابه فلسفة التاريخ العثماني حيث يذكر (واتيحت لنا معرفة أسماء الصدور العظام منذ تأسيس السلطنة إلى مطلع القرن الرابع عشر للهجرة ، وبعد التدقيق في أصول كل منهم أدركنا النتيجة التالية : (٦٣) .

٩٢ واحداً نشؤوا بين الترك في مكدونيا ، وكثيرون منهم مشكوك في أصولهم وغلبت عليهم التركية .
٢ عرب أحدهما عباسي أسر والده في تبريز والثاني حلبي .
١٠ وزراء عظام كرج .
٣ جراكسة (شراكسة)
٨ من ولاية البوسنة وهي الآن تابعة ليوغسلافيا .
٦ من كرواسيا من بلاد المجر
٤ من المورة في بلاد اليونان
٢ من ولاية الهرسك وهي الآن تابعة ليوغسلافيا
١٨ من البانيا .
٨ من أوربا
٤٢ لم نستطع الجزم في أصولهم .

هذا وقد علق فيكتور بيرار على تغلب الأجانب على المناصب في السلطنة بما يلي : (رحبت السلطنة بالأجانب منذ ثلاثمائة سنة كمدربين ، وما كانت تتطلب منهم إلا إعتناق الإسلام ، وما أن يتعمم أولئك النمساويون او البندقيون أو الفرنسيون أو الالمان او البولونيون حتى كانت السلطنة تمنحهم تمام الثقة ، وتقبل نصائحهم وأوامرهم ، وكم من هؤلاء أنيطت بهم قيادة الجيوش ، وإمارة الأساطيل والشؤون السياسية الدولة وذلك في القرنين السابع والثامن عشر للميلاد (٦٤) . . من هنا بدأت عوامل الضعف والانحلال تدب في كيان الدولة العثمانية وقد شمل هذا الانحلال مختلف إداراتها ومؤسساتها والإنكشارية واحدة من المؤسسات التي شملها الفساد والانحلال وتخلت تدريجيا عن مهمتها الأساسية وهي الالتزام بالقوانين والمواظبة على التدريب وصيانة الحدود وضبط الأمن والاستقرار في مختلف أرجاء الإمبراطورية وبدلاً من ذلك تبنت الفوضى واتبعت السلب والنهب شريعة لها ، فخافها الأهالي وتجنب السلاطين شرورها وفسادها ، وأستمر الأمر إلى أن غدت عبئا ثقيلا على كاهل اولى الأمر فتخلصوا منها سنة ١٨٢٦م ، لا لايجاد بديل أفضل منها ، وقنعوا بالبقعة التي خرجوا منها فغدا توسعهم شرقا وغربا اشبه بالمد والجزر دون أن يترك أي أثار إيجابية تستحق الوقوف عندها .

□□ الحواشي والهوامش :-

١ - محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، الكتاب الثاني ١٩٥٤م مقدمة ص١

٢ - محمد محمود السروجي ، معالم التاريخ الأوربي الحديث الاسكندرية ، مطبعة المصري ص ١٥ .

٣ - الإنكشارية : ولفظها الصحيح بني تشاري ، وتعني الجندي الجديد ، أسم اطلق على فرق المشاة النظاميين ، التي أسست في القرن الرابع عشر ، وقد قسمت إلى عدة فرق ، وصاحب هذه الفكرة جندرلي قرة خليل ، فقد اقترح على أورخان بك إقامة جيش من أبناء النصارى والأسرى مع الفتيان الذين لا آباء لهم ، والقصد من ذلك إنقاذ الدولة الفتية من جنود الأجرة التي كانت ترتبط بالولاء لعشائرها ، وإستنادا إلى الروايات التركية أن أورخان بك طلب من الحاج بكطاش رئيس الطريقة البكطاشية الذي كان يستقر في منطقة ماسيا أن يسمى له قواته العسكرية الجديدة فرفع الشيخ يده وألقى كم جبته على رأس أحدهم وقال (ليكن اسمهم بني تشاري (الجيش الجديد) وليبق وجههم مشرقا ، وساعدهم قوياً ، وسيفهم قاطعاً ورمحهم نافذاً ، وليعودوا دائما محفوفين بالنصر) . للمزيد أنظر

Mdhat sert oglu Resimli Osmanli Tarihi s.341. ve (and) Mehmet Zeki Pakalin, Tarih Deyimleri ve Terimleri.

Sozlugu c.3 s.624-628. ve (and) ismail Hakki uzuncrsili, Osmanli Devletinin Saray Teskilati s.17,1865,78n,83,89.

ومحمد جميل بيهم ص ١٢٥ .

٤ - الأوردى الهمايوني : وتعنى الجيش السلطاني أما كلمة (همايون) فهي مؤلفة من مقطعين (هما) الديار المنطقة . و(يون) المبارك السعيد . وكلمة همايون فارسية الأصل للمزيد أنظر:

Mehmet Zeki Pakalin , c.1 s.142.

٥ - الايالات : مفردها إيالة وهو إصطلاح إداري ، وقد اعتمد العثمانيون هذا التقسيم الاداري حتى فترة التنظيمات الخيرية التي أصدرها السلطان عبدالمجيد سنة ١٨٣٩م فاستبدلت بولاية . وليس هناك أي فرق بينهما.

٦ - الأوجاق : ومعناه . كانون . منقل ، موقد . مدخنة ، ملجأ

٧ - يولداش : ومعناها الرفاق ، وهي مؤلفة من مقطعين : يول (الطريق) و(داش) رفيق .

وقد أطلق على الجنود ذات الاختصاص الواحد .

٨ - عجمي أوغلانلر : وتعني أولاد العجم ، وهم الشبان الذين جمعوا بموجب نظام الدفشرمة ، وقد تلقوا تربيتهم في القصور العثمانية وفي العقد الأخير من القرن الرابع عشر عرفوا باسم غلمان القصر ، وكانت مدة تدريبهم سبع سنوات وبعد تخرجهم يوزعون على الأوجاقات الإنكشارية وقد قسم عجمي اوغلانلر الى ٥٩ أورطة

Mdhat Sertoglu , Resimli Tarihi. s.3-4

٩ - الدفشرمة : وتعني الجمع ، القطف ، وقد أتخذ العثمانيون هذا الإجراء بصورة جدية وطبقوه بعد هزيمتهم في معركة أنقرة سنة ١٤٠٢م ، وكان هذا النظام ينص على جمع أولاد المسيحيين فقط ، وكانت اللجنة المكلفة بذلك ، تقوم بجمع الشبان من ٣ - ٥ مرات في السنة الواحدة ، أما الأعداد المطلوبة جمعها ، فيحددها التقرير المعد من قبل آغا الإنكشارية ومعظم المصادر العربية تكتبها الدوشرمة ، وهذا خطأ فهي تكتب بالفاء وليس بالواو أنظر:-

ismail Hakki uzunearsili. c.Z. s.520.

١٠ - يايا : المشاة . وهو أول جيش أعتمد عليه العثمانيون في حروبهم وكانت عناصرة مؤلفة من أبناء الأسرى واليتامى المسيحيين وكان يعرف بجيش الأجرة حيث يتقضى الفرد أثناء الحرب أقجتين يومياً ، وبعد انتهاء الحرب يعود لممارسة الأعمال الزراعية ، وبعد تأسيس الأوجاق الإنكشارية وزع على الولايات باسم بيادة أي المشاة ، وأقتصر عملهم على إقامة الجسور وبناء القلاع والمحافظة عليها للمزيد أنظر:

Midhat Sertoglu. s. 339.

١١ - السلطان مراد خان : وهو أول سلاطين بني عثمان تلقب بخداوندكار وتعني السلطان ، الآمر ، وظل خلفاؤه يستخدمون هذا اللقب إضافة إلى لقب شاه شاهنشاه ، غازي ، بادي شاه ، ثم استخدموا لقب خليفة المسلمين وأمير المؤمنين وبخاصة فترة السلطان عبدالحميد الثاني .

١٢ - أقجة : ومعناها التبيض ، وهي أول عملة استخدمها العثمانيون ، ضربت في بورصة سنة ١٣٢٧ في عهد أورخان بك ، وكان وزنها ١٦ر١ درهم من الذهب الا اوزانها تغيرت من عهد سلطان إلى آخر وخلطت بالمعادن الأخرى وفي عهد سليمان القانون أصبح الدرهم الواحد من الفضة يساوي خمس أقجات ثم أستمرت في الانخفاض إلى أن أصبح درهم واحد يساوي عشرين أقجة ، ثم الفيت واستخدم الفلوري (عملة فلورنسية) كما استخدم القرش للمزيد انظر :-

Midhat Sertoglu. s.9-10.

١٣ - المسلم : وهو لقب أطلق على قسم من التشكيلات العسكرية العثمانية الأولى وقد جمعت من مسلمي الروميلي والأناضول ، وأثناء الحرب كان يدفع له أجر يومي وفي أوقات السلم يعود لممارسة الأعمال الزراعية في المزارع وكان يخصص

للمزرعة الواحدة خمسة عناصر ، وكانت الأورطة ١٩٨ وكانت مهمتها العسكرية تطهير الممرات الجبلية والمناطق الوعرة أثناء الحرب ، وبعد تأسيس الأوجاق الإنكشارية وزعت على حدود الولايات ، وعهد اليها استثمار الأراضي الواقعة على تخوم الدولة للمزيد أنظر:-

Midhat Sertoglu. s.219.

يوسف نعيسة ومحمود عامر التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية دمشق ١٩٨٨م ص ٥٢ ومحمد جميل بيهم ص ١٢٦ .

١٤ - أقرت الدولة العثمانية نظام الاقطاع الأراضي بغية ربط الجندي بالارض ، وكان هذا الاقطاع وقفا على نوعين من الجيش : السباهية (الفرسان) الذي شكل الدعامة الأساسية للدولة العثمانية وقد قسمت الأرض الى ثلاثة اقسام : التيمار وهو ماكان دخلة من أقجة الى عشرية الف أقجة، ويخصص هذا النوع للجنود ، الزعامت وهو ماكان دخله من أقجة حتى ٩٩٫٩٩٩ الف أقجة ويمنح لضباط السباهية ، أما الملك الخاص نهو ماتجاوز اكثر من مئة الف أقجة ويمنح لأبناء السلاطين : أنظر محمود عامر : نظام الإقطاع في الدولة العثمانية . مجلة كلية الاداب - صنعاء ، العدد الثامن لسنة ١٩٨٨م ص ١٥١ - ١٧٣ .

١٥ - إسماعيل حقي أوزون تشارشلي ، التاريخ العثماني ، أنقرة ١٩٧٥م مجلد ١ ص ٥٠٧

١٦ - المصدر السابق ص ٥٠٨

١٧ - المصدر السابق ص ٥٠٨

١٨ - المصدر السابق ص ٥١٤ .

١٩ - فؤاد كوبرولو (الادبيات التركية للمتصوفين الأوائل) استانبول حاشية ٥٦

٢٠ - إسماعيل أوزون تشارشلي ص ٥١٠ - ٥١١

٢١ - المصدر السابق ص ٥١١ - ٥١٥ .

٢٢ - المصدر السابق ٥١٥

٢٣ - تاريخ عاشق باشازادة ص ٢٠٤ - ٢٠٦

٢٤ - قابي قول (عبيد الباب) وهي تشكيلات عسكرية مؤلفة من عناصر (اليايا) و(المسلم) وهي العناصر العسكرية التي كانت تتلقى أجر لقاء اشتراكها في الحرب ، وقبل ذلك كان يطلق عليهم (المقر العالي للعبيد) وهم يقسمون الى قسمين:

القسم الاول : قابي قول سباهي (عبيد الباب الفرسان) وكان بلوكهم يتميز عن غيره من التشكيلات الأخرى بعلمهم الأحمر وقبعتهم الحمراء وكانت مهمتهم أثناء الحرب الوقوف إلى يسار السلطان لحمايته ورئيسهم يسمى (أغا السباهية) .

القسم الثاني : قابي قول سواري (عبيد الباب الخيالة) وقد أطلق هذا التعبير على العساكر المكلفين بحراسة خزينة الدولة ونقل الرواتب والتعينات للعساكر ، وكانوا سابقا يسمون (المسلم) وقد أسس أوجاقهم بناء على توجيه تيمور طاش فعمل مراد الأول على تنفيذ الوصية . وسماهم : علوفجة اليسار (رواتب اليسار) وعلوفجة اليمين (رواتب اليمين) أو جماعة رواتب اليسار وجماعة رواتب اليمين.

وكانوا يقسمون الى أربع بلوكات ومهمتهم في الحرب الوقوف على يمين السلطان وكان لهم علم أخضر وقبعة حمراء ، وقد تلقت هذه العناصر تعليمها في بورصة ونقلوا الى استانبول في سراي ابراهيم باشا وغلطه سراي (غلطة اسم مكان في استانبول) وإقامتهم الدائمة في ثكنة اندرون ولهذا لقبوا ب (خريجي اندرون) للمزيد انظر:-

Midhat Sertoglu. s.166 ve zeki Pakalin. c.z.s.173.

٢٥ - أوضة : ومعناها ثكنة أي مكان إقامة الإنكشارية وكانت التشكيلات العسكرية العثمانية تقيم في نوعين من الثكنات .

١ - أسكى اوضه (الثكنة القديمة) وكان يقيم بها تسع وعشرون أورطة عسكرية وكانت تتألف من سبعة وأربعين مهجعاً وخمسة وخمسين مخدعاً خشبياً وثلاث وعشرين خيمة وستة وعشرين أصطبلاً وزاوية (تكية) .

٢ - يني أوضة (الثكنة الجديدة) وكان يقيم بها مئة وأربعون أورطة ، وكانت تتألف من ثلاثمائة وثمانية وستين مهجعا ومئة وثلاثين مخدعاً خشبياً وتسعين غرفة تدريس وعشرين قصراً (فيلا) وأربع زوايا ومائة وثمانية وخمسين اصطبلا . للمزيد أنظر:-

Mehmet Zeki Pakalin C. 3.s. 631.

أما الأورطة فمعناها (فرقة عسكرية) وكان تعدادها بادىء الأمر من ١٠٠ - ٥٠٠ عنصر ثم أصبحت تضم ٣٠٠٠ عنصر (جندي) وهذه الفرقة تقيم في أوضة (ثكنات) أما في حالة الحرب تأوي الى نصب خيام مستديرة الشكل ولكل فرقة علامتها وشارتها وعلمها وقد قسمت التشكيلات العسكرية العثمانية الى ١٩٦ أورطة وكانت الجماعة الواحدة تشمل ١٠١ أورطة والبلوك يشمل ٦١ أورطة للمزيد :-

Mehmet Zeki Pakalin C.2.s.735.ve Midhat Sertoglu. s.224.

٢٦ - تاريخ جودت استانبول ١٣٢٤هـ جلد ١٢ ص ٢٠٨

٢٧ - اسماعيل أوزون تشارشلي جلد ١ ص ٥١٤ .

٢٨ - الضبطية : الشرطة وفيما بعد عرفت باسم جندرمة . وهي القوات التي تحافظ على الأمن ضمن المدن .

٢٩ - آغا : ومعناه الحقيقي الآخ الاكبر ، أما في اللهجة العثمانية فمعناها الرئيس او الشيخ أو السيد ، ومع إقامة التشكيلات الإنكشارية غدا هذا اللقب يمنح إلى صغار ضباط الإنكشارية مثل يوزباشي (رئيس المئة) وهو ما يعادل رتبة نقيب وكان ركاب السلطان يشمل ستة آغوات منهم بستانجي باشي ورئيس الاصطبلات ورئيس الحجاب الخ وكان آغوات القصر يقسمون إلى قسمين : قره أغالر (الأغوات السود) وآق آغالر (الأغوات البيض) ولكن الأغوات البيض لم يكن لهم أي دور ولا أي وجود في القصر ، لأن السلاطين لم يستخدمونهم فعلا ، لأن هؤلاء الأغوات السود وكانت مهمتهم الاشراف على نساء السلطان والمعروف باسم الحرملك ، وكان رئيسهم يسمى آغا الكزلار

(آغا البنات) وللدور الذي لعبه في حياة القصر خاصة وسياسة الدولة عامة كان يلقب صاحب السعادة وهو يأتي في الأهمية بعد الصدر الأعظم وشيخ الإسلام أما آغا الإنكشارية فهو القائد أعلى للجيش وكان له الاسبقية على جميع الضباط وعلى الوزراء اما كلمة آغا فقد كانت تطلق على أميرات البيت في العهد المغولي ثم أطلق هذا اللقب على مالك الأرض وعلى رئيس السوق (آغا السوق) وعلى شيخ القرية (كوى آغاس) ثم أصبح يطلق على عامة الناس كذلك فقد منح هذا أو استخدم كرتبة عسكرية للولاة الذين يعينون على الولايات التي بمثابة صنجق للمزيد أنظر:-

دائرة المعارف الاسلامية النسخة العربية المجلد الثالث ص ٥٥٤ - ٥٦٠ تاريخ عطاء ص ٧ و ٣٠ و٧٢

دائرة المعارف التركية جلد ١ ص ٥٦ - ٥٧

Mehmet zeki Pakalin. c.1.21

Midhat sertoglu. s.5

٣٠ - اسماعيل أوزون تشارشلي ص ٥٨ - ٦٠

٣١ - المصدر السابق ص ٥٩ ، أما إسم استانبول فقد أشتق من كلمتين هما : اسلام بول (المسلمون كثير فيها) وظلت ترد في المصادر التركية إسلامبول ولا تزال بعض المصادر العربية تكتبها هكذا وهو الأصح ، ثم أضيفت لها عدة أسماء مثل : الأستانة ، دار السعادة الخ .

٣٢ - البكطاشية : ومعناها الدقيق صوفي ، درويش ، مهلهل وهي تكتب بالطاء وليس بالتاء كما تكتبها بعض المصادر وتنسب هذه الطريقة الى ولي كان يسكن في اماسيا في منطقة صولوجة واسمه الحاج بكطاش ، ويقال انه ولد في نيسابور ، ثم أنتقل الى آماسيا وهناك تتلمذ على يده عدد من الطلبة وأصبح له مريدين وقوى نفوذه وشاع صيته ، ويقال أن أورخان عندما بحث أمر قواته العسكرية ذهب اليه وتوسل له أن يسمى عساكره فسماها (يني تشاري) أي العسكر الجديد ، في حين يذكر إسماعيل حقي في كتابه التاريخ العثماني أنها اسطورة لأن الحجي بكطاش لم يكن على قيد الحياة ، وقد عمد إلى خلق هذه الأسطورة بعض افراد الأسرة الحاكمة بقصد اسباغ الصبغة الدينية على قواتها العسكرية للمزيد:

ismail Hakki uzuncarsili.c.1.s.507-515.

دائرة المعارف الإسلامية المجلد السابع ص ٤٦٦ - ٤٧٠ .

٣٣ - ismail Hakki uzuncarsili.c.1.s.515.

٣٤ - Midhat sertoglu. s.339

٣٥ - المصدر السابق ص ٣٣٩.

٣٦ - Mehmet zeki Pakalin c. 3. 618-620

٣٧ - التعريف باللجنة ومهمة كل منهم:

أ - أمين الدفشرمة : يطلق هذا التعبير على الشخص الذي يعمل في القصر وتكون مهمته الرئيسية الاهتمام بأمور الدفشرمة ، ويرافق اللجنة المكلفة بالجمع ، وهو الذي يحمل الفرمان القاضي بجمع الشبان وفيما بعد أطلق عليه آغا الدفشرمة.

ب - مأمور الدفشرمة مهمته الرئيسية جمع الشبان ، وقد أوجد هذا المنصب بعدما منع أمير الصنجق والقضاء من الاستمرار في مهمة الدفشرمة وذلك في النصف الأول من القرن السادس عشر ، وهو عضو في اللجنة ومسؤول عن آغا الإنكشارية والتأكد من سلامة تنفيذ الفرمان .

ج - سكبان باشي : ومعناها (رئيس مربي الكلاب) وكلمة سكبان فارسية الأصل مكونة من مقطعين (سك) وتعني الكلب و(بان) وتعني صاحب أو حامي ، ولقد أطلقت هذه التسمية في الأصل على الفرقة العسكرية التي كانت ترافق السلطان للصيد. وهو يعتبر من كبار ضباط الإنكشارية وقد شكلت أوجاق خاصة بالسكبان مستقلة عن الإنكشارية بادىء الأمر ، وكان راتبه ثمانين أقجة وفيما بعد أصبح ٣٠٠ ثم ٣٠٠٠ أقجة كما عهد إليه تسلم منصب رئيس التشريفات السلطانية ، وهو دوماً يقف الى يمين آغا الإنكشارية .

د - صولاق باشي : كلمة صولاق ومعناها الأعسر (من يعمل بيساره) والصولاقية هي إحدى أوجاقات الإنكشارية ، وتمثل بين أورطات الإنكشارية : الاورطة (الفرقة) رقم ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢، والاورطة ٦٣ والرئيس الأعلى يطلق عليه ، صولاق باشيء (رئيس الصولاقية) وهذه الفرق قسم منها يقف على يسار السلطان أي الأورطة ٦٢ ، ٦٣ أما الأورطة ٦٠، ٦١ فتقف على يمينه وصولاق باشي والكتخدا (الوكيل المعتمد الأمين) يسيران على يسار السلطان أثناء سيره ، كما إن صولاق باشي يشارك في الركان الهمايوني ومن مميزاته إنه صاحب حديث حلو وجذاب (أحيانا كثيرة يمثل دور المهرج للسلطان).

ومجرب ، وتحركاته سرية ، وشديد الحيطة والحذر ولا يبدل وأنها يعزل في حال ارتكابه خطأ يزعج السلطان ، لأنه يلازم السلطان كظله ، ولا يفارقه إلا عندما يتوجه السلطان إلى الحرملك ، وقد الغى هذا الأوجاق بعد القضاء على الانكشارية بسنتين أي سنة ١٨٢٨م .

ذ - زغارجي باشي : وهو رئيس حفظة الكلاب ، ويترأس الاورطة ٦٤ من أوجاقات الإنكشارية ويعتبر رئيس هذا الاورطة من كبار ضباط الانكشارية ويأتي في المرتبة الثانية بعد الكتخدا (الوكيل) وهذا الأوجاق قسم منها خيالة ونسبتهم قليلة بالنسبة للمشاة ولم يتجاوز عدد الخيالة في هذا الأوجاق عن خمسة وثلاثين عنصرا والقسم الآخر مشاة وهم أكثر عدداً وأعدادهم تتراوح مابين ثلاثمائة وخمسين إلى ثلاثمائة وتسعين عنصرا ومهمة هذا الأوجاق مرافقة السلطان أثناء الصيد ويبلغ عدد ضباط هذا الأوجاق اربعة وثلاثين ضابطا وأثناء الصيد يمسك كل ضابط بيده كلبا وباليد الاخر خيزرانه رفيعة مزينة من أعلاها ، وإذا نال زغارجي باشي رضا السلطان يرفع إلى كتخدا وقد قدمت هذه الأورطة خدمات جلى في معظم الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية .

ر ـ سكسونجي باشي : ومعناها كلب الحرب وهو رئيس الأورطة الحادية والسبعين في أورطات الإنكشارية وسكسونجي باشي يأتي في المرتبة الثالثة بعد الكتخدار وزعارجي باشي ومهمة هذه الأورطة حراسة دار صناعة المدافع والمصياف أو المراعي ، وقسم من هذه الأورطة مهمتهم تعليم السلطان الصيد ، وفي منتصف القرن السادس عشر ضمت هذه الأورطة إلى ملاك بوستانجي باشي .

ز ـ طورنجي باشي : جاءت التسمية نسبة الى طائر (كوكي) ومهمته هذه الأورطة تأمين الطيور الطازجة للسلطان وسابقا كان يطلق على هذه الجماعة جماعة الصيادين وهم يمثلون الأورطة (٦٨) من أوجاق الانكشارية وفوق مهمة الصيد فهم يقومون بجمع شبان الدفشرمة .

خصكي باشي : كلمة خصكي مؤلفة من مقطعين : خاص وأسكي (القديم الخاص) أي أمناء سر السلطان وهو يعتبر من موظفي السلطان الخصوصيين وكاتم أسراره وكل عمل خاص سواء في الداخل والخارج وسري يسنده السلطان اليه .

ومهمة هذه الأورطة استلام الجواري وتربيتهم وتعليمهم وانتقاء الجميلات منهن لمنادمة السلطان ، وأثناء تحرك السلطان إلى الصيد ترافقه أورطة من الأورطات الأربع وهي (١٤، ٤٩، ٦٦، ٦٧) في أوجاقات الانكشارية أما اثناء توجهه الى الجامع فيرافقه شخصان عن يمينه وشخصان عن يساره ويبلغ عدد أفراد هذه الأورطات الأربع أربعة آلاف عنصر ، واذا نال خصكي باشي رضا السلطان يرفع الى رتبة طورنجي وعلى الرغم من استلامه لهذه المناصب الحساسة فهو يعتبر من أصغر ضباط الإنكشارية .

دوه جي : ومعناها المسؤول عن الجمّال ، وهذه الأورطات تأتي في مقدمة أورطات الإنكشارية ومن الأورطات التي قدمت خدمات عظيمة للدولة .

يايا باشي : وهو رئيس المشاه :ـ

Ismail Hakki uzun Carsili, Osmanli devletinin Saray

38- Teskilati, Ankara 1945. s. 297-306.

٣٩ ـ المصدر السابق .

٤٠ ـ Mehmet zeki Pakalin .c.3.s. 300

٤١ ـ المصدر السابق ج ١ ص ٧ ـ ٩

٤٢ ـ المصدر السابق ج ١ ص ١٣ ـ ١٤

٤٤ ـ المصدر السابق ج ١ ص ١٣ ـ ١٤

٤٥ ـ دائرة : وهو اصطلاح عثماني وهو عبارة عن بناء كبير يتألف من عدة أقسام وكل قسم يتألف من عدة حجرات كبيرة ومتوسطة وفي هذه الدائرة قسم للحرم وقسم للسلام والتشريفات وقسم يسكن به رئيس الدائرة مع عائلته ويخصص لهذه الدائرة موظفون يعملون على الإشراف عليه وتأمين كافة احتياجاتها وتسمى الدائرة باسم كبير موظفيها للمزيد أنظر :ـ

zeki Pakalin .c.1. s.389.

46-zeki Pakalin .c.1. s.17

٤٧ ـ بلوك : قسم ويشتمل الى ٦١ أورطة .

٤٨ ـ Zeki Pakalin .c.1. s.18-19.

٤٩ ـ الركاب الهمايوني : ويطلق هذا المصطلح على الاشخاص الذين يتهمون بمساعدة السلطان على ركوب الخيل والنزول عنها، وهو قسم خاص يشمل عدة موظفين منهم آغا الركاب الهمايوني ودفتر الركاب الهمايوني أما مأمور الركاب فيهتم بالصدر الأعظم ويتبع له قائمقام الركاب .

للمزيد أنظر:ـ

Midhat Sertoglu. s. 269.

٥٠ ـ تاريخ نعيما استانبول ١٣٢٤هـ جلد ٤ . ص ٣٥٦ ، كانت علامة العصيان لدى الإنكشارية قلب القدر رأسا على عقب .

٥١ ـ رسالة علي افندي ورقة ٤١ .

52-Midhat Sertoglu.. 245-246.

٥٣ ـ يوسف نعيسة ومحمود عامر التشكيلات والأزياء العثمانية ص ٦١ ـ ٦٣

٥٤ ـ محمد جميل بهيم ص ٦٥ ـ ٧١

٥٥ ـ قوجي بك ، لائحته ورقة ٥٧

٥٦ ـ اسماعيل أوزون تشارشلي (تشكيلات القصر العثماني ص ٣٨٢ ـ ٣٨٤ ومحمد جيل بهيم فلسفة التاريخ العثماني ج ٢ ص ٢٧ .

٥٧ ـ لائحة قوجي بك ورقة ٥٧ .

٥٨ ـ Mehmet Zeki Pakalin .c. 3.s. 620-623.

59-Ismail Hakki csaray Teskilati. s. 146- 155.

محمد جيل ص ٤٣ ـ ٤٤

٦٠ ـ Mehmet Zeki Pakalin .c. 3.s. 620-628.

٦١ ـ محمد جميل بهيم ص ١٢٩

٦٢ ـ المصدر السابق ص ١٣٣

٦٣ ـ المصدر السابق ص ٣٩ ـ ٤٠

٦٤ ـ المصدر السابق ص ٤٠

الهيئات الشعبية اليمنية

وأثرها في الثقافة والتحولات السياسية

الحلقة الرابعة

علوي عبدالله طاهر

جامعة عدن - كلية التربية

كانت بعض الجمعيات والنوادي الاهلية قد حثت بعض القادرين من التجار اليمنيين على ضرورة تعليم ابنائهم في الخارج بعد ان استكملوا المراحل الدراسية في المدارس الموجودة في الوطن كما سعت بعض الهيئات الشعبية لدى بعض الدول العربية للحصول على منح دراسية لارسال بعض الطلاب لاستكمال دراساتهم هناك كما ضغط على الحكومات المحلية واجبرت على ارسال بعض الطلاب للدراسة في الخارج . .

وبفعل ضغوط الهيئات الشعبية ارسلت الحكومة اليمنية الى لبنان حوالي اربعين طالبا ليطلبوا العلم والدراسة في مدارسها فكان جزء منهم في (صيدا) والجزء الاخر في (طرابلس) غير ان الحكومة اليمنية مالبثت ان نقلتهم من لبنان الى مصر بحجة انهم سيتعلمون الشيوعية هناك او لابعادهم عن الفضيل الورتلاني عندما علمت بوصوله اليها (١٥) خوفا من ان يؤثر فيهم . .

وفي مصر نقلتهم من مدينة القاهرة الى بني سويف ومنها الى حلوان ثم الى طنطا ، وكانت في كل عملية نقل تبقي على عدد منهم في المكان الذي هم فيه ، والغرض من هذه التنقلات هو تشتيت الطلاب والحيلولة دون قيام اي تجمع طلابي يقف الى جوار المعارضة في مواجهة السلطة الحاكمة . .

ورغم ما بذلته الحكومة اليمنية من محاولات لتفريق الطلاب وتوزيعهم على عدد من البلدان والمدن الا انهم مع ذلك كانوا يلتقون ويزداد عددهم باستمرار فكانت مصر تضم اكبر عدد من الطلاب اليمنيين الذين قدموا اليها هاربين من اليمن وفي مصر التقى الطلبة المبعوثون للدراسة فيها ببعضهم بعضا ، وتبادلوا الاراء حول كثير من القضايا التي تهمهم ، وبحثوا في تطورات الاحداث في الوطن ، وناقشوا مشكلاتهم المختلفة . .

وفي مصر ايضا تعرف الطلبة على بعض رجال الفكر والثقافة والادب وجاوروهم واستفادوا منهم ، كما التقوا ببعض الزعماء السياسيين وقادة الاحزاب والتنظيمات السياسية ، واجتمعوا باللاجئين السياسيين الذين لجؤوا الى مصر من الاقطار العربية المختلفة ، فتعرفوا على ارائهم وافكارهم السياسية كما التقوا بزعماء حركة الاحرار اليمنيين والمثقفين السياسيين من شطري الوطن اليمني فتهيأت الظروف لقيام الروابط الطلابية والتشكيلات السياسية . .

وكان الاتحاد اليمني قد افتتح مكتبا له في القاهرة وحاول ان يجمع الطلبة ويلم شعثهم ويوجههم الى الاهتمام بقضايا وطنهم وربطهم بهموم الوطن ومشاكله وصار الطلبة يتفاعلون مع مشكلات بلادهم ، وكانوا يلتقون بالمسئولين في الحكومة اليمنية الذين يزورون القاهرة او يمرون بها ، ويناقشونهم في القضايا اليمنية المختلفة ، ويطالبونهم في الوقت نفسه العمل على ادخال بعض الاصلاحات الضرورية في السلطة وازالة الفساد ورفع المظالم عن الناس ،، . . الخ . . ومن

المطالب التي طرحها الطلبة على الامير الحسن عند زيارته لمصر عام ١٩٥٢م ما يلي (١٦) . .

١ ـ الحذر وعدم المخاطرة بتوقيع اتفاقيات مع الدول الاستعمارية تؤدي في النهاية الى السيطرة على البلاد ، في وقت يخوض فيه العالم العربي كله معارك للخلاص من النفوذ الاجنبي ،

٢ ـ الاستعانة بالحكومات والشركات والخبرات العربية لاصلاح ادارة الحكم في اليمن وتكوين جهاز اداري سليم والنهوض بالتعليم واصلاح الجيش والرقي باقتصاد البلاد . .

٣ ـ الافراج عن المعتقلين الذين قضوا اكثر من سبع سنوات في سجونهم . . . الخ . .

وبدلا من ان تستجيب الحكومة اليمنية لمطالب الطلبة سعت الى زرع الفرقة فيهم وحاولت التشكيك في نوايا قياداتهم ولما عجزت عن تحقيق هذا الهدف قطعت عنهم المعونات المالية التي كانت تصرفها لهم ليصل تدخل عبد الناصر غير ان الطلبة تقاسموا لقمة العيش وتعاونوا فيما بينهم ، وفتحوا صدورهم لاستقبال الوافدين الجدد من الطلبة وساعدوهم في تدبير شئونهم واعدوهم ، لدخول المدارس فتزايد عددهم وفتحت لهم مصر ابوابها في الوقت الذي تخلت عنهم حكومتهم اليمنية . . .

ولما وجد الطلبة ان الحكومة اليمنية قد تخلت عنهم وتركتهم يتضورون جوعا ، ويتعرضون للاهانات بحثا عما يسدون به رمقهم اضطروا للاعتصام امام مقر نائب الامام في القاهرة عام ١٩٦١م واصدروا بيانا للرأي العام العربي واليمني ، طرحوا فيه مشكلاتهم التي يمكن تلخيصها بالاتي (١٧) :ـ

١ ـ عدم وجود مرتبات شهرية تؤمن حياتهم المعيشية والمدرسية . .

٢ ـ عدم وجود علاج للذين يصيبهم المرض .

٣ ـ عدم تجديد الجوازات مجانا . .

٤ ـ عدم تكفل مقر نائب الامام في مصر بالحاق الطلبة بالمدارس والجامعات المصرية . .

وقد اشترط الطلبة المعتصمون الاستجابة لمطالبهم في حل مشكلاتهم تلك ، غير ان الحكومة اليمنية رفضت الاستجابة لمطالبهم فاضطروا لتكوين لجنة طلابية من بينهم لتتولى تمثيلهم وتطالب بحقوقهم وترعى مصالحهم ، وقد اطلق على هذه اللجنة اسم «اللجنة الطلابية المنتخبة» وهي لجنة خماسية مكونة من التالية اسماؤهم :ـ

١ ـ عبد الرحمن حسن شجاع الدين .
٢ ـ سيف احمد حيدر .
٣ ـ وهيب عبد الرحيم باهذيلة
٤ ـ عبد الكريم حمود .
٥ ـ صالح النزيلي .

وكانت مهمة اللجنة الطلابية المنتخبة تقديم بعض الخدمات لزملائهم ، وحل بعض مشكلاتهم ، ومن الامور التي قامت بها فعلا ما يلي : (١٨) . .

١ ـ تنظيم شئون الطلاب المستجدين في مساكن جماعية او متقاربة حتى يخف عبء النفقات والايجارات على الافراد وتترسخ اواصر الصداقة فيما بينهم .

٢ ـ تجميع المستجدين والمتخلفين في الدراسة وتدبير تدريس تعاوني لهم في فصول ومجموعات يتلوا بعضها بعضا ، اما مجانا او تطوعا من اخوانهم الطلاب ، او باجر يسهله العون الجماعي . . ،

٣ ـ تدبير التسهيلات لهم في المعاملات الرسمية والمشكلات الدراسية . .

٤ ـ الاتصال بالشباب اليمني في الوطن العربي والمهجر من اجل توجيه المتطلعين الى السفر الى القاهرة حتى لايكون القدوم الا على بصيرة ، وبعد اعداد كاف من حيث المستوى الدراسي والامكانيات المادية ، وحتى يوضع حد لمأساة الشباب الذي يرمي بنفسه في غمار معركة لايعرف عنها شيئا ولا يحمل من اجلها اي سلاح . .

ولان هذه الخدمات تتطلب امكانيات مادية ومعنوية ، فقد رأت اللجنة ضرورة الاتصال بكل من الحكومتين اليمنية والمصرية والجامعة العربية والمهاجرين اليمنيين والتجار والهيئات الشعبية اليمنية ومناشدتها لكي تقدم العون والمساعدة للجنة ، لتتمكن من اداء مهامها . .

وعندما شعر الطلبة اليمنيون في القاهرة بفاعلية التضامن الطلابي ، واحسوا بقوة اتحادهم اهتدوا الى تأسيس رابطة طلابية لهم ، غير انهم واجهوا صعوبات كبيرة في هذا المجال منها ، رفض السلطات المصرية السماح لهم بتشكيل هذه الرابطة ومعارضة الحكومة اليمنية لاي تجمع طلابي . وفي هذا الخصوص نشرت جريدة «الحقيقة» الصادرة في عدن بتاريخ ١٩٦٢/٨/٢٢م ، الخبر التالي :-

(فشل ابناؤنا في القاهرة في تكوين رابطة لهم . . الحكومة «المتوكلية» تحاربهم . . والمسئولون في القاهرة رفضوا التصريح لهم بفتح رابطة . . الطلاب المساكين حائرون . . يسألون المسئولين في الم :-

لماذا ؟ لا يأتيهم الجواب » أ . هـ .

وناضل الطلاب اليمنيون في القاهرة ضد اساليب القمع التي مارستها الحكومة اليمنية ضد الوطنيين ، وتظاهروا في شوارع القاهرة منددين بكل الاعمال التعسفية التي تعرض لها الشعب اليمني ، والاهمال الذي لاقوه من قبل حكومتهم وعدم اكتراثها بهم . .

ومن هذه المظاهرات على سبيل المثال مظاهرة نظمت في ٢١ اغسطس ١٩٦٢م احتجاجا على تخلي الحكومة عنهم ، واعتقالها عددا من الطلاب ، داخل البلاد ، وحول هذه المظاهرة نشرت جريدة (الشعب) الصادرة في عدن بتاريخ ١٩٦٢/٨/٢٥م الخبر التالي :-

«كان يوم ٢١ الشهر الجاري «اغسطس» يوما مشهودا بالنسبة للطلبة اليمنيين في القاهرة ، فقد تجمع اكثر من ثلاثمائة طالب يمني وساروا في مظاهرة هاتفين بسقوط الرجعية في اليمن . . وقد اتجهوا نحو السفارة اليمنية التي اغلقت ابوابها واستنجدت بالبوليس» . .

وكانت مطالب الطلاب المتظاهرين ما يلي :-

١ - الافراج عن المعتقلين من الطلبة . . وغيرهم في كل من صنعاء وتعز .

٢ - ايقاف شريعة السيف التي تمارسها السلطة ضد الشعب

٣ - مسايرة النهضة العلمية (١٩) ومطالب اخرى

وقد رفع الطلبة المتظاهرون هذه المطالب في برقية ارسلوها الى السلطات اليمنية ، واصدروا ايضا بيانا توضيحيا شرحوا فيه طبيعة الموقف في اليمن ونددوا باعمال القمع اللا انسانية التي مارستها السلطة ضد الشعب وموقفها السلبي ازاءهم . .

وتوضيحا لوجهة نظر الطلبة المتظاهرين وتعريفا بدوافع المظاهرة واسبابها نعرض هنا النص الكامل للبيان الذي وزعه الطلبة على شكل منشور مطبوع بعنوان « بيان من الطلبة اليمنيين في ج . ع . م الى الرأي العام » يقول البيان : (٢٠) . .

« ماذا يجري اليوم في صنعاء والمدن اليمنية الاخرى ، وماذا يجري هناك على ارض اليمن الطبيعية . . ؟ .

ان صراعا رهيبا يدور بين التقدمية والرجعية ، بين رواد المعرفة والحياة ، وبين قوى الطغيان والظلام والموت . .

ان الظلام الذي يخيم على ارض اليمن الطيبة بفعل الاستعمار والرجعية ، بدأت تحطمه اصوات الطلاب من ابناء اليمن المناضل . .

بالامس القريب وفي فبراير عام ١٩٦٢م شهد شعبنا وسمع العالم كله صرخات التحرر والمساواة تطلقها حناجر الطالبات والطلاب في مظاهرات ضخمة جابت شوارع عدن اليمنية المناضلة ، وهي تهتف بسقوط الاستعمار والرجعية ، وتستنكر السياسة التعليمية التي تنتهجها السلطات الاستعمارية البريطانية واليوم يشهد شعبنا اليمني في اليمن ويسمع العالم كله اصوات الطلاب في صنعاء تشق الفضاء مرددة هتافات المساواة والعدالة والحرية وتجتاح العاصمة مظاهرات عنيفة تطالب بالعلم وسقوط الطغيان حليف الجهل والظلام والتخلف ويتجاوب الطلاب الاحرار في تعز والمدن اليمنية الاخرى ، منددين بالظلم والتفرقة وسياسة التجهيل والتقتيل . .

ان الضحايا التي سقطت في شوارع صنعاء

ودمـاء الـطلاب التي سالت على ارضهـا الـطاهرة وتجـاوب الـطلاب في المـدن اليمنية الاخـرى . . وتكاتف الشعب اليمني معهم ، لهو اعلان بالثورة ضد الاستبـداد وبداية للنضال الشعبي في سبيل حياة افضل يسودها حكم الشعب وتظللها برايات العلم والتقدم والحرية . . كيف جرى هذا . . ؟

١ ـ لقـد لمس الـطلاب محاولـة الـرجعية والتـفرقة الـطائفية في صفـوف الـطلاب باسم الهـاشمية والقحطانية ، لشق وحدة الشعب القوية فقد رأت الـرجعية في سنة ١٩٤٨م وسنـة ١٩٥٥م اعدادا هائلة من الهاشميين والقحطانيين يقدمون انفسهم في ساحـة النضـال قرابين للحـرية ، وفي سبيل الشعب والتخلص من حكم رجعي متعفن فهالتها هذه الـوحـدة النضالية وبدأت هذه الايام تحاول تفتيتها بشكل منظم في صفوف الطلاب . .

٢ ـ كما لمس الـطلاب ضعف المنـاهـج الـدراسية ومحـاربـة العلوم التي تنـير الطريق امام الـطريق امام الشبـاب والشعب نحـو حياة تضي جوانبها اشعة المعرفة والحياة . .

٣ ـ كما بدأت في ادارة المدارس تطفئ عليهم النور في الليل وفي وقت مبكر حتى لايتمكنوا من الاطلاع ومحـاولـة تثقيف انفسهم . . كما قطعت مرتباتهم لاعذار سخيفة لتنصب في النهاية في جيوب اعوان الرجعية . .

في خلال هذا تقـدم الـطلاب الى الحكومة اليمنية ، حكومة الامام بانهاء التفرقة الطائفية ورفع مستـوى حياتهم الـدراسية وتكـونت لجنة حكومية لبحث هذه المطالب ورفع تقرير بشأنها يثبت صحة هذه المـطالب ، ولكن الحكومة ضربت به عرض الحائط . .

ولما يئس الطلاب من تحقيق مطالبهم قاموا بمظاهرات سلمية في شوارع صنعاء واتجهت نحو وزارة المعـارف والاذاعـة فتصدت القوات المسلحة الملكية لها ، بعد ان رفض الجيش من ابناء الشعب اعتراض المظاهرة العادلة . . ثم اطلقت النيران على الطلاب من قبل الحرس ، الملكي « العكفة » فسقط اثنـان من القتلى وجرح اخرون ، وصمد الطلاب رغم ذلـك وظلوا يهتفـون بسقـوط الـظلم والتفرقة واستمرت المظاهرة ثمان ساعات . . ثم اعتقل من الـطلاب ٣٦٠ طالبا ، وارسلوا الى سجن القلعة والرادع وحجه والسنار . . وغيرها من سجون اليمن الرهيبة . . ولا يدري احد ماهو مصيرهم . . هل يعيشون ام عند ربهم يرزقون . .

وقد ترامت اخبار المظاهرة وضحاياها الى بقية المدن اليمنية ، فقام طلابها بمظاهرات صاخبة ، وحـوصرت مدرسة تعز ، لمدة اسبوع بعد ان منع عليهم الاكل والماء وصدر الحكم باعدام ستة عشر طالبـا اعـدم بعضهم منهم الـطالب عبـد الرحمن الكبسي .

ولقـد تضـامن شعبنا مع ابنائه فاضرب معهم كما مدهم بالمال والزاد وايد مطالبهم . . .

ولقـد كان لزامـا علينا نحن الـطلبـة في الجمهورية العربية اليمنية ان نتضامن معهم فقمنا بمظاهرات عنيفة الى دار المفوضية اليمنية وارسلنا برقيات الاحتجـاج والاستنكـار الى حكومة الامام وكونا لجنة لنصرة اخواننا في اليمن . .

ان كل القـوى الـوطنية في اليمن الطبيعية مدعوة اليوم لان ترفع صوتها ، عاليا في وجه الطغيان عميل الاستعمار ونـطالب حكـومـة الامـام بتلبية مطالب الطلاب الاحرار واطلاق سراح المسجونين منهم ، وتحـذير الحكـومـة من ان اي جديد ضد الطلاب سوف يزيد الطين بلة والنار اشتعالا . .

كما ندعوا كل ابناء اليمن المشردين في المهاجر ان يرفعـوا اصـواتهم لتـأييد ابنائهم في الداخل ، وندعوا ايضا كل القوى التحررية والمنظمات الشعبية والطلابية في الوطن العربي وفي العالم كله ان تساند طلاب اليمن وتؤيد مطالبهم وترفع صوتها معهم . .

ان حكم الطغاة الذي بدأ يستمد قوته من الاستعمار الغربي والرجعية العربية المحيطة يعيش في هستيريا عنيفة تحت ضغط نضال الشعب الدامي

يا جماهير شعبنا العظيم في يمننا المناضل في

صنعاء وذمار ويريم واب وتعز والحديدة وعدن وفي كل قرية ونجد ومهجر ، ان ابناءكم الطلاب يكبلون بالقيود ويزجون في السجون ومهددون بالاعدام من جانب حكومة الامام وانتم مطالبون ان تنقذوهم من براثن الموت وظلام السجون . .

عاش نضال طلاب اليمن الاحرار ليسقط الاستعمار والرجعية . . عاش تضامن الشعب والجيش مع الطلاب . . لا هاشمية ولا قحطانية لتسقط التفرقة الطائفية والعنصرية » . . أ . هـ . .

حقا لقد كانت تلك المظاهرات والاعتصامات الطلابية في القاهرة تزعج الحكومة المتوكلية لما كانت تحدثه اخبارها في الداخل من اثر على سائر الطلاب في عموم اليمن فقد كانت انباء المظاهرات والاعتصامات تصل الى اليمن تباعا عبر وسائل الاعلام وخاصة الصحف والاذاعات وكانت المنشورات التي يوزعونها تصل الى اليمن مع العائدين او يرسلونها بالبريد الى الصحافة المحلية

وقد احدثت تلك التظاهرات اثارا ايجابية ايضا في حياة الطلبة الدارسين انفسهم ، فقد لفتوا النظر اليهم . . وشعروا بمسئوليتهم تجاه قضايا وطنهم ، وادركوا اهمية تضامنهم وقوة وحدتهم ، وبدأوا يفكرون بجدية في تأسيس رابطة طلابية تجمع شتاتهم وتوحد كلمتهم وتنظم جهودهم وترعى مصالحهم . .

(وبعد لقاءات ومشاورات فيما بينهم استقر الرأي على تأسيس رابطة طلابية يمنية تضم في عضويتها جميع الطلبة اليمنيين الدارسين في مصر ، سواء القادمين اليها من الشمال ام من الجنوب ، كخطوة اولى نحو تأسيس اتحاد عام لطلبة اليمن الطبيعية . . وكانت هذه الرابطة هي «رابطة طلبة اليمن الطبيعية» . .

رابطة طلبة اليمن الطبيعية في القاهرة

تأسست في مدينة القاهرة عاصمة مصر (رابطة طلبة اليمن الطبيعية) بتاريخ ١٩٦١/٩/٢٩م وقد نص القسم الاول من القانون الاساسي للرابطة على اهدافها التي نوضحها فيما يلي :- (٢١) .

١ - تؤمن الرابطة بوحدة اليمن الطبيعية انطلاقا من ايمانها العميق بوحدة الوطن العربي الذي يعتبر اليمن جزءا لا يتجزأ منه ، فهي تسعى لتمتين الصلات وتوطيد الروابط بين طلبة اليمن عموما من جهة وبينهم وبين اخوتهم الطلبة العرب من جهة اخرى . .

٢ - تعتبر الرابطة نفسها جزءا من الحركة الطلابية العربية وتعمل على تقويتها . .

٣ - تعمل الرابطة على اعداد اعضائها فكريا ورياضيا واجتماعيا وفنيا بتهيئة الوسائل المؤدية الى ذلك . .

٤ - تعمل الرابطة على حل مشاكل طلبة اليمن الطبيعية الدراسية والمعيشية والصحية بقدر امكانياتها .

٥ - الاتصال بالهيئات الطلابية في الخارج والاشتراك في المؤتمرات الدولية للطلاب . .

٦ - تسعى الرابطة لتكوين اتحاد عام لطلبة اليمن الطبيعية . .

وكانت الهيئة التأسيسية لرابطة طلبة اليمن الطبيعية من عشرين طالبا هم : (٢٢) . .

١ - عبد الحافظ قائد فارع
٢ - سيف احمد حيدر .
٣ - ردمان علي حسن الشيباني
٤ - عبد الملك محمد عبدالله الدغيش .
٥ - انيس حسن يحيى .
٦ - علي سالم ابراهيم .
٧ - سعيد عبود باريان .
٨ - عبد الدائم علي يحيى الحداد
٩ - حربي مليط علي الحميدي .
١٠ - حسين احمد القربي
١١ - احمد عبد الرحمن القاضي .
١٢ - محمد علي مقبل العبسي .
١٣ - سعيد عبد الجبار راشد .
١٤ - زين محمد قادري السقاف .

١٥ ـ محمد ناشر عبد الرحمن . .
١٦ ـ محمد احمد الرعدي .
١٧ ـ عبد الرب علوان احمد .
١٨ ـ عوض عبدالله العرشاني .
١٩ ـ ابو بكر سالم ابو بكر البريكي .
٢٠ ـ عبد الرحمن عبدالله قائد الفخري .

وبعد تشكيل الرابطة الطلابية اجرت عددا من الاتصـالات ببعض الشخصيات الـوطنية في داخـل اليمن وخـارجهـا وايضـا بقيادات بعض التنظيمات السياسية والمؤتمر العمالي بعدن ، والغرض من تلك الاتصالات هو الحصول على الدعم المادي والمعنوي للرابطة ومساندتها في اداء مهمتها في حل مشكلات الطلاب وتنظيم فاعلياتهم ، وللدلالة على ذلـك نعـرض مقتطفات من رسالة كتبها الطالب انيس حسن يحيى عضـو الهيئة التأسيسية للرابطة الـطلابية موجهـة الى المؤتمـر العـمالي بتـاريخ ٨/١١/١٩٦١م يعرض فيها مجالات التعاون بين الرابطة والمؤتمر العمالي وفيها بعض الطلبات التي يراد من المؤتمر العمالي المساعدة فيها مثل :ـ

١ ـ الدعوة بصورة غير رسمية لاقامة رابطة طلابية في المنطقة « اليمن الطبيعية » . .
٢ ـ التشجيع والتعاون المتبادل بين الحركة الطلابية والحركة العمالية . .
٣ ـ تبادل النصح والمشورة في نطاق خاص .
٤ ـ امـداد المساعدات المادية للحركة الطلابية في حدود امكانيات المؤتمر ، مثل مشروع الـ(٥) سنت لصالح الطلبة وصفحة لشؤون الطلاب في جريدة المؤتمر . .

وعـرضت الـرسـالـة ايضـا بعض المطالب العاجلة مثل :ـ
١ ـ تأثيث مقر الرابطة .
٢ ـ ضمان ايجار شهري للمقر .
٣ ـ توفير مبلغ في صندوق الرابطة .
٤ ـ توفير لعب داخلية (٢٣) . .

ومن الانصاف القول ان « رابطة طلبة اليمن الطبيعية » في القاهرة كانت اول رابطة طلابية موحدة لطلبة اليمن شمالا وجنوبا ، وكانت تدعو صراحة لوحـدة اليمن الطبيعية ارضا وشعبا ، وتبنت فكرة توحيد طلبـة اليمن على طريق توحيد الهيئـات والمنظمات الشعبية المختلفة . .

وقـد بذلت مسـاع حميدة لدى التجمعـات الطلابية ، الاخرى في عدد من الاقطار العربية التي يوجـد فيهـا طلبـة يمنيون ، وطـالبت بتـوحيد التجمعات الطلابية المختلفة في اطار « اتحاد عام لطلبة اليمن » وقد استجاب لذلك عدد من الطلاب الذين بادروا بتأسيس روابط طلابية يمنية في كل من لبنان وسوريا والعراق . . وغيرها . .

وكـانت هذه الـروابط ترتبط بعضها ببعض وتتفق في اهدافها ومبادئها ، وهي لا تبتعد كثيرا عن اهـداف ومبـادئ (رابطة طلبة اليمن الطبيعية) في القاهرة وكمثال على ذلك نعرض فيما يلي بعضا مما جاء في البـاب الثـاني من دستـور «رابـطة الطلبة اليمنيين في لبنـان . وهـو البـاب المتعلق باهداف الرابطة . . وهي كما يلي :ـ

١ ـ توثيق روابط المعرفة والتعاون بين طلاب اليمن وطلاب الاقطار العربية الاخرى ، وطلاب العالم . .
٢ ـ التعريف باليمن والمحافظة على سمعتها . .
٣ ـ تنمية الـروح الثقـافية والاجتـماعية والرياضية باقامة نشاط ثقافي وتكوين فرق رياضية . .

ونسـتـطيع القول ان الحركة الطلابية اليمنية كانت قبل ظهور رابطة القاهرة مجزأة ودليلنا في ذلك بعض التسميات لعدد من التجمعات الطلابية التي ظهرت في بعض البلدان كالسودان وبريطانيا . . وغيرها . .

اتحاد بعثات جنوب الجزيرة العربية في السودان

انشئ في السودان عام ١٩٤٦م اتحاد للطلبة المبعـوثـين للدراسـة فيهـا من عدن وسائر المناطق اليمنية الاخرى ، وقد اطلق عليه « اتحاد بعثات جنـوب الجـزيرة العربية » في السـودان ، والاعضـاء

المؤسسون له هم :-
١ - عبدالله علي الجفري . . رئيسا
٢ - قحطان محمد الشعبي . سكرتيرا .
٣ - علي غانم كليب . امين الصندوق
٤ - لطفي جعفر امان عضوا
٥ - محمد عبد القادر بافقيه . عضوا
٦ - احمد علي سعد صقلدي . عضوا

وقد انحصرت العضوية في هذا الاتحاد على المبعوثين الى السودان من مستعمرة عدن ومحمياتها الشرقية والغربية ، ولتاكيد هذا القول نعرض فيما يلي نص البيان الذي اصدره الاتحاد فور تشكيله كما نشرته جريدة «فتاة الجزيرة» (٢٤) الصادرة بعدن ، يقول البيان :-

« الى جميع من يهمه اعمال افراد بعثات جنوب الجزيرة العربية في السودان ، بل الى جميع ابناء وطننا العزيز نزف هذه البشرى السعيدة ، بشرى انشاء اتحاد قوي متين بين طلبة بعثات جنوب الجزيرة العربية في السودان من عدنيين ومحميين وحضرميين الذين اصبح عددهم ما ينوف عن ثلاثين طالبا ، تغربوا عن اوطانهم لطلب العلم ليعودوا اليها مثقفين متنورين باذلين تلك الفوائد التي استطاعوا جنيها من العلوم المختلفة والثقافة العالية اثناء دراستاهم الحالية» . .

وقد اوضح البيان اهداف الاتحاد بقوله :-

(. . ومن فوائد اتحادنا مثلا ، المؤالفة والموازنة بين جميع الاعضاء ، والمطالبة بحقوق البعثات والدعاية للوطن في الخارج ، وخدمة الوطن اثناء عطلاتنا الصيفية إما عن طريق التعليم في المدارس او المحاضرات الادبية والاجتماعية او الكتابة في الصحف او تمثيل الروايات الخلقية التي يعود دخلها للافعال الخيرية ، ثم الاتصال ببعثات جنوب الجزيرة العربية في الاقطار الاخرى وتبادل الرأي معهم والاستعداد للحياة العملية المفيدة للوطن » . .

اما في بريطانيا فان الطلبة اليمنيين المبعوثين للدراسة هناك قد انشأوا اتحادا مشابها لاتحاد السودان اسموه « اتحاد طلبة ومبعوثي جنوب الجزيرة العربية » . .

اتحاد طلبة ومبعوثي جنوب الجزيرة العربية في الجزر البريطانية وايرلنده

انشئ هذا الاتحاد في الجزر البريطانية وشمال ايرلنده الحرة ، ومقره « هانس كرينست » في لندن وفي المادة السادسة من دستوره نجد توضيحا باهدافه وهي كما يلي :-

١ - الاتحاد هو اجتماعات ليس له اي دخل بالسياسة ولا ينتمي وليس اداة لاي حزب او حكومة من الحكومات القائمة في جنوب الجزيرة العربية . .
٢ - توثيق عرى الصداقة بين الطلاب الجنوبيين وبقية المنظمات الطلابية وبث الروح الديمقراطية بين صفوفهم . .
٣ - ايجاد التسهيلات والتوجيهات اللازمة الى الطلاب الجدد حين قدومهم الى المملكة المتحدة . .
٤ - القيام بمناقشات ودراسات علمية وادبية واجتماعية . .

ويتضح من الاهداف المعلنة للاتحاد انه ليس اداة سياسية بيد اي حزب او منظمة سياسية تعمل في المنطقة ولعل الاشارة الى عدم الانتماء ما يؤكد عدم اهتمام الاعضاء بالشؤون السياسية غير ان الواقع اثبت خلاف ذلك ، اذ ان الاتحاد لم يكن منعزلا عن السياسة بل تفاعل مع معظم الاحداث التي دارت في المنطقة ، وانخرط بعض اعضائه بالتنظيمات السياسية فيما بعد . .

ومن الاعضاء المؤسسين لهذا الاتحاد الاتية اسماؤهم :-
١ - علي جعفر ناصر . . رئيسا
٢ - سامي خالد لقمان . سكرتيرا
٣ - انور شمشير . امينا للمال .

٤ ـ جعفر عبده صالح . عضوا اداريا
٥ ـ فؤاد بارحيم] نائبي
٦ ـ شكيب خليفه .] . . الرئيس الفخريين

ورغم ان تسمية الاتحاد توحي بانحصار العضوية فيه على مبعوثي مستعمرة عدن ومحمياتها ، الا ان المادة الرابعة من الدستور تشير الى امكانية قبول مبعوثي اليمن الشمالية في عضوية الاتحاد ، والتي تنص على الاتي :-

«يحق لكل طالب او مبعوث ينتمي الى عدن او المحميات او اليمن الحق في تقديم طلب الانضمام الى الاتحاد» . .

وقد مارس الاتحاد بعض النشاطات المختلفة ومن بينها النشاط الثقافي ، وكان يصدر مجلة دورية فصلية تطبع بالرونيو اسمها «الرواد» (٢٥) وكانت بعض اعدادها تصل الى عدن مع الطلبة العائدين او ترسل بالبريد لبعض الشخصيات او للمشتركين ، وفي المجلة بعض الموضوعات الجيدة والدراسات المعمقة لبعض القضايا اليمنية . .

ونستطيع القول بعد هذا العرض السريع لنشاط الطلبة اليمنيين المبعوثين الى الخارج ، للدراسة ، انهم قد تمكنوا من تأسيس بعض الروابط الطلابية والاتحادات التي مارسوا النشاط من خلالها ، وكانوا على رغم بعدهم عن الوطن يتفاعلون مع الاحداث الجارية في وطنهم ، ويتأثرون بها ، ويؤثرون فيها ، وكانوا على صلة وطيدة ببلادهم ، ويتابعون كل ما يجري فيها من احداث وتطورات سياسية وفي الاجازات الصيفية او الفصلية يعودون الى الوطن ويسهمون في بعض مجريات الامور فيه ، ويلتقون بالناس ويترددون على اماكن تجمعاتهم ويشاركون في الحوارات والمناقشات التي تجري فيتعرف الناس من خلالهم على الحياة في البلدان التي قدموا منها ، والافكار التي اكتسبوها في اثناء دراستهم ، وقد استفاد المجتمع من ذلك الكثير ، اذ وعى الناس كثيرا من المسائل وتغيرت نظرتهم لبعض الامور فاهتدوا لحل بعض مشكلاتهم الحياتية .

وبمرور الايام تخرج هؤلاء الطلاب ثم عادوا الى وطنهم ليسهموا في بنائه فالتحق عدد منهم في سلك التدريس وتخرج على ايديهم اجيال جديدة من الطلاب متسلحين بالعلم والمعرفة ، مؤمنين بضرورة تطوير بلادهم وتحريرها .

وكانت اليمن قد شهدت في الخمسينات تصاعد الاحداث السياسية وزيادة نشاط الحركة الوطنية فكان للطلبة المتخرجين من الجامعات المختلفة اسهامهم البارز في توجيه الاحداث والمشاركة الفعالة في الحركة الوطنية اليمنية ، وانخرط معظمهم في الاحزاب السياسية ذات الاتجاهات المختلفة .

وبالنظر الى ان الساحة اليمنية قد شهدت في الخمسينات صراعات حزبية ، وتباين وجهات النظر ازاء كثير من الاحداث السياسية ، فان الطلبة اليمنيين في داخل اليمن وخارجها قد التحموا بالعمل السياسي ودخلوا في الصراع الحزبي والعقائدي فانعكس أثره على وحدة الحركة الطلابية اليمنية ، مما جعلها تدخل في دوامة من الصراع الفكري والعقائدي والسياسي ، وذلك لان بعض التنظيمات السياسية والعقائدية قد استقطبت الى صفوفها بعض الطلبة او اثرت على بعضهم فكريا او سياسيا .

وربما كان لمحاولات بعض التنظيمات السياسية استقطاب الطلاب الى صفوفها اثرها البارز في ظهور بعض الانقسامات في الحركة الطلابية اليمنية مما عرقل نشاط بعض الروابط او الاتحادات الطلابية .

وربما كان لوجود بعض السياسيين المحترفين في مدينة القاهرة اثره في تأجيج الصراع بين الطلاب

، فقد كانت القاهرة ملاذا لمعظم اللاجئين السياسيين او المنفيين من شطري اليمن كما كانت تتأجج بالحماس القومي والمد التحرري فظهرت فيها تيارات سياسية وفكرية مختلفة تاثر بها الطلبة وتفاعلوا مع المبادئ والافكار التي نادت بها التنظيمات السياسية المختلفة واندمجوا في الصراع السياسي ، وتشكلوا بتشكل التيارات السياسية المختلفة .

ولما كانت مدينة القاهرة تضم اعدادا غفيرة من الطلبة اليمنيين الى جانب كونها ملاذا لبعض اللاجئين السياسيين ، فان الطلبة اليمنيين فيها قد تصدروا الحركة الطلابية اليمنية ، ونادوا بوحدة العمل الطلابي ووحدة اليمن الطبيعية ارضا وشعبا ، وتصدوا لكل المخططات التي استهدفت شق الحركة الطلابية اليمنية وخلق كيانات هزيلة في اي جزء من اليمن وقاوموا بعنف اي مشروع استهدف تجزئة اليمن ومن اجل ذلك نظموا المسيرات . وقادوا المظاهرات ووزعوا المنشورات واصدروا الكتيبات وكتبوا المقالات واذاعوا الخطابات . واحيوا الحفلات واقاموا الندوات .. الى غير ذلك من النشاطات التي اسهمت في توعية الناس وتنويرهم ، مما كان له عظيم الاثر في مجرى الحياة الثقافية اليمنية . (٢٢)

عثرت على قائمة مطبوعة تحوي اعضاء الهيئة التأسيسية للرابطة في ارشيف حنبلة .

٢٣ - نص الرسالة في ارشيف حنبلة .

٢٤ - فتاة الجزيرة العدد ٣٢٤/٣٢٥ - ٩ يونيو ١٩٤٦م ص ٦

٢٥ - انظر : علوي عبدالله طاهر الصحافة اليمنية ص ٢٧٠

هوامش القسم السادس

١ - مجلة الرابطة . الجزء الثالث ، المجلد الرابع .. ربيع الاول عام ١٣٥٠هـ ص ١١٠ .

٢ - المرجع السابق . ص ١١١

٣ - المرجع السابق . الصفحة ذاتها .

٤ - المرجع السابق ص ١١٢

٥ - مجلة الرابطة - الجزء السادس - المجلد الرابع جماد اخر عام ١٣٥٠هـ ص ١٠٧ .

٦ - انظر : علوي عبدالله طاهر الصحافة اليمنية . ص ١٨٧ وما بعدها وايضا ملحق الكتاب رقم (٤) ص ٢٥١ .

٧ - انظر : علوي عبدالله طاهر المرجع السابق ص ١٨٧ .

٨ - من قصاصة عثرت عليها في مكتب ادريس حنبلة .

٩ - النظام الداخلي للرابطة الحضرمية لشرق افريقيا .

١٠ - المرجع السابق (المقدمة) ..

١١ - النظام الداخلي للجمعية العربية بتنجانيقا - دار السلام المادة الثانية .

١٢ - مجلة الحكمة - عدن - العدد ١٨ - فبراير ١٩٧٣م ص ٦٣

١٣ - انظر : علوي عبدالله طاهر . الصحافة اليمنية .. ص ٤٢

١٤ - انظر علوي عبدالله طاهر الصحافة اليمنية ص ٥٠

١٥ - محسن العيني ، معارك ومؤامرات ضد قضية اليمن .. ص ١٦٢ .

١٦ ، ١٧ - الوثيقتان في ارشيف ادريس حنبلة .

١٨ - من البيان الصادر عن اللجنة الطلابية المتحدة ١٩٦١م .

١٩ - جريدة (الشعب) عدن .. العدد ٦٧ - ٦٢/٨/٢٥ ص ١ ..

٢٠ - نص المنشور في ارشيف حنبلة (ملف الحركة الطلابية) ..

٢١ - المواد (١ - ٦) من القانون الاساسي لرابطة طلبة اليمن الطبيعية ..

العوامل التاريخية في توجهات الفكر العربي

د. محمود علي الداود

بالرغم من الثورة التكنلوجية التي تعصف بالعالم المعاصر فإن العديد من دول المجموعة الدولية تولي أهمية خاصة لكتابة تأريخها الذي يعكس هويتها ودورها في التاريخ الدولي وينطبق هذا بصورة خاصة على دول العالم الثالث. وفي ضوء المركز الحضاري المرموق الذي لعبه العرب في تاريخ الإنسانية ودورهم في نشاط العالم المعاصر فقد كانوا أكثر الأمم التصاقاً بتاريخهم وما يزخر به من أمجاد ومفاخر وشواهد حضارية نالت إعجاب وتقدير الأمم الأخرى. والعرب من الأمم التي إعتنت بالتاريخ عناية خاصة، فروته وتدارسته، وجعلته جزءاً من ثقافتها العامة، وأكثرت من التأليف فيه كثرة تجلب الإنتباه وهم أمة تتحسس بالتاريخ في حياتها العامة، وفي كثير من مواقفها المهمة - ويلعب تاريخها دوراً حيويا في نظرتها للأمور، وفي كثير من علاقاتها بالأمم الأخرى. وترجع جذور هذا الاهتمام بالتاريخ إلى ظروف وعوامل عدة منها جانب المتعة والاعتزاز بالأمجاد والمآثر - وهو جانب بشري طبيعي نجده عند العرب ونجده عند غيرهم من الشعوب وتجده لدى البدو والحضر - ويصح أن يكون تاريخاً أو أن يكون مجموعة من القصص التاريخية. وقد رافق توثبهم بالاسلام تنبه لأهمية التاريخ في حياة الأمم الأخرى وسيرها وشعورها بأهمية العبرة فيما مضى - ورافقه اهتمام بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام وبالمآثر الكبيرة والجديدة التي اكتسبوها بالتوسع والفتح. وجاءت الخلافة كمؤسسة سياسية ودينية فجعلت لاحداث صدر الاسلام أهمية خاصة في تفكيرهم، بل استندت اتجاهاتهم السياسية لحد كبير إلى تفسير هذه الأحداث والى تحديد دلالتها، فأهتموا بالتاريخ وتدارسوه. وبعد كل هذا نجد ان العرب كانوا يحسون بأنهم أصحاب رسالة خاصة في التاريخ وهذه الرسالة تكسبهم منزلة فريدة في مسيرة البشرية وتتطلب منهم حفظ سجل باعمالهم وبسيرة الأمة عامة. وبمرور الزمن إزدادت أهمية التاريخ بازدياد الأهمية الحضارية وإتساع المسئولية العربية في نشر دينهم وحضارتهم لدى الشعوب المختلفة.

لقد استطاع العرب المسلمون في القرن السابع الميلادي أن يحرروا من قبضة النفوذ الاغريقي والروماني مجموعة الدول الشرقية التي تقع في المنطقة الممتدة من روسيا عبر شمال افريقيا حتى اسبانيا وهي الدول التي ظلت خاضعة للحكم الاغريقي أو الروماني قرابة آلف عام منذ قهر الاسكندر الأكبر الامبراطورية الفارسية وقهر الرومان كذلك قرطاجة.

ثم حدث بعد ذلك - أي خلال الفترة التي تقع بين القرنين الحادي عشر والسادس عشر - أن إستمر المسلمون في مراحل مختلفة يحرزون النصر تلو النصر حتى أستولوا على كل شبه القارة الهندية تقريبا وأخذ دينهم الإسلام ينتشر في سلام ودون حرب إلى اندونيسيا والصين في الشرق وإلى افريقيا الاستوائية في الجنوب الغربي وخضعت روسيا أيضاً خضوعاً مؤقتاً في أواخر العصور الوسطى للقبائل

الإسلامية في وسط آسيا والذين اعتنقوا الإسلام في فترات سابقة .

وبدأت أوربا هجومها المضاد على العالم الاسلامي - وهو الهجوم الذي كان مقدرا له ان يقع آجلا او عاجلا بعد فشل الاتراك في احتلال فينا عام ١٦٨٣ وكان هذا الهجوم قد تأخر بسبب مايحفظه الغرب من ذكريات بعيدة الزمن من الشجاعة العسكرية التاريخية التي كان عليها المسلمون . وكان رد الفعل الغربي على الغزو الاسلامي للبلدان الارثوذكسية الشرقية خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر هو ألا يقوم بهجوم على العالم الاسلامي على نمط الحرب الصليبية التي منيت بهزيمة ساحقة بل تطويق الاقطار العربية الاسلامية عن طريق السيطرة على المحيط .

ودفع الطواف حول افريقيا عن طريق البحر البرتغاليون وهم بحارة غربيون إلى الشاطىء الغربي للهند وذلك قبل عدة سنوات من وصول القبائل الاسلامية من أسيا الوسطى عن طريق البر وهؤلاء يمثلون آخر موجة من موجات التوسع الاسلامي على الهند على ان إجتياز الاسبان المحيطين الاطلسي والهادي عن طريق المكسيك قد أقام في جزر الفلبين حداً جديداً في الجهة الشرقية من أسيا بين البلاد الغربية وبين البلاد الاسلامية التي كانت تجاورها حتى ذلك الوقت على الجانب الآخر للكرة الأرضية في وادي الدانوب والمنطقة الغربية من البحر الابيض المتوسط .

ولا شك أن العالم الغربي قد نجح قبل نهاية القرن السادس عشر ويرجع الفضل في ذلك بالطبع إلى استيلائه على البحار - في محاصرة الدول العربية والاسلامية ولم يحدث أن اشتد هذا الحصار على نحو عنيف إلا في بداية القرن التاسع عشر وحتى في ذلك الوقت كانت الذكريات التي يحتفظ بها كلا الجانبين من شجاعة المسلمين العسكرية وحماسهم العسكري أيضاً سبباً في أن يظل الغربيون على حذر. ولعل أبرز الشواهد على ذلك كانت المقاومة العربية المسلحة في الخليج العربي للاساطيل البريطانية المتمثلة بالقواسم والمقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي عام ١٨٣٢ والتي ظلت تتفجر بثورات مستمرة بلغت أوجها بثورة المقري عام ١٨٧٠ وظهرت المقاومة العربية كذلك بثورة عرابي في مصر والثورة المهدية في السودان والمقاومة اليمنية لبدايات التغلغل البريطاني في جنوب الجزيرة العربية . وكانت التجربة التي حطمت الامبراطورية العثمانية عام ١٩١٨ تمثل هزيمة شنيعة لأكبر دولة إسلامية علي أيدي أعداء مسلمين بالاسلحة الغربية والتكنلوجية الغربية وهي التي تعتبر في مجموعها العمود الفقري لفنون الحروب الغربية الحديثة . وشهدت تلك المرحلة نظرتين الأولى تركية والثانية عربية وبينما أكدت الأولى على أهمية تحويل تركيا الى دولة غربية الاتجاه أكدت الثانية على أهمية الهوية القومية للأمة العربية وأخذت تتهيأ لدخول معارك عسكرية ودبلوماسية من أجل تحقيق الاستقلال .

وأستغرق الكفاح العربي أكثر من نصف قرن لكي يزيح عن كاهل معظم الأقطار العربية ثقل ونتائج الحكم الاستعماري ومعظم الاحتكارات الاقتصادية الغربية .

لقد كانت ارادة مصطفى كمال أتاتورك ، زعيم الاتراك حل المسألة التركية باتخاذه طريق الحياة الغربية الحديثة وقطع كافة الوشائج التي تربط الشعوب التركية بماضيهم وتراثهم الاسلامي، ولكن الأقطار العربية كانت تشق طريقها نحو الاستقلال في إطار التراث العربي ولكن كياناتها السياسية لم تتمكن ، رغم العوامل المشتركة العديدة من لغة ودين وتراث ، أن تتوحد في كيانات أكبر بفعل الافكار السائدة يومئذ بالتعددية القطرية المستندة إلى الفكر السياسي الغربي .

وقد تساءل البروفسور ارنولد توينبي عن الحكمة في ذلك؟ وفي بحث مهم للمؤرخ البريطاني المشهور عن «الاسلام والغرب» قال «نريد ان نتساءل هل من الضروري حقاً أن ينقسم

العـالم الـذي يتحدث اللغة العربية كما أنقسمت الامـبراطورية الاسبـانية السـابقة لسوء الحظ في الامريكتين - فنقول هل من الضروري أن ينقسم هذا العالم (العربي) الى حوالي عشرين دولة قومية مستقلة تعيش في أجزاء كبيرة مترابطة ترابطا شديدا كما حدث في الغرب . ان هذا هو الجانب العكسي لحضارتنا الغربية الذي كان من المحزن فعلا بالنسبة للشعوب التي تتحدث [illegible] تأخذ به بكل حرفية .

أهمية التاريخ في مواجهة التحديات :-

رغم الانجـازات الكبيرة التي حققتها دول الوطن العربي في السنوات التي تلت الحرب العالمية الثـانية في الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية وعـلى الاخص في السـنوات التي أعقبت فشل العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ في أعقاب إقـدام مصر على تأميم قنـاة السـويس فأن الأمة العـربية تجابه تحديات كبيرة على صعيد التراجع المستمـر أمـام الخـطر الصهيوني وضعف الـوعي القومي قياساً بفترة الخمسينيات وإستمرار الصراع بين عوامل الوحدة وعوامل التجزأة واحتمال عودة المنطقة العربية الى حظيرة الاحتكارات الاقتصادية الغـربية هذا إلى جانب تزايد التغلغـل الثقـافي الاجنبي وتصاعد حملات الدس الشعوبي وتعرض الاقـطار العـربية إلى سياسـات النهب الـواسعـة للكفـاءات العربية العالية المستوى والتي تعج بها المؤسسـات الغـربية المختلفة . وإلى جانب خطر حركـات الـوطن العربي من الغالبية الساحقه من علمائه ومثقفيه فأنه يتعرض لحملات منوعة ومستمرة من قبل الدوائر الصهيونية والماسونية في إطار تشويه التـاريخ العـربي ومحـاولـة بث الفـرقة بين العرب والمسلمين وزرع الشكوك حول التعاون المشترك في كافة المجالات وفرض حالة من الجمود الفكري على الأقطار العربية .

ومن الواضح البين ان المجتمع العربي اليوم هو طور انبعـاث وتحـرك يتمحض بقـوى عديدة شديدة تدفعه الى التبـدل والتحـول فلقد انتهى الدور الطويل، الممتد على خمسة قرون أو تزيد ، الذي كان فيه سادرا مستكينا بفعل عوامل مختلفة ، داخلية وخارجية . تضافرت على احلاله تلك الحال من الشلل والاستكانة وبدأ منذ أوائل هذا القرن - أو قبل ذلك بقليل - دور جديد : دور يقظة وتنبه وتحفز وسرت قوى التنبه هادئة متفرقة في أول الأمر ثم أخـذت تشتد وتتفاعل وتتجمع بفعل التطور ذاتـه وبفعـل الاحداث العالمية المتتابعة ، الى ان بلغت في يومنا هذا درجة من الشدة والحدة جعلتها تفرض ذاتها لا على الشعوب العربية فحسب، بل على أنظار الشعوب الأخرى وقادتها .

يقـول المؤرخ الاستاذ قسطنطين زريق ، أحـد أبـرز المفكـرين العرب الذي كتبوا في علم التاريخ في كتابة القيم «نحن والتاريخ» : مطالب وتساؤلات في صناعة التاريخ .

وضع التاريخ :-

«فيما يتعلق بالـواقـع الإنسـاني ، ولنا نحن العرب علاوة على الواقع الإنساني الذي نشارك فيه أو يجب أن نشارك فيه ، واقعنا العربي الخاص. وفي هذا الواقع يطل علينا التاريخ من نوافذ متعددة ، فنلقاه أينما التفتنا أو توجهنا : نلقاه في خضم هذه الهبة القومية التي تدفعنا إلى إقامة حياة جديدة والتي تدعـونـا في الـوقت ذاتـه إلى ان نستلهم المـاضي ونستمـد منه عناصر القوة والفخر والاعتزاز ، ان هذا العـود إلى التـاريخ طبيعي في كل آن ومكان ولكنه يشتد بصفة خاصة في عهود النهضات القومية عندما تهب الشعوب لتنشد الوحدة والقوة فتجد أن من أهم مقومات وحدتها تقاليدها الماضية وأمجادها وبـطولاتهـا السـالفـة، فتعـود إلى هذه التقـاليد، ويعيدهـا اليهـا قادتهـا ومـوجهوها ، ولتتقوى بها ولتفيد منهـا الـرفـد المعنـوي والروحي في نهضتها

المترتبة وفي سعيها لبناء القومية الجديدة .

لقد أنتهت أقطار الوطن العربي مؤخرا إلى أهمية الاهتمام بدراسة التاريخ وتدريسه وسعت الى جمع الوثائق التاريخية ومصادر التاريخ المختلفة وازداد الاقبال على البحث التاريخي في ميدان التاريخ الحديث والمعاصر ولكن الاهتمام قل بالدراسات التاريخية الاسلامية . ومن المفيد ان يكون هناك توازن في دراسة التاريخ العربي الاسلامي والتاريخ القديم والوسيط والتاريخ الحديث والمعاصر مع عدم الانغلاق على التاريخ الدولي ودراسة الحضارات العالمية .

ويواجه الفكر التاريخي في أقطار الوطن العربي تحديات داخلية إلى جانب التحديات الخارجية ومن هذه التحديات :

١ ـ التوجهات الاعلامية العربية التي أدت الى انحسار دور الكتاب التاريخي واعطاء الأولوية وبشكل مبالغ فيه إلى البرامج الاعلامية الترفيهية وفشل معظم أجهزة الإعلام العربية في الاهتمام بالتاريخ كعامل هام في المجالات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية .

٢ ـ وسائل البحث التاريخي المحدودة في معظم الجامعات العربية ومنح الأولوية للبحوث العلمية الصرفة .

٣ ـ النظرة الخاطئة إلى المؤرخ العربي بانه ليس إلا موظف وبالتالي فإنه شخص ثانوي تسهل ممارسة الضغوط عليه ودوره الاجتماعي دون المستوى الذي يستحقه كما كانت الحالة في العصور العربية الزاهية حيث كان للمؤرخ دور بارز في المجتمع والمؤسسة السياسية . والنظرة المعاصرة الى المؤرخ العربي تؤثر بالتأكيد سلبياً على انتاجه العلمي واستمرارية البحث التاريخي . من هذه الزاوية فان الجهود العربية يجب ان تبذل وبشكل أكثر جدية لتشجيع البحث التاريخي من أجل بعث الوعي العام بالتاريخ العربي الاسلامي وفصوله الناصعة وعلى مختلف الاصعدة .

ان البحث التاريخي العلمي المتجرد من شأنه دعم التوجهات الفكرية السليمة في الوطن العربي في العديد من المجالات أتطرق الى المهم منها :ـ

١ ـ التاريخ والعلاقة بين العروبة والاسلام :ـ

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين وحمل العرب ابتداءً راية الاسلام ، وأقترنت امجاده الأولى بهم ووضعت أصول شريعته وثقافتهم بلغتهم . وكان جل علمائه ومفكريه في مرحلة التأسيس منهم . وكانت الحركات الإسلامية ، فيما بعد ، ترجع الى الفترة العربية الاسلامية الأولى ، تستلهم منها المبادىء والمثل الشرعية . كل هذا أعطى العرب دوراً مركزيا في مسيرة الإسلام الأولى . وبالاسلام توحد العرب في التاريخ وبه كونوا أول دولة تضمهم جميعا ، هي دولة الخلافة وهي الدولة التي فيها وحدة الإسلام سياسياً لفترة تتجاوز القرنين ، ثم ضعفت خاصة إثر تحكم عناصر غير عربية ، لتبقى الخلافة رمزاً لهذه الوحدة رغم الانقسامات السياسية الى ان ظهرت أكثر من خلافة في دار الإسلام منذ القرن الرابع الهجري .

وأدخل الإسلام فكرة الامة ، تربطها العقيدة ووضع الرسول (صلى الله عليه وسلم) أسسها وتنظيمها والأمة تضم شعوباً وقبائل وبقى مفهوم الأمة راسخا وإستمرت الأمة محور الفكر والتعامل في دار الإسلام .

ورغم ظهور الاختلافات الفقهية فإن الاسلام والعروبة ظلا متلازمين بالنسبة للعرب وبقيا أساس الهوية العربية مكان ذلك اثر تطور حضاري شامل واثر صراع بين المبادىء الاسلامية والمفاهيم القبلية العامة مما أدى إلى أن تتخذ العروبة مفهوماً يستند إلى اللغة والثقافة .

٢ ـ التاريخ والوحدة العربية :ـ

يعكس التاريخ العربي الاسلامي حقائق مهمة واسانيد ثابته للوحدة العربية . فلقد أدت

الفتوحات من الناحية السياسية إلى تكوين وحدة سياسية كبرى تمثلت بالخلافة ومن الناحية الدينية إلى انتشار الاسلام ولغويا إلى انتشار العروبة وفي الحقل الاقتصادي الى تكوين وحدة اقتصادية كبرى. وهيأت الفتوحات الوسط المناسب بين الشعوب والثقافات ، وللتفاعل في إطار من الاسلام والتعريب، وكانت هناك حركة كبيرة في دار الاسلام من الناس والبضائع والمعلومات والأفكار كما شارك في الحركة الثقافية العرب والمستعربون من الشعوب الاخرى ، وأسهموا بتكوين تراث غني بالعربية. وكان جهاز الدولة عاملاً في توحيد جوانب من حياة المجتمعات ، يتمثل ذلك في إيجاد نظام نقدي عام موحد وفي تهيئة الاوزان والمقاييس المشتركة وفي خدمات البريد. وكان انتشار العربية وانتشار العرب ، إضافة الى الصلات التجارية والبشرية ، عوامل في تعريب البلاد التي تكون الوطن العربي في أسيا وافريقيا وتأكد ذلك بتكوين الثقافة العربية ـ الاسلامية (بما فيها الفقه) الذي ساعد على تكوين إطار حضاري واحد ونظرات نفسية مشتركة. وحين بدأ الوعي العربي في العصر الحديث كانت اللغة أهم ما أشار اليه الكتاب كرابطة بين العرب وقاعدة لتحديه الهوية القومية .

ويرى المؤرخ ارنولد توينبي أن من العوامل التي تسرع في الوحدة العربية هي قيام السوق العربية المشتركة والعمل على اتباع سياسة زراعية مشتركة وأشار المؤرخ توينبي الى نجاح الوحدة الامريكية في ظروف فدرالية وتوزيع أكثر تعقيدا للمجموعات السكانية المختلفة للشعب الامريكي الذي وحدته المصالح الاقتصادية وقال مخاطبا العرب:

«انكم تجدون من نجاح الوحدة الامريكية رسالة أمل وتشجيع للعالم العربي كله اليوم وسريعاً أو فيما بعد وإن كنت أمل أن يتحقق ذلك سريعاً وليس فيما بعد سيمتد العالم العربي بالتأكيد طالما ان الشعب العربي عنده الرغبة الصادقة في الاتحاد ومهما تدخلت أية قوة خارجية فأنها لن تمنع هذا الاتحاد اذا كانت لديه الرغبة الصادقة وإذا اتحد العرب فأن مستقبلهم سيكون رائعا لان الاتحاد قوة بالتأكيد .

وفي مناسبة أخرى أكد المؤرخ توينبي أن الشعوب العربية ستظل حتماً ضعيفة نسبياً طالما ظلت متفرقة الكلمة ، وبالتالي ستظل تلقى معاملة غير عادية أو سمها إن شئت معاملة فيها تجاهل ، من الشعوب الأقوى منها. وأخشى أن أقول أن الحياة السياسية في هذا العالم تجعل من المحتم أن يقابل أي شعب بالتجاهل ان لم يكن لديه من القوة مايجعله يسمع الآخرين صوته، ومن هنا كان من المهم لأي بلد أو شعب أو مجموعة من الشعوب أن تكون لديها القوة التي تمكنها من إرغام الآخرين سماع صوتها وعمل حساب لوجهة نظرها او مصالحها. ولو اتحد العرب من المحيط إلى الخليج وهما الطرفان القصيان للعالم العربي في أوسع حدوده. لأصبحوا قوة في العالم بفضل أهمية الموقع الجغرافي الذي يتحكم في الطرق الجوية والطرق البحرية بين المحيط الاطلسي والمحيطين الهندي والهادي وبفضل موارد البترول ورأس المال البشري. وهناك دون شك عامل واضح يساعد على تحقيق الوحدة العربية هو ان لدى العرب تراثا مشتركا في اللغة والأدب يرجع الى ألف وخمسمائة سنة وكذلك ثقافة مشتركة وتاريخ مشترك إنني أرى أن فرص العرب في التوحيد في القرن العشرين لا تقل عن فرص الايطاليين والالمان في الوحدة في القرن التاسع عشر وأكرر القول ان الدول العربية لو إتحدت حتى مجرد اتحاد معتدل لأصبح لها في الشؤون العالمية وزن أعظم كثيرا مما لها الآن .

٣ ـ التاريخ والقضية الفلسطينية:ـ

في كتابه «معنى التاريخ» الصادر في لندن عام ١٩٤٥م أكد المفكر الروسي نقولا برادیف أن عهود النكبات في التاريخ الانساني كانت دائما حافزة الى التفكير في الماضي وفي المصير ومثيرة

للاهتمام في تفسير التاريخ وتعليله، وفي كفاح العرب وجهودهم من أجل العزة والكرامة ونضالهم ضد الاحتلال الاجنبي بمختلف صوره والوانه حقق العرب الكثير من التقدم في النصف الثاني من القرن العشرين إلا أنهم فشلوا فشلا ذريعا في المحافظة على فلسطين وكانت هزيمتهم طعنة نكراء لكرامتهم وعزتهم وخطرا على كيانهم ومستقبلهم. لقد رفض السلطان عبدالحميد الثاني ان يبيع فلسطين للصهاينة رغم كل القروض والهبات الصهيونية التي عرضت عليه إبان الاوضاع الاقتصادية المتردية للدولة العثمانية والمنافسات الدولية الاستعمارية لتقسيم الدولة العثمانية (الرجل المريض) في بداية القرن العشرين.

وعندما اتخذ السلطان عبدالحميد الثاني هذا القرار لابد انه قد أستذكر دور الاجيال العربية التي سبقته والتي قاتلت أكثر من مائتي عام امواجاً من الغزوات الصليبية بالإضافة الى شعوره العميق بأن مسئوليته كخليفة وهو على رأس الدولة العثمانية الاسلامية تحتم عليه ان لايتنازل عن فلسطين والقدس الشريف. وهذه حقيقة تاريخية تغسل كل مساوىء عهد السلطان التركي.

ان حكمنا على التاريخ لابد أن يؤدي بالضرورة إلى حكم التاريخ علينا فكل جيل يحاكم الجيل الذي سبقه من خلال التاريخ. ان التاريخ يؤكد ان الشعوب التي تمتعت بالقيادة والجرأة والتصميم والإرادة هي شعوب حية لم تقبل الضيم كما ان الارادة العربية التي انتصرت على الجناح الشرقي للأمة العربية قد جعلت من قضية تحرير القدس ليس من رابع المستحيلات.

إن العامل التاريخي في التوجهات الفكرية العربية حيال القضية الفلسطينية هو عامل هام جداً وتركز الصهيونية على تنشيط حركة تأليف واسعة في العالم العربي من أجل تسخير التاريخ لخدمة أغراضها التوسعية والعمل المستمر في مجال تشويه التاريخ العربي الاسلامي وخصوصا التاريخ العربي لفلسطين.

والذين عاشوا فترة صدور كتاب توينبي «دراسة التأريخ» في فترة الخمسينات من هذا القرن يدركون الأساليب الصهيونية في محاولة أسر الحقيقة التاريخية في محاولة طمسها او خنقها. لقد بادرت الجهات الصهيونية في حينه إلى شراء الطبعة الأولى من ذلك الكتاب بسرعة مذهلة من أسواق الكتب لأنه تضمن نقداً صريحا للفكر الصهيوني ودافع عن الهوية العربية لفلسطين. واليوم تمارس السلطات الصهيونية بمختلف الوسائل الهمجية للقضاء على الشعب العربي الفلسطيني من ذلك الحرب الواسعة التي تمارسها ضد التاريخ العربي الفلسطيني فقد بادرت إلى نهب المكتبات الفلسطينية وحرق المخطوطات العربية وسرقة الوثائق الفلسطينية وتدمير معالم التراث العربي الفلسطيني الممثلة في الجوامع والمساجد والكنائس والاستحواذ على الاثار العربية ومحاولة ازالتها. وإن محاولة حرق الأقصى انها تعكس الروح الشريرة للصهاينة التي تستهدف ازالة هذا الصرح الدولي والقومي الذي يحتل مركزا مرموقا في قلب كل عربي.

وتمارس السلطات الصهيوني المحتلة تدخلاً سافراً في حرية الفكر التاريخي العربي الفلسطيني من خلال التدخل في كتب التاريخ المدرسية ومصادرة الفكر التاريخي القومي بصورة عامة. ومن التحديات الكبيرة التي يجب ان تسترعي انتباه المفكرين العرب الجهود الصهيونية المضنية للتسلل الى مراكز الدراسات العربية والاسلامية في الولايات المتحدة وأوروبا والتدخل المباشر في مناهجها التأريخية والضغط والتأثير على اتجاهاتها الفكرية، وليس من غريب الصدف ان معظم الذين يدرسون التاريخ العربي الاسلامي في تلك الأصقاع هم من اليهود. ولابد في هذا المجال ان أشير

بصورة صريحة الى المعاهد والمؤسسات التي تنشأ في الجامعات والمعاهد المتخصصة في الدول الغربية عن قضايا عرقية وطائفية تستهدف الى توسيع الخلافات العرقية والطائفية في المنطقة العربية ناهيك الى دور الحركة الماسونية في محاولة تفتيت العالم الاسلامي وتبنى قضايا التجزأة على حساب الوحدة . هذا بالاضافة الى جهود تبذل لفك الترابط العضوي بين العروبة والاسلام .

وفي هذا المجال فإن التركيز على كتابة التاريخ العربي الفلسطيني ونشره وتدريسه من الأمور القومية الهامة في الفكر العربي المعاصر . إن المعرفة الدقيقة بكافة فصول التأريخ العربي الفلسطيني هي قضية حيوية للاستاذ والطالب كما أنها سلاح مهم بيد الدبلوماسي العربي والكاتب والفنان والتاجر . واذا علمنا حجم الجهود الضخمة التي تبذلها الحركة الصهيونية في محاولة تشويه التاريخ العربي الاسلامي ومحاولة تشويه التاريخ العربي الفلسطيني بصورة خاصة فإن واجب الفكر العربي المعاصر الاهتمام بالتاريخ لأنه جسر هام لنقل الأفكار العربية وتثبيت الحقوق العربية وتركيزها .

ان حسن ادراك العرب لقضاياهم ووعيهم التاريخ هو أهم المفاتيح في كسب الصراع العربي الصهيوني وهذا لايقل أهمية عن العامل الدبلوماسي او العسكري أو السياسي .

وللعوامل التاريخية أهمية خاصة في التوجهات الفكرية العربية في حقول التربية والتعليم والاجتماع والاقتصاد والاعلام والعمل الدبلوماسي والعلاقات الدولية بصورة عامة . وقد بدأت المعاهد العسكرية العربية المتخصصة الاهتمام بدراسة التاريخ وتدريسه أسوة بما يجري في مثيلاتها بالدول المتقدمة . ويقول مؤرخ التاريخ العسكري البريطاني ليدل هارت في كتابه (التاريخ فكرا استراتيجيا) إن مدرسة التاريخ تعلمنا فلسفة شخصية وحكمة عملية وتفيدنا في السلوك والتصرف والتدبير في السراء والضراء على حد سواء . ومن فضائل وحسنات النظرة التاريخية الواسعة ، الواعية العريضة الشاملة ، انها تساعدنا ليس فقط على التحلي بهدوء النفس وصفاء العقل وثبات الجأش ورسوخ الجنان في أوقات الضيق والشدة ، بل انها تغنينا أيضاً في الاحتفاظ بشعاع من النور يتحدى الظلام ، وبصيص من الأمل بدد الضعف واليأس والقنوط ولا يوجد أعظم وأقدم والزم واحكم من التأريخ الذي هو السجل الحقيقي لجميع البشر على تعاقب الأجيال واختلاف العصور بما في ذلك انجازاتهم واخطائهم . » ويستطرد هذا المؤرخ البارع الذي قدم لمكتبة التاريخ العسكري الدولي عشرات الكتب والمؤلفات قائلا «إن البارقة الوحيدة الباقية من الأمل للإنسانية جمعاء الآن هي أن يتحول اختصاصي العلمي الدقيق وأعني فن الحرب إلى فرع من فروع الآثار القديمة ومع حلول عصر الأسلحة الذرية والنووية وظهور القنابل الهيدروجينية والنيوترونينية ، فنكون نحن البشر قد وصلنا اما الى الصفحة الأخيرة من الحرب بالمعنى العالمي الشامل الذي عرفناه في الماضي وإما إلى الصفحة الأخيرة من التاريخ الإنساني على سطح هذا الكوكب السيار المسمى بالأرض .

واختتم حديثي هذا بالتأكيد على أهمية عوامل التاريخ الدولي وعلاقته بالاتجاهات الفكرية العامة فالعرب أصحاب حضارة عريقة عمت أرجاؤها الأرض وتفاعلت حضاراتهم مع الحضارات العالمية المختلفة وأثرت عليها جميعاً تأثيرات ايجابية مختلفة . وفي عالم اليوم حيث تتداخل العلاقات الدولية وتتداخل المصالح تتضاعف مسئولية المؤرخ في نقل الأفكار المختلفة في إطار من العلمية والاخلاقية من أجل خدمة الحقيقة التي هي أصلا هدف الدراسات التأريخية .

مصادر البحث

عبدالعزيز الدوري «التكوين التاريخي للامة العربية: دراسة في الهوية والوعي» منشورات مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٨٤م .

«مسالة الوحدة العربية منذ ظهر الإسلام وحتى الحرب العالمية الاولى» بحث قدم إلى ندوة الوحدة العربية التي اقامها مركز دراسات الوحدة العربية وجامعة صنعاء في صنعاء ٥ ـ ٨ ايلول ١٩٨٨م .
ارنولدتوينبي «محاضرات في القاهرة» نص المحاضرات التي القاها في القاهرة عام ١٩٦٤م ترجمة وتقديم الدكتور فؤاد زكريا .

«تاريخ البشرية» ترجمة نقولا زيادة. بيروت ١٩٨١م.

قسطنطين زريق : «نحن والتاريخ» بيروت ١٩٥٩م .

شوقي الجمل «علم التاريخ: نشاته وتطوره ووضعه بين العلوم الأخرى ومناهج البحث فيه» القاهرة ١٩٨٢م .

علي محافظة. «الاتجاهات الفكرية في عصر النهضة ١٧٩٨ ـ ١٩١٤» بيروت ١٩٨١م

لويس جوتشلك «كيف نفهم التاريخ : مدخل الى تطبيق المنهج التاريخي»
ترجمة عائدة سليمان عارف واحمد مصطفى ابو حاكمة: بيروت ١٩٦٦م .

عمر فروخ «تجديد التاريخ في تعليله وتدوينه» بيروت ١٩٨٠م

وضاح شرارة «المسالة التاريخية في الفكر العربي الحديث» بيروت ١٩٧٧ .
هاملتون كب: «علم التاريخ» ترجمة ابراهيم خورشيد بيروت ١٩٨١م.
مركز دراسات الوحدة العربية «الحياة الفكرية في المشرق العربي ١٨٩٠ ـ ١٩٣٩» بيروت ١٩٨٣م
ساطع الحصري : «آراء واحاديث في التاريخ والاجتماع» مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ١٩٨٥م .



د/ يوسف محمد عبدالله

يمن ١٩/

مكان العثور : مجهول ولعله من خولان شرق صنعاء

الابعاد ١٢٩×٤٥×٣٣ سم

الوصف الصورة للدكتورة سولانج اوري في مكانه بساحة المتحف الوطني بصنعاء والنقش محفور على حجر من البازلت وتالف في اعلاه الايمن والحروف المثبتة في القراءة هي محاولة من الناشر لاعادة تركيبه . والصورة المرفقة هي افضل الصور لدى والتي اخذت للنقش في اوقات مختلفة واشكر الصديق الدكتور كريستيان روبان على تفضله بارسال الصورة وعلى حسن تعاونه ، وكذلك للدكتور والترموللر والدكتور لونديين .

النقش بخط المسند :

نقل المبني :

خل حمد / ذت / جلدن / بت / بن / حنزم / بنيت / وهو / ثرن / وهشقرن/ بيتن / تبعم / وردأت / بعليه / شرحم / وشعبم / وبنيه / بني / جلدن / الفم / بلطم / عدي / فديت / بن / عذرن/ ول / صروحين/



نقل المعنى :
خالٍ حَمَد الجـالديّة بنت آل حنز بَنَتْ / البيتِ / المُسمّى / تُبّـع وإسسته ورفعته و(كذلك) سدّدت لِبَعْلَيْها شَرح وشَعب ولبنيهـا آل الجالد الفاً بلطاً مقابـل اخلا طرفها من الدين (الغرامة) و (ووفاء للاله) صاحب صراوح . .

الحاشية :

خل حمد : بعض الحروف تالفة في اول النقش ولكن الخاء واللام والميم مؤكدة . . والفعل بنيت وما تلاه يؤكد ان صاحب النقش امرأة . . وترد في النقوش اعلام مؤنثة ومركبة من خل < خال او خِلّ ولفظ اخر ، ومثال ذلك خل حلك (جام ٧/ ٦٥٥) ومثل اب حلك وملك حلك وكلا العلمين مؤنث (انظر ثبت هاردنج) كما ان الميم المؤكدة تقتضي ان يكون اللفظ الاخر من الاسم وسطه ميم . وحمد من اسماء النساء في النقوش (فخري ٧٦/٣) . والاسم أمت حمد مؤنث في النقوش اللحيانية (ثبت هاردنج) . وليس في ما لدي من اسماء اخرى ما يمكن ان يدل على قراءة اخـرى ممكنـة للاسم المـذكـور . وهذا التركيب معروف في اعلام النقوش اليمنية القديمة مثل اب حمد علم مؤنث (جام /٧/ ٧١٩) واب عتد واب صدقم وأب علي وأب نعم وأب ودد وأب يثع وكلها ترد مؤنثة في معظم الحالات . . والارجح ان صيغة هذا التركيب كغيره من الاسماء المركبة في اليمن القديم تفيد ارتباط معين بالاله او صفاته ، ويسقط في رسم المسنـد الضمـير المتصل (الياء) فيقال خالي حمد وأبي يثع ومثله في الاعلام المذكرة أب كرب أي أبي كرب ، والجزء الثاني من الاسم اما ان يكون فعلا او صفة او اسماء .

ذت جلدن : جلدن اسم البطن او العائلة التي تنتمي اليها صاحبة النقش ، وذت مؤنث ذ < ذو التي تسبق اسم البـطن او القبيلة . ويجوز ان يقـرأ الاسم جَلْد الجالد او جلادان . وجاء في النقش (جام ٧٣٨/٣) بنو / جلدن / احملن / = بنـو جلدان الاحمول . انظر الاكليل ٢ ص ٤٥٤ : الجالد والمصدر نفسه ص ٤٥٥ : جلد . وبيت الجـالـد : قرية معـروفـة في أرحب (الحجـري مجموع بلدان. . . . ج١ ص ١٧٢/٦٦)

بت / بن ؛ الحروف غير مؤكدة وخاصة ما بعد الباء والتـاء ، ويمكن ان يقرأ بدلا من بت اللفظ بتر ربما بمعنى بتراء أي عاقر التي لانسل لها . راجع النقش (كـوربـوس ٥٨١/٨) والمعجم السبئي بترم ومـناقشة (بيستن) في المقال :

south arbia,Aribian studies 4, (1978) P.21-25.Temporary Marriage in per – isamic

وفي هذه الحالـة ربـما اعتبر بناء البيت والمبلغ المقدم للزوجين والعائلة اخلاء التزام للمرأة من الحمل والذّرية ، وهو احتمال اضعف مما اثبتناه في هذه الدراسة ، اذ ينبغي ان يكون المبلغ ذا علاقة مباشرة ببناء البيت بحيث يكون نقش البناء سجلا للملكية وابراء الذمة من الغير ممن ساعدوا في بنائه أو كان لهم حق الارضية أو قدموا دينا وما أشبه ذلك .

حنزم: اي خال حمد الجالدية ابنة بني حنز . ويرد اسم البطن هذا لاول مرة في النقوش اليمنية القديمة ، ولكن ورد الاسم مؤنثـا حنـزت في النقوش القتبانية والمعينية «راجع ثبت هاردنج» والحنز في اللغة القليل من العطاء وهذا حِنز هذا أي مثله . . (اللسان مادة حنز) . .

تبعم : اسم البيت والاسم معروف اسما لشخص انظر (كـوربـوس ٢٨٧/٩) ويقـال تُبّـع وتَبـاع والتباعيون (الاكليل ج ١٠ ص ٢٩) .

ردأت : اعـانت من الجـذر رداء بمعنى عون ، ويرد الفعل متعديا هردأ بمعنى اعان وساند المعجم السبئي . والمعنى الدقيق : ساعد ، لايسعف على المقصود هنا تماما ، فالمراد هو قدم او دفع مالا او سدد وما أشبه ذلك . ومثل هذا المعنى ليس ببعيد عن المعنى الاصلي للفظة ، فيقال أمده بمال بمعنى اعطاه أو ساعده .

بعليه : بعليها من معاني بعل في النقوش زوج وصاحب ورب ومالك ومواطن في بلد .

والارض البعلية هي التي تسقى من ماء السـماء (راجع المعجم السلبئي) . والهاء ضمير المؤنث المتصل . ولايرسم بالمسند صوت اللين وفي اللغة البعل هو الزوج . .

شرحم / وشعبم / شَرح وشعْب اسما الزوجان . .

ويمكن ان يقرأ العلم شرحم على صيغة الفعل شَرَح ومصدر شرح وشريح صفة مشبهة وشراح (انظر الاعلام عند الهمداني مادة شرح) وفي النقوش العلم شائع . شعبم علم معروف ايضا انظر RES 3946/3 والاكليل ج ١٠ ص ٨٩ .

بن / جلدن : يقتضي السياق ان تقرأ بن : بني او بمعنى من والمقصود وأولادها بني الجالد او من آل الجالد .

الفم / بلطم / : الفاً بَلَطا اي ألف قطعة من العملة المسمى بلطم وترد اللفظة في النقوش بلطتم] بلطة مفردا وبلط بلطت] بلطات جمعا « المعجم السبئي » ويذهب بعضهم الى ان الكلمة من اليونانية بلاس والجمع بلادس وفي هذه الحالة تكون الطاء تفخيما للدال كما هو معروف لتقارب المخرج . وتطلق الكلمة على عملة اثينية شائعة (دراخما) وهي الدرهم الذي يحمل صورة رأس (بلاس) اثينا ، وكانت تستعمل كثيرا في التجارة مع بلدان الشرق (معجم بيبلا مادة بلط) اي ان الكلمة في النقوش اخذت من صيغة الجمع بلادس (Pallades) . ومن المفرد بلاس بلس يمكن ان يؤخذ اسم العملة الشائعة فلس حيث يتحول الباء المفخمة غير العربية الى الفاء في العربية مثل بلاتون وافلاطون وبرسك وفرسك (Persic)

وكان من المتوقع ان يكون تعريب صيغة الجمع اليونانية بَلدس فَلط وليس بَلَط اما السين في الكلمة اليونانية فلا حقة وليست من اصل الكلمة

عدى / فديت : مقابل اخلاء طرف ، نظير ابراء ذمة . ومن معاني عدى : في ، حتى وفي المعجم السبئي كعد والكاف سابقة للفظ عد ، تعني مقابل ، نظير/ فديت . مصدر من الفعل فدي بمعنى دفع « مالا» ، سدد (دينا) ، افتدى ، أحل (من الالتزام) ، (انظر المعجم السبئي مادة فدي) .

بن / عذرن : من الدين ، عذرن مصدر معروف من الفعل عذر ومن معانيه في المعجم السبئي ، عاقب ، جازي والفعل المزيد ستعذر يعني استغفر ، سأل الصفح ، والجزاء هو الدين ايضا ، يقال الدين بفتح الدال والدين بكسرها ، ويوم الدين هو يوم الجزاء . ودانه دينا اي جازاه (اللسان مادة دين) .

ول / صروحين : ومن احل ، الواو حرف عطف واللام حرف جر ، صروحين : الصرواحي اي الذي ينتمي الى صرواح . والارجح انه كناية عن صاحب معبد صرواح أو إله المقة صاحب المعبد في صرواح (انظر رسالة الصليحي ص ٢١٦ - ٢١٧) اي ووضعت البيت ، بعد ان اصبح ملكا خالصا لها وبعد ان دفعت ماكان عليها من دين او مال الاستيفاء الملكية ، في حمى الاله صاحب صرواح .

* يفهم من النقش عادة تعدد الازواج PolyANDERY في اليمن القديم ، وهو امر معلوم ويراجع بهذا الخصوص مقالاً للدكتور والترمولر في مدونة النقوش الالمانية NEUE EPHEMERIS FUR SEMITISCHE EPiGRAPHIK

* جاء رقم النقش المنشور في العدد الثاني من السنة السابعة (١٩٨٩) من هذه المجلة تحت (يمن١٧) والصحيح (يمن ١٨) .

اهم المختصرات الواردة اعلاه هي كما يلي :

- جام = نقوش نشرها البرت جام
- نبت هاردنج =
AN INDEX AND CONCOR DANCECE of PRE-iSLAMIC ARABIAN NAMES AND iNSCRiPTIONS. BY LANKESTER HARDiNG. TORONTO (1971)
- فخري = نقوش احمد فخري
- الاكليل = كتاب الاكليل للحسن بن احمد الهمداني
- كوربوس = نقوش مدونة النقوش السامية (CIH)
- اللسان = لسان العرب لابن منظور
- مجموع بلدان = مجموع بلدان اليمن وقبائلها لمحمد بن احمد الحجري (١٩٨٤)
- ريبرتوار =R= RES نقوش مدونة النقوش الفرنسية
- المعجم السبئي = المعجم السبئي تأليف بيستن وريكمانز والغول ومولر . منشورات جامعة صنعاء (١٩٨٢) .
- الاعلام عند الهمداني =
DiE PERSONENNAMEN AL-HAMDANiS AL-iKLiL UND THRE PARALLELEN iN DEN ALTSUEDARABiSCHEN iNSCHRiFTEN CDiSSERTATiON VON Y. ABDALLAH, TUEBiNGEW MARURG (1975
- رسالة الصليحي iLMQH ,FONCTiON ET NATURE D'UN DiEU SUD- ARABEQUE THESE LE DOCTORAT DE L'UNiVERSiTE PARiS' i, PAR ALi M. AK. AL-SOLEHi PARiS (1989)

مساند حميرية في مصادر التراث العربي

دراسة لغوية دلالية

د/ ابراهيم محمد الصلوي
جامعة صنعاء - كلية الآداب

نجد في بعض المصادر العربية - خاصة مؤلف الهمداني (كتاب الاكليل) - أقوالا وأمثالاً وحكماً ، عرفت عند الهمداني بالمساند الحميرية ، وعند آخرين بالكلام الحميري لكن هذه المساند وللأسف الشديد ، تعرضت للتحريف والتصحيف من قبل النساخ القدامى ، الذين كانوا يجهلون لغة أهل اليمن ، أو لغة حمير ، نظراً لبعدهم الزمني عنها ، أو بعدهم عن المناطق التي كانت لهجاتها ماتزال تتضمن بعضاً منها. ولا أدعى هنا ان ما لحق بها من تصحيف وتحريف ، هي من صنع الهمداني - كما يذهب الى ذلك البعض - أو وجد في المخطوطات الاصلية ، وإنما كان التصحيف والتحريف من صنع اولئك النساخ ، الذين نقلوا هذه المصادر عن المخطوطات الاصلية عبر الزمن. والدليل على ذلك أن محتوى هذه المساند باللغة العربية ، نقل صحيحا كما أورده الهمداني وغيره في مخطوطاتهم الأصلية. وعلى كل حال فالدراسة العلمية الصحيحة لهذه المساند - وهي هدف هذا البحث سوف يجعلنا نتبين فيما اذا كانت حقا حميرية ، ام أن تسميتها بذلك مجرد ادعاء من قبل أصحاب هذه المصادر.

وكلمة (مساند) هي صيغة جمع ، وردت في المصادر العربية فقط ، وتعنى ما أشرنا اليه سلفاً من أقوال وأمثال وحكم. كما أن صيغة المفرد (مسند) وردت في المصادر المذكورة ، وتعني الخط الذي استخدمه اليمنيون القدماء قبل الاسلام لتدوين نقوشهم . فالهمداني استخدم في مؤلفيه المشهورين (صفة جزيرة العرب) و(كتاب الأكليل)(١) صيغة المفرد (مسند) وصيغة الجمع (مساند) للدلالة على الأقوال والامثال والحكم ، التي سماها (حميرية) .

وكلمة (مسند) عند كل من ابن دريد (٢) وابن الاثير (٣) ، وابن سيده (٤) ونشوان بن سعيد الحميري (٥) وإبن خلدون(٦) تعنى (خط حمير) اما ابن رسته ، فيستخدم صيغة الجمع (مساند) وتعني لديه (احجار كبار في مواضع عالية مكتوب عليها بالكتابة الحميرية الأحداث التي كانت مؤرخة) (٧) .

وفي النقوش اليمنية القديمة ، نجد صيغة المفرد (مسند) ، وتعني (نقش) ، والجذر الأصلي (سند) ، ويعني (اقام نصباً) (٨) ومن خلال هذا العرض ، نجد بعض التباين في معاني (مسند ، مساند) في المصادر العربية والنقوش ، الا أن الاتفاق بينهما على أن الكلمة تعني (لغة حميرية) و(خط حميري) وهذا التباين ، يرجع الى أن الهمداني قد سمع الكلمة من أساتذته من ذوي المعرفة بأخبار اليمن القديم ولغته ، وشاهد بعض الكتابات الحميرية على الأحجار ، وأن غيره من اصحاب المصادر العربية المذكورين سلفاً ، قد وصلتهم هذه الكلمة ضمن ما وصلهم من أخبار اليمن القديم ولغته .

وعلى كل حال فمن المرجح أن كلمة (مسند ، مساند) ، تعني - استنادا الى لغة النقوش اليمنية القديمة - النقوش المدونة على الأحجار الموضوعة كنصب تذكارية على واجهات المعابد والقبور ومنشآت الري والقصور ، ولا تعني الكلمة الكتابة نفسها. ويؤيد ذلك أن الفعل البسيط (سند) الذي ورد في لغة النقوش ، وهو أصل الكلمة (مسند) يعني (أقام نصبا ، نصب) وهذا التفسير يتفق مع راي عالم النقوش اليمنية القديمة (Beeston) (٩) وكل ما عثر عليه من هذه النصب التذكاريه المكتوبة ، تسمى بين المتخصصين بالنقوش ، وهي بالفعل لغة اليمن القديم ، أو لغة حمير - كما يسميها البعض.

فهل الأقوال والامثال والحكم - موضوع هذا البحث - حقا مساند لغة ومحتوى أم لا؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه من خلال عرضنا واستقراءنا وتحليلنا لهذه الأقوال والامثال والحكم ، بعد ضبط قراءتها وتحليلها لغويا ودلاليا استنادا الى معطيات لغة النقوش اليمنية القديمة ، واللغة الحبشية ، واللغات السامية الأخرى ، ولهجات اليمن اليوم بما فيها لهجات كل مناطق الشحر والمهرة وسوقطرة .

المسند رقم (١) :-

«أنا ديباجة بنت نوف بن ذي شقر بن ذي مرائد بهلك لأدمي يشأم لى مد طحين بمد بحري فدو أسيه لي فاعتفدك بقبري ، فمن سمع بي فليحزن لي وأيما أنث لبست ليي ليكن موتها جنح موتي» [الاكليل ج ٨ ، تحقيق القاضي محمد الاكوع ص ٢٠٨ و٢٠٩]

معنى المسند عند الهمداني :-

«امرت» عبدي يشتري لي في حطمة وقعت مد طحين بمد لؤلؤ فلم يجد فاعتفدت : أي أغلقت بابها حتى ماتت . ثم دعت على كل امرأة تلبس حليها يكون موتها مثل موتها» .

المعنى المطابق للمسند :-

«أنا ديباجة بنت نوف بن ذي شقر بن ذي (مرائد أمرت خادمي يشتري لي مد طحين بمد لؤلؤ فلم يجده لي فاعتفدت بقبري . فمن سمع بي فليحزن من أجلي وأيما امرأة لبست حليي ليكن موتها مثل موتي» .

التحليل والتعليق :-

من حيث اسلوب كتابة المسند ، نجد ان الهمداني استخدم أسلوب كتابة اللغة العربية الفصحى والدليل على ذلك - على سبيل المثال - أنه كتب اسم صاحبة المسند باثبات تاء مربوطة في آخره وكان من المفروض - استنادا الى قاعدة كتابة اللغة الحميرية ان تكتب هذه التاء مفتوحة ، لأنها تدل على الأسماء (اعلام أو غيرها) المؤنثة . كما انه أثبت مد الفتح كتابة في الاسم نفسه. وكان من المفروض أن يكتب هذا الاسم(دبيجت)) - واثبت ايضا مد الضم في الاسم (نوف) ومد الكسر في أداة النسبة (ذي) ، ومد الفتح في الاسم (مرائد) ، مع انها لاتثبت كتابة في اللغة الحميرية، وكان المفروض ان تكتب (نف) (وذشقر) (وذ مر ثد) فالواو والالف والياء في هذه المواضع تعامل على أنها حروف مد في قواعد كتابة اللغة الحميرية . والمثل الأخير ان الهمداني لم يثبت كتابة الواو كاشباع للضم في نهاية الضمير المتصل بالفعل (اسية) واكتفى بالضم كما هو الحال في اللغة العربية الفصحى . وكان من المفروض ان يكتب هذا الضمير المتصل (اسيهو) وقس على ذلك بقية كلمات المسند. وعدم اتباع الهمداني قواعد كتابة اللغة اليمنية القديمة أو كما يحلو للبعض ان يسميها (باللغة الحميرية) . انما يدل دلالة قاطعة على أنه لم ينسخ المسند المشار إليه من وثيقة مكتوبة شاهدها بنفسه ، ولكنه تلقاه مشافهة من غيره فكتبه كما سمعه باسلوب كتابة اللغة العربية الفصحى .

أمـا التصحيف فقـد لحق ببعض كلمات المسند وهي : (بهلك) وردت في النسخ المحققة من كتـاب الاكليل الجزء الثامن (١٠) : (فهلك) و(مهلك) و فتملك) وضبط قراءتها ـ كما ذكرنا من قبـل (بهلك) ولآدمي ، وردت في النسخ المذكورة (الادي) (ولادي) ويشـأم) وردت (شمـر) (وشتم) و(يشتم) و(سمن) و(يسمن) وضبط قراءتها كما دكرنا من قبل ـ (يشأم) و(مد) الأولى ، ووردت : (مندد) و(بمد) الثانية ، ووردت :(عند) .و(بحري) ، ووردت : (ذنجـري) و(أسيه) ، ووردت : (سنة) و(نسه) و(لسه) . وضبط قراءتها ـ كما ذكرنا من قبل ـ (أسيه) . و(بقبري) وردت : (معيري) و(أنثت) ، ووردت : (أنثـه) و(أتيتـه) . و(حلبي) وردت : (حسبي) و(حتى) . أما (جنح) فلم ترد إلا في نسخة المحقق نبيه فارس. وبالرغم من دلك وردت عنده (جنح) وقـد قمنـا بضبط قراءة هذه الكلمات وتصحيحها استنادا الى لغة النقوش القديمة ، واللغة الحبشية ، واللغات السامية الأخرى)واللهجات٨اليمنية قديما وحديثا .

بهلك «قلت ، أمرت» :ـ

فعـل ماضي والكاف ضمير المتكلم والفعل المذكور لم يرد في النقوش اليمنية القديمة المعروفة ، ولكنـه استخـدم في اللغة الحبشية ، فنجد هناك (بهل) بمعنى (قال ، تكلم) (١١) والمرجح أن هذه الكلمـة دخلت الى الحبشة عن طريق (اليمنيين) الذين هاجروا الى هناك في فترة تسبق ميلاد المسيح. وقد ظلت قيد الإستخدام في لهجات اليمن حتى اليوم. فيقال (بهّل وأبهل) أي (رحب) (١٢) وفي لهجتي الشحـر والمهرة ، تستخدم الكلمة (بهلت) بمعنى (كلمة) (١٣) والجدير بالذكر أن (نبتهل) في القـرآن الكـريم (سـورة ٣ أية ١٦) ، والتي تعنى (نتضرع)* و(بـاهـل) بمعنى (جادل)، و(مباهلة) بمعنى (مجادلة) اللتان وردتا في سياق خبر لقاء وفد نصارى نجران مع النبي صلى الله عليه وسلم (١٤) . هي من لغة اهل اليمن في تراث اللغة العربية الفصحى .

والكاف الدالة على ضمير المتكلم لم تعرف في أي من اللغات القديمة واللغة العربية الفصحى ، إلا في النقوش اليمنية القـديمـة واللغـة الحبشية ولهجات اليمن قديما وحديثا . كما ان الكاف في لغة أهل اليمن ، ترد أيضا للدلالة على المخاطب . ولا تزال كل من (كاف المتكلم وكـاف المخاطب) في لهجات بعض مناطق وادي بنا وتعز وإب حتى اليوم . فيقال مثلاً (قُلْك و قَلْك) في قُلْتُ وقلتَ .

لآدمي «لخادمي ، لتابعي» :ـ

لآ اللام هنا حرف جر سبقت المفعول به (آدم) وهـذا شائـع الاستخـدام في لغـة النقوش اليمنية القديمة واللغة السريانية . وقد عرف المفعول به في مثل هذا الموضع عند النحاة العرب بالمفعول به غير الصريح نظرا لوجـود حرف رابط بينه وبين الفعل والفـاعل. والياء الدالة على المتكلم مضاف اليه. والكلمة (آدم) عرفت في كثير من اللغات القديمة ومنها اللغة العربية الفصحى ، كاسم علم . ولكنها في لغة النقوش اليمنية القديمة ، تحمل نفس المعنى في هذا المسنـد ، وهو (خادم ، تابع) الى جانب المعنى «عبدالإله» (١٥) .

يشأم «يشتري» :ـ

فعل مضارع من الفعل الماضي (شأم) ، وهو

* معناها في الاية المذكورة الدعوة للمباهلة وهي عند المفسرين الملاعنة بدليل قوله تعالى في السياق اللاحق للكلمة ـ (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) والمباهلة عادة قديمة يحتكم اليها لمعرفة الصدق والكذب في قضية لم تتوفر فيها الادلة الكافية مثل اغراق المرأة المدعى عليها بالزنى فان نجت فهي بريئة كما في قوانين حورابي وصب النيران على المدعي عليه عند الايرانيين قبل الاسلام أ هـ اكليل

شائع في لغة النقوش اليمنية القديمة، ويحمل نفس المعنى والى جانب هذا الفعل البسيط، وردت في لغة النقوش المذكورة صيغة الفعل المزيد منه (هشام) وتعني «باع» (١٦). ولم يرد هذا الفعل في أي من اللغات القديمة سوى في اللغة الأكادية (شامو) ويعني «اشترى» (١٧) ولا يزال قيد الاستخدام في لهجات بعض مناطق اليمن حتى اليوم ففي لهجة المهرة، نجد (شوم) بمعنى «باع» و(شِتِم) بمعنى (إشتري) (١٨) وفي هجة الشحر، نجد (شِم) بمعنى (باع) وشِتِم) بمعنى (اشترى) (١٩). كما نجد في لهجة سوقطرة (شيوم) بمعنى (باع) (٢٠). *

بحري «لؤلؤ» :-

من المرجح أن كلمة (بحري) مركبة من (بحر) و(ياء) النسبة. وقد عرفت هكذا في اللغة الحبشية، وتعني (لؤلؤ) (٢١) ولم ترد فيما بين أيدينا من نقوش يمنية قديمة معروفة. كما أنها وردت مرة واحدة في شطر بيت من قصيدة لبيد (جمانة البحري) في (كتاب شمس العلوم) (٢٢).

دوْ «لم، ليس» :-

أداة نفي، عرفت في لغة النقوش القديمة (٢٣) واللغة الحبشية (٢٤) ومبلغ علمنا أنها لم ترد في أي من اللغات القديمة الأخرى ولا في اللغة العربية الفصحى. ولا تزال (دو، دأ، دو) كأداة نفي، قيد الأستخدام في لهجات مناطق الحجرية وتهامة حتى اليوم.

أسيَ «وجد» :-

فعل ماضي عرف في لغة النقوش اليمنية القديمة بنفس المعنى «وجد» الى جانب «لقي، رأى» (٢٥) ولم يرد في اي من اللغات القديمة الأخرى بما فيها اللغة العربية الفصحى، ولا يزال الفعل (أسي) بمعنى «وجد، لقي، رأى» والصيغة المشتقة منه (أسيه) بمعنى «لقيه، كنز» قيد الاستخدام في لهجات كثير من مناطق اليمن حتى اليوم.

(إعْتَفَدَ : «اقتبر» :-

يقول الهمداني فى سياق معنى المسند السالف الذكر : «اعتفدت»: اي اغلقت بابها حتى ماتت. ويقول نشوان بن سعيد الحميري «الاعتفاد بلغة حمير: إغلاق الرجل عليه باب داره لايخرج منها حتى يموت. كانوا يفعلون ذلك وقت انقطاع الحب عن اليمن.. تكبراً عن السؤال» (٢٦). والفعل (أعتفد) ماض مزيد من الفعل البسيط (عفد) هذا الفعل لم يرد في النقوش اليمنية القديمة المعروفة ولا في غيرها من اللغات القديمة. لكن الهمداني ونشوان ذكراه في مؤلفيهما على أنه من لغة حمير. ويبدو من تفسير هذا الفعل أنه مصطلح عرف عند الحميريين للدلالة على أن أكابر حمير عند الشدة في أيام الحطمة يغلقون أبواب دورهم عليهم ويموتون تكبرا عن سؤال غيرهم ممن هم أقل مرتبة اجتماعية منهم، او من أعدائهم. ومن الناحية اللغوية الفعل المزيد (اعتفد) يعني مباشرة (اقتبر) ويثبت هذا أيضا أن هناك صيغة مشتقة من الفعل البسيط (عفد) لاتزال قيد الاستخدام في لهجات مناطق قاع البون وأرحب حتى اليوم وقد سمعناها من أكثر من واحد من أبنا تلك المناطق. وهذه الصيغة (معفده) وتعني «مقبرة» وأستمرارها بهذا المعنى دليل قاطع على ان الفعل البسيط (عفد) يعني (قَبَرَ) وأنها متوارثة منذ القدم في اليمن.

* في لهجة ريمه اشأم بمعنى انظر وقد ارتبط البيع بالنظر لاجل صحة فغي القوانين والاعراف القديمة وكذلك في الشريعة الاسلامية ولذلك ضعفوا بيع المجهول وشرطوه بخيار النظر وبالأجازة من المالك وفي الفصحى مثل قول عمر بن ابي ربيعه :

وكن اذا ما شمنني او سمعن بي هرعن فرتقن الكرى بالمحاجر

أ هـ اكليل

جنج «مثل» :-

يقول نشوان بن سعيد الحميري : (الجنج)) : المثل بلغة حمير يقولون : هما جنجان أي مثلان (٢٧) وهـذه الكلمة عرفت في النقوش اليمنية القديمة كأحد الروابط وتعني «مثلما ، وفقا ل ، طبقا ل .) (٢٨) ولا نجدها في اللغة العربية الفصحى ولا في غيرها من اللغات السامية الأخرى. ومبلغ علمنا أنها لم تعد تستخدم في هجات اليمن اليوم .

ومن حيث المعنى العام للمسند المذكور ، نجده صحيحا ويطابق تماماً ماجاء في المسند الحميري وأن هناك بعض الزيادات ، أوردها الهمداني في بعض المواضع لتوضيح المعنى فصاحبة المسند مثلا لم توضح لماذا بعثت خادمها يشترى لها مد طحين بمد لؤلؤ ، اي مقابل ثمن خيالي . لذلك أضاف الهمداني الزيادة « . . في حطمه وقعت» . . لتوضيح السبب وهو ان الحطمة التي أصابت اليمن أيام صاحبة المسند ، كانت شديدة الى حد جعل الزيادة من واقع مضمون المسند. كما أن الهمداني أراد بأضافة الزيادة « . . . أي أغلقت بابها حتى ماتت» تفسير الفعل (أعتفد) . فهو يدرك أن القارىء يجهل معنى هذا الفعل لأنه أصبح غير معروف عند كثير من الناس في عصره. أما تحويره خاتمة المسند من صيغة المتكلم الى صيغة الغائب «ثم دعت كل أمرأة تَلْبَسُ حليها . . الخ» فهو مقبول ولا يخالف مضمون ما جاء في المسند . فيستدل من صحة معنى المسند ، أن الهمداني كان علي قدر كبير من المعرفة بمعاني كثير من المفردات الحميرية . ولو كان التصحيف والتحريف قد أصابا المعنى العام للمسند كما أصابا المفردات التي صححناها لقلنا بأن الهمداني كان على عكس ماذهبنا إليه .

المسند رقم (٢) :-

«أنا شمعة بنت ذي مراثد كُنْكْ إذا وُحْمْكْ أول بانقشم من أرض انهند بَطله زاهدا» . [إكليل ج ٨ ص ٢٣٠ وص ٢٣١]

معنى المسند عند الهمداني :-

«أول : (تريد) أتي به . انقشم : (تريد) به الفواكه . زاهدا (تريد) طريا . وثمار الخريف تسمى القشم عند حمير» .

المعنى المطابق للمسند :-

«أنا شمعة بنت ذي مراثد كُنْتُ إذا وحِمتُ أحْضِرَ بالقشم من أرض الهند بَطلَّه زاهداً» .

التحليل والتعليق :-

من حيث أسلوب كتابة هذا المسند ، ينطبق عليه ماقلناه في إسلوب كتابة المسند رقم (١) أي أن الهمداني لم يلتزم قواعد كتابة لغة النقوش اليمنية القديمة . وهذا دليل قاطع على أن الهمداني لم ينقله من نصب تذكاري اي من نقش وجد في قبر بحقل قتاب ، وانما روي له شفاهاً فنقله كما سمعه .

أما التصحيف فقد لحق بعض كلمات هذا المسند : (أنقشم) وردت في النسخ الثلاث المحققة من قبل الأب انستاس الكرملي ونبيه فارس والقاضي محمد بن على الأكوع (فالقشم) كما ان الكلمة نفسها والكلمة (أنهند) وردتا في النسخ المشار اليها معرفة بأداة التعريف العربية الفصحى (أل) وقد صححنا هما استنادا الى النسخة المحققة من قبل D.H. Muller . *

* هذه مرحلة من مراحل تطور لغة المسند نحو الفصحى عن طريق استخدام القافية في النقوش بدلا عن اللغة الرسمية المعقدة بحيث نقلت اداة التعريف ـ ان ـ التي كانت تلحق الكلمة ـ الى اولها ثم تصحفت الى (أل) وفي بعض اللهجات الى (إم) ـ لتقارب مخرج ال وإن وإم أهـ اكليل .

كُنْكُ «كنت» :-

فعل ماضي اتصلت به الكاف الدالة على ضمير المتكلم ، وهي من لغة حمير وقد أشرنا إلى ذلك في عرضنا للمسند السابق . واستخدام الكاف المذكوره في لهجة سكان حقل كتاب (قتاب قديما ٭) وما جاوره من مناطق حتى اليوم ، يؤكد صحه ما جاء في المسند ، ونسبته الى المنطقة نفسها . وينطبق هذا على الكاف في الكلمة الأخرى (وحمك) . ٭

أوِلَ «أحضر» :-

فعل ماضي مبنى للمجهول عُرف في النقوش اليمنية القديمة . فهناك نجد (أول ، أولي) للمفرد ، و(أولو) للجمع ، بمعنى «جلب ، جاءب ، حاز ، نال» ، و(تأول) بمعنى «عاد ، عادب» (٢٩) .

أن «أداة التعريف الحميرية» :-

يستدل من النقوش اليمنية القديمة ، أن اليمنيين القدماء كانوا يستخدمون النون في أواخر الأسماء للدلالة على تعريفها ، وهو الشائع ، الى جانب استخدامهم للهاء والنون (هن) في أوائل الاسماء للغرض نفسه . كما اثبتت مصادر التراث العربي أنهم كانوا يستخدمون أيضا الهمز والميم (أم) في اوائل الاسماء كأداة للتعريف ، استخدمها اليمنيون في لغتهم أيضا منذ وقت مبكر , وأستمرار استخدامها في لهجة منطقة رازح في صعدة بنفس الدلالة حتى اليوم ، يؤكد صحتها في المسند ، الذي نحن بصدد دراسته . كما أن وجود (هن) كأداة للتعريف في النقوش اليمنية القديمة ، يجعلنا نرجح أن أداة التعريف (أن) استخدمها اليمنيون في فترة متأخرة عن استخدامهم ل(هَنْ) أي في فترة كانت فيها الهاء قد ابدلت من الهمز. ومن الواضح أيضا أن استمرار استخدام لأداة التعريف (أم) في لهجات كثير من مناطق اليمن حتى اليوم يؤكد صحة ما أثبتته مصادر التراث العربي

زاهد «طري» :-

لم ترد هذه الكلمة في النقوش اليمنية المعروفة بمعنى «طري» ومن المحتمل أن الفعل المزيد (أزهد) بمعنى «قدر خراج غلة زراعية» في النقش CIH 601 له علاقة بالكلمة نفسها . كما ان الفعل البسيط (زهد ، يزهد) بمعنى «قدر ، ادرك فهم والصيغة المشتقة منه (زاهد) بمعنى «نبيه ذكي» اللذين لايزال على قيد الاستخدام فى لهجات كثيرة من مناطق اليمن (٣٠) لهما علاقة بالكلمة نفسها . ويشير القاضي محمد بن علي الأكوع أن (زاهد) بمعنى (طري) لاتزال مستخدمة في لهجة سكان منطقة الكلاع في اليمن حتى اليوم (٣١) وهذا يؤكد صحة الكلمة (زاهد) بمعنى المذكور في المسند ، الذي نحن بصدد دراسته . ٭

قشم «الفواكه» :-

يقول الهمداني في خاتمة معنى المسند (وثمار الخريف تسمى القشم عند حمير) . وفي النقوش اليمنية القديمة المعروفة ، وردت كلمة (قشمت) في النقش CIH308 بمعنى «مزرعة فواكه» أما نشوان بن سعيد الحميري يقول : «القشم مايؤكل من البقول» (٣٢) . وفي اللغة الحبشية ورد الفعل (قَشَمَ) بمعنى (جمع ، حَصَد) ولا تزال كلمة (قُشَم) بمعنى (بقول) وكلمة (قشّام) بمعنى (زارع البقول وبائعها) و(مقشمة) بمعنى (مزرعة بقول) و(مَقشم)

٭ وحجة وحراز والحيمة وجماعه أهـ اكليل .

٭ ومن ذلك ما جاء في رواية ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا من اليمن سأل النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (هل من أم بر امصيام في امسفر ؟ فأجابه بنفس اللهجة ـ ليس من ام بر امصيام في امسفر) أهـ اكليل

٭ وتفيد ايضا معنى السرعة اي المسروع به سواء كان البداهة والنباهة التي لاتستغرق وقت للفهم او الطرفوة التي لايوجد في الشيئ الذي نفي زمنا طويلا ـ أهـ اكليل .

بمعنى (سلة صغيرة يوضع فيها الفرسك أو التوت أو التين) تستخدم في لهجات بعض المناطق في اليمن حتى اليوم . (٣٤) هذا الاختلاف بين معنى كلمة (قشم) والصيغ المشتقة منها عند الهمداني والنقوش من جهة وعند نشوان ولهجات اليمن اليوم من جهة اخرى ، يمكن تفسيره ، أنها كانت قديما تعنى «الفواكه) بدليل ما جاء في النقوش اليمنية القديمة ، وما أورده الهمدا[illegible] الخريف في اليمن لايعني فصل الخريف المتعارف عليه ، وانما يعني فصل الفواكه ، ووقته من اواخر فصل الربيع الى النصف الثاني من فصل الصيف. وهناك دليل آخر ، وهو ان بقايا المعنى القديم للكلمة لايزال موجودا في لهجة تعز وإب حتى اليوم في الكلمة (مَقْشَم) بمعنى (سلة صغيرة يوضع فيها الفرسك أو التوت أو التين) وقد تحول معنى الكلمة المذكورة منذ وقت متأخر بعد الإسلام الى (البقول) مع بقاء استمرار بقايا المعنى القديم في نطاق محدود . وإثبات المعنى القديم لكلمة (قشم) يؤكد صحتها في المسند ، الذي نحن بصدد دراسته .*

ومن حيث معنى المسند رقم (٢) عند الهمداني ، نجد أنه يكتفي بتوضيح الكلمات التي يعرف بأنها غريبة على من ليس له معرفة بلغة حمير أو لهجات اليمن. وهذا التوضيح يطابق بالفعل ما جاء في النقوش اليمنية القديمة ، مما يؤكد معرفة الهمداني للغة حمير. ولو كان العكس لوجدنا ان التصحيف قد نال من معاني الكلمات التي أوردها . فالتصحيف إذن من صنع النساخ وليس من صنعه .

المسند رقم (٣) [مثل حميري]:-

«دوهل قيلن ذي دوجر غيلن» [الاكليل ج ٢ ، ص ٣٥٣]

معنى المسند عند الهمداني :-

«أي ليس بملك من لم يقدر على فَتْقِ العيون وجر الغيول» .

المعنى المطابق للمُسْند :-

«لايكون القيل مَنْ لم يجر الغيل»

التحليل والتعليق :-

من حيث كتابة المسند المذكور ، نجد أن بعض نساخ المخطوطات التي اعتمد عليها القاضي محمد بن علي الأكوع عند تحقيقه للجزء الثاني من كتاب الاكليل ، قد أبدلوا أداة التعريف الحميرية (النون) في آخر كل من الإسمين (قيل) و(غيل) من التنوين المعروف في اللغة العربية الفصحى. وكذلك ابدلو تشديد حرف اللام في آخر الفعل الحميري (هلّ) من الألف. وقد قمنا بضبط الكلمات الثلاث المذكورة استنادا إلى القراءات المختلفة للمسند ، التي أثبتها المحقق في الهامش ، وإلى معرفتنا بقواعد كتابة اللغة الحميرية . ومن الواضح أن هذا المسند يخلو من التصحيف ، الذي وقع في المسندين السابقين .

دَوْ «لم ، ليس» :-

سبق التعليق عليها في المسند رقم (١)

هل : «يكون» :- يوجد :-

فعل حميري يدل على الكينونة ، وهذا الفعل لم يرد في النقوش اليمنية القديمة المعروفة وفي اللغة الحبشية نجد (هلَو ، هلو) بمعنى «يكون ، موجود»

* وفي الاكاديمية البابلية وردت لتدل على المزارع القريبة من القرى والمدن او المتاخمة لها الزراعة المستهلكات اليومية لها او للمعابد وهي «الخضر» انظر تكوين المجتمع العراقي القديم ترجمة طه باقر التكريتي .

مما يدل على أنه كان شائعا فى لغة أهل اليمن القديم والمرجح انه انتقل الى الحبشة مع المهاجرين اليمنيين في وقت مبكر قبل الميلاد الى هناك. كما ان الامهرية والتجرينية احتفظتا حتى اليوم باستخدام الفعل نفسه مع معناه، بعد إبدال حرف الهاء في أوله من الهمز (ألو . ألَّ= يكون) (٣٦) وما يزال هذا الفعل شائع الاستخدام في لهجات مناطق كثيرة من اليمن بنفس المعني حتى اليوم. فيقال: (فلان هلو، فلان ماهلوش) أي (موجود، غير موجود) ووجود الفعل المذكور في لغة الحبشة، واستمراره في لهجات اليمن حتى اليوم، يؤكد انه من لغة حمير.

قيلن: (الملك، الملك المحلي.-

اسم مركب من (قيل) وأداة التعريف الحميرية (النون) و(قيل) بمعنى (ملك) ملك محلي شائعة الاستخدام في النقوش اليمنية القديمة المعروفة بنفس المعنى. ولم تعرف في أي من اللغات القديمة بما فيها اللغة العربية الفصحى. وقد أثبتت مصادر التراث العربي في سياق أخبار اليمن، أن (قيل) مصطلح خاص بأهل اليمن. وهو مفرد وجمعه (أقيال، أقوال) (٢٧) وما يزال هذا المصطلح مستخدما في بعض الأمثال المتوارثة في اليمن حتى اليوم. (٣٨).

ذي «الذي»:-

إسم موصول بمعنى (الذي) عرف في النقوش اليمنية القديمة المعروفة، ولم يعرف في اللغات القديمة. أما في العربية الفصحى، فقد عرفت (ذو) الطائية. واذا كانت بعض مصادر التراث العربي قد أثبتت هذا الاسم، فأنها تنسبه الى لغة أهل اليمن. وما يزال الإسم (ذي) بمعنى (الذي) شائع الاستخدام في لهجات مناطق كثيرة من اليمن حتى اليوم. *

أما من حيث المعنى العام للمسند، الذي نحن بصدد دراسته، فنجد أن الهمداني قد أورده مطابقا للمسند نفسه. وإن كان قد أضاف (فتق الغيول) من عنده، فواضح انه يرجو من ذلك توضيح المعنى، ولا يخل بالمعنى الأصلي. وهذا يؤكد معرفته للكلمات الحميرية ومعانيها.

المسند رقم (٤) [قول حميري]:-

سمعت وهباً (أي وهب بن منبه) يقول: قالت أمي: (رايك(بنحُلم)كولُدْكْ ابن من طيب).
(تاريخ مدينة صنعاء - للرازي، ص ٤٧)

معنى المسند عند الرازي:-

«رأيت في الحلم كأني ولدت ولداً من ذهب».

المعنى المطابق للمسند:-

«رأيت في الحلم كأني ولدت ولدا من ذهب».

التحليل والتعليق:-

لايدعي الرازي ان القول السابق منقول من نصب تذكاري مكتوب - كما فعل الهمداني - وإنما أشار صراحة، أنه نقل اليه شفاها عن طريق الرواية والاسناد. ومع ذلك فهو يثبت في روايته، ان صاحبة القول، وهي أم وهب بن منبه كانت تتكلم الحميرية. وهذا يعني ان القول لابد ان يكون حميريا بكل ماتعنيه الكلمة. والتحليل والتعليق سيثبتان أو ينفيان ذلك.

ويتضح من كتاب الرازي المحقق، ان كلمات هذا القول قد تعرضت للتصحيف من قبل

* كما انها في اللهجات تفيد الملكية كقولهم هذا ذي فلان وذي احيانا في لهجة ماوية والجنوب أ هـ اكليل.

النساخ أو المحقق ، إما بسبب عدم معرفة قواعد اللغة الحميرية او عدم اعجام المخطوطات المتوفرة للكتـاب. فالـكلمات (رأيك) و(أنحلم) و(ابن) و(طيب) صرن (رايتك) و(تتحلم) و(إننا) و(طبيب) وقد صححناها استنادا الى معرفتنا باللغة الحميرية والمعنى المرفق بالمسند السابق .

رأيك : «رأيتُ» :-

فعل ماض متصل بالكاف الدال على ضمير المتكلم وقـد سبق الحـديث عن هذه الكاف عند تحليلنا لكلمات المسند رقم (١) فراجعه .

بَنْحُلْم : «في الحلم» :-★

جار ومجـرور ، كتبـا كما ينطقا. والأصل لم تظهر همز الاسم (انحلم) اما أداة التعريف ، فهي (أن) الحميرية. وقـد سبق الحـديث عن أدوات التعريف الحميرية عند تحليلنا لكلمات المسند رقم (٢) فراجعه .

كَوُلُدك : «كأني ولدت» :-

فعل ماض مسبوق بكاف التشبيه الحميرية ، ومتصـل بالكـاف الـدالـة على ضمير المتكلم. والجديد هنا كاف التشبيه ، وهي شائعة في النقوش اليمنية القـديمـة المعـروفة. ولا يستبعد أن تكون مستخدمة حتى اليوم في لهجات بعض مناطق اليمن .

ابن : «ولد» :-

المقصود هنا من كلمة (إبن) - كما هو واضح من سياق الكلام - هو (لد ذكر) أي أنها (ولدت ولداً) وهذا العنى شائع في لهجات اليمن حتى اليوم .

طيب : (ذهب) :-

بقـول الـرازي في نفس الصفحة (والطيب بالحميرية الذهب) وهذه الكلمة عُرِفَت في النقوش اليمنية القـديمـة بنفس المعنى ، ولا نجـدهـا في اللغـات القـديمـة الاخرى ويقول الهمداني (وهو الـطيب بلغـة حمير) (٣٩) ويقصـد الهمـداني ان الـذهب هو الـطيب بلغـة حمير. ومـا تزال كلمـة (طيب) بمعنى (الذهب) في لهجة منطقة الشحر مستخدمة حتى اليوم . (٤٠) .

أما من حيث المعنى العام ، نجد أنه مطابق للمسند ولا يخالفه ، مما يدل على أن المسند هو من كلام حمير، وهو قول صيغ بكلام حميري . وقد وصل الى الـرازي شفـاهـا عن طريق الإسناد . وكلمات المسنـد او القـول الحمـيري ، الذي نحن بصدد دراسته ، تؤكد قول الرازي ، أن أم وهب بن منبه كانت تتكلم الحميرية .

المسند رقم (٥) قول حميري :-

رُوي أن رجلا يتكلم العربية الفصحى جاء الى منطقة في اليمن ماتزال اللغة الحميرية مستخدمة فيهـا ، وسمـع أحدا يقول لآخر «خششنا الرجلَ يخسم (يخصم) معنا سو سئمنا فدو أسيناه» [كتاب التبصرة - للملك الاشرف الرسولي ، مخطوط في مكتبة أكسفورد] (٤١) .

معنى المسند عند الملك الاشرف :-

«التمسـوا الرجل يأكل معهم إلى أن سئموا فلم يجدوه» .

المعنى المطابق للمسند :-

«التمسنا الرجل ياكل معنا إلى ان سئمنا فلم نجده» .

● لعلها باحلم اي في الحلم كما هي عليه حتى الان علما بان وهب من مدينة الجند الحميرية ا هـ اكليل .

التحليل والتعليق :-

من الواضح أن هذا القول حميري متوارث عند عامة الناس. وقد وصل إلى الملك الأشرف الرسولي شفاها فضمنه كتابه المشار اليه. ويستدل من سياق الرواية ان الرجل اعتقد لأول وهله ان صاحب القول حبشي لعدم معرفته بالكلام الحميري. فقيل له بأنه حميري. ولم يحدد الملك الأشرف الرسولي تلك المنطقة التي مايزال اهلها يتكلمون الحميرية، ولم يذكر الفترة التأريخية التي يعود اليها هذا القول أو الحوار الحميري. فالملك الأشرف الرسولي نقل هذا الحوار بالحميرية ومعناه كما سمعه، ولم ينقله من وثيقة مكتوبة. والواضح من المخطوط أن الحوار الحميري المذكور كتب دون اعجام. لذلك صعب على جورج صليبا فهم كلماته، عندما حاول ان يحققه في مقال تحت عنوان (تعليق على اللهجة الحميرية) (٤٢). ومن المحتمل أن معلوماته في مجال لغة النقوش اليمنية القديمة ولهجات اليمن اليوم لاتمكنه من تحقيق كلمات الحوار الحميري المذكور، علاوة على ان عدم الاعجام أسهم في هذه الصعوبة. لكن عالم النقوش اليمنية القديمة الاستاذ الدكتور والتر مولر وفق في المهمة، التي أشكلت على جورج صليبا ونشر تحقيقه في مقال تحت عنوان (جملة حميرية عند الملك الأشرف) (٤٣) ونجاحه في تحقيق هذا الحوار الحميري تحقيقا صحيحا، يعود الى معرفته الواسعة للغة النقوش اليمنية القديمة واللغات السامية الأخرى وللهجات اليمن اليوم. وقد سبق للاستاذ الدكتور موللر ان تدارس معنا شخصيا هذا الحوار الحميري عندما كنا ندرس لديه في المانيا قبل ثلاثة اعوام اي قبل نشره لمقاله. فحينذاك أبدينا له بعض الملاحظات حول قراءة بعض المفردات التي ضمنها مقاله، وأشار الى ذلك مشكورا. وهنا نعيد نشر هذا الحوار الحميري ضمن بحثنا هذا استكمالا للفائدة العلمية. وهنا لابد من الإشارة الى ان الملك الأشرف الرسولي قد أورد الحوار الحميري بإسلوب كتابة اللغة العربية الفصحى، ولم يلتزم بقواعد كتابة اللغة الحميرية. وتعليل ذلك، أنه دونه - كما أشرنا سابقا - كما سمعه ممن رواه له.

خششنا «التمسنا، بحثنا» :-

فعل ماض اتصل بنا الدالة على الفاعل. وهذا الفعل لم يرد في النقوش اليمنية القديمة المعروفة وهو شائع في اللغة الحبشية. وعدم وجوده في النقوش المذكورة لايدل على عدم وجوده في لغة أهل اليمن قديما. فالمعروف ان النقوش الكثيرة المكتشفة لا تمثل لغة كل مناطق اليمن. والمرجح لدينا ان هذا الفعل قد انتقل الى لغة الحبشة مع من هاجر من اليمنيين الى هناك. وأما قراءته الصحيحة فهي - كما أثبتنا - خشش، ولا يمكن أن يكون هذا الفعل (حسس) أي دون إعجام. ويبدو أن الفعل المذكور لم يعد يستخدم في لهجات اليمن اليوم.

يَخْسَمْ «يأكل» :-

فعل مضارع لم يرد في النقوش اليمنية القديمة المعروفة وفي اللغة الحبشية. وما يزال يستخدم في لهجات بعض مناطق تعز، فيقال: خسم، يخسم أي (أكل). واستمرار استخدامه، يؤكد على انه متوارث من لغة اليمن القديم.

سو «إلى، حتى» :-

من الروابط أو حروف الجر، التي لم تعرف سوى في لغة اليمن القديم، ولم تعرف في غيرها من اللغات. ففي النقوش السبئية المتأخرة نجد (ثو) بمعنى (حتى) وإبدال حرف (الثاء) من حرف (السين) شائع في لغة النقوش اليمنية القديمة واللغات السامية عامة. وما يزال هذا الرابط يستخدم في لهجة منطقة جبل رازح في صعدة بنفس المعني حتى اليوم. فهناك نجد (سي) بمعنى (حتى). وفي لهجة المهرة نجد (تا، ت) بمعنى

(حتى) وفي لهجة جزيرة سوقطرة نجد To'o (٤٤) بمعنى (حتى) مستخدمة حتى اليوم. واستمرار استخدام هذا الرابط في لهجات بعض مناطق اليمن حتى اليوم، يؤكد على انه من لغة اليمن القديم.

دو أسينا «لم نجد»:-

درسنا كل منهما وحللناهما في عرضنا لكلمات المسند رقم (١) في بحثنا هذا فراجع ذلك في موضعه.

أما من حيث المعنى العام للقول الحميري أو الحوار الحميري، الذي نحن بصدد دراسته، فنجد انه مطابق لمحتواه ولا يخالفه. الا ان الملك الاشرف الرسولي يورده على لسان الغائبين. وهذا لايغير من معناه شيء. ففصحة المعنى ساعدنا على القراءة والفهم الصحيحين.

خلاصة البحث:-

ان ماعرضناه في بحثنا هذا من أقوال وأمثال حميرية وأطلق عليها اصحابها اسم مساند ليست كل ما جاء في مصادر التراث العربي. فهناك مجموعة اخرى منها سندرسها في بحث آخر. وقد اكتفينا بدراسة خمسة من هذه الاقوال والامثال والحكم الحميرية كنموذج لاثبات فيما اذا كانت حقا مساند او كلام حميري. هذه المساند الخمسة، ثلاثة منها جاءت عند الهمداني والرابع جاء عند الرازي والخامس جاء عند الملك الاشرف الرسولي نسبت الى كلام حمير. وينفرد الهمداني بالاشارة الى ان ما أورده حقا مساند. ويستدل على ذلك قوله مثلا (وجد في قبر من مقابر الملوك باليمن لوح من ذهب مكتوب بالمسند)(إكليل ج ٨، ص ٢٠٨) و (وجد مسند بحقل قتاب) (نفس المصدر ص ٢٣٠). ومن خلال دراستنا لها دراسة لغوية ودلالية، ثبت لدينا انها - كما أشرنا من قبل - لم تنقل من الواح مكتوبة بخط المسند، أي الخط اليمني - القديم وانما وصلت الى الهمداني شفاها عن طريق الرواية، فدونها كما سمعها - وهذا ينطبق على القولين الحميريين الذين أوردهما الرازي والملك الاشرف الرسولي - وما نود التنبيه اليه، هو ان كل من المؤلفين المذكورين لم يشيرا الى ان القولين الحميريين كانا مكتوبين بالمسند وانما أشار الى انهما من الكلام الحميري، ورويا لهما شفاها فدوناهما كما سمعاهما.

إن تحليل كلمات الاقوال والامثال والحكم الحميرية - موضوع بحثنا هذا - وغيرها يؤكد أنها حقا من الكلام الحميري، الا انها تعرضت للتصحيف من قبل النساخ، وأعيد صياغتها وكتابتها بأسلوب اللغة العربية الفصحي. ولا يمكن بأي حال من الاحوال أن يكون هذا التصحيف من صنع الهمداني والرازي والملك الاشرف الرسولي. فما أوردوه في مؤلفاتهم من معاني عامة صحيحة لاتخالف حرفيا الاقوال والامثال والحكم الحميرية نفسها، تثبت عكس ذلك.

والهمداني بالذات أثبت بذلك أنه على قدر من المعرفة بلغة حمير، وأنه لم يخترع هذه الأقوال والأمثال والحكم الحميرية، ودونها في مؤلفاته - كما وصلت اليه - وقد يقول قائل: كيف أن الهمداني أشار الى أن هذا الكلام الحميري منقول من ألواح مكتوبة بالمسند، وهو امر يخالف ما اثبتناه في هذا البحث. ويمكننا الرد على مثل هذا القول بأن الهمداني لم يزعم أنه منقول في الأصل من مساند. فتبعة ذلك تقع على الرواة ولا يمكن أن نسقطها على الهمداني. وقد يقول آخر: أن محتويات بعض الاقوال والأمثال والحكم الحميرية التي تنم عن مبالغة تصف ماكان عليه عظماء اليمن القديم من ثراء خيالي وعظمة.

فيمكن الرد عليه بقول الهمداني نفسه في (الاكليل ج ٢، ص ٢٤٠) «إني لا أرى هذه الاشياء المستنكرة في الزبر القبورية، انما يكون من الذين يكتبونها فيزيدون في الشيء ماليس فيه -

ليعظمهم ذلك عند من بعدهم فيزهدوا في الدنيا ويعلمون أنهم دون من فرطهم) . وهذا القول يؤكد أن الاقوال والأمثال والحكم الحميرية المبالغ في محتوياتها ، قد وضعت بكلام حميري في عهد كان الصراع قد بدأ يشتد بين القحطانية والعدنانية ، ليثبت واضعوها من خلالها ماكان عليه اليمنيون القدماء من عظمة وثراء . فوجد فيها الهمداني إضافة تدعم تفاخره بمجد اليمن التليد واعتزازه به .

وأخيراً نود أن نؤكد أن هذه الأقوال والأمثال والحكم الحميرية ، التي تناولناها بالتحليل والتعليق في هذا البحث وغيرها ، لاتقل أهمية من الناحية اللغوية والدلالية عن أهمية النقوش اليمنية القديمة نفسها. فمن الناحية اللغوية ، تساعد على الدراسة المعجمية لمفردات يمنية من الناحية التاريخية ، اي تتبع استمرارها منذ القديم حتى اليوم . وتقدم هذه الأقوال والأمثال الحميرية بعض المفردات ، التي لم ترد في النقوش اليمنية القديمة المعروفة ، على أنها من لغة أهل اليمن، كي تضاف إلى معجم لغة أهل اليمن، ومن الناحية الدلالية ، تعد هذه الاقوال والأمثال والحكم الحميرية كوثائق من وثائق الموروث الشعبي ، يعرف منها ملامح المجتمع اليمني وتاريخه من وجهة النظر الشعبية . وسواء كانت من صنع الهمداني ـ كما يزعم البعض ـ أم كانت من صنع غيره فذلك لايقلل من أهميتها على الاطلاق .

□□ الهوامش والمراجع :-

١ ـ الهمداني (صفة جزيرة العرب) تحقيق D.H. Muller (١٨٨١م) ص ٥٥ ، ٢٠٨ .

ـ (كتاب الاكليل) ج ١ ، تحقيق القاضي محمد بن علي الاكوع (١٩٦٣م) ، ص ١٣ ، ص ٩٣ .

ـ (كتاب الاكليل) ج ٨ ، تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع (١٩٧٩م) ص ١٠٤ ، ص ١٦٧ ، ص ١٩٦ ، ص ١٩٨

ـ (كتاب الاكليل) ج ١٠ ، تحقيق محب الدين الخطيب (١٣٨٨هـ) ، ص ١٥ ، ص ١٧ ، ص ٣٢ .

٢ ـ ابن دريد (جمهرة اللغة) ج ٢ ، (١٩٧٠م) ، ص ٩١

٣ ـ ابن الاثير (النهاية في غريب الحديث والأثر) ج ٢ ، تحقيق طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، (١٩٧٩م) ص ٤٠٨

٤ ـ ابن سيده (المخصص في اللغة) ج ٩ ، (١٣١٦/١٣٢١هـ) ص ٥

٥ ـ نشوان بن سعيد الحميري (منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم) تحقيق عظيم الدين أحمد (١٩١٦م) ص ٥٢ .

٦ ـ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) ج ١ ، (١٢٨٤هـ ص ٣٤٩ .

٧ ـ ابن رسته (كتاب الأعلاق النفيسة) ، تحقيق M.J,de GoeDe (١٨٩١م) ص ١١٤

٨ ـ المعجم السبئي :-
Beeston and othrs (sabaic Dictioary) (1982) p. 138

٩ ـ نقوش سبئية .
Beeston (Sabaean in scriptions) , (1937) p.11

١٠ ـ من المعروف أن الجزء الثامن من (كتاب الإكليل) حقق أربع مرات . وقد أثبتنا القراءات المختلفة لكلمات المسند الذي نحن بصدد دراسته من خلال النسخ الأربع التي قام بتحقيقها كل من : D.H.Muller في عام (١٨٧٩) وعام (١٨٨١م) . والأب انستاس الكرملي في عام (١٩٣١م) ونبيه فارس في عام (١٩٤٠م) والقاضي محمد بن علي الاكوع الحوالي في عام (١٩٧٩م) .

١١ ـ المعجم الأثيوبي .
Chr. Dillman (laXicn linguae Athiopcae). New York, p.452

١٢ ـ حبشوش (رحلات في اليمن) :
Hayyim Habshusg (Travels in Yemen- An Account of Josef Hlevy's Journey to Najran in the year 1870 (1941) P.82.

وزيد بن علي عنان (اللغة اليمانية في النكت والأمثال الصنعانية) الطبعة الثانية ، القاهرة (١٩٨٣م) ص ٢٦١

١٣ ـ المعجم الشحري :
T.M. Johnstone (Jibbali Lexicon) London (1981) p.24

والمعجم المهري :
T.M. Jonstone (Mehri Lexicon), London (1987) p.45.

١٤ ـ ابن الاثير (الكامل في التاريخ) ج ٢ ، بيروت (١٩٦٥م) ص ٢٩٣ . والبلاذري (كتاب فتوح البلدان) تحقيق M.J. de Goeje (١٨٦٦م) ص ٦٤ .

١٥ ـ المعجم السبئي ص ٢ .
١٦ ـ المرجع السابق ص ١١٧ .
١٧ ـ المعجم الأكادي .
W. Von Soden (AKKadisches Handworterbuch Bde. 3, Wiesbaden (1965 - 1981) p,1159.
١٨ ـ المعجم المهري ص ٣٦٩ .
١٩ ـ المعجم الشحري ص ٢٤٤ .
٢٠ ـ المعجم السوقطري :
W.Leslau (lexique Soqotri) , Paris (1938) P,429.
٢١ ـ المعجم الاثيوبي ص ٤٩٤ .
٢٢ ـ نشوان بن سعيد الحميري (كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم) مخطوط المكتبة الحكومية / برلين ص ٣٥٧ .

٢٣ ـ المعجم السبئي ص ٣٤ .
٢٤ ـ مفردات اثيوبية ـ سبئية .
W. Muller (Athiopische Marginalglossen Zum) (Sabaischen Worterbuch) in Ethiopian Studies dedicated to Wolf Leslau on the occasion of his 75. birtday , Wiesbaden (1983) p.278.
٢٥ ـ مطهر الارياني (نماذج اخرى من المفردات اليمنية الخاصة) مجلة الاكليل العدد الاول والثاني ، خريف عام (١٩٨٠) ص ١٣٥ .
٢٦ ـ نشوان بن سعيد الحميري (منتخبات في أخبار اليمن) ص ٧٣
٢٧ ـ المرجع السابق ص ٢٩
٢٨ ـ المعجم السبئي ص ٦٩
٢٩ ـ المرجع السابق ص ١٠
٣٠ ـ مفردات يمانية .
Ibrahim Al-selwi (Jemenitische Worter in den Werken Von al-Hamdani und Naswan und ihre Parallelen in den semitischen Sprachen) , Berlin (1987) p,106.

٣١ ـ كتاب الاكليل ، ج ٨ تحقيق القاضي محمد بن علي الاكوع ، ص ٢٣١ حاشية رقم ٢١٠
٣٢ ـ نشوان بن سعيد الحميري (منتخبات في أخبار اليمن ، ص ٨٦ .
٣٣ ـ المعجم الاثيوبي ص ٢٤٠ .
٣٤ ـ مفردات يمانية ص ١٧٩ .
٣٥ ـ المعجم الأثيوبي ص ٣
٣٦ ـ المعجم التيجري
Enno Littmann - Maria Hofner (Worterbuch der Tigre - sprache , Tigre - Deutsch - English Wiesbaden (1962) p.5,
٣٧ ـ راجع على سبيل المثال : نشوان بن سعيد الحميري (منتخبات في اخبار اليمن) ص ٨٩ .
٣٨ ـ راجع كتاب القاضي اسماعيل بن علي الاكوع الحوالي (الأمثال اليمانية) ج ١ ، صنعاء (١٩٨٤م) ص ٩٤
٣٩ ـ الهمداني (كتاب الجوهرتين العتيقتين) ، تحقيق كريستوفر تول ، أبسالا (١٩٦٨) ص ٧٩
٤٠ ـ المعجم الشحري ص ٢٨٢ .
٤١ ـ الملك الأشرف عمر بن الملك المظفر يوسف ين الملك المنصور عمر بن علي بن رسول (كتاب التبصرة في علم النجوم) مخطوط في مكتبة بودليان في أكسفورد . وهناك نسخة أخرى محفوظة في مكتبة الجامع الكبير في صنعاء .
٤٢ ـ جورج صليبا (تعليق على اللهجة الحميرية) .
Georg Saliba (A Medieval Note on the Himyarite Dialect) , in Journal of the American Oriental Society 105/4 (1985) p.715-717.
٤٣ ـ والتر موللر (جملة حميرية عند الملك الأشرف) :
Walter W. Muller (Ein Himjarischer Satz bei al - Malik aL-Asraf), in Buch (on both sides of AL- Mandab) presented to Oscar LOfgren 13 May (1988) p.49-53.
٤٤ ـ المرجع السابق ص ٥١

نظرة نقدية في اللغة اليمنية في المعجمات العربية

د/ ابراهيم السامرائي
جامعة صنعاء - كلية الآداب

□□ بين يدي البحث :-

لقد أستوفى الدكتور هاشم الطعان ما ورد من الألفاظ اليمنية في (المعجمات) وكتب اللغة والمصادر التأريخية، وهيأ هذا العمل فرصة للدارسين .

ولابد لي قبل البدء بهذا الدرس أن أمهد له بشيىء يتصل بالوضع والانتحال في اللغة . لقد عرف أهل الدرس الانتحال والكذب والتزيد في الشعر القديم ، وكتب فيه مؤرخو الأدب ، وأنت تقف على هذا في «طبقات فحول الشعراء» وفي كتاب «الاغاني» وغيرهما . وقد كان شيىء مثل هذا في الأخبار التاريخية التي تتصل بالفرق والطوائف . وأما الموضوع في الحديث الشريف فأمره معروف .

ولم يعرض أهل الدرس للموضوع المرتجل من المواد اللغوية . وكأني ألمح طائفة من هذا في الأبنية الرباعية والخماسية ، ذلك أن طائفة كبيرة من هذه المواد لاتشير إلى معنى واضح فأنت تجد فيها مايدل على الصفات غير المحدودة ، ولا تعرف من حال الموصوف بها شيئاً . لعلك تقف على ماهو «صلب شديد» فتجد طائفة من الرباعي ، وماهو فوق الرباعي ينصرف الى هذا ، والى «الضخم» وما يشبه هذا من الصفات . ثم إنك لاتجد حضوراً لهذه المواد في نص قديم ، بل هي مواد يتيمة ليس لك أن تصف بها موصوفاً معيناً . وهي أيضاً أسماء وأفعال ومصادر لاتخلص منها إلى فائدة معينة .

وأني لأميل الى صرف هذه المواد الى الموضوع المصنوع ، ولنقف على طائفة من هذه (١) ، ثم نغادرها الى الكلام على الالفاظ اليمنية التي لاتحتمل الصدق ، ودونك شيىء مما وقفت عليه من هذا الذي احتمل فيه الكذب :

البِرْشاع : الذي لافؤاد له (٢) .

البَحْظَلة : أن يقفز الرجل قفزات البربوع ، يقال : بَحْظَل يُبحظِل بَحظَلَةً .

أقول : لو أن ابن فارس قد وجد الفعل مستعملاً في نص من النصوص لكان عليه ان يثبته مستدلاً على هذه الهيئة الخاصة .

البُهْصُلة : هي القصية ، والبُهْصُل : الجسيم ، وحمار بُهْصُل : غليظ .

وهل لي أن أفيد شيئا من «البهصلة» أصفة هي لامرأة أم لحيوان أم غير هذا مما لايعقل ثم أيكون «البهصل» هو المذكر ، ولِمَ خُص به الحمار؟

بِلْعث : ورجل بِلْعث : سيىء الخلق .

أقول : وقول إبن فارس : «رجل بلعث» ليس من النصوص التي تعتمد لأنه مصنوع .

البَهكَثَة : السرعة فيما يأخذ فيه (الانسان من عملِهِ) .

وابلَنْدج : المكان : اتسع ، وابلندج الحوض : اذا أنهدم .

أقول : ولِمَ لم تكن «ابلندج» مع كلمة

«الحوض» بمعنى «اتسع» كما هي مع «المكان»؟

بَخْذَعَ : يقال : ضربه فبخذعه اذا قطعه بالسيف .

بَلْطَحَ : الرجلُ : اذا ضَرَبَ بنفسه الأرض ، ويقال : بلدح .

بزمخ : الرجل ، تكبر .

تبحضل : لحمه : غَلُظَ . أقول : وكأن ابن فارس قد نسي «البحضلة» التي بدأ بها هذا الباب وجعلها بمعنى ان يقفز الرجل قفزات اليربوع . وكان أهل اللغة فرقوا بينهما في الضاد والظاء .

البِرْدِس : الرجل المنكر.

وبَلْذَمَ : الرجل : فرق فسكت (بالدال والذال) .

وبرذن : الرجل برذنة ، اذا ثقل واشتقاق (البرذون) منه .

أقــول : والـعـكس هو الـصحيح اي ان الحيوان «(البرذن) هو الأصل . ومنه ولد الفعل.

وتبزعر : الرجل : اذا ساء خلقه . وشاب (برذع) و(برذوع) : ممتلىء تام .

أقـول : كأن القلب الـذي عرض للكلمة ذهب بها الى معنى بعيد آخر يختلف كل منها عن الآخر حسناً وقبحاً .

برزل : ورجل برزل وبرزول : ضخم

والمبرطس : الذي يكتري للناس الابل والحمير ،

والفعل : البرطسة .

برعس : وناقة برعس وبرعيش : غزيرة .

برشط : الرجل اللحم : اذا شر شره .

البركلة : المشي في طين ، أو الخوض في ماء .

بلعس : وناقة بلعس : مسترخية اللحم .

بلخص : الرجل وبلسم : اذا كره وجهه .

وبلهس : أسرع في مشيته.

وبللاص وبلهص : عدا

البعثوط : سرة الوادي

بلعك : وناقة بلعك . مسترخية مسنة .

بعكنة : ورملة بعكنة : غليظه .

تبغثرت نفسي : غثت .

وابرنتيت ابرنتاه : اذا تقدمت .

وتبربس الرجل : اذا مشى مشياً خفيفاً .

وتبربست الشيء : طلبته .

عبلهن الرجل : خرج من ثيابه .

البجارم والبجاري : الدواهي .

والمبرنشق : الفرح المسرور ، قال الاصمعي : حدثت الرشيد بحديث فابرنشق .

أقول : اذا كان حديث الاصمعي صحيحاً .

ابرنتيت للأمر : اذا استعددت له .

أقول كأن ابن فارس واصحاب المعجمات اذا قالوا «ابرنتيت» وجعلوا بعد الفعل «للامر» ذهبوا به الى غير المعنى الأول الذي أثبتوه قبل بضع كلمات!!

ومما جاء من كلامهم على أكثر من ثلاثة احرف أوله تاء.

الترتب : الامر الثابت

الترخم في قولهم : ما أدري أي ترخم هو ، اي لا أدري أي الناس هو.

والتربوت من الإبل : الذلول .

ومما جاء من هذا مما أوله الجيم:

■■ أجلوذ : اذا أسرع : والجلذي : الشديد من الأمر.

أقول : ورد الفعل «اجلوذ» والفعل «احرنجم» في كتب الصرف ، ولم ار نصاً جاء فيه هذا.

والجحنفل : الغليظ الشفة

والجرنفش العظيم الجنبين.

والمجرنمز : المجتمع كأنه من الجراميز وهو الثقل .

الخرمل والخذعل : المرأة الحمقاء .

الخزخر : القوي .

الخجوجي : الطويل

ورجل خنشليل : ماض

ومما أوله الدال:

دنقش الرجل دنقشة اذا نظر وكسر عينه .

والدقلص والدلمص : البراق .

والدمكمك : القوي

والدفناس : الاحمق

والدردس : الكبير المسن .

والدغاول : الغوائل .
والادرنفاق : السير السريع .
وادرمج اذا دخل في الشيء .
ومما أوله الزاي
الزغرب : الماء الكثير .
الزنترة : الضيق .
الزرنقة : السرعة .
المزمهل : الماء الصافي .
ويقال «ازمهرت» الكواكب اذا لمعت .
و«ازلأم» القوم اذا ركبوا ونصت بهم أبلهم ، ويقال : ازلأم القوم اذا جمعوا . وازلأم النهار اذا ارتفع ضحاه .
و«الزعبج» : سحاب رقيق : قاله الفراء . وأنكر ابو عبيد ان يكون (الزعبج) من كلام العرب قال ابن فارس : والفراء عندي ثقة .
أقول : وهذا شيء يقوي عندي ما أحسبه موضوعا من هذا الكلم الغريب .

و«الزُملول» الأملس .
و«المزخروط» : الرجل الخسيس ، و«الزُخْروط» الجمل المسن .
و«الزعموم» : الغبي .
و«زهرق» الرجل : اذا أشتد ضحكه
أقول : ولم أجدها في «المقاييس» لابن فارس نفسه .

و«الزبنتر» : القصير .
و«أزرأم» الرجل : اذا غضب .
ومما أوله سين من هذا :
«السلقع» : المكان الحزن
«والسلقع» المرأة الصخابة ، والشجاع .
و«اسخنطر» : طال وعرض !!
و«أسمهد» السنام : طال . و«اسرهد» السنام : قطع قطعاً .
و«السرومط» : الطويل .
و«اسرندى» غلبه .
و«السرندى» الشديد .

و«المسمعد» الوارم .
ومما اوله شين من هذا :-
«اشفتر» الشيء : تفرق
و«الشنظرة» : التعرض لأعراض القوم بالشتم .
و «الشنظير» : الفاحش .
ومما اوله صاد من هذا :-
«صلخد» : صلب .
«وصلقم» : شديد العض
و«أصمعد» الرجل : ذهب في الارض .
و«الصمرد» الناقة القليلة اللبن .
و«الصملك» : الشديد القوة .
ومما اوله ضاد من هذا :-
«الضبارك» : الضخم .
و«الضبطر» : الشديد
و«الضبنطي» : القوي .
و«المضرغط» : الضخم والغضبان
و«الضنفس» الرخو اللحيم .
«الطرموس» الرغيف : وقال ثانية : خبز الملة ، وقالوا : الكذاب .
و«الطلحف» : الشديد .
و«الطلخوم» : الماء الآجن .
وقال ابن دريد : «الطفنش» : الواسع صدور القدمين !
ومما أوله عين من هذا :-
«العيهم» : الشديد
و«المعزهد» : المترف .
و«العلكد» : الشديد ، وقال : العجوز الصخابة .
و«العكلد» : الشديد
و«لبن عكلد» : خاثر .
و«العجلد» و«العجلط» : اللبن الخاثر .
و«العشنط» الطويل ، والسيء الخلق .
ومما اوله غين من هذا :-
و«الغذامر» و«الغذارم» : الكثير من الماء . و«غذمرت الشيء و«غذرمته اذا بعته جزافا» .
ومما اوله فاء من هذا :-
«الفرشط» و«الفرشاط» : الواسع . و «فرشط» البعير : برك !

«الفلقم» : الواسع.
«الفلحس» : الحريص ، والمرأة الرسحاء.
«الفدغم» : الرجل العظيم الخلق.

ومما اوله قاف من هذا :-

«القفندر» : الشيخ ، واللئيم الفاحش!
«القلهذم» : الحقيف ، ونهر «قلهذم» : كثير الماء.
«الفصنصع» : القصير.
«القناعس» : المجتمع الخلق.
«اقرنبع» في جلسته : تقبض.

«اقفعلت» يده : تقبضت.
«أقبان» : تقبض.
«اقسان» : صلب.
«اقمعد» : عسر
«أقذعد» : عسر.

ومما اوله كاف من هذا :-

«الكنابث» : الرجل الجهم الوجه : «تكنبث» الشيء : تقبض!!
«المكاندر» : الشديد.
«الكرزم» : الرجل القصير الأنف.

ومما اوله لام من هذا :-

«اللعموط» : الحريص ، «لعمط» الرجل اللحم : اذا أنتهسه عن العظم.

ومما اوله هاء من هذا :-

«الهجرع» : الكلب الخفيف ، والرجل الطويل الأحمق!!
«اهرمع» الماء : سال ، «أهرمع» الرجل : أسرع.
«الهلكس» : الرجل الدنيء ، حكاه «الدريدي» [ابن دريد]!!

●● **خلاصة** : هذا قليل من الكلم الذي زاد على ثلاثة أحرف ، وهو كثير ، وقد وقفت منه على الغريب الذي لم يرد في نص ، والذي لم تقيد دلالته بسيء يفيد التعين والتحديد.

وأخلص بعد هذا القدر من الكلم الذي لايبتعد عن الشك ، وقد يحوم حوله تردد في قبوله فأعرض لما هو خاص بالعربية «اليمنية» في كتب اللغة ، وقبل أن أباشر هذه المادة وهي موضوع الدرس أقول :-

لابد لي أن أبدأ أن الوضع تناول هذه المادة . وهذا ليس غريبا ، ومن هذا ما ورد في كتب لأدب (٤) «وقال أبو عبدالله المفجع» : كان المبرد (ابو العباس) لعظم حفظه اللغة واتساعه يتهم . فتواضعنا على مسألة لا أصل لها ، نسأله عنها لننظر كيف يجيب ، وكنا قبل ذلك تمارينا في عروض بيت الشعر :-

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا
حنانيك بعض الشر أهون من بعض

فقال قوم : هو من البحر الفلاني ، وقال آخرون : هو من البحر الفلاني ، فقطعناه وتردد على أفواهنا تقطيع ومنه «قبعضنا» ، فقلت له : أيدك الله تعالى - ما «القبعض» عند العرب؟ فقال : القطن يصدق ذلك قول الشاعر :

كأن سنامها حشي القبعضا».

قال : فقلت لأصحابي : ترون الجواب والشاهد إن كان صحيحا فهو عجب ، وان كان اختلق الجواب في الحال فهو أعجب».

ولنتحول الى العربية «اليمنية» لنرى ماكان في كتب اللغة ، وما صح من ذلك ، وما عرض لها من الوضع والكذب . ولنبدأ بابن دريد فأقول :

ورد في حاشية ص ٣٧٨ من «سمط اللآلي من الجزء الأول :-

«رأيت في تذكرة ابن العديم بخطه بالدار (أي دار الكتب المصرية) (أدب ٢٤٢ ورقمه ٥٣) أنبأني الحسن بن حمدون البغدادي ، ونقلته من خطه ، أنشد أبن دريد لبعض حمير :

مازلت أبكي عند بظر أم واهب
ودمعي على زبي وزبي شائب
عجبت لحسن الفقحتين على الخصى
وأندب أيرها وتلك الحقائب
أتيح لها القلوب من بطن قرقرى
وقد يجلب الشيء البعيد الجوالب

فياجحمتا بكي على أم واهب
أكيلة قلوب ببعض المذانب؟
فلم يبق منها غير نصف عجانها
وشنترة منها وإحدى الذوائب

قال ابن دريد : حمير تسمي القبر بظراً وما نتأ من شيء . والزب اللحية ، يقول أبكي الخدود، والأبرين : الذؤابتين ، وتلك الحقائب : يعني السنين ، يقال : حقبة وحقب وأحقاب ، وحقب وحقائب . والشنترة : الاصبع» .

وقد ورد هذا الخبر ، والأبيات فيه غير مجتمعه في كتاب «الأمالي» لأبي علي القالي ١/١٣٦ ، كما ورد في «لسان العرب» في المواد (جحم وشنتر وقلب) مع اختلاف في بعض الالفاظ ، وفي ضبطها وتفسيرها .

وقد عُرف عن إبن دريد وضعه للأخبار ، ونستدل على ذلك مما نقله عنه لقالي من أحاديث و«مناكير ابن دريد في «لسان العرب» معروفة ، ومن هذا ما ورد في «طحس» (٥) : قال ابن دريد : «الطحس» يكنى به عن الجماع من (مناكير) ابن دريد ، ومثل هذا مسائل عدة .

وعندي ان المصادر اليمنية من كتب اللغة والأدب والتأريخ هي المظان الجديرة بالثقة في الوقوف على مواد هذه العربية .

على أني أفرد من بين هذه المظان العربية ألتي نجد فيها بقية اللغة اليمنية التي أسماها أهل اللغة الحميرية.

قلت : وقد يتبادر الى ذهن القارىء ان (شمس العلوم) وهو من المظان التي هرع اليها المستشرقون فنشروا أشتاتا يسيرة من هذه المعلمة الضخمة .

اقول : ان (شمس العلوم) من كتب المعارف العامة الواسعة التي تشتمل على فنون عدة ، وإن كان المؤلف قد صرف جل همه الى اللغة كما قال ياقوت (٦) .

وقد وصفه عمارة اليمني في (المفيد) بقوله (هو شاعر فحل قوي الحبك) ، حسن السبك وهو من شعراء أهل الجبل) (٧) .

وقد توفي نشوان سنة ٥٧٦هـ ، وهذا يعني أنه من رجال القرن السادس الهجري ومن الطبيعي ان يكون الكثير من البقايا الحميرية قد أمحى عن العربية اليمنية . ومن أجل هذا فليس لنا أن نفيد كثيرا في هذا الخصوص مما نجده في (شمس العلوم) . وأكبر الظن أنه أعتمد كتب اللغويين المتقدمين غير اليمنيين في إثبات مادعاه «يمنيا» كابن دريد وغيره .

وهو في هذا بخلاف الهمداني المتوفي سنة ٣٣٤هـ والذي عاش في القرن الرابع وكان لما سجله من الآثار اليمنية قيمة علمية ، تؤكدها النقوش التي اكتشفت في عصرنا . (٨)

وقد كان لي أن استقريت (ضياء الحلوم) لمحمد بن نشوان (٩) ثم رأيت أن أنظر في (شمس العلوم) فيما طبع منه (١٠) وفي أصله المخطوط فأنتهيت الى ان هذا المصدر على فائدته وغناه في اللغة والأدب لايمكن أن يقدم فوائد في بقايا الحميرية القديمة ، والذي فيه لم يختلف كثيرا عما ورد في كتب اللغويين غير اليمنيين التي سنتكلم عليها

على أننا قد نعثر في مصادرنا اللغوية لغير المنسوبين الى اليمن مادة صحيحة ، ذلك أن ما نقله ابن سيده فيما حكاه ابن جني مرفوعا الى الأصمعي صحيح يؤيده ما ورد في الأصول السبئية وهو ما رواه ابن السكيت أيضا في خبر عن احد ملوك حمير أنه قال لعربي : ثب ، و«ثب» بالحميرية : إجلس ، فوثب الرجل فاندقت رجلاه ، فضحك الملك وقال : ليست عندنا عربية ، من دخل ظفار حمر ، أي تعلم الحميرية (١١) .

ولابد من الوقوف على الخصوصيات اللغوية اليمنية كما أفاد اللغويون قبل أن نعرض للمادة المعجميه ، ومن هذا :ـ

١ ـ ما ورده صاحب «لسان العرب» (١٢) لشاعر حميري :

يا ابن الزبير طالما عصيكا
وطالما عنيتنا اليكا

أقول : وليس لنا أن نفيد من هذا البيت الذي لم ينسب الى قائل معروف كثيرا لان قوله في (عصيكا) ترد الكاف في موضع «تاء» للخطاب ، فاذا كانت هذه كما ذهب اللغويون في اللغة اليمنية فكيف نقول في (عنيت) التي وردت فيها التاء كما في العربية!

ألنا أن نقول : ان هذه الحقبة التي قال فيها هذا الشاعر الحميري، هي الحقبة التي عفت فيها آثار الحميرية ، ولم يبق إلا مخلفات يسيره؟

وكأن المستشرق الألماني (نولدكه) قد أعتمد على هذا البيت اليتيم ، وقاس وجود هذه الظاهرة اللغوية وهي ابدال الكاف من تاء المتكلم والمخاطبة ، على ماهو معروف منها في الحبشية . (١٣) .

ثم ألنا أن نعتمد وجود هذه الظاهرة اللغوية مما ورد في «الاكليل» (١٤) أيضا . ؟

٢ ـ وكـأني أذهب الى غير مايذهب الآخـرون في استبعـادي الخصوصيات اللغـوية لدى القبـائل القحـطانية التي غادرت اليمن منـذ قرون طويلة لانعرفها مثل قبيلة طي ، وتغلب وغيرهما . ومن هذا ان الطائيين يقولون في (بقي) و(فني) بقي وفنى مثل فضـى (١٥) وكـأن الـلغـويين حين رأوا هذه الخصوصية لدى الطائيين نسبوها الى أصل يمني هو لغة بلحارث بن كعب (١٦) .

أقول : أن مسألة النسبة في كثير من المسائل اللغوية في مصادرنا القديمة ليست أمرا يوحي بالثقة في مصـادرنـا القديمة ، ذلك ان المسألة الواحدة تنسب الى مصادر عدة ، أو أن المصادر تختلف في هذه النسبة .

ومن هذا مايجيء من هذه الخصوصيات في حشو خبر مفرد في حكاية تشعر بأخبار السمر ونحو ذلك فقد ورد من هذا ان حمير أو بلحارث بن كعب يقلبون القاف كافا ، وبهذا خرج رجل من مأزق وقع فيه حين خاطب المأمون قائلا : (ياركيك) (١٧) .

أقـول : وليس للدكتـور هاشم الطعان ان يعتمـد على هذا الخبر فيجعله خصـوصية لغوية تأريخية معتمـدا على كلمات عرض لها الإبـدال في العربية نحو : صحق وصحك ، وقشط وكشط ، ونكت ونقط (١٨)

ان الابـدال لايمكن أن يطرد في كلمة فيها قاف فتتحول الى الكاف ، انه ظاهرة الابدال تتناول الفـاظـا بعينهـا . وقـد يكون دليلا على هذا ماهو معروف متداول في الألسن الدارجة في عصرنا .

٣ ـ ومن هذه الخصـوصيات ان المثنى والاسمـاء الخمسة تلزم الالف كما في كتب اللغة والنحو. وقد نسبت هذه الخصوصية الى بلحارث بن كعب ، وقد جاء من هذا قول الراجز

أي قلوص راكب تراها
طاروا (علاعن فطره (علاها)
فاشد بمثنى حقب (حقواها)
ناد به ونادبا (أباها) (١٩)

ويندرج في هذه الخصوصية ان ماكان آخره الف مقصـورة من الحروف والاسماء : نحو (على) و(لدى) يلزم الالف عند اتصاله بضمير المخاطب والغائب نحو علاك وعلاه ولداك ولداه .

ومن هذا ايضا قول هوبر الحارثي :ـ

تزود منا بين أذناه ضربة
دعته الى هابي التراب عقيـم (٢٠)

وكأن لغة بلحارث بن كعب هذه هي قلب الياء السـاكنـة اذا انفتـح ما قبلها ألفا فيقولون : أخذت الدرهمان وأشتريت ثوبان (٢١) .

أقول : وليس لنا أن نطمئن الى نسبة هذه الخصوصية فبينا نجد مصادرنا تنسبها الى بلحارث بن كعب نجد السيوطي لايخص بلحارث وحدهم في هذه النسبـة ، فقـد عزاها ال بني العنبر وبني الهجيم وبـطون من ربيعـة وبكـر بن وائل وزبيد وخثعم وهمدان ومزدادة وعذرة (٢٢) .

على اننا قد نطمئن في نسبة السيوطي الى أن هذه الخصوصية يمنية في الأغلب الأعم .

وجعـل صاحب اللسـان (٢٣) لزوم المثنى للألف في قوله تعالى (ان هذان لساحران) لغة بني الحارث بن كعب وكنانة .

وقال ابو عبيد : كان الكسائي يحكي هذه

اللغة في بني الحارث بن كعب وخثعم وزبيد وأهل تلك الناحية (٢٤) . .

وهي لدى ابي حيان لغة بني الحارث وسليم . (٢٥) .

٣ - وقد نسب أهل اللغة الى اليمن شيئا مما ادخلوه في (اللغات المذمومة) فقد جاء في (الكامل) (٢٦) للمبرد (وحدثني من لا أحصي من أصحابنا عن الأصمعي عن شعبة عن قتادة ، قال: قال معاوية يوما: من أفصح الناس؟ فقام رجل من السماط فقال: قوم تباعدوا عن فراتية العراق . وتيامنوا عن كشكشة تميم ، وتياسروا عن كسكسة بكر ، ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية حمير . فقال له معاوية . قال الاصمعي : وجرم من فصحاء الناس.

وجرم من قضاعة ، وقضاعة مشهورة في أصلها القحطاني ، وان جاء خلاف فيها بين العدنانية والحميرية (٢٧) .

وقد وصفت قضاعة بالغمغمة في نص (الكامل) ونص (البيان والتبيين) (٢٨) وهي (العجعجة) في (المزهر) للسيوطي (٢٩) وهذه العجعجة قد وردت منسوبة الى بني فقيم في مصادر أخرى. (٣٠)

ومن هذه اللغات المذمومة :-

١ - شنشنة اليمن وهم يجعلون الكاف شينا مطلقا نحو لبيش أي لبيك (٣١) .

٢ - طمطمانية حمير كما هي في (أم) اداة للتعريف في لغة حمير (٣٢) . وقيل لغة طي (٣١).

٣ - لخلخانية الشحر وعمان كقولهم : مشا الله اي ماشاء الله كان (٣٤) .

٤ - تلتلة بهراء (وبهراء من قضاعة كما في (عجالة المبتدى ص ٨) والتلتلة تعني كسر حرف المضارعة نحو : تِعلمون وتِفعلون وتِصنعون (٣٥).

أقول : وهذه الخصوصية ليست في بهراء وحدها فكثير من لغات العرب قد عرفت هذا فهي فاشية في قيس وتميم وأسد وهذيل . وقد عرف ان عبدالله بن مسعود ، وهو هذلي ، قد قرأ : (ولا تِقربا هذه الشجرة) . وقرأ يحيى بن وثاب (الم إعهد اليكم) (٣٦) .

٤ - ومن الابدال الخاص بحمير انهم يجعلون الجيم كافا كما ورد في (البيان والتبيين) (٣٧) .

وذكر هذا ابن فارس في (الصاحبي) (٣٨) هذه الكاف فوضعها بين القاف والكاف والجيم ، وقال: هي في سائر اليمن .

أقول : يشير الى الجيم الانفجارية السامية الثقيلة على نحوماينطق المصريون في عصرنا

٥ - ومن خصوصيات الحميرية ان هاء التأنيث تكون تاءً عند الوقف فيقال : تمرت وطلحت في تمره وطلحه.

ونقل ابن جني عن الأصمعي عن أبي عمرو: جاءته كتابي فاحتقرها . فقلت له : أتقول : جاءته كتابي؟ قال: نعم أليس بصحيفة. . (٤٠)

٦ - وقالوا : ان نون الموصول تحذف في لغة بني الحارث بن كعب في (اللذان) و(اللتان) (٤١) .

٧ - ومن هذه الخصوصيات مانسب الى همدان وهو تشديد واو (هو) ويا (هي) على ان السيوطي قد ذهب الى ان تشد يد الواو ضرورة بعد إشارته الى أنه من لغة همدان.

وأشار ابن جني الى ان تسكين الهاء الضمير المتصل لغة ازد السراة (٣٤) .

٨ - ولا أدري كيف نسب الدكتور جواد علي (٤٤) على ابدال الميم في (مكة) بالباء (بكة) الى العربية الجنوبية . انه ابدال يعرض في لغات العرب عامة، وهو منسوب الى مازن بن ربيعة من قبائل الشمال . (٤٥) .

٩ - ان هذه الخصوصيات في نسبتها الى اصحابها لم تكن شيئاً من العلم الأكيد ، ذلك أن أصحاب المصادر اللغويين لم يتثبتوا مما أسندوه . وهم في الأغلب الأعم لم يشيروا الى مصدرهم الذي أفاد منه هذه الفوائد . ومن هنا ليس لي ان أعلق فائدة كبيرة مما جاء في (تاج العروس) (٤٦) من ان الهمزة تقلب هاء في لغة اليمن نحو أراق وهراق.

أقول : ان الهمزة والهاء من مواد الابدال ، وهي فاشية في العربية ، وليس في طوقنا ان نعزو كل كلمة عرض فيها هذا الابدال الى أصحابها . واذا كان امرؤ القيس قد قال:

وان شفائي عبرة «مهراقة»
فهل عند رسم دارس من معول

فلا يعني ذلك ان قوله (مهراقة) من لغة اليمن بل انه صار الى هذه الكلمة لحاجته اليها في شعره.

ولنعد الى المادة اليمنية المنثورة في المصادر اللغوية وغيرها مهتدين بما جمعه الدكتور هاشم الطعان ـ رحمه الله ـ .

أقول : كأن الدكتور هاشم الطعان أراد ان يجمع هذا التراث المزعوم الذي ادعى فيه اللغويون وغيرهم ونسبوه الى اليمن، وكأنه أراد أن يقتصر عمله على الجمع والاستقراء. ان ماصنعه مفيد جدا فقد كفى الدراسين هذه المهمة .

وأذكر ان الدكتور الطعان ، وقد كان من طلابي في كلية الآداب ببغداد قد وعى ماقلته ، وهو يعمل في رسالته التي هي كتاب «البارع» (٤٣) للحصول على الدكتوراة ، ان يقف على المواد اليمنية التي أثبتها ابن دريد في (الجمهرة) من مصادر اللغة والأدب والتاريخ. ثم أراد أن يخرج هذه المادة في (كتابه) لمح الدكتور هاشم الطعان أن ابن دريد قد تزيد فرمي ب(المناكير) وأشار الى ما وضع في كتابه ، ولو أنه أفرد لهذا الامر قدراً لنقد هذا الذي تجمع لديه أكثر مما فعل لانتهى الى ان جل الذي استقراه من اليمنية مما لايطمأن إليه .

قلت في هذا الدرس ان الكثير من علومنا الاسلامية قد عرض لها الوضع والعبث ، وأضيف الآن فاقول: اذا كان حديث رسول الله قد عرض له ماعرض من الوضع والانتحال والدس مع ان النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قد قال:

قلت في هذا الدرس ان الكثير من علومنا الاسلامية قد عرض لها الوضع والعبث ، وأضيف الآن فاقول: اذا كان حديث رسول الله قد عرض له ماعرض من الوضع والانتحال والدس مع ان النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قد قال:

«من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» ، ومع هذا التحذير الشديد سمع الكذابون الوضاعون هذا ولم يمتنعوا عما اضطربوا فيه فكانت (مطولات) ضخمة في الأحاديث الموضوعة .

وأعود الى ابن دريد ، وهو أول لغوي غير يماني قد استهواه التراث اليمني فتزيد وصنع وكان من بعضه (مناكيره). وعندي ان (المناكير) ليست بالعدد القليل ، بل انها شيء أكثر من ذلك .

قلت : ليس لي أن أقبل هذا القدر الكبير مما أدعى يمنيته في المصادر القديمة مما لانجد له أصلاً فيما وصل الينا من السبئية التي دعيت (الحميرية) لدى العرب.

ولكني أستدرك فأقول : ان خلو المعجم السبئي من كثير من هذا الذي أثبته اللغويون ليس دليلا علميا على انه كذب محض ، ذلك أننا لانملك كل النصوص السبئية ، والذي فاتنا وما زال غير مكتشف يشتمل على تراث لغوي غير الذي وصل الينا .

أقول ومع استدراكي هذا فأني أميل الى ماذهب اليه القدماء من تكثر ابن دريد ووضعه وقد أشرت في بحثي هذا الى غير ابن دريد من اللغويين القدماء (٤٩) الذين عرف عنهم شيء من هذا ولابد لي الآن من وقفات على (المعجم) اليمني الذي صنعه هاشم الطعان وضمه الى كتابه .

١ ـ مأرب :ـ هي الحاجات . والمصدر كتاب (الاتقان) ١/ ٣٥ في علوم القرآن للسيوطي .

أقول : ولم تشر المعجمات المطولة الى ان الكلمة (حميرية) .

٢ ـ الاريكة : الحجلة فيها السرير، أبو عبيدة عن الحسن : يمانية : كتاب (الاتقان ١/ ١٣٥ والصاحبي ص ٣٨ .

أقول : اعتمد السيوطي على ماذكره أبو عبيده ، وأظنه في كتابه (مجاز القرآن) على أني رجعت

الى هذا الكتاب فلم أجده ، فلعله في كتاب آخر من كتب أبي عبيده ، .

وأقول أيضا : أن أبا عبيدة كابن دريد من اللغويين المشارقة الذين لم يعرفوا اليمن ولاشافهوا أهل اليمن ، ولم يشيروا الى كتب اهل اليمن ، ومن هنا فإني أميل الى أنهم تزيدوا مدفوعين بحماستهم في تصيد الغريب والنوادر ليعرفوا بها دون غيرهم .

وكذلك أقول في ابن فارس صاحب كتاب (الصاحبي) وهو الذي قضى شطرا من عمره في مواطن غير عربية قريبا من الصاحب بن عباد وزير آل بويه .

٣ - أمض : شك جاء في (السيرة ١/١٣) لابن هشام ، وقال أبو عمرو : أمض أي باطل أقول: ولم يشر صاحب (لسان العرب) الى ان الكلمة حميرية ، وكأنه وجد ان قول ابي عمرو ليس بشيء .

٤ - إمام: كتاب ، وهي حميرية في (الاتقان ١/١٣٥) وفي تفسير (الجلالين ١/٢٦٠) ولم يشر السيوطي (المتوفى سنة ٩١١هـ) الى مصدره .

أمة سنين في لغة ازد شنوءه (تفسير الجلالين ١/٢٠١) والاتقان ١/١٣٥) و(لغات القرآن على هامش الجلالين ص ٣٠ لحسنون .

أقول : كان الدكتور الطعان قد توسع في اليمنية الحميرية فعد لغة أزد شنوءة منها، وهذه وإن كانت في الأصل قبيلة قحطانية إلا أنها تركت موطنها الاصلي .

٦ - الأنثيان : الاذنان ، وهي يمانية في حاشية سمط اللآلي ١/٣٧٨) وهي من (مناكير ابن دريد كما في «اللسان» (أنت) .

٧ - الأيران : الذؤابتان يمانية ، وهو مذكور في السمط ١/٣٧٨ . أقول وهو في (اللسان) من (مناكير ابن دريد .

٨ - تبتئس : تحزن ، كندة (الاتقان ١/١٣٦) و(تفسير الجلالين ١/٢٠٤) وهي في لغة سدوس (اللغات في القرآن ص ٣٢) .

أقول : وهذا من توسع الدكتور الطعان الذي أراد يدخل في موضوع لغات القبائل التي هي من أصل قحطاني .

٩ - البداء : بالكسر لغة في الفداء ، هكذا ينطق به عامة عرب اليمن (تاج العروس (بدي) .

أقول وكيف لي أن آخذ بما سمه من مصدر متأخر ، فصاحب (التاج) من رجال القرن الثالث عشر ، وهو ينفرد بهذا .

ثم ان المسألة تتصل بالابدال ، وهذا الابدال فاش في كثير من لغات العرب. وهو مما توسع به الطعان غير ناظر للمسألة نظرة نقد .

١٠ - بيان (في كلام عمر بن الخطاب) سواء ، قال الازهري . . وكأنها لغة يمانية ولم تفش (اللسان : بب) .

أقول : لو ان الدكتور الطعان من أهل النقد لتوقف قليلا في قبول الكلمة لقول الازهري وكأنها لغة يمانية .

١١ - البظر : الخاتم ، حميرية (اللسان/ بظر) وهو القبر أيضا ، وما نتأ من شيء وهي جميرية (السمط ١/٣٧٨) من (مناكير) ابن دريد .

١٢ - البعير: يدل على الماشية عموما في السبئية (مختصر علم اللغة العربية الجنوبية لاغناطيوس كويدي .

أقول : وليس هذا خاصاً بالعربية الجنوبية ، ذلك ان (بعيرا) في اللغات الآرامية تدل على الدواب عامة .

١٣ - البغس: السواد ، لغة يمانية . ذكر ذلك أبو مالك (الجمهرة بغس) .

أقول : لانعرف أبو مالك من رواة الاعراب ، وأنا أميل الى أنها من (مناكير) ابن دريد .

١٤ - البواء : الهلاك من لغة عمان (تفسير الجلالين ١/٢٣٣ ، و٢/٦٨ ، ولغات القرآن وهل لنا ان نجعل أزد عمان من اليمن من أجل هذا ، وان كانت القبيلة قحطانية؟

١٥ - التقردة : الكسيرة . عن ابن دريد قال : والتقردة الأبزار كلها عند أهل اليمن .

وعن ابن الأعـرابي هي (التقـدة) الكـزبـرة والكرويا ، قال الازهري : وهذا هو الصحيح وأما (التقرد) فلا اعرفه في كلام العرب .

أقول : وبحسب ماذكره الأزهري يكون كلام ابن دريد من المصحف!

١٦ ـ التلم في كتاب العين: مشق الكراب بلغة أهل اليمن (نقله عنه ابن فارس في (المقاييس) ٣٥٣/١ .

١٧ ـ تارة : مرة ، في لغة أشعر (تفسير الجلالين ٢٥/٢) و(اللغات في القرآن ص ٣٧) و(الاتقاء ١٣٦/١ .

وكيف للباحث الجاد ان يثق بهذه النسبة ، وهي في مصادر متأخرة .

أقول : والكلمات من (اليمنية) المزعومة كثيرة في هذه المصادر المتأخرة. وقد أثبتها الدكتور هاشم الطعان في (معجمه) وما أظنه اطمأن الى ما أثبته ، وقد كان همه أن يجمع هذا المتفرق في المصادر مما يعزي الى العربية اليمنية .

ومن أجل ذلك اجتزىء بما ذكرت مما ورد في المصادر المتأخرة ودعي يمنيا او حميريا مثل تاج العروس ، وكتب السيوطي ومصادر متأخرة أخرى .

١٨ ـ الجحمة : العين ، حميرية أو يمانية (لسان العرب/ حجم وشنتر) و(الأمالي للتهالي ٣٦/١) و(السمط ٣٧٨/١ .

وهي من (مناكير (ابن دريد. وقد وردت في (معجم المقاييس ٤٢٩/١) و(شمس العلوم (ط ليدن) ٣٠٠/٢ ، و(جني الجنتين ص ٣٣) .

أقول : وفي الابيات التي ذكرت في حاشية في (السمط) وقد تقدمت ، مايشعر انها موضوعة ، وهي غير منسوبة ، وقد تكلمت عليها ، وأشتملت على شيء من (مناكير) ابن دريد .

١٩ ـ الجربة : المزرعة . وفي نقوش اليمن من الامثال العدنية (نقوش ٦) .

والجربة : القطعة من الارض محدودة المعالم (الاكليل ٣١٤/٢هامش) وفي (لسان العرب) : الجربة المزرعة .

٢٠ ـ الجزع : المحور الذي يدور فيه المحالة ، لغة يمانية (الجمهرة /جزع) .

٢١ ـ الجنور : مدارس الحنطة والشعير ، لغة يمانية (الجمهرة / جرن) .

أقول : وهذا والذي قبله مما انفرد به ابن دريد .

٢٢ ـ الرجل : في كلام أهل اليمن الكبر الجماع ، نقله الأزهري والصاغاني (اللسان/ رجل) و(التاج/ رجل) .

أقول : وهل لنا أن نفيد من هذا الذي لاسبيل لنا فيه الا حملة على المجاز والتو .

٢٣ ـ رصفت الوسادة بمعني ثنيتها (الجمهرة ٣٦٤/٢) وعن (الجمهرة) وردت في (مقاييس اللغة ٤٠١/٢) و(اللسان / رضف) .

٢٤ ـ الزُب : الذكر بلغة أل اليمن ، وخص به ابن دريد ذكر الانسان . والزب : اللحية . . وقيل : الأنف . . يمانية (اللسان /زبب) و(الجمهرة /بزز) وقيل الزب مقدم اللحية عند بعض أهل اليمن ، وقال الشاعر:ـ

ففاضَت دموع الحَجْمَتيِن بعبرة
على الزُبّ حتى الزُبّ في الماء غامس

وهذا شاهد لانعرفه ولسنا في ثقة من أمر نسبته . و«الجمهرة» الأصل الأول الذي أثبت هذه الفوائد. ولابد لنا أن نتذكر الأبيات المتقدمة التى وردت في (السمط ٣٧٨/١) عن (تذكرة ابن العديم .

٢٥ ـ الطحس: يكنى به عن الجماع ، وهو من (مناكير) ابن دريد (اللسان/ طحس) .

□□ خاتمة : أكتفي بهذا القدر الذي اجتزىء به عن سائر (المعجم) الذي ذيل الدكتور هاشم الطعان ـ رحمه الله ـ كتابه) الذي أشرنا اليه . وكأنه كان معنيا بجمع المادة من المصادر المختلفة والتي أفادها من استقرائه الوافي. وكأنه أيضا أرجأ النظر في نقد ما جمعه الى عمل آخر ، ولو مد الله له في الأجل لأتى بشيء مفيد. ان هذا ماعرفته منه معرفة أكيدة .

وقد رأيت أن أختم هذا الموجز بما بسطه يوهان فك المستشرق الألماني المجتهد في لغات اليمن في ضوء ما أفاده مما ورد في (الإكليل) و(صفة جزيرة العرب) كتابي المؤرخ الهمداني وذلك في كتابه (العربية) (٥٠) وكنت أشرت الى ان الفوائد في هذين المصدرين تعد من العلم الذي احرز الثقة لدى الدارسين.

[من كتاب «العربية» من ص ١٥٤ - ١٥٩ ليوهان فك]

لقد كانت لغة البدو [في القرن الرابع الهجري] في مستوى من الخلوص والنصاعة لا تدانيه لغة الزارع والحضريين، لاسيما اذا كانت ألسنتهم لاتزال محتفظة بمظاهر الإعراب والتصريف القديمة. بيد أنه في كل مكان كثر فيه اختلاط البدو بغيرهم. من طبقات السكان، وكذلك عند تحولهم بوجه خاص الى الإقامة والاستقرار، وبهذا الى الاتصال الذي لاغني عنه بالسكان الزراع الذين كانوا يجدونهم أية سلكوا؛ فقدت لغتهم من صفائها وخلوصها فقداناً كبيرا.

والى اي حد كانت الأحوال متشابكة معقدة؟ هذا مايكشف عنه بيان الهمداني (المتوفي ٣٣٤هـ) عن العلاقات اللغوية في جنوبي الجزيرة العربية حوالى نهاية القرن الثالث (٥١) فهنا كانت اللغة الحميرية الأصلية لاتزال تمعن في الاختفاء أمام عربية الشمال. ويقول الهمداني (٥٢) إن اللغة الحميرية القحّة المتعقدة كانت سائدة بعد في المنطقة الممتدة من حقل قتاب (عنديريم الحالية) إلى ذمار. وقد كانت هذه هي المنطقة المحيطة بظفار عاصمة دولة الحميريين القديمة. أما في العاصمة الجديدة للإقليم وهي: صنعاء، ففي أهلها بقايا من العربية المحضة، ونبذ من كلام حمير (ص ١٣٥ س ٢٥) ومدينة صنعاء مختلفة اللغات واللهجات، لكل بقعة منها لغة، لأنها كانت مدينة هامة اذ ذاك أيضا. وعلى النقيض من ذلك يقع غربي صنعاء مركز ثان للغة الحميرية الخالصة (الحميرية المحضة ص ١٣٦ س ١) يمتد بين شبام أقيان عبر سلسلة جبال المصانع حتى جبل: تُخلى.

وكذلك كانت الحميرية كثيرة في منطقة: خيوان، الواقعة بعيداً نحو الشمال من صنعاء الى ناحية صعدة (ص ١٣٥ - س ١٥) التي كانت تسود فيها عربية الشمال.

وفيما عدا هذا اختلطت الألسنة الأصلية بعربية الشمال شتى وجوه الاختلاط، اذا لم تكن قد قضى عليها تماما من قبل الداخلين.

وقد ضاعف من عناء الهمداني وتعبه في تصوير هذه الأخلاط من اللهجات أنه لم يكن يرى فقط أن لغة الكتابة هي القدوة والمثال، بل كان يرى فوق ذلك أنها تصور اللغة الأصيلة الخالصة البعيدة عن التغيير والتبديل، والتي تفرعت منها تدريجا الألسنة واللهجات التي كانت سائدة في عصره بالفساد والتحريف.

وعلى هذا النحو وحده يتضح كيف استطاع أن يفترض (ص ١٣٥ س ٢٥) أن صنعاء كانت فيهم بقايا من العربية المحضة، أو أن يلاحظ أن أهل عدن لغتهم رديئة (ص ١٣٤ س ٢٤) وأن في بعضهم نوكا وحماقة إلا من تأدب منهم.

ولا نستطيع ان نستنتج من مثل هذا الأسلوب في ملاحظة علاقات اللهجات إلا ان الهمداني يقيس كل لهجة بمقاييس النحو، ويحكم عليها من حيث الفصاحة والغتمة من وجهة نظر واحدة، هي مطابقتها او مخالفتها للقواعد.

وهو ينظر بعد هذا، هل هي معقدة صعبة الفهم على من خرج عن محيطها؟

وهكذا نراه لايفترض ان اللهجتين المهرية والشحرية، أساسا من لغة اخرى، تبتعد من عربية الشمال الى حد يتعذر معه التفاهم، بل يصور سكان الشحر والأسعاء على انهم قوم لاينطقون نطقا فصيحا، والمهريين على أنهم غُتم يشاكلون العجم.

ولا يذكـر أكثـر من ذلـك عن لهجات حضرموت ، فهو يكتفي بأنهم ليسوا بفصحاء ، وربما كان فيهم الفصيح ، وأفصحهم كندة وهمدان وبعض الصدف . (ص ١٣٤ س ١٨)

وهو يعد فصيحة أيضا لتلك اللهجات التي يتكلم بها في سرو مذحج ، ومأرب وبيحان ، وحريب ، ففي هذه المناطق الواقعة على طريق العطور والتجارة ، التي كانت تمتد من مأرب عاصمة الدولة السبئية القديمة نحو الشمال الشرقي ، كانت اللغة الرديئة أمراً نادراً (ص ١٣٤ س ١٩).

وكانت فصيحة أيضا لهجة المنطقة بين مأرب وذمار ، التي يحددها الهمداني على الصورة التالية : جبل إسبيل الواقع في الشمال الشرقي من ذمار، وإقليم كومان المتاخم له من الشمال الشرقي جيضا ، واقليم الحداء المجاور له، وجبل دِقرار الواقع في منطقة مأرب ، وأخيرا منطقة (قائفة) التي تعد من مناطقة (مراد) (١٣٥ س ٥) . . وكإان كومان حميريون في الأصـل د ولكنهم صاروا على عهـد الهمداني ، من قبيلة مذحج (٥٣)؛ مما يدل على أن خلوص اللغة لايرجع الى الدم والنسب . .

ويعـد الهمـداني أيضـا فيمن يتكلمـون بفصاحة أقساما من منطقة همدان (٥٤) الممتدة الى الشمال الشرقي من صنعاء ومأرب حتى نجران ، وما جاور هذه الأقسام أيضا ، حيث تسكن قبـائـل بلحارث في الرحبة ، على حين ان صَنَاف بالجوف الأعلى دون ذلك في الفصاحة (ص ١٣٥ س ٢٠) .

كذلك يعد من الفصحاء سفيان بن أحب ، وهـو شعب من همدان ، على الـرغم من أنهم يتخذون : أم ، بدلا من : أل ، أداة للتعريف (٥٥) ويستعملون المثنى بالألف في جميع الحالات (٥٦) .

وبنو حرب ، فخذ من همدان في بلد : وادعه ، وهم أهل إمالة في جميع كلامهم، علي حين ان بني عمهم (٥٧) بني سعد أفصح .

على ان المنطقـة العظمى التي تغلب فيها الفصاحة تبدأ في الشمال من حدود اليمن الحقيقية عنـد وادعـة ، وتمتـد عبر سلسلة السروات على الساحل الى غربي شبه الجزيرة .

وقـد ذكر الهمداني في ص ١٣٦ س ٣ من القبائل التي تسكن هذه المنطقة التي يخترقها طريق القوافل، بعض أفخاذ من مذحج (جنب وزبيد؛ وقضاعة (سِنحان ونهد) وأزد شنوءة (بني اسامة وعنز) ، ثم من خثعم (٥٨) ، وهلال وعامر بن ربيعة ؛ ثم بعـد هذا مرة أخرى فصائل من الأزد (الحِجْر (٥٩) ودوس وغامد ويشكر) ، ثم من فهم فثقيف فبجيلة ، وأخيرا طائفة يسميها بني علي . ولكنه ينبه بوجه خاص الى أن المجموعات التي تسكن سفوح الجبال الغربية من هذه القبائل (تجاه تهامه) أقل فصاحة ممن يعيشون في أعالي الجبال. وكما أثر جوار تهامة تأثيرا سيئا في فصاحة اللغة في هذه المناطق ، اثـر أيضا نفس التأثير في إقليم الجوف ، كما يرى الهمداني (ص ١٣٥ - ص ٢١) إذ يقول ان سكان الجوف فصحاء إلا من خالطهم من جيرة لهم تهاميين . .

أما أن أهل تهامة ينطقون عربية رديئة فهذا مايستفاد بوضوح من ملاحظته (ص ١٣٥ س ١٠) ، حيث يقول إن بلد الأشعر وعك وحكم (من بني سعد العشيرة) من بطن تهامة لا بأس بلغتهم إلا من سكن منهم القرى (٦٠) ، وكما يقول في ص ١٣٤ س ٢٥ ، يوجد قبيلتان أخريان في جوار الأشعريين ، هم بنو واقد ، الذين يعدون من ثقيف (٦١) ، وبنـو مجيد الحميريون في الأصـل (٦٢) ، وهمـا فصيحتان أيضا .

كذلـك في ناحية صعـدة توجـد العربية الفصيحـة فقط عند بني خولان الذين يخيمون في السهـل ، علي حين أن بني قبيلتهم السـاكنين بالمنخفض (الغور) غتم غير فصحاء (ص ١٣٦ س ٢) .

ويصف الهمـداني لهجـات اخـرى بأنها فصيحـة ، كاللهجات الجارية بين ذمار وصنعاء (١٣٥ س ٢٤) ولهجة السكاسك التابعين لكندة .

ويعد وسطاً في الفصاحة ، والى اللكنة أقرب ، لهجات بعض بقاع تقع في المنطقة الجبلية ألهان وأنيس ، (غربي ذمار) ؛ والى الكنة أقرب أيضا ما جاور ذلك في جبال حراز ، وإن كان بينها ماهو متوسط بين الفصاحة واللكنة ؛ على أنَّ بينها أيضا ماهو أدخل في الحميرية المتعقدة ، لاسيما في القبائل الساكنة بمنطقة جبال الحَضُور .

وعن الجحادب الذين يدخلون ضمن القبائل الأخيرة يقول الهمداني في ص ١٠٦ س ١٨ إن أصلهم حميرى : والجحادب من حمير وقد يتهمدنون .

وأبعد من ذلك نحو الشمال ، في همدان ، كما يقول الهمداني في ص ١٣٥ س ١٢ هناك الى جانب غذر ، وهنوم ، وحجور الفصحاء ، يوجد غُتم أيضا مثل بعض قُدم ، وبعض الجبر . كذلك في النجد من همدان ، تسود عربية مخلوطة بحميرية في سهلي البون والخشب (٦٣) .

أما ظاهر همدان ، النجدي ، اي النواحي الواقعة على الأطراف من الهضبة ، فلغتها فصيحة .

ولهجة جبلان ، في المنطقة الجبلية الواقعة جنوبي جبال : ألهان ، عسيرة الفهم ، فيها تعقد ، على حين أن لهجة يحصب (٦٤) ورعين المتصلتين بجبلان من جهة المشرق أفصح من جبلان (ص ١٣٥ س ٢) ، على الرغم من أن الأخيرين ، وهم رعين ، حميريون في الأصل . (٦٥) .

وكذلك شأن العلاقات اللغوية في منطقة الكلاع في الجنوب (ص ١٣٤ س ٢٦) ففي نجديها فصاحة عالية ، مع عسرة من اللسان الحميري (اي من أثر البقايا اللغوية الحميرية فيما يظهر) . وفي سراتها أي أعاليها (المناطق الجبلية) تعقد. وتسود اللهجة الحميرية تماماً في المناطق الواقعة بالداخل من النواحي الجبلية الوعرة من سِروِ حمير ، لاسيما بين من ينتمون ـ دون حق ـ (٦٦) إلى جعدة بن كعب من هوازن التي هي من عرب الشمال، ومساكنهم في منطقة الجبال الجنوبية المرتفعة على الطريق من عدن الى صنعاء . . ويقول الهمداني في وصف لهجتهم : ليسوا بفصحاء وفي كلامهم شيء من التجميم ويجرون في كلامهم ويحذفون فيقولون : باين معَم في يابن العم و: سِمع في : اسمع (ص ١٣٤ س ٢١) .

وأبعد من ذلك إلى الجنوب ، توجد لهجة أفصح ، في لحج وأبين ودثينة ؛ والعامريون من كندة والأوديون أفصحهم .

ويصف الهمداني لهجة السكاسك الساكنين بجوار مدينة جَنَد ، بأنها متوسطة (ص ١٣٤ س ٢٦) .

ولهجات جيشان الواقعة جنوبي اليمن، وما جاورها من بقاع ، حميرية ، مثل لهجة السرو (ص ١٣٥ س ١) .

وأخيراً في المَعَافِر ـ في منطقة : تعز الحالية ـ ينطقون في سافلتها لهجة فيها غُتمة ، وفي علياها أفصح من ذلك (ص ١٣٤ س ٢٥ ، وأنظر ص ٩٩ س ١٧)

أما عن اللهجات التي يتكلم بها خارج اليمن، فيكتفي الهمداني (ص ١٣٦ س ٨) بملاحظة عامة : وأما العروض ففيها الفصاحة ماخلا قراها ، وكذلك الحجاز فنجد السفلى فالى الشام وإلى ديار مضر وإلى ديار ربعية ، فيها الفصاحة إلا في قراها .

ثم ختم ذلك بقوله : فهذه لغات الجزيرة على الجملة دون التبعيض والتقنين (اي دون التفصيل بذكر الخصائص الخاصة) . .

أقول إن هذه الصفحات التي أضمها الى ما قمت به مأخوذة من كتاب (العربية) ليوهان فك المستشرق الألماني ، تؤلف في الحقيقة الواحا في «الاطلس اللغوي اليمني». لقد استوفى الاستاذ المستشرق خواص العربية اليمنية في حواضر اليمن التاريخية في عصر الهمداني المؤرخ الشهير . .

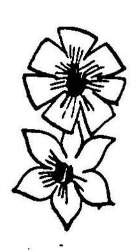
الهوامش :-

١ - سأستقري كتاب «المجمل» لابن فارس من منشورات معهد المخطوطات العربية في الكويت ١٩٨٥م .
٢ - أقـول : لو كان ابن فارس قد وقف على نص جاء فيه «البرشاع» لأثبته شاهدا ، وهو وغيره من أصحاب المعجمات وكتب اللغة يتعقبون النص ولو كان مما يشك فيه فيثبتون شاهداً في كلمة ولو كانت مما لايؤدي فائدة .
٣ - لم أجد (ابلندح) في (لسان العرب) ، بل وجدت الفعل الرباعي وآخره الحاء (بلدح) بمعنى أعيا مثل بَلَحَ (وبلح) و(بلد) . ورجل بلندح ألا ينجز وعداً ، والبلندح : القدم الثقيل .
٤ - الانباري ، نزهة الألباء ص ١٦٦
٥ - من المفيد أن أشير هنا الى ان المعجم القديم ، ولا سيما «القاموس المحيط» قد أشتمل على كلمات كثيرة تفيد هذا المعنى . وأستطيع أن أقول إن كل ما يعني الدفع بقوة مع شيء من معنى الدخول قد أنه في (القاموس) من بين ما انصرف اليه ، الى معنى (الجماع) . . ولا أدري لم أتضح هذا الانصراف فيه ، في حين لم نجد من هذا الا القليل في المعجمات التي سبقت (القاموس المحيط) ولعل من المفيد أيضاً ان نشير الى أن طائفة من الكلم صرفت من بين ما صرفت اليه الى (الذكر) و(الفرج) . ويبـدو ان الكثير من هذا هو كنايات أكثر منها المتهاجنون في العصور المتأخرة .
٦ - ياقوت ، معجم البلدان (صبر)
٧ - المفيد في أخبار صنعاء وزبيد (تاريخ اليمن) لعمارة اليمني بتحقيق القاضي محمد بن علي الاكوع ص
٨ - أنظر (الإكليل) في أجزائه المختلفة مما طبع في بغداد وبيروت وغيرهما ، وما نشر فيها القاضي محمد بن علي الأكوع وكأن اليمنية القديمة كانت قد عفا أثرها في القرن السادس الميلادي ، وأن آخر نقش قد وصل الينا قد كتب في أواخر هذا القرن (انظر كنور الملكة بلقيس ص ٢٧٣ ، فيليبس ترجمة عمر الديراوي ، بيروت ١٩٦١ على ان من العلم ان نقول : لابد أن تكون قد بقيت من الحميرية (السبئية) مخلفات في عربية اليمن ، وهي التي سجلها الهمداني ، وأفاد منها الدرس الحديث .
٩ - (ضياء الحلوم) لمحمد بن نشوان الحميري (مخطوطة الجامع الكبير بصنعاء) .
١٠ - مانشر من (شمس العلوم) في ليدن ، وهي أشتات يسيرة ، وما نشره الجرافي منه في مجلدين ، القاهرة ١٩٢٤م
١١ - لسان العرب (حر ، ظفر) المستقصى ٢/٣٥٥ على اننا نجد شيئا يسترعي النظر هو ان الشاعر العباسي ابن الدمينة قال :-
مللت بصنعاء الاحاديث والمنى
وأبغضت قصرا فوق قصر مشيدا
وأبغضت أصواتا بها أعجمية
وزرقا لرايا الامارة ذودا
١٢ - لسان العرب (تار)
١٣ - اللغات السامية لاسرائيل ولفنسون ص ٩٥
١٤ - الإكليل (تحقيق الأكوع) ٢/٣١٥ هامش
١٥ - إنظر شرح الحماسة للمرزوقي ص ٣٨٩ وخزانة الأدب ٤/١٤٩
١٦ - لسان العرب (بقي ، فني)
١٧ - طيفور ، بغداد ص ١٤٩ - ١٥٠ ، (جمع الجواهر) للحصري ص ٢٠
١٨ - تأثر العرب باللغات اليمنية القديمة ص ٢٢
١٩ - لسان العرب (علا) ، وأنظر (النوادر) لأبي زيد ص ٥٨ ، والصاحبي ص ٢٠
٢٠ - لسان العرب (ط صادر) ١٠/٦٤ ، ١٩/١٦٣ ، ٢٠/٢٢٦
٢١ - تأويل مشكلة القرآن لابن قتيبة ، والصاحبي ص ٢٠
٢٢ - همع الهوامع ١/٤٠
٢٣ - لسان العرب (ابن)
٢٤ - عن القراءات واللهجات لحمودة ص ٢٣
٢٥ - البحر المحيط ٦/٢٧٢ في كلامه على قراءة من قرأ (فكان أبواه مؤمنان) .
٢٦ - الكامل من ٥٨١ وأنظر مثل هذا في البيان والتبيين ٣/٢١٢ - ٢١٣
٢٧ - عجالة المبتدي للحازمي الهمداني ص ١٠٥ .
٢٨ - أنظر (لسان العرب) (غمغم) .
٢٩ - المزهر ١/٢٢٢
٣٠ - انظر (عجالة المبتدي) ص ١٠١ ، وأمالي ابي علي ٢/٧٥ ، و(الصاحبي) ص ٢٥
٣١ - المزهر ١/٢٢٢
٣٢ - غريب الحديث لابي عبيد (ط حيدراباد) ٤/١٣
٣٣ - العربية ليوهان فك ص ١٥٦ وسألحق بهذا البحث ما ورد في (العربية) مع المصادر التي في الهامش.
٣٤ - المزهر ١/٢٢٣
٣٥ - الخصائص ١/٣٩٨
٣٦ - مختصر البديع لابن خالويه ص ١٢٥
٣٧ - البيان والتبيين ١/٣٩٨
٣٨ - الصاحبي ص ٢٥ ، وأنظر العربية ليوهان فك ص ١٩٣ .
٣٩ - المصباح المنير (الماء) ، ولسان العرب (ظفر ، حمر
٤٠ - الخصائص ١/٢٥٨
٤١ - الدر اللوامع للشنقيطي ١/٢٣

٤٢ ـ همع اللوامع ١/٦١ ، ٢/١٧١ وأنظر الدرر اللوامع ١/٣٧ ، ٣٨ ، ٢/٢١٦ وأنظر اللسان هو
٤٣ ـ الخصائص ١/١٣٤ ، ٣٧٥
٤٤ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام (ط . بغداد) ٧/٣٨
٤٥ ـ أخبار النحو بين البصريين (ط . الحلبي) ص ٥٩ ، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ٩٨
٤٦ ـ تاج العروس (زريق) .
٤٧ ـ البارع لأبي علي التالي معجم لغوي حققه الدكتور هاشم الطعان رسالة للدكتوراة ، طبعته مكتبة النهضة ببغداد
٤٨ ـ تأثر العربية باللغات اليمنية القديمة ، بغداد ١٩٦٨ م
٤٩ ـ جاء في مصادر ابي عمر الزاهد من النحاة أنه كان معروفا بالوضع . وذكر في هذه المصادر ان تلامذته اتفقوا على سؤال يسألونه وقد وضعوا سؤالا ليس له جواب ، وهو انهم عكسوا لفظ «القنطرة» وهي درب يسلكونه للذهاب الى حلفته فكانت «هرطنق» ، حتى اذا وصلوا الحلقة ، بادره أحدهم : ما الهرطنق فقال من فوره : هو الياقوت الأحمر ، وذكرته في كتابي «اليوافيت» .

انظر الخبر في (انباه الرواة) و(نزهة الالباء) .

٥٠ ـ العربية ليوهان فك (ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار) القاهرة سنة ١٩٥١م
٥١ ـ صفة جزيرة العرب
٥٢ ـ ص ١٣٥ س ٤ وفي كلمة : المتعقدة انظر الفهرس اللغوي الذي عمله : ذي غويه للكتاب
٥٣ ـ انظر الهمداني ص ٩٢ س ٢٢ (وأصلهم حميري وهم يتمذحجون اليوم) .
٥٤ ـ يؤخذ من ص ١٣٥ س ١٩ أن هؤلاء هم : عذر ، مطرة ، نهم ، مرهبة ، ذيبان وهو يخالف لما ذكره في س ١٢ من نفس الصفحة . وأنظر في هذه القبائل .
J. Schleifer,
EI II302 B.
٥٥ ـ يعد هذا من خصائص لغة اليمن : انظر ابن يعيش على المفصل ص ١٢٢٠ ؛ العيني ج ١ ص ٤٦٥ ؛ ووردت أيضا في مسند أحمد ج ٥ ص ٣٤٣ في الحديث : (ليس من أمبر امصيام في أمسفر) (وفي البخاري : بأداة التعريف المعتادة اي الألف واللام) ؛ ويسميها آخرون لغة حمير ، وهي التسمية المشهورة .
٥٦ ـ ذكر ابن جني ان هذه لغة بلحارث ؛ انظر:ـ
O. Rescher, ZA 23 S. 23
٥٧ ـ أنظر الهمداني ص ٩٠ س ١ .
٥٨ ـ أنظر الهمداني ص ١٣٤ س ٢١ (ويجرون في كلامهم ويحذفون)
٥٩ ـ أمظر ص ١١٩ س ٧ .
٦٠ ـ كرر الهمداني في ص ١٣٥ س ١٨ أن «الأشعر وعك وبعض حكم .. فصحاء»
٦١ ـ ص ٥٣ س ٢٥
٦٢ ـ ص ٥٣ س ٢٠



أبحاث في اللسانيات وعلم اللغة

«الحلقة الرابعة»

د/ محمد عبد الرضى قدوح

أصول الفكر والكلام

قد يكون من المفيد لنا قبل البحث في أصول الفكـر والكلام أن نعرض لمسألة هامة تتعلق بلغة الحيوان والطير . .

إن الاساطير التي تحكي لنا عن فهم الانسان لكلام الطيور والحيوانات كثيرة جداً ورغم اختلافها عنـد الشعـوب البـدائية والمتطورة فالأصل في هذه الأسـاطير واحـد، فالانسان الذي أدرك في اللغة قيمتها التعبيرية ظن أن الحيوانات تتفاهم فيما بينها ، واستنتج أنها تتكلم لغتها الخاصة التي لاتختلف بشيء عن لغة البشر سوى أن الانسان لايفهمها كما لايفهم شعب معين لغـة شعب آخر في حالة جهـل الأول للغة الثاني . . وهناك بعض الشعوب التي تعتقـد بأن الحيوانات والطيور كانت بشراً ثم غضب الله عليهـا فمسخها وغير هيأتها وأصبحت تتكلم لغات خاصة بها . . وهناك اعتقادات أخرى تعـود إلى طبيعة التصور البدائي عند الانسان . . فبعض الشعوب تؤمن بأن الكلاب مثلا تفهم لغتنا ولكنهـا لاتريد أن تتكلم معنا . . وهناك حكايات عربـية عديدة تتـكـلم عن بعض الـشخـصيات الانسانية التي كانت تفهم لغة الحيوانات .

وليس غريبا أن تعتقد شعوب كثيرة في المرحلة الحضـارية المتطورة بمثل هذه الأساطير. فمشكلة فهم نشأة اللغة وخاصيتها الانسانية كانت وما زالت موضع بحث من مختلف الفلاسفة والعلماء ورجال الـدين . . وإذا كان معـظم العلماء لايأخـذ بهذه الأسـاطـير، فإن عدداً كبـيراً منهم حاول تعليم الحيوانات لغة الانسان . فقد سعى العالم الامريكي والبـاحث في نفسية الحيوانـات «ايركس» لتعليم بعض الحيوانـات المتشـابهـة مع الإنسان ، فأخذ شمبنزيا صغيرا وكان يدعوه تشيم ووضعه في غرفة ذات نافذة صغيرة وجر العالم تشيم إلى النافذة وقال «بـا ، با ، با» وفي نفس الوقت انفتحت النافذة وظهـرت منهـا قطعـة من المـوز وكان هدف العالم ايركس أن يتعلم القـرد الصغـير قول «بـا» لكي يحصل على الموز ثانية ، ومر يوم بعد الآخر وتشيم لم يقل شيئا حتى انه فقد حيوتيه عند فتح النافذة ، لكنـه عنـدما كان يطرح الموز له كان ينشط لأكله كالعـادة ، وهكـذا دون جدوى أعاد «ايركس» التجـربـة وأقتنـع بأنه يجب أن يبحث عن طريقة اخرى ، وأعتقـد انـه يجب أن يصطحب القول بالنـظر أو برؤية الشيء في آن واحـد فربط العالم قطعة الموز بكماشة خاصة ورفعها أمام مرأى القرد ثم هتف كو ـ كو فسقـطت قطعـة المـوز على الطاولة فأخذها بسرعة والتهمها بشهية .

وكان القرد ينظر مستأنسا ومتعجباً . وأعاد ايركس التجربة رامياً الموزة للقرد ومضى شهر لم يقل القرد (كـو) وأعاد ايركس تجربة ثالثة محاولاً تعليم تشيم قول «نا، نا، نا» ولم يفلح الباحث الأمريكي تعليم تشيم ولـو لفظ شيء مشابه لما يقال أمام ناظري تشيم وعلى مسمعه ، وعلى العكـس من ذلك لقد

فقد القرد الصغير حيويته ونشاطه ولم يقم حتى بأية محاولة تقليد بسيطة ، وحزن العالم حزناً شديداً لفشله ، لأنه كان يعتقد أن القرد وخاصة الشمبنزي أقدر الحيوانات على اللفظ .

وهنا يطرح سؤال آخر ، فإذا كان الحيوان لايستطيع تعلم الكلام ، أليس بإمكانه أن يفهم كلامنا نحن البشر؟ والواقع أنك تنادي الحيوانات الاليفة بأسمائها فتأتي إليك وتقول لها إبتعدي فتبتعد عنك وتقول للكلب نم فينام ، وكذلك ينطبق القول على القطط والحمير والخيل والجمال وغيرها من الحيوانات التي ترافق الانسان في عمله أو تعيش معه في مسكنه . .

وهكذا قرر العالم النفسي الهولندي «بويتنديك» اختبار هذه القضية. فعمد الى تعليم كلب الإصغاء والانتباه إلى كلمة معينة، وبعد ذلك أخذ بويتنديك يغير في موقع أصوات الكلمة فيقدم ويؤخر مقاطعها أو يغير في موقع النبرة ، غير أن الكلب الذي تعود على سماع هذه الكلمة لم يستطع أن يميز أصواتها أو الترنيم فيها أو الانتباه لعلامات خاصة ببعض ترنيماتها وإنما كان الكلب ينتبه فقط للمحتوى الصوتي العام للكلمة وبدرجة أساسية للمقطع المنبور بشكل خاص والتلحين أو النغم الواقع عليه. وأعاد علماء آخرون التجربة وتبين أن الكلب لاينتبه لمعنى الكلمة أو محتواها ، وانما لمجموع أصواتها أو للنغم . وبعبارة العالم البيولوجي سارس فإن فهم الكلمات عند الكلاب يجري في حدود الإدراك الكلبي .

والواقع إن التجارب مازالت تجري في عصرنا هذا وتكتسب أهمية لما تسلح به العلماء من وسائل حديثة . وتجري الدراسات والأبحاث حول أصوات الطيور خاصة لأن بعضها يستطيع لفظ أصوات وكلمات عديدة لا بل جمل متكاملة وإعادة حوار بسيط ، فالببغاء مثلاً تحفظ في ذاكرتها مجموعة كبيرة من الكلمات والجمل ، وهي عند العالمة النفسية لوديفينا كوتس استطاعت أن تحفظ ١٥٠ كلمة ، لكنها لم تستطيع أن تلفظ كلمة واحدة من التي سبق حفظها أثناء عرض هذه الاشياء أمامها ، وكذلك لم تستطع تمييز الكلمات الخاصة بالألوان عند مشاهدتها لذلك وأثبت أكثر من عالم أن كلام الببغاء بعيد كل البعد عن الكلام الإنساني. انما الذي يحصل عندها هو مجرد انطباع سريع لدى سماعها الألفاظ ومشاهدة النطق . وإن تلك العملية عندها أشبه بإعادة الصدى أو تسجيل على آلة ثم إعادة ذلك دون وعي أو معرفة إنسانية ، حتى أن الطفل في محاولة تقليده في إعادة اللفظ ينطلق من الفهم أولا. من ربط النطق بالحالة الداعية لذلك ثم يحاول التقليد. أما الطيور فإنها تفعل ذلك مقلدة دون وعي أو إدراك أو ربط للفظ بالحالة او المادة وسوى ذلك .

ومن مجمل التجارب يمكن إستخلاص المسألة التالية: إن الكلام البشري واللغة خاصة انسانية ينفرد الانسان باستعمالها واستخدامها كأهم وسيلة للتفاهم وكمساعد أساسي في تنمية الفكر منذ الولادة وحتى الموت وإنه لايوجد أي كائن يستطيع إستخدام اللغة البشرية غير الانسان . وربما يعود ذلك إلى النفسية الانسانية واختلافها عن النفسية الحيوانية لما تعاني الأخرى من نقص يجعلها بعيدة عن الانتقال إلى الوضع الانساني .

فإن طبع أكثر الحيوانات رقيا يعتمد على الانعكاسات reflexes أي ردة الفعل لجسمه الناتجة عن الحوافز الخارجية . .

وقد تكون هذه الانعكاسات مشروطة Con-ditionnes أو غير مشروطة inconditionnes والإنعكاس غير المشروط هو الإنعكاس الموروث مع الولادة والشامل لجميع الحيوانات من النوع المعين، أما الانعكاس المشروط فهو يتكون مع حياة الحيوان فعند الكلاب مثلاً يدخل اللحم في الانعكاس الغذائي الموروث ، أي أن اللحم مباشرة ينعكس على الغدة اللعابية عند الكلاب فتفرط حالاً بالإفراز ، ولذا يمكن إعتبار اللحم بالنسبة للكلب الحافز البيولوجي الرئيسي. ولو عودنا الكلب هذا دق جرس قبل اعطائه

قطعة اللحم نلاحظ أن لعابه يسيل بمجرد سماعه صوت الجرس، وهكذا يصبح الحافز غير المباشر الذي هو صوت الجرس إشارة داعية الى ظهور اللحم. ان هذه الظاهرة استأهلت باهتمام العالم البيولوجي الروسي الشهير بافلوف الذي يعتبر رائداً في اكتشاف الانعكاس المشروط reflexe Conditionne . أما الانعكاس غير المشروط أي الموروث فقد لاحظه العلماء قديما. وقد أشار الكاتب الأمريكي الشهير إدوارد سيتون تومبسون إلى انه في صيف عام ١٨٨٣ في كيبريبري اجتاحت المنطقة عواصف ثلجية وسقط البرد بغزارة وتغير الطقس فجأة وكان أخوه قد وضع ١٥ بيضة دجاج بري تحت الدجاج العادي وقد فقست ولم يمض على خروجها بعد ذلك اسبوعان وخوفا من أن تموت الصيصان من شدة البرد، فقد اخذها الكاتب إلى بيته ووضعها على صفيحة من حديد وضعت تحت الموقد وكانت دافئة، وبعد نصف ساعة نفضت الصيصان ريشها منتعشة واندفع صوص بحجم الذوري ثم حنى رأسه نحو الأرض ورفع عصعصه حيث سينمو له ذيل فيما بعد ورفرف بجناحيه وضرب ارجله الوردية محدثاً دق طبلة ثم اخذت الصيصان جميعها تدق بأرجلها وتقفز كما تفعل أمهاتها ابتهاجا بقدوم الربيع في موسم الحب. وبمجرد ما أخذ إدوارد يدق بأصابعه على لوح الحديد حتى إندفعت الصيصان ثانية ترقص وتفعل كما تفعل أمهاتها مع أنها لم تشاهدها ولو لحظة واحدة.. وليس غريبا مالاحظه إدوارد فإن أفراخ البط منذ الأيام الأولى تحسن السباحة كأمهاتها، وهذه الانعكاسات الموروثة تنطبع في الادمغة منذ التكوين الاساسي الجنيني ومنذ اللحظات الأولى لنشأة الحيوانات وهي ناتجة عن تطور طبيعي وعن ضروريات بيولوجية.

وكذلك يلاحظ أن الانعكاس المشروط قد يتكون معتمدا على أي حافز مدرك من قبل الحيوان المعين وبصورة خاصة يمكن مراقبة ذلك عند الحيوانات الاليفة كالقطط والكلاب وغيرها ولنفترض أن قطة تعودت أن تستقبل صاحبها عند الباب بعد سماعها لدق الجرس مرتين، وفي كل مرة تلقي صاحبة البيت لهذه القطة قطعة لحم صغيرة، ولنفترض أن إنساناً ما دق الجرس مرة واحدة أو ثلاث مرات أو أن صاحبة البيت فعلت ذلك فإن القطة تبقى في مكانها.

وهكذا يتضح أن دق الجرس مرتين أصبح إشارة أو رمزا بيولوجيا يدفع القطة نحو قطعة اللحم وليس نحو صاحبتها. ومع أن عملية التأقلم عند الحيوانات تمتاز بالسرعة، الا أنها تبقى دائما مرتبطة بشكل أو بآخر بالمسألة البيولوجية، وهذا العامل يساعد على المحافظة على الحياة وعلى البقاء أثناء تغير الأوضاع البيئية المحيطة ولولا هذا التأقلم لاندثرت الحيوانات بسرعة. إن عملية البقاء هذه تعود إلى الانعكاسات غير المشروطة بدرجة أساسية.. وكذلك تعود إلى الانعكاسات المشروطة أيضاً. ويجب الانتباه إلى أن الانعكاسات المشروطة مهما تعقدت فإنها ترتكز على الحاجات العملية البيولوجية المتلائمة مع الحافز المقيد لها.

اذن يمكن القول إن القضية الأساسية التي تفصل الحيوان عن الإنسان ترجع الى كون الحيوان في نشاطه الحياتي المعيشي للحفاظ على وجوده لايفصل نفسه عن الأشياء المحيطة به واللازمة له.. إن وجود الأشياء هذه يتحدد بالنسبة له بقدر حاجته الطبيعية البيولوجية والفيزيولوجية. إن مسألة الفصل بين الذات والواقع المحيط موجودة عند الانسان بشكلها المتطور.. وهذا مايجعل نفسية الانسان تختلف اختلافا جذريا عن نفسية الحيوان مهما كان هذا الحيوان متطوراً.

ولدى مقارنة تعامل الحيوان مع محيطه بتعامل الإنسان مع محيطه أيضا نرى ان التمايز يصبح أكثر وضوحا.. ولنفترض أن إنساناً منشغلاً بأمور هامة جداً ويجلس في مكتبه فهو بالطبع لاينتبه إلى وجود أشياء قريبة منه، وكذلك من يقطع الطريق في حال انهماكه بمسألة ضرورية فهو لايعير انتباهاً لإشارة السير، أو كمن يمر بالشارع متجهاً الى عمله كالمعتاد، فلا ينتبه الى الأشياء الدائمة على حافة الطريق، انما يمر مفكراً بأمور أخرى حول العمل

او حول تمضية سهرة. إن الآف الأشياء التي نعرفها وتحيط بنا لانتنبه اليها في فترة انشغالنا بأمور أو بأفكار ما. إن هذه الأشياء في وجودها شبيهة بوجودها لدى الحيوان. الا ان الفرق شاسع ففي لحظة خاطفة يمكننا أن نترك أفكارنا وننتبه الى هذه الاشياء ونربط وجودها بأحداث او تغيرات مفاجئة مثلاً، فأثناء مرورنا بإشارة السير ومهما كنا مسرعين نتوقف منتبهين اليها في حال اقتراب سيارة مسرعة من هذه الإشارة، وقد نتساءل: أليس الأنتباه السريع هذا مرتبطا بالمحافظة على السلامة، أي على الحياة. وتلك مسألة مشتركة وبيولوجية؟ نعم، إنه كذلك، الا ان الحيوان لايفكر في شيء. ويعبر الطريق مبتعدا عن حفرة كبيرة أو حجر واقع في طريقه بغريزة الحفاظ على الحياة. إلا أن الأشياء القريبة الأخرى والتي لاتتعلق بمسألة مرور او بحاجته تبدو إليه وكأنها غير موجودة نهائيا. .

وبعبارة اخرى ان الاشياء تبقى عند الإنسان موجودة بدقائقها في حال رغبته لتذكر شيء منها فتسارع الأسماء والحالات وغيرها مشكلة علاقة هامة لإدراك الشيء أو الحدث. ان عملية التقسيم والتجزيء الكبيرة هذه، وجعل كل خاصة مرتبطة بما يتعلق بها تختلف عند الحيوان تماماً. فعند الكلب مثلا إن مجموعة من الاشياء تحمل معنى واحداً: الخزانة، الحائط، المكتبة، الطاولة كلها واحدة، وكذلك لافرق بين الكرسي والسرير والكنبة ومكان جلوسه على الأرض، كلها عنده أشياء للجلوس، وكذلك الصحن والطنجرة والوعاء الكبير والصغير وغيرها من الأدوات تعتبر عنده مرتبطة بغريزة الاكل فقط.

ان عدم التفريق هذا يجعل عالم الحيوان الفكري محدوداً للغاية. وبالطبع، ان التفاهم الصوتي عند الحيوان محدود أيضا. فلا حاجة لأن يقول الفرد شيئا لرفيقه، فالحيوانات يمكنها فهم ما يتعلق بالحافز الأولي لظهور الانعكاس المشروط عندها. ومهما احسنت البيغاء حفظ الكلمات والجمل فإنها تبقى تردد مع رفيقاتها الكلمات دون أن يفهم بعضها بعضاً ودون الارتقاء إلى الحوار بالكلمات المعروفة عندها جميعا. إن ذلك لايختلف عن تغاريد العصافير بأصواتها المبهمة، والتي لاتعبر الا عن حركاتها الفيزيولوجية وحاجاتها الطبيعية للتغريد. وقد لاحظ عدد كبير من العلماء أن بعض الحيوانات وخاصة الشمبنزي تبعث بأصوات ذات دلالات مختلفة ومتنوعة. فعند الاضطراب والخوف مثلاً تعبر بأصوات خاصة، وعند الفرح والسعادة تستعمل أصواتا اخرى. ورغم ذلك يكون من الخطأ إعتبار هذه الاصوات معبرة عن المعلومات الموضوعية المرتبطة بالحالة المعينة أو بمادة ما. إن العالم الشهير كيولير W.Kohler المختص بدراسة القرود وغيرها من الحيوانات ظل مدة طويلة يختبر الشمبنزي في محطة مجهزة أحسن تجهيز، قد خلص الى النتائج التالية: إن الأصوات الصادرة عن هذه الحيوانات تعبر فقط عن رغباتها وحالاتها الخاصة... إنها تعبير عاطفي شعوري، ولم تكن يوما ما رمزا تعبيريا عن شيء ما.

لقد ظهرت في الأونة الاخيرة مؤلفات وكتب تتكلم عن لغة الحيوانات مؤكدة أن بعضها يعبر عن معان مادية، بأصوات معينة، وهذه الأصوات تعتبر لغة خاصة. وقد يقول البعض بأن التعبير المادي هذا يأخذ طابع الرمز المعبر والموصل لمعلومات موضوعية. وقد اعتمدوا على اعتبار أن بعض الحيوانات أثناء الخوف تصيح (آك) معلمة أبناء جنسها بالهلع.. وبالطبع ان هذا التعبير الصوتي ان دل على حالة ما فإنما يدل على تلك الحالة المتصلة بالمحافظة على الحياة والبقاء..

وهي كما أشرنا مسألة بيولوجية أيضا. وعلى أساس ذلك، لايجوز بأي شكل القول ان بعض الحيوانات وصلت الى مرحلة التكلم الشبيه بلغة البشر. ان اللغة تصعب حتى على الإنسان اللذي ينسلخ عن المجتمع البشري منذ الولادة. فالطبيعة الاجتماعية للغة تعتبر من إحدى أهم مميزاتها وهذه الطبيعة الاجتماعية تنتفي في التجمع الحيواني..

حكي أنه في عام ١٩٢٠ سمع العالم النفسي الهندي ريد سينخ بأنه يوجد بالقرب من إحدى القرى الهندية كائنان عجيبان، مظهرهما شبيه بالبشر تماما، الا أنهما يمشيان على الأربع وقد سافر ريد سريعا إلى المنطقة، وذات يوم صباحا نظم ريد جولة صيد. وكمن الصيادون بالقربه من مأوى الذئاب، وفجأة خرجت ذئبة كبيرة مع أبنائها للتنزه. ودهش الصيادون عندما جرت فتاتان من نفس المأوى. وتبعتا الذئبة، واحدة كانت تقارب الثامنة من العمر والثانية تقارب السنة والنصف.

لقد التقط الصيادون الفتاتين، ثم أخذهما ريد وعمل على تربيتهما ودراستهما. فدعا الأولى كمالة والثانية أماله. وأتضح ان الفتاتين فقدتا في الصغر واخذتهما الذئبة ثم قامت الذئاب بالعناية بهما وتغذيتهما. ومع نشأتهما في عائلة الذئاب، وعدم تكلمهما مع البشر، انطبعت كماله وأماله بطباع الذئاب، فكانتا تجريان على الاربع كالذئاب تماما وتغضبان وتخافان رؤية البشر فتهربان أو تنزويان خائفتين وتعويان ليلا كالذئاب. فالصغرى ماتت بعد فترة عام، أما الثانية فقد عاشت تسعة أعوام، أي لغاية سن السابعة عشرة دون أن ترتقي إلى مستوى البشر. ومن أجل اقلاعها عن المشي على اربع والعوي ليلا والعض وغيرها من عادات الذئاب مرت أعوام عديدة. ولكنها إذا رغبت أن تسرع إلى مكان ما، كانت ترجع إلى عادتها الأولى اي إلى المشي على أربع ولم تتعلم الكلام كما يجب، رغم أنها من سلالة البشر، ففي سن السابعة عشرة استطاعت استعمال ٤٠ كلمة فقط أي اقل مما تحفظه الببغاء (١).

وتعرف العلوم عدة حوادث من هذا النوع نستخلص منها أن العامل البيولوجي ليس الحاسم في مسألة الكلام. وحادثة (كماله وأماله) خير دليل على ذلك. إن العامل الأساسي والحاسم في الكلام البشري هو المجتمع، ولما كانت بعض الحيوانات تتجمع في قطعان وتعيش سوية، وتختار رئيسها أو مجموعة من الرؤساء فإن ذلك لايجوز أن يعتبر مجتمعاً، لأن ذلك التجمع لايخرج عن كونه مرحلة متطورة من حياة الحيوانات ذات الطابع الأكثر تنظيماً. الا أن العلاقات في هذا المجتمع الحيواني لاتخرج عن الحاجات البيولوجية الأساسية الضرورية للعيش والتكاثر والمحافظة على البقاء. وهنا يعتبر العمل مسألة هامة جداً في ارتقاء المجتمع وتطوره، والعمل عند الحيوانات محدود للغاية ويقتصر على تلبية الحاجات البيولوجية الغريزية فقط، وهو خال من أي معنى اجتماعي. والعمل بحق جعل من الانسان سيداً للطبيعة، وبواسطة العمل استطاع الانسان ان يرتقي الى مستويات أرفع انعكست على تركيبه الجسماني والبيولوجي، وأثرت على جهازه العصبي ودماغه بصورة خاصة، إن العمل وحده ساعد الانسان في صنع أدوات عمله، ومنذ تلك اللحظة، التي اصبح فيها الانسان يصنع وسائل عمله من أدوات صيد وغيرها، أخذ يبتعد أشواطا ملحوظة عن الحيوان الذي لم يستطع للآن القفز فوق هذا الحاجز المعيق لتطوره السريع باتجاه الانسان، فللآن لم نر أن الحيوان يسعى الى التفنن في صنع أدوات دفاعه ولم يحاول صنع أدوات عمل تذكر.

لقد لاحظ الفيلسوف بليخانوف أن المرحلة الجنينية عند بعض انواع الحيوانات قد تصبح عاملاً مميزاً عند البعض الآخر وهذا بشكل خاص ينطبق على استعمال الأدوات، فالفيل، مثلا. يكسر أغصان الأشجار ويستعملها لإبعاد الذباب عنه. إلا ان هذه الظاهرة لم تلعب أي دور في صراع الفيل ضد الذباب ولم تصبح الفيلة فيلة لأن أجدادها استعملت هذه الأغصان في نش الذباب. والإنسان في صيرورته بعيد عن هذا الواقع، ان أهم ميزة للإنسان بحق هي العمل الذي فرقه عن الحيوانات وجعله Homo Sapiens الانسان العاقل. وهكذا يصبح النوع البشري مميزاً عن النوع الحيواني في أمور عدة، من أهم هذه المميزات اللغة. ومع أن هناك ملامح مشتركة في بعض النواحي إلا انها تبقى نسبية وغير جامعة.

والنوع ليس جمعاً بسيطاً لموجودات تملك خصائص وعلامات مشتركة قد تتأتى من تولدات وراثية وتغيرات طبيعية . فطبيعة كل حيوان تتحدد من خلال انتمائه لهذا النوع أو ذاك ، والحيوان في مجمل حياته لايتعدى تحقيق الخصائص النوعية مع تغيرات قد تحصل نتيجة التغيرات البيئية والغذائية المستمرة مع حركة الزمن الدائمة . فبعض الحيوانات في المناطق الشمالية الباردة استطاعت أن تتأقلم مع الطبيعة الباردة . فاكتست بالفراء الدافئة ذات الشعر الطويل . في حين أن أبناء جنسها في المناطق الحارة استغنت عن مثل هذه الظاهرة البيولوجية . وعدا ذلك فإن الخصائص الاخرى بقيت كما هي عند هذا النوع من الحيوانات . واذا ما أعتبرنا أن مايخص النوع هو ما يظهر عند الفرد منه من البناء التركيبي لكيانه والعلامات الجسدية الفاصلة فإن فئة معينة من كلاب البحر مثلاً استطاعت ان تحافظ على بقائها لتميزها بخصائص جسدية، في حين ان المليارات من هذا النوع قد اختفت من الوجود لفقدانها هذه الخصائص . وهكذا شأن عدد كبير من الحيوانات : فبعضها أمتاز بخصائص العدو السريع للفلتان من قبضة الحيوانات المفترسة وبعضها أمتاز بتسلق الأشجار أو الاختفاء في الأوكار ومهما حصل من تطور في حياة هذه الكائنات فإنه لايتعدى الناحية البيولوجية المتعلقة بالمحافظة على البقاء كما أشرنا سابقا .

ومن خلال إطلالة سريعة على تطور الانسان ، نرى أن Homo sabiens خلال بضع عشرات من آلاف السنين قطع أشواطا هائلة في تطوره . وإنسان اليوم لايختلف بشكله عن الانسان الأول كثيرا ، بحيث أنه لو لبس زينا ومشى في شوارعنا اليوم لما فرقناه عن سائر البشر . اذن يمكن القول إن الفارق بين الانسان الأول وانسان اليوم ليس في الشكل البيولوجي والفيزيانومي ورغم أن بعض التغيرات الطفيفة قد طرأت على الانسان في شكله الجسماني ، إلا أن التغير الأساسي كان في النواحي الاجتماعية للحياة الانسانية ، ان هذا الشكل من التطور تركز عبر المنجزات الهامة لنشاط الانسان في تجربته الاجتماعية التأريخية . وفي مرحلة جديدة تنعكس التجربة ليس فقط في تغير الأجزاء الفيزيولوجية للانسان كتغير يديه ، مثلا ، وانما في تغير الأدوات التي صنعتها يديه وأحسنت استعمالها . وكل جيل يأتي بعد الآخر ، لايرث عنه فقط المحيط البيئي والتركيب الجسماني والانعكاسات غير المشروطة ، انما يرث الشيء الأهم وهو الأدوات ذات المعنى التطوري المتقدم لمجمل التطور الانساني منذ البداية بناءً معقداً ينعكس على نشاط دماغه . فمن اللحظات الأولى ، حيث أخذ الانسان يستعمل الأدوات ، تميز هذا الاستعمال بانعكاسها على الشكل الفيزيانومي أساسياً وانما أخذت تتعقد الانعكاسات هذه ، وصارت تأخذ الطابع الفني الرفيع ، لتنعكس بدرجة أساسية على البناء النفسي ، عبر تعقد الجهاز العصبي والدماغ ، مما جعل المراحل التالية من تطور الانسان أقل تأثيرا على شكله الظاهري، وأعمق فعالية على تركيبه النفسي والفكري .

إن ظهور النار في الطبيعة كان مع وجود الانسان وحتى قبل وجوده . فنار البراكين والنار الحاصلة نتيجة احتكاك الاشجار في فترات الحر الشديد والحرائق الناتجة عن الصواعق وغيرها من المسببات الطبيعية للنار وجدت قبل أن يصبح الإنسان انساناً . الا ان اكتشاف النار من قبل الانسان اي احداثه لها عن طريق حك الحجارة أو غيرها من الأشياء كان عاملاً هاماً في تطور الانسان لما للنار من دور خطير في تنوع مرافق الحياة الاقتصادية والغذائية . واليوم نرى ان الوسائل القديمة للحصول على النار ما زالت موجودة عند بعض الشعوب البدائية كالبوشمين في افريقيا واسكيموس امريكا الشمالية .

إن بقايا هذه الطرق في الحصول على النار تدل على ان كل الشعوب المتحضرة مرت في هذه المرحلة ، عبر استلام الأبناء وسائل وطرق الآباء والأجداد كانت الاكتشافات تتطور وتتحسن . ان مبدأ استحداث النار بواسطة احدث قداحة الكترونية ليس إلا تطويرا للطرق البدائية . ودون شك ، لو لم يعرف المهندسون المعاصرون علوم الأجيال السالفة التي تراكمت عبر

العصـور من جيل لآخر لما أستطاعوا تطوير القديم وإختراع الجديد ، وبهذا يمكننا القول بأن الأدوات المنقلة من جيل لأخر تتعقد وتتحسن مسهلة على الانسان عمله الجسدي ومسرعة في عملية الانتاج . ومن خلال تلك العملية تنشأ فروع مختلفة في الاقتصاد والتصنيع ، والانسان باستمرار يتطور مع تطور الآلات التي يصنعها ، اي ان تلك الآلات المصنوعة تعود على الانسان بالفائدة المادية التي ترفع من مستواه المعيشي من جهة وتنعكس على نشاطه الفكري بحيث ينتقل الى مرحلة اكتشافات جديدة ترفع من مستوى الآلات القديمة . إن هذه الظاهرة من التطور تكاد تنعدم عند الحيوان اي انها مختصرة على تأقلم النوع من الحيوانات مع الطبيعة دون إحداث تغيرات تذكر .

والانسان لايجابه الطبيعة بمفرده ، حتى أن روبونسن كروزو في جزيرته الخالية من البشر لم يصارع الطبيعة من أجل الحياة بمفرده ، فلقد كان يملك تجربة الأجيال السالفة وقد سبقت علاقته مع الطبيعة علاقات اجتماعية معينة كانت قد ترسخت عنده قبل أن يقع على تلك الجزيرة. وإلا لأصابه ما أصاب كماله وآماله الهنديتين. والمسألة الهامة في هذا الموضوع هي أن الانسان منذ أن أصبح انساناً، أخذ يعمل على صنع أدوات العمل معتمدا في تطوره على تطورها . ونحن اليوم نرى كيف تختلف حضارة الشعوب ورقي البلدان ، فالدولة التي تملك أدوات عمل متطورة تسبق غيرها من التي لاتملك مثل هذه الأدوات . وبالطبع تقطع أشواطا بعيدة في مجال الوعي والثقافة نتيجة الإمكانيات الاقتصادية الأفضل . ولو قارنا بين بلدين غنيين ، الأول مثلاً ، أستطاع أن يتطور عبر عملية الانتاج، والأخر عبر بيع ما تختزنه أرضه من خامات طبيعية ، أو بعبارة اخرى بين بلد صناعي وآخر يعتمد على الغنى التجاري، لوجدنا أن الفارق كبير في مستوى الوعي الاجتماعي والنشاط الثقافي والحضاري بين هذين البلدين، وأن تساويا في المستوى المعيشي ، الذي لايعتبر عنصرا أساسيا لتحديد مستوى الرقي والتقدم . وبهذا يمكننا بسهولة الحكم على مستوى التقدم الحضاري في بلادنا من خلال مستوى وسائل العمل الانتاجية ومن خلال نوعيتها وكميتها وقدرتنا على انتاجها .

إن البشر من خلال العمل الاجتماعي جنباً إلى جنب وبالمعاشرة والاختلاط استطاعوا أن يواجهوا الطبيعة سوية ولم يعد الانسان بمفرده يناضل من أجل حفظ بقائه وإنما أخذ يرتقي بعمله من أجل عطاء أفضل للمجتمع حيث أخذت تتبلور المصلحة الذاتية متلائمة مع المصلحة الاجتماعية. والمرحلة الأولى لهذا الوعي تعكس الإرتقاء الأول لدماغ الإنسان والتكون الإبتدائي للعقل والوعي عنده. ومن هنا يبرز دور المجتمع كأهم عامل مساعد على خلاص الانسان من صراعه الفردي من أجل البقاء، وخلاصة من الخاصة الحيوانية المميزة لسائر الحيوانات منذ نشأتها وحتى الآن. وإلى جانب ما للمجتمع من دور هام في نقل التجارب الانسانية من جيل لآخر فإننا نرى أن الدو الأهم هو نقل الانجازات الانسانية للمعارف ، وبالطبع للفكر واللغة. وقد يلاحظ أن البشر تبدأ حياتها في عالم الأشياء والظاهرات المتنوعة السابقة لنا ونتيجة للعمل والإنتاج ومختلف مرافق النشاط الاجتماعي تنصهر الامكانيات والخاصات الانسانية في الذات الانسانية دافعة إياها نحو التطور الدائم والمستمر في إطار اجتماعي عام ، ولا تستطيع أية تجربة ذاتية للانسان مهما كانت غنية أن توصله الى ماتوصل اليه من منطق أو فكر رياضي بشكل انفرادي . وهكذا احتاجت البشرية إلى آلاف الأجيال وملايين السنين حتى استطاعت أن ترتقي إلى هذا المستوى المعروف اليوم وكم عو عظيم أن نحافظ على تراث آلاف الأجيال السالفة فنحن مدينون إلى هذا التراث الكبير ومعنيون بتطوره . وقد أشار العالم الشهير تيميريازيف إلى أن مايحصل عليه الانسان العادي في عصرنا هذا من ثقافة عصرية وعلوم طبيعية يحسده عليه الفيلسوف العظيم أرسطو ، والسبب في ذلك لايعود الى التمايز الفكري أو التطور الذاتي وانما الى القرون العديدة التي عاشتها الانسانية (٤٦ ، ٤٧)

وحيث ان التجربة الانسانية وما فعلته مؤثرة على الفكر الانساني تنقل بواسطة اللغة فإن اللغة بدورها

كالفكر تمر في مراحل تاريخية من حياتها وهذا ماسنعرض له لاحقا .

ظهور الفكر والكلام

نتوقف قليلا عند نظرية التحول والتطور والارتقاء فمن المعروف أن العلوم العصرية قدمت إلى جانب الاكتشافات العلمية نظريات شتى في مختلف ميادين الحياة الانسانية . واعتمادا على ما اقرته مجموعة مختلفة من الآراء ، نستطيع القول: إن الانسان في تحوله عبر مرحلة طويلة من تطور وجوده الحيواني ارتقى الى المرحلة الانسانية عبر ملايين السنين .

ورغم ان تحديد عمر الفترات في نظرية الارتقاء تبقى مرهونة بالاكتشافات الجديدة ، فإن مايهمنا منها هو الجوهر في طبيعة العملية ذاتها والمرور عبر المراحل الاساسية في تطور الانسان من خلال نشاطه العملي البدائي . فمن الواضح ان أهم عامل في فصل الانسان عن الحيوان كان يكمن في ارتقائه إلى إنتاج سلاحه للدفاع عن النفس وسرعان ماتحول هذا السلاح إلى أدوات للصيد أيضا . ففي البداية كانت الحجارة والعصي والعظام تؤخذ بشكلها الموجود والمتلائم مع القوة الجسدية للإنسان . ثم إرتقى الانسان الى استعمال حجارة أصغر وذات فعالية أفضل ، بعدها استعمل الحجارة مع العصي وكانت تلك قفزة نوعية في استعمال السلاح . إن هذه المسألة الهامة جداً في تطور الفكر عند الانسان الأول وبالتالي في الانعكاس على لغته لأننا ننطلق من ان الانسان الأول لم يقم باختيار أسلحته وأدواته عن وعي مسبق بأنها ذات فعالية أفضل، بل قام بذلك الاختيار للسهولة والتناسب المرتبطين بالامكانية الجسدية . وعبر تكرار عملية الاختيار المتناسب جسدياً أخذت تتركز في ذاكرته أشكال وإحجام هذه الاسلحة . ففي المرحلة الأولى بعد تثبيت هذه الاشكال في الذاكرة وحين نعرض للخطوات الأولى لتكون الفكر واللغة لابد من ملاحظة المسائل التالية : أولاً ـ مايتعلق بخاصة القوانين المهيئة للانسان الحديث ، ثانيا ـ مايتعلق بولادة الفكرة ، ثالثا ـ مايختص بوسائل الصلة الصوتية السابقة لظهور اللغة .

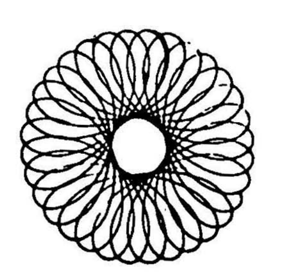
أ ـ معظم علماء السلالات البشرية أشار الى مراحل ثلاث في تطور البشرية : المرحلة الأولى امتازت بارتباط الكائن الحي بالطبيعة وارتهانه للعوامل البيولوجية . والمرحلة الثانية هي مرحلة الانسان الأول أو البدائي وأتسمت بازدواجية نشاطه أي بقفزة فوق العامل البيولوجي نحو العامل الاجتماعي دون تغلب العامل الاجتماعي على العامل البيولوجي . أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الانسان الحضاري الحديث أو مرحلة تغلب العوامل الاجتماعية في النشاط البشري على العوامل البيولوجية .

نشؤ الحياة الفكرية :

لقد اعتدنا أن نفكر ، أو نتصور الشيء أو الحدث دون وجوده أو وقوعه . وهذه العملية تتم بمعزل عن الاشياء وأصبحنا نعتقد بوجود الفكر أو الفكرة أو بتصور وتخيل الاشياء قبل وجودها . وبذلك يتراءى لنا أن الموجودات هي نتائج وليست أسبابا . والحقيقة أن هذه الفكرة أو هذا التصور ماكان ليوجد لو لم توجد الأشياء هذه بحد ذاتها . ان أسبقية المادة لتصورنا لمسألة هامة في مراقبة ظهور الفكر ونموه .

لقد تسهل عملية الحساب على الطفل لدى وجود الأشياء التي يحسبها وكذلك يحفظ الطفل أسماء الأشياء في ذاكرته بشكل أسرع مما يحفظ به الأحرف المجردة أو المفاهيم الفلسفية . وليس غريبا إذا عمدت الشعوب الى وضع أسماء للأحرف فيقولون ب ـ بيت ، ج ـ جمل . والى ما هنالك ، حتى أن الكتابة لم تصبح مجردة إلا بعد ان عبرت

مراحل عديدة من الكتابة التصويرية المعتمدة على الـرسـم الـتـصـويري للشيء إلى التصـويرية التعبيرية . ثم انتقلت إلى الهيروغلوفية المقطعية ثم الصوتية وبعدها إلى التجريد الكامل في الأبجدية . وهكـذا يمكن القـول إن الفكـرة لاتنشأ في وعي الانسان بذاته ونتساءل اذن هل توجد الأفكار دون الإنسان ، اي بوجود هذه الاشياء؟ من أجل ذلك يجب أن تتحدد الفكرة وتتوضح عبر درجات مرورها في مراحـل معينـة ، أولا تتكـرر الاشياء في وعي الانسـان ، وتتسم هذه المرحلة بالاستمرارية ثم تتحول الى فكرة عبر الفعل الكلامي ، أي أن اللغة مسألة ضرورية لتحول هذه التصورات من الحدث أو الشيء الموجود . بحد ذاته ، أي أن الانتقال من الفعل إلى الفكرة عملية لابد في انجازها من اللغة التي تستـطيع نقلهـا إلى الكـائن الأخـر وحفـظها للأجيال مع مايلحقها من تفسير وتطور. وقد أعتدنا أن نفكـر ونتصور بشكل صامت أي دون كلام، فهـل توجد الأفكار دون لغة أو كلام؟ وهل يفكر الانسان الابكم والأصم والمحروم من اللغة؟ ولماذا نحاول عندما نقرأ بصمت تحريك الشفاه أو اللسان قليلاً وكأن العملية لاتتم دون عمل أعضاء النطق؟ فمن خلال العرض اللاحق ستتضح مثل هذه الأسئلة .



التوظيف اللغوي للمفردات في الشعر

عبد الوهاب المؤيد

١ - لغة الشعر الجاهلي واثر لغة القرآن

قيل - قديما - بان الشاعر - في الجاهلية - كان لسان قومه . وقيل - حديثا - بانه كان وسيلة اعلامية

ويظهر ان كلتا الصفتين قصرت عن تعريف الشاعر الجاهلي ، موقعا ووظيفة واثرا . . قصورا يرادف القصور في تعريف ووصف الشعر عموما . . في كتب النقد القديمة . .

فالصفة الاولى . . وحتى لو اخذناها على انها اقرب الى تعبير الكاريكاتير . . لتناولها الشاعر من ابرز صفة يتصف بها . . فانها تظل قاصرة بل وظالمة للشاعر - لانها - في اقصى مداها التعبيري - قد لا تتجاوز وصفه في حالة واحدة من حالات الشاعر في ذلك العصر وهي انه الصوت المميز او المسموع اكثر بينما ان من حالات وصفه بكلمة (لسان) حالات لهذه الصفة ، او صفات لهذه الحالة . . لاتقل عن الاولى - ان لم تفقها بروزا وشهرة . مثل ان هذا الصوت المسموع اكثر ، صوت نافذ وفاعل ومهيب . . وانه موهبة وابداع وثقافة وفن . .

ولم تتجاوز الصفة الثانية الحديثة ، الاولى القديمة كثيرا ، بل ولا قليلا . . فما زادت على ان عبرت عن معنى الاولى بتعبير حديث ، هو كلمة « اعلام » بل ان الصفة الاولى قد عبرت عن واحدة من حالات الشاعر وان بخسته حقه . . ولكن الثانية قد سمته بغير اسمه ونعتته بغير صفته وكلفته بغير وظيفته . . لان الشعر والاعلام شيئان مختلفان اختلافا متغايرا في كل شيئ . . ولننظر الى الشعر والاعـلام - في العصر الحديث ، ومنذ ان وجدت اولى وسائل الاعلام - نجد ان بين الاعلام والشعر - من البعد - مثل ما بين الشعر والاعلام . ولا اراني بحاجة الى التشبيه بطرفين متباعدين . .

الحذر من الشعر

والذي يستقرئ - او حتى يقرأ - نماذج من حياة العرب في العصر الجاهلي ، . . يجد ان حياتهم كانت متركزة في ثلاثة عناصر رئيسية هي : الشعر وانتجاع الكلا والغزوات بل ان العنصرين الاخيرين لا يستقلان عن الشعر ، ولا الشعر يقصر دونهما . . فهو « الرائد الذي لا يكذب اهله » ولا يتخلى عن شيئ من جوانب حياتهم . . فقد ملأ دنياهم وشغل ناسهم . . على حد مقولة ابن رشيق في المتنبي (١) . .

وبيئة الشعر هذه . . هي التي جعلت العربي يركز اهتمامه الاول - في تربية بنيه - على قرض الشعر كخدين ملازم للتدريب على الفروسية . . وبيئة الشعر هذه هي التي جعلت العربي يحذر الشعر اشد ما يكون الحذر يحذره اكثر مما يحذر السيف والرمح يحذر ان يشيع شيئ من شعره او شعر بنيه قبل ان يستوي ويستقيم كما في حكاية زهير وابنه كعب ويحذر ان يشيع شيئ من هجاء شاعر له ، كما فعل بنو تميم مع الشاعر اليمني عبد القوي الحارثي عندما حرصوا على ان « يشدوا لسانه بنسعة » وهو اسير لديهم . قبل ان يشدوا يديه او ساقيه او عنقه . . (٢) . .

ولعل الشاعر الجاهلي - الذي كان موضع الاكبار

وموقع الريادة ومكان التبجيل ومصدر الهيبة والحذر ، لا بمجرد لسان او اعلام - قد امتاز عن غيره من الشعراء في العصور التالية .. بان تغلبت عليه وشاعت عنه ثلاث ميزات ..

١ - انه يحمل قضيته في كل شعره . فلا يكاد يوجد من شعره ما يخلوا من القضية ، مهما صغرت او بعدت قضيته ..

٢ - في الوقت ذاته .. فان الشعر لديه ليس وسيلة بل غاية اولى تحمل - في داخلها - غايته الثانية ..

٣ - وان لغته - في الشعر - غنية غنى يتسم بالتلقائية والصدق الموضوعي . ولذا فان قصيدته تنطلق مشحونة بالحيوية والقدرة على التحليق في آفاق بعيدة وواسعة ، وهي تحمل - في مفرداتها - بيوت الشعر «بفتح الشين والعين» وبالبعر والبعير والناقة والخرائب والدمن . وتظل متألقة عبر العصور كما ان المطلع يلاحظ معاني وتعابير معينة ، تنتشر في معظم القصائد المشهورة ، وفي معظم قصائد المعروفين من الشعراء .. ولكنه - في نفس الوقت لايكاد يحس بثقل او ملل او بداهة التكرار بين قصيدة واخرى ، وهي قضية تعود - بالدرجة الاولى - الى الابداع في التشكيل والتوظيف اللغوي اللذين يعودان - بالتالي - الى غنى لغة الشعر ..

الكلمة مصدر الابداع

في العصر الجاهلي - بالطبع - كانت الفنون مقصورة - تقريبا - على فنون الكلمة فالغناء يكاد ينعدم ويظل مقصورا على الاماء المملوكات والمجلوبات من خارج البيئة العربية ولدى القليل من الامراء وكبار التجار ، وفنون الكلمة لا تتجاوز اللونين المعروفين الشعر والخطابة والشعر هو الخبز اليومي الذي يتناوله عرب الجاهلية يوميا وعلى مختلف المستويات .. بينما يقتصر لون الخطابة على مناسبات معينة واعلام محدودين . ولا يؤثر على حقيقة امتلاء حياة العربي - في ذلك العصر - بالشعر .. قلة ما نقل منه وكثرة ما نحل له ، مما اكده اكثر من غيره ، الدكتور طه حسين بقوله « .. ان الكثرة المطلقة مما نسميه ادبا جاهليا ، ليست به الجاهلية في شيئ وانما هي منحولة بعد ظهور الاسلام . فهي اسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم واهواءهم اكثر مما تمثل حياة الجاهليين . ولا اكاد اشك في ان ما بقي من الادب الجاهلي الصحيح ، قليل جدا .. » (٣) ..

من كل ذلك .. تتضح اشياء لعل منها ..

١ - ان الشعر يحتل كل وجدان الانسان تقريبا .. كونه وحده مصدر تغذية واشباع عواطفه ووسيلة التعبير عنها .. اذ لا فنون ولا آداب اخرى ، تنافس الشعر وتجاذبه .. شيئا من مساحته وموقعه ..

٢ - وبالتالي .. فان التركيز - في الابداع - يظل منصبا على الشعر ، ولذا يحرصون - اشد ما يكون الحرص - على ان لايظهر من شعر ذوي المواهب الناشئة الا ما يجيزه كبار العارفين بالقيمة الفنية له ..

٣ - ان الشعر اتسع لفنون او الوان من آداب الشعر ، نشأت في داخله وازدهرت وشاعت .. مثل المناظرات والمساجلات والحواريات .. الى جانب الاغراض الاساسية للشعر ، من غزل وتشبيب ونسيب ومن فخر ومديح وهجاء ، ومن رثاء ، وبكاء اطلال الى غيرها ..

٤ - ان الكلمة او العبارة ، هي اساس الابداع والبلاغة والقياس .. قبل ان تكون مقاييس ومصطلحات البلاغة الاخرى مما شاع في العصور التالية في القاموس البديعي ، من استعارة ومجاز وجناس ومقابلة ولف ونشر وايجاز واطناب وتورية ونحت وغيرها وما تفرع عنها وتعدد منها . وإن كان شيئ منها قد وجد في شعر العصر الجاهلي بطبيعة كونه شعرا الا انه كان قليلا وثانويا وغير مقصود لذاته او معول عليه في البلاغة واسس الابداع ..

لغة القرآن

ورغم اعتماد الشعر الجاهلي على الكلمة والجملة والعبارة في المفردات وعلى موسيقى التفعيلة ورنين القافية .. بالدرجة الاولى .. فان لغته ظلت مميزة وقوية اشد ما يكون التميز والقوة ، سواء من حيث قاموسها

كمفردات ، او في فنية الاستخدام والتوظيف الشعري لها . . وحتى جاء الاسلام الحنيف ، وانتشر وبدأت مرحلة جديدة في حياة الناس شمل تغييرها كل شئ بما في ذلك الشعر ، بحكم قوة الرسالة السماوية التي بعث الله بها نبيه الكريم ليخرج الناس - بها - من ظلمات الجهل والضلال الى نور العلم والهدى . .

وكما جاء القرآن الكريم ، دستور تغيير حياة العربي - اولا - في مختلف جوانبها ، بما فيه من احكام ومواعظ ومن اوامر ونواهي ، تستهدف التغيير بصورة مباشرة . . فقد شمل ايضا - التغيير في اللغة عموما - ولغة الشعر خصوصا بصورة غير مباشرة بل وفي الاسلوب والمضمون وان كان اثره فيهما اقل منه في اللغة ، كون القرآن الكريم حقق اعلى مستوى من البلاغة تحدى به بلاغة الفصحاء بكل ما تقوم عليه بلاغة النص من عناصر ومقاييس . .

ولم تكن بلاغة القرآن الكريم ، تفوقا في خط راسي واحد ومألوف من حيث التطبيق على عناصر ومقاييس قائمة وفي المجال القابل للمقارنة بنصوص موجودة لاخضاعه - في مواجهتها - للحكم بين فصيح وافصح وبليغ وابلغ . . ولكنه تفوقا عموديا وافقيا في اكثر من خط بمعنى انه جاء نصا جديدا متميزا وغير مألوف ولعل من ابرز سمات الجدة والتميز فيه :-

- التوظيف اللغوي في المفردات . .

وهو موضوع هذه الورقة الذي نحاول الحديث - قليلا - عنه . .

مرحلة جديدة

في الجاهلية - او العصر الجاهلي - برزت الجزالة كألمع مظهر في لغة القصيدة ، وظل الاعتماد - فيها - على الجزالة غرضا اسمى في التوظيف اللغوي لمفرداتها ، وبلغ اهتمام الشاعر الجاهلي - بالجزالة في كثير من الحالات - حد الغرابة والاغراب والتنافر ، وشيوع التضاد والتصحيف وغيرها مما يرضي الشاعر احتواؤها ، او يرى نفسه مضطرا اليها ليحقق الغرض الذي هو الجزالة . .

ويكفي المتتبع ان يقرأ واحدة من القصائد المشهورة بالمعلقات بصرف النظر عن عدتها وصحة نسبتها الى شعرائها اذ ان الدليل قائم في الحالين كون الناحل لابد ان يحرص على المسير في الخط العام لاسلوب ولغة المنحول له ، والعصر الجاهلي مرحلة مستقلة من مراحل الشعر العربي - كما قال وانتهى الباحثون الى هذا المجال - انتهت ببداية مرحلة شعرية ولغوية جديدة مرتبطة بسابقتها بالاطار العام واصوله الاساسية متميزة عنها بسماتها الخاصة بها والمتعلقة بملامح الشكل والاسلوب . .

عنصر التوظيف اللغوي في القرآن

بمجيئ الرسالة السماوية العظمى ونزول القرآن الكريم . . تبدأ مرحلة صدر الاسلام التي يمكن ان يطلق عليها - من ناحية اللغة - مرحلة لغة القرآن الكريم . . حيث ظهرت سمات وعناصر بلاغية جديدة ، كان لها - فيما بعد - اسماء ومصطلحات جرى توثيقها وتقعيدها في عصر التدوين - قواعد واسسا تطورت عبر القرون حتى اصبحت علوما مستقلة بمدارسها ومذاهبها كما هو معروف . .

فكان القرآن الكريم فتحا جديدا وعظيما في الاسلوب البلاغي للغه بلغت حد الاعجاز واعجز - ببلاغته - فصحاء العرب ان يأتوا بسورة من مثله ، وقد جاء بلغتهم التي يعرفونها ويملكون اعنة تطويعها للسباق في هذا الميدان . . ولعل ما بهرهم هو هذه المعادلة البسيطة ، وهي انه بلغتهم التي يعرفون مفرداتها ويفهمون معانيها فيه ، ولكنهم يعجزون عن الوصول الى مستوى بلاغته اي ان بالامكان القول دون مجازفة . . ان لغة الاعجاز القرآني قائمة بالدرجة الاولى - على عنصر التوظيف اللغوي للمفردات . .

ويكفي لتأكيد ذلك - ان تجد الوليد وصحبه - في فجر الدعوة الاسلامية - يخرجون ليلا متسترين ليأتي الواحد منهم - دون ان يعرف مواقع البقية - يستمع الرسول «صلعم» وهو يقرأ القرآن ، فيظل ليلته حتى يلتقي بصحبة صدفة فيستنكر معهم فعلتهم ثم ينصرفوا متفقين على ان لايعودوا لمثلها ، ثم يكررون ذلك اكثر من مرة ، حتى تعاهدوا على

عدم العودة «٤» .. الذي قصدنا بهذا ان ماشد هؤلاء الرهط الى الاستماع الى القرآن حتى اخذ بمجامع قلوبهم .. انما هو الابداع البلاغي لا الاهتمام بما يروي مضمونه من مبادئ الدين الجديد .. اذ ان معارضتهم لذلك وكفرهم به ووقوفهم في وجهه امر لايقبل شكا او شيئا من جدل ..

تأثر لغة الشعر

والشيئ الذي قد يكون مخالفا للقياس او غير متناسب مع المنطق المفترض لعلاقة واقع الشعر بالقرآن الكريم .. هو ان الشعر قد جفل امام بلاغة القرآن وسماتها الجديدة ، وانكفأ على نفسه متأثرا ـ بالقرآن الكريم ـ تاثرا ادى الى نتيجة عكسية وهي انخفاض مستوى الابداع فيه عما كان عليه وهذا التأثر اختص به الشعر الاسلامي الذي عاصر شعراؤه بداية الدعوة الاسلامية ، ونزول القرآن ..

ولعل هذا عائد الى ان هؤلاء الشعراء كفهم الاحتياط في الالتزام بمبادئه السامية في معانيه ـ في قولهم وسلوكهم كما هو في عقيدتهم ـ عن التأثر بلغته واساليبه البلاغية في شعرهم .. ولم يكد يظهر التأثر بلغة القرآن في الشعر وفي النثر ايضا الا لدى الطبقة من الشعراء التي تلت طبقة من اطلق عليهم وصف «المخضرمين» ..

نقول هذا مع كثير من الاحترام لرأي بعض من كبار الاساتذة الذين اشبعوا هذه النقطة ـ بالذات ـ بحثا وفحصا وتسبيبا واستدلالا .. الا ان رأيهم يمكن حمله على اثر القرآن في بلاغة الشعر والنثر العربي .. هو كما سبق ـ في الطبقة التالية لا في طبقة «المخضرمين» .. والا فكيف يمكن تعليل الانخفاض في المستوى الابداعي لشعراء كانوا مثلا واعلاما فيه ، ونخص اثنين من اكبر الشعراء بلا منازع هما لبيد الذي انصرف عن قول الشعر مجيبا على من يسأله عن السبب بقوله قد ابدلني الله بذلك سورة «البقرة» او بتحليمن هذا وفي رواية انه لم يقل بعد الاسلام الا بيت شعر واحد ، وهو :ـ

الحمد لله إذْ لم يأتني اجلي
حتى اكتسيت من الاسلام سربالا (٥)

والثاني : حسان الذي يمثل الحالة الثانية ، وهي انخفاض مستوى الابداع في الشعر ، اذ لو قارنا بين قصيدته التي هي احدى مدائحه في الغساسنة قبل الاسلام وهي :ـ

اسألت رسم الدار ام لم تسأل ....
اولاد جفنة حول قبر ابيهم ....

الخ ....

واحدى مدائحه للرسول الاعظم التي يرد فيها على ابى سفيان .. :ـ

الا ابلغ ابا سفيان عني .... الخ
....

يظهر الفارق ، وهو فارق يشمل ـ عموما ـ المقارنة بين شعره قبل الاسلام ، وشعره بعده ، وقد يشمل معظم شعر معاصريه من البارزين الذين اعتنقوا الاسلام ..

ولو استعرضنا نماذج من شعر الطبقة التي تلت المخضرمين ـ ولا متسع لها هنا ـ لظهر التميز بين هذا الشعر وسابقه مزدوجا ـ ربما ـ من حيث التأثر بلغة القرآن واساليبها البلاغية والحداثة القائمة ، كما هي في القرآن ـ على التوظيف اللغوي لمفردات القصيدة بالدرجة الاولى ..

(٢) ـ بداية الخلاف في حداثة اللغة

وقد يكون من المستغرب ان تظهر المعارضة الشديدة للحداثة والتحديث في اللغة ، منذ وقت مبكر من التاريخ الاسلامي ، اي منذ القرن الثاني الهجري فما تلاه من قرون والحداثة ، وان لم تكن ـ بعد ـ قد انتشرت بهذا المصطلح اللفظي الذي يعبر عنها .. فهي معارضة لمضمونها استهدفته بعدة صيغ وتعبيرات .. والحداثة رغم انها قضية لغوية بلاغية ابداعية .. الا ان معارضتها وانكارها لم تبدأ وتحتدم بين المعارضين وخصومهم في اطار اللغة واللغويين .. بل كانت ـ ايضا ـ وربما اكثر حدة

وجدلا - بين كل الفئات من الاصوليين او علماء الكلام ، والفقهاء والمفسرين والمحدثين ، . . . الخ . . . فلم تعد القضية لغوية فقط ، وان كانت اللغة هي المدار والمنطلق . . بل تجاوزتها الى العقيدة واحكام القرآن والسنة . .

وقد يكون - ايضا - من المستغرب ان المعارضين يعترفون بان بلاغة القرآن - تفوق كل كلام ، بليغ ويعترفون بان بلاغته - بالتالي - قائمة على لغته ولكنهم - في الوقت نفسه - ينكرون ويرفضون ان تكون بلاغة القرآن قائمة على اصول وضمن اساليب معروفة يمكن تحديدها وتقعيدها بالاستعانة باللغة العربية واصول بلاغتها لاكتشاف اسرار الحداثة في اسس بلاغتها . .

اصول الخلاف وطرفاه

ولما كانت القضية - موضع الخلاف والجدل بين اولئك العلماء - ليست استدلالية محضة تقوم على ثبوت نص من الكتاب او السنة . . فان مدارها الذي قامت عليه ، هو العقل والمنطق ومن ثم البحث . ، . . واتسع واخصب مجال ، وظهر - بالتالي - منطق المعارضة الرافض مختنقا متلكئا . رغم ان سلطات رأت في رأي المعارضة . . وفي اراء اخرى من المسائل الكلامية والفقهية - ما يدعم وجودها فأيدتها . . الا ان منطلق المعادلة العقلي ظل راجحا وقويا . . . .

ويجدر المرور على مسألتين - او عنصرين - دار حولهما الخلاف . . وهما :-

(١) الاعجاز
(٢) المجاز

○ اولا . . الاعجـــاز

قضية بلاغة القرآن - كما سبق - كانت قضية عقلية اولا . . لا استدلالية فقط ، في الجدل الواسع الذي دار بين طرفي الخلاف . . اذ انها تعتمد على الثقافة والذوق والالمام بأصول البلاغة ومعالمها ولعل بداية الخلاف ثم الجدل حولها ، منذ نهاية القرن الهجري الاول وبداية الثاني ، ورغم ان الجدل قام على اساس الحجج والادلة العقلية اكثر من اي شيئ اخر . . الا ان اصحاب القضية « البلاغة في القرآن» هم الذين استخدموا هذا المنهج وظلوا متمسكين به منافحين به جانب المعارضة حتى اكتمل واستقام في تسلسل موضوعي ومعادلات منطقية ادت الى نتائج مثلت رأي اصحابها ، بينما وقفت المعارضة في هذا المنهج موقف الرفض والانكار المطلق دون الاعتماد المقنع على حجج عقلية او استدلالية ثابتة ، رغم تأرجحهم بين المنهجين تأرجحا لم يؤد بهم الا الى الدوران حول نقطة البداية وهي الرفض المجرد من الاستدلال الصحيح . .

بين المنطق ونقيضه

فقد بدأ الجدل - في هذه القضية كما يظهر - من منشأ اللغة - جنس اللغة - او بدايتها ، فقال اصحاب المنهج العقلاني بانها توقيفية اصطلاحية . . وقال المعارضون بانها الهام . . وهو جدل واسع نتجاوزه الى ما يدور هذا الحديث حوله ، وظهرت قضية بلاغة القرآن واعجازه . . فقال اصحاب المنهج العقلاني بان اعجاز القرآن منحصر في بلاغته القائمة على اصول واسس بلاغية بحته (٦) بينما رفض الطرف الاخر هذا الرأي متمسكا بالقول بان اعجاز القرآن ليس في بلاغته ولكن لله تعالى اعجز العرب عن الوصول الى مستواه او الاتيان بمثله . .

من الرأي الاول يمكن الخروج بشيئين احتواهما هذا الرأي ضمن ما يعنيه بمجمله المفهوم والمنطوق منه . وهما :-

١ - الحداثة . . سواء في الاسلوب الجديد المتميز والرائع في التوظيف اللغوي للمفردات ام في جمعه واحتوائه على كثير من المفردات والاشتقاقات واساليب الاستخدام اللغوي لها . . من كل اللهجات العربية العريقة (٧) . وهي - اي الحداثة - واضحة في جانبي المعادلة . . ويكفي لتاكيد ذلك ان يقارن القارئ بين صيغ القرآن

الكريم من جهة وأية نصوص من الشعر او النثر او الخطابة من التراث العربي مما سبقه وعاصره ، ليجد الفرق واضحا . .

٢ ـ ان الحداثة هي في التوظيف اللغوي لمفردات لغة القرآن الكريم ، ومنه «التوظيف» وجدت الاسس والاصول البلاغية التي تكون ـ منها بالتالي ـ الاسلوب البلاغي ، . . ولا يمكن انكار وجود الحداثة والجدة في اسلوب لغة القرآن وان امكن انكار المصطلح لا معناه او مضمونه ، كذلك لا يمكن انكار ان الحداثة قائمة على التوظيف اللغوي للمفردات وما شكله من اسس واصول ضمن اسلوبه العام . .

اذ ان من البديهي ـ ربما ـ ان افكار الحداثة في اسلوب القرآن يعني ـ تلقائيا ـ القول بان القرآن ـ في بلاغة اسلوبه وصياغة معانيه السامية ـ كأي نص بليغ اخر من النصوص العربية التي كانت موجودة ، وهذا خارق للاجماع لا اجماع العلماء والباحثين في هذا المجال فحسب ، بل ولا اجماع المسلمين فحسب ، بل واجماع اعلام البلاغة العرب الذين عاصروا نزول القران يستوي ـ في هذا ـ من اسلم منهم ـ مثل لبيد وحسان ، ومن ظل على شركه مثل الوليد وابي جهل (٨) . .

كذلك فان انكار كون بلاغة القرآن قائمة على الحداثة في التوظيف اللغوي ، قد لايعدوا ترجيح احد قولين اثنين :-

١ ـ القول بانها قائمة على نفس الاسلوب المألوف والمستخدم عند العرب حينها ، وهذا سبق ـ آنفا ـ ارتفاعه وانتفاؤه ، بل وفساده . .

٢ ـ او القول بقيامها على مفردات جديدة استخدمها القرآن لاول مرة ، ولم تكن معروفة عند العرب . .

وهذا القول ينفيه نص القرآن اولا . . بكونه «قرآنا عربيا غير ذي عوج . .» (١) وانه نزل . . . بلسان عربي مبين (٢) وكذا (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم (٣) فيبقى ـ اذن ـ ان البلاغة قائمة على الحداثة في التوظيف اللغوي لمفردات القرآن . . (فليس من اليسير ، بل ليس من الممكن ان نصدق ان القرآن كان جديدا كله على العرب ، فلو كان كذلك لما فهموه ولا وعوه ولا آمن به بعضهم ولا ناهضه وجادل فيه بعضهم الاخر . . انما كان القرآن جديدا في اسلوبه . . (٩) . .

ولا يمس من هذا . . القول بما يروي في الحديث الشريف : (انزل القرآن على سبعة احرف) «١٠» فهذا ما تفسره القراءات السبع او العشر . . والفقهاء والقراء مجمعون على صحتها وصحة القراءة بها ، او باحداها في الصلاة وغيرها اذ ان الاختلاف بينها لايتعدى في معظمه تحري الافصح في النطق مثل الفرق بين نافع وحفص في نطق كلمة «يحسب» فالاول يكسر السين ـ منها ـ والثاني يفتحها (١١) . .

○ثانيا . . المجاز

كما اتسع الخلاف بين المعتزلة ونظرائهم ـ ولا نقول وخصومهم ـ من الاشعرية . . حول مسألة اللغة أتوقيف ام الهام ، ومسألة هل القرآن مخلوق ام قديم ـ فيما يتعلق بالقرآن ولغة القرآن . . اتسع ـ كذلك في مسألة القول بوجود المجاز في القرآن من عدمه والاول رأي المعتزلة وباتساعه اتسع الجدل والبحث والتأليف الذي اثرى الموضوع ووضع علوما وقواعد متفرعة . . عدة وبما ان مسألة المجاز في القرآن لم تقتصر على جانب اللغة وعلمائها فقط ، بل كانت مسألة اصولية وفقهية ايضا . . فقد نالت كثيرا من اهتمام وبحث ورسائل علماء الكلام والفقهاء والمحدثين والمفسرين وعلماء اللغة بكل ما يتفرع عن اللغة من علوم النحو والبلاغة وغيرهما . .

ولعل موضوع « **إعجاز القرآن** »كان الموضوع الاستراتيجي الذي ناقش ـ فيه ـ كثير من المؤلفين والباحثين قضية المجاز ، كونه موضوعا يستوعب ويتطلب اقوال وآراء الاصوليين والفقهاء واللغويين والمفسرين . . وعلى سبيل المثال فان قضية ورود المجاز في القرآن ام لا ، قضية اصولية « **اصول الدين** » يناقشها علماء الكلام ، وقضية المعنى المقصود منه ، راجعة للمفسرين وقضية الاستدلال وحدوده ، يحددها اصول الفقه ورجاله ، وتطبيق الحكم من خلال الاستدلال ضمن اهتمام الفقهاء وقضية المجاز ونوعه وقرينته والرابط بينه وبين المدلول الاصلي للكلمة الواردة مجازا قضية اللغويين . . الى اخر فنون اللغة . . وهذا لايؤثر على كون «اعجاز

القرآن » يركز - بصفة خاصة - على الجانب اللغوي والبلاغي . .

ورغم غنى واتساع المؤلفات في اعجاز القرآن ، من امثال مؤلفات الباقلاني (١٢) والزمخشري (١٣) والشريف الرضي (١٤) والجرجاني (١٥) وغيرهم ومن هذه المؤلفات كتب خاصة بالمجاز ، مثل مؤلفات الرضي «١٦» والجرجاني (١٧) وغيرهما . . الا ان احدا من الفريقين لم يغير رأيه . . وظلت المدارس التي تكونت ثم اتسعت تتمسك بارائها حتى اليوم . . كذلك . . لم يقتصر الخلاف والبحث على المعتزلة والاشعرية . . بل شمل غيرهم من مدارس اخرى فقهية ولغوية وكلامية . .

○ مبررات طرفي الخلاف

ويمكن ابراز نقطتين رأسيتين لصورتي الجدل لدى الجانبين وبتركيز شديد لوصل سياق الحديث.

فمن مجمل اقوال النافين للمجاز يظهر ان بناءهم لرأيهم ينطلق من عنصر يكاد يكون الاساس الاول ويكاد يتلخص في ان المجاز وما يتعلق به ويدخل - كثيرا - في اطاره من كنايات واستعارات ومصطلحات بلاغية اخرى . . يدخل - ضمنه كما يرون - نوع من المبالغات التي تتجاوز الحقائق وتعطيها احجاما اكثر او اقل من الواقع . . وهذا يعني شيئا من المجازفة والتخمين وبالتالي . . فان هذا - كما يرون - قد يناسب كلام البشر واسلوبهم ، ولكنه لايتناسب مع القرآن الكريم ولا يليق نسبة هذا الاسلوب الى كتاب الله الذي لاتعدو تعبيراته الحقيقة وبدقة شديدة لانه منزل من عند الله الذي يعلم كل شيئ قبل ان يكون ولا يخرج شيئ عن محيط علمه . .

ويرى الجانب الاخر - المثبتون للمجاز في القرآن - ان رأي ذلك الطرف النافي رأي فاسد وغير صحيح ، ليس - فقط - لانه غير مدعم - بالادلة النقلية والعقلية الكافية . . بل - واكبر من ذلك - انه ينفي الضرورة القائمة التي لا محيص ولا مناص من وجهة نظر المثبتين - القول بنفي اللغة العربية في القرآن . . ولعل ابرز ما يبنون عليه رأيهم ويجمل جدلهم ونقاشهم . . جانبان اساسيان ، هما :-

١ - ان القرآن الكريم نزل بلغة العرب الفصحى ، وهذه قضية لا مجال - فيها - للنقاش - كونها ثابتة ثبوت القرآن . .

أ - نقليا . . بما جاء من الايات الكريمة في القرآن المؤكدة لكون القرآن . . «قرآنا عربيا غير ذي عوج» . . و«بلسان عربي مبين» ، وغيرهما فيما يخص القراءات . . ثم القاعدة العامة للرسالات السماوية « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه » (١٨) . .

ب - عقليا . . ان العمل به يستحيل لو انه جاء بغير لغة الرسول الذي جاء به . .

جـ - وباجماع الامة بما فيهم المنكرون لمجازات القرآن

ومن هنا . . فانه - بالتالي - لابد ان يتعامل مع اللغة العربية - بالضرورة - بنفس الاساليب التعبيرية والبلاغية عموما . .

٢ - ان نفي المجاز يعني - في اقل الحالات - تناقض القرآن الكريم مع نفسه من جهة ، ومع المبادئ والاصول الاساسية للاسلام من جهة ثانية . .

هذا في جانب وفي جانب اخر . . يعني استحالة فهم كثير من معاني آياته الكريمة ، وبالتالي استحالة التطبيق ، عندما نقسم معاني اخرى على المعاني التي تعنيها المفردات ، ونفرض على المفردات معاني لاتعنيها - في الحقيقة - لننفي المجازات ونعيدها الى اثباتها في معانيها قبل ان تنقل الى المجاز . .

واوردوا عشرات الادلة - ان لم نقل مئات - من القرآن الكريم نفسه مثل :

- (. . **ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين** (١٩)).
- (. . **بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء** (٢٠)) .
- (. . **وهو الذي في السماء إله وفي الارض إله** (٢١)) .

-(. . ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى (٢٢)).
-(. . وأما من خفت موازينه فأمه هاوية (٢٣)).

وغيرها وناقشوها مناقشات واسعة . . ولا مجال للاستطراد هنا ، ماعدا تعليقا سريعا - على هذا الاستطراد لابد منه . . .

بين المصلح والمدلول

معلوم ان انكار المجاز في القرآن يعني - بالتالي - انكار مايقوم عليه ويتفرع عنه ويعود اليه من صور واساليب البلاغة الاخرى ، مثل الكنايات والاستعارات والتصوير الفني (*) او التشبيهات وانواعها كلها وما يتصل بها وهذا يعني - كذلك وكما سبق - انكار بلاغة القرآن والغائها كونها تقوم على هذه الصور والاساليب كأساس لها ولو قيل بان منكري المجاز في القرآن يمكن ان يكونوا - من باب الالزام للمعادلات المنطقية - منكرين لبلاغة القرآن كأصل لهم منبثق من رأيهم بان الاعجاز في القرآن ليس قائما على اسس واساليب بلاغية بل لان الله تعالى اعجز فصحاء العرب ومنعهم عن الاتيان بمثله ، ومع مافي هذا القول من الغاء لتحدي القرآن ببلاغته المميزة . . الا ان منكري المجاز يضطرون في كثير من تفسير القرآن الى تفسير المجاز بمعناه المجازي وان كانوا منكرين له ، ويعودون - في مثل هذه الحالات - للتشبث بنفي التسمية ، وواضح مافي هذا من انكار للحقيقة وتحميل الاشياء فوق ما تحتمل ، ومن كل هذا. فان انكارهم للحداثة في لغة القرآن الكريم - يأتي من باب اولى.

يبدو - مما سلف - ان منكري المجاز في القرآن . قد اعتبروا القضية - وبالتالي تناولوها - قضية اصولية بحتة ، من اولها حتى نهايتها . . ولم يعطوا الجانب اللغوي اي حظ يذكر ، ولم يكن بين من طرحوا هذا الرأي وجادلوا به وحسموه - من وجهة نظرهم - لغويون . اذ ان للقضية جانبا لغويا هاما واساسيا تبدأ منه وتنتهي اليه . . كون الكلمة يتكون معناها - بعد توظيفها في النص - من عدة تداخلات لغوية ، مثل مدلولها الاصلي والمجازي ، ونوع المجاز ومكانه وشكلها الصرفي والنحوي والبلاغي من خلال كل هذا اضافة الى موقعها في النص وتأثيرها وتأثرها فيها وبما يأتي من الفاظ وتعابير ضمن السياق العام للنص ثم تأتي قضية المعنى الحاصل من كل هذا وتوجيهه ضمن المسلك الاصولي - بما فيه المفهوم - في اتجاه الرأي . .

وقد لا يعدوا الحقيقة من يقول بان لو كان للغويين رأي في هذا الرأي ، اولوا اعطى اصحابه الجانب اللغوي المدى الذي يستحقه من الاهمية والنقاش لما بلغت القضية - لديهم - هذا الحد من التناقض وانكار الضرورات . .

وقد يؤكد - كذلك - حصرهم للقضية في الاطار الاصولي . . انهم لم يعمموا رأيهم - بالنسبة لاساليب واسس البلاغة والتجديد في اللغة او «الحداثة» بمصطلح اليوم - على الوان النصوص الادبية الاخرى . .

(٣) - اللغة في فنون رئيسية اربعة

معروف ان القرون الثلاثة التالية للقرن الاول الهجري ، قد شهدت حركة واسعة في الاهتمام باللغة العربية من جميع الجوانب وبالاخص الاستقراء والتدوين ، والبحث والتأصيل وظهرت واتسعت مدارس اللغة ، متميزة بارائها ومذاهبها وروادها الاوائل من العلماء والفلاسفة والباحثين . . مثل مدارس الحجاز والبصرة والكوفة وبغداد والشام . . وكان من روادها امثال سيبوية (٢٤) والخليل (٢٥) والكسائي (٢٦) وابن جني (٢٧) . .

وان فنون اللغة العربية تركزت في اربعة جوانب رئيسية هي :-

١ - الدلالة المعنوية للكلمة . .
٢ - اشتقاقاتها .
٣ - موقعها من الاعراب
٤ - الاستخدام البلاغي لها .

وفي هذه الفترة - من اواخر القرن الاول وبداية الثاني - بدأ واتسع الاهتمام بدراسة الجانب اللغوي والبلاغي في القرآن من جميع الجوانب ، وكان القرآن - في كل المدارس اللغوية - هو المنهج الاول والمثال الاعلى والدليل الذي لايعوزه الاستدلال ولا يتجاوزه الجدل ، في مختلف فنون اللغة ، فكان هذا التراث من الكتب والمؤلفات في فنون اللغة - وهي - كما وصلت الينا - زاخرة بالايات القرآنية امثلة وشواهد ونماذج في كل جوانب تأصيل الفنون اللغوية والبلاغية بالحجم الذي يضاهي - وربما يفوق - ماهو موجود منها «أقصد آيات القرآن الكريم» في كتب الفقه مجال الاستدلال باحكامها في مختلف قضايا الانسان والحياة . .

وفي هذا اوضح واعظم دليل على اهمية لغة القرآن في الحضارة البيانية العربية والاسلامية بصورة عامة ، وقد تركت اثارا عميقة وواسعة في رفع مستوى علوم اللغة العربية من جهة وتأثيرها في لغات البلدان الاسلامية الاخرى ، لدرجة فرض كثير من مفرداتها على قواميس تلك - اللغات كالفارسية والتركية . .

وهذه الفنون الاربعة الرئيسية لعلم اللغة العربية ، كلها تخدم الجانب البلاغي في النص ، كون التعبير وظيفة المفردات الاصلية ، والبلاغة غايتها في اي نص تقريبا ، والفارق - فقط - هو مدى الضرورة او الحاجة للجانب البلاغي من نص الى اخر ، بحسب طبيعة كل نص ، كالفارق - مثلا - بين المقال الصحفي والقصيدة ، . . ويمكن القول بان الفنون الاربعة هي الكلمة في احوالها الاربعة ، مع الفارق المتمثل في كون الحالين الاولين يظهران في الكلمة مفردة بينما لايظهر الاخران فيها في حالة انتظامها في النص ، ويمكن - ايضا - استعراض مايهم الموضوع من هذه الفنون او الحالات . . في التالي :-

اولا . . الدلالة المعنوية

وهي الوظيفة الاصلية للمفردات ، موضوعها - كما يعرف - القواميس او المعجمات اللغوية . . وقد لقيت الدلالات المعنوية للمفردات - كغيرها من فروع اللغة - استقراء وتتبعا ودراسة وتوثيقا من جميع جوانبها ، ولئن رافق هذه الجهود - في الاستقراء والدراسة والتوثيق - بعض الاختلافات الطبيعية لمثل هذا العمل . . فانها اختلافات فرعية لا تتجاوز - في معظمها - التسميات والتعريفات والمصطلحات ، وحدود وامكان اعتوار وتبادل واشتراك اكثر من معنى للكلمة الواحدة ، وهذا الموضوع الذي يهمنا هنا ، بوصفه واحدا من الاسس الاولى لقضية التوظيف اللغوي للمفردات في الشعر . .

ويمكن استعراض هذا الجانب بشيء من التركيز في النقط الاتية :-

١ - ان الكلمة الواحدة ، هي - في الاصل - لمعنى واحد اساسي ثم قد يعتورها اكثر من معنى بصورة ثانوية ، ومن خلال التقارب فيما بين المعنى او المعاني الثانوية من جهة اولى ثم فيما بينها من جهة وما بين المعنى الاساسي من جهة اخرى ، من جهة ثانية ، وهذا خارج نطاق الحالات المحددة والمستثناة بمصطلحات مستقلة ، وخارج نطاق الاستخدام البلاغي ، بدخل في الحالات المحددة والمستثناة امثال الاشتراك والتضاد وما شابههما ، ويدخل في الاستخدام البلاغي ، امثال المجاز وما يتعلق به ويدخل ضمنه من كناية واستعارة وما شابههما . .

ويظل التقارب الجزئي بين المعاني يمثل العلاقة بين الكلمات التي تتداخل فيما بينها بنسب متفاوتة ومتقاربة كما يكون هذا التقارب - أيضا - يمثل المسوغ لاستخدام ، كلمة مكان اخرى ، تجوزا لا مجازا ولا ترادفا ، وربما يكون المثال المناسب ، التقارب بين كلمات ، اللفظ والقول والكلام ، فاجماع اللغويين يكاد ينعقد على ان اللفظ يشمل كل ما يلفظ به اللسان والشفتان مهملا او مستعملا ، ذا معنى محدد او مجرد اصوات فارغة من اي محتوى (٢٨) . .

والقول ما يخص الكلام المستعمل ذا المعنى المحدد تاما او ناقصا والكلام ما تضمن المعنى التام ، وذلـك كالجمـل وفي نفس الـوقت ، يمكن استخدام اي من الكلمات الثلاث لتأدية اي معنى من معـانيها بحكم التقارب واية علاقة اخرى قد تربط بينهـا . وهـذا ثابت لدى النحـاة (٢٩) واللغـويين (٣٠) وكثيرا ما يبدأون به مؤلفاتهم فيما يتعلق باستقلال معنى كل كلمة وبالعلاقة فيما بين مجموعها ، وعلى سبيل المثال فان العلاقة الادق بين الكلمتين الاولى والثانية «اللفظ والقول» . . هي علاقة العام بالخاص . . فاللفظ يشمل المهمل والمستعمل () بينما القول يخص المستعمل .

فالاصل - في الكلمة - انها لمعنى واحد مفرد () وتبقى قضية كيف دخل الكلمة اكثر من معنى ، موضوع بحث طويل ، وقضية لاتغير من القاعدة شيئا . .

هل يوجد ترادف ؟

٢ - ويأتي «الترادف» ضمن اعتوار الكلمة اكثر من معنى والعكس ، وقد نجد ان ماسبق - او بعضه هو من الترادف ، ولكن الذي يظهر هو خلاف ذلك . . وهو ان العلاقة - في النقطة آنفة التسجيل ، فيما بين الكلمات هي علاقة تقارب بين معاني الكلمات بصورة جزئية ، وثانوية ، كما سبق ، بينما العلاقة - في الترادف - هي - في معظمها على الاقل - علاقة تماثـل (نـسـتـخـدم هذه الاشـتـقـاقـات تجوزا كمصطلحات مؤقتة) اي ان الكلمة يمكن ان تستخدم لمعنيين - او اكثر - متماثلين من حيث الـدلالـة ، ومتـماثلين من حيث علاقـة كل منهما بالكلمة الواحدة او الكلمتين او اكثر . . وكما هو معروف فانه «اي الترادف» غير الاشتراك والتضاد - ايضا - وغيرهما . . وهو اوسع باب لتداول المعاني بين الكلمات ، وله عدة صور او حالات ، منها مثلا :

أ - اسماء المسميات ، كالبيت والدار ، في الاسماء الجامدة او شبه الجامدة ، وفي المشتقة ، مثل المنزل والسكن ، والمأوى ، للبيت والدار ايضا . .

ب - في الافعال ، مثل قضى ومر وذهب . .

جـ - في اعـلام او اسماء بعض الحيوانات ، مثل اسماء الاسد والكلب والذئب ، وغيرها . .

يروي ابن عبد ربه (٣١) وابن ابي الحديد (٣٢) وغيرهما ما خلاصته ان نقيب الاشراف عندما غضب على ابي العلاء المعري - في مجلس الاول - قال : اخرجوا هذا الكلب ، يعني ابا العلاء فرد ابو العلاء : الكلب من لم يعرف ان للكب سبعين اسما .

د - في الصفـات ، مثل : الشرعب والشرجب ، والشـوقب للطويل ، وحنبـل وحبـتر ، وبحتر وجحدر. للقصير وللسمين والجميل والدميم وغيرها (٣٣) .

وقد شاع الترادف واتسع حتى بلغ - في فترة من الفترات - مقياس الادباء والمثقفين مدى ما يعرف الواحد منهم من مترادفات كما سمعنا في حكاية ابي العلاء ، وهي - ربما فيها عدى التدوين المعجمي - مبالغات تتجاوز قانون اللغات وتظهر ترفا وعبثا على الدراسات الجوهرية في اللغة ، اذ ماذا يستفيد حتى المثقف من ان يكون للكلب اكثر من كلمة «كلب» من الاسماء التسعة والستين الاخرى . . ؟ او ان يكون للاسد اسماء مثل الليث والهزبر والغضنفر . وغيرها ؟ وحتى الشاعر فانه لو استفاد من مثل هذه الاسماء في القافية او في تطابق حركة هذا الاسم مع التفعيلة اكثر من الاخر . . فانه لايعتمد - في الشعر كشعر - على ترادف اسماء المسميات . .

تقارب لا ترادف

(٣ - ولان الترادف بهذا الاتساع يخالف قانون اللغـة - كما يبـدو - ويظل عبثا عليها وترهلا وترفا يتنـاقض مع قدرة اللغة على الاستمرار ومع وظيفة الكلمـة التي تملأ بها الفـراغ - في حدود حجمهـا ومضمونها - في بنية اللغة بصفة عامة . . ربما لهذه الاشياء وغيرهـا ولاكثر واهم منها . . ظهر الرأي العلمي الذي انبثق - لاول مرة - عن فلسفة عميقة ومنـطقية وواسعة ، والمتمثل في رفض الترادف في

اللغة العربية واعاد للكلمات وظيفتها وللغة بناءها الصحيح . وقد كان اجهر صوت ـ كما نعرف ـ نادى به ، هو ابن جني الذي اطلق عليه ـ فيما بعد ـ فيلسوف اللغة العربية . .

من صور الاثبات

يمكن القول بان منطقية صورة او صور الاسس التي يتجسد فيها ويقوم عليها الرأي النافي للترادف تتركز في العناصر التالية على وجه التقريب . .

١ ـ ان منطق اللغة ـ اية لغة ـ لايقو كينونة الكلمة ـ كوعاء لاكثر من معنى واحد ، وهو الاصل في الكلمة ولا يزال وسيظل «فالكلمة لفظ» مفرد «وضع لمعنى» واحد « مفرد (٣٦) كما يقول النحاة . .

٢ ـ ان الضرورة تؤكد هذا المنطق ، وهو ان الكلمة الواحدة لمعنى واحد حتى تؤدي وظيفتها ، ـ من خلال علاقة وضع الكلمة بالمعنى الخاص بها ـ في التعبير والاستدلال والتمييز والمفهوم ، والا لاهتزت قدرتها على اداء وظيفتها . .

٣ ـ طالما كانت الكلمة موضوعة لمعنى واحد . . فكيف وجد معنى اخر لتعبر عنه نفس الكلمة بمثل تعبيرها عن معناها الاصلي ، اليس للمعنى المضاف كلمة تعبر عنه بالاصالة ؟ اذن . . فكيف يمكن ان تعبر عنه كلمة اخرى ، بمثل وعائه الاصلي «ولماذا. ؟

٤ ـ ان التعبير الجزئي ، والثانوي للكلمة عن معنى غير معناها الاصلي ، قد يكون واردا . . ولكنه ليس تماثلا بين الجزئي والكلي ، او الاصلي . والثانوي بالضرورة . . وبالتالي فليس ترادفا . .

٥ ـ ان ما يطلق عليه ـ خطأ ـ ترادفا . . ليس ترادفا بمعنى التماثل ، ولكنه تعبير ـ بالفاظ الفعل عن الحدث ، او الفاظ الاسم عن المسمى ـ في عدة حالات او صور ، تتساوي وتتناسب الالفاظ الموضوعة لها في المعنى العام.

وعلى سبيل التمثيل السريع ، لا الدقة في تحديد معاني المفردات . . ناخذ كلمات الفعل السالفة التي كانت مثالا للترادف وهي «ذهب ومر ومضى» فان دلالاتها تختلف ، في هذه الكلمات مثلا . :ـ

أ ـ ذهب غادر المكان بدافع اولا نحو جهة ، معروفة اولا لغرض محدد اولا ، وتستوي فيها الاجسام والمعاني . .

ب ـ مر . . آتيا من جهة مارا بالمتكلم او الجهة التي يقصدها المتكلم ، الى جهة اخرى بدون توقف ، والذي يهم المتكلم هو المرور فقط ، واكثر ما يطلق على الاجسام . .

جـ ـ مضى من مكانه الى الامام وفيه معنى ضرورة المضي او القوة والاصرار ، ولغاية محددة معروفة في الغالب او شيئ من هذا فيقال :ـ

ذهب الذين احبهم
وبقيت مثل السيف فردا (٣٥)
وانما الامم الاخلاق ما بقيت
فان هموا ذهبت اخلاقهم ذهبوا (٣٦)
ولقد مررت على ديارهموا
وطلولها بيدا لبلى نهب (٣٧)
مرت بنا بين تربيها فقلت لها
من اين جانس هذا الشادن العربا (٣٨)
يبكي على طلل الماضين من اسد
لادردرك قل لي من بنو اسد (٣٩)
ولكنني امضي لما لايعيبني
وحسبك من امرين خيرهما الاسر(٤٠)

خصائص مميزة

وقد اتسع البحث الفلسفي او فلسفة البحث في هذا الجانب حتى وضع اسسا وقواعد علمية تكاد تكون اكتشافا او هي كذلك بالفعل وهي تمثل الجانب العلمي العربي في اللغة العربية . .

ويجدر المرور بنقط ثلاث استكمالا وربطا

للموضوع . . وذلك في جانب تكوين المؤثرات في معنى الكلمة والتقارب الاسري بين اكثر من معنى ، واحاول تحديد النقط الثلاث في التالي :-

١ - اثـر اصوات الحروف والعلاقة فيما بينها - في الكلمة الواحدة - في المعنى ، - وهذا ليس - كما قد يفهم - في اطـار الكلمات الصـوتية والشكلية مثل النقيق (صوت الضفدع) والرنين للجرس والضخم «للحجم الكبير» والفضفاض (للملابس الواسعة الطويلة) . .

٢ - حدد فلاسفة هذا البحث اثر أصوات الحروف الهجائية « الابجدية» بحسب مخارجها ، ومن ثم قسموها - بصورة رئيسية وعامة - الى مجهور ومهموس . . وبـالتـالي . . حددوا اثـر ائتلاف الكلمة من الحروف المجهورة والمهموسة في تصوير الفعل « الحدث» ودرجات قوته حال احداثه ، واثبتوا هذا بعدة استدلالات وامثلة واسعة وعلمية منها نموذج مشهور هو كلمتا النضح «بالحاء المهملة» والنضخ «بـالخـاء المعجمة» فالمعنى العام لهذا الفعل هو - تقريبا - رفع الماء الى مكان اخر فكانت الاولى بالحاء المهملة وهي حرف مهموس . . يناسب نضح الماء حيث ينضح الثوب او المكان باليدين . . فالمهموس يناسب الفعـل الخفيف بينما الخاء المعجمة حرف مجهور ، وهو يناسب قوة الفعل ، وكذلك كلمتا . هز واز المهمـــوس « الهــاء» مع الفعـــل الخفيف والمجهور «الهمزة» مع الفعل القوى . . الخ

٣ - في اطار المعنى العام والخاص ، قسموا المفردات الى مجمـوعـات أو أسر كل أسرة لمجمـوعتهـا من المفردات معنى عام يضمها وحروف محددة ثابتة وعامة ولكل مفردة من الاسرة حرف او اكثر ومعنى محدد خاصان بها . فالحروف الثابتة تؤكد انتماءها لاسرتها واشـتراكهـا في المعنى العام للاسرة ، والمتغيرة من كلمة الى اخرى تميز شكل الكلمة عن مفردات عن مجموعتها وتحدد معناها الخاص الذي يعبر عن صورة او حالة الفعل . .

فعندما ناخذ - على سبيل المثال - واحدة من هذه الاسرة او المجموعات ، هي - بدون استقراء لطرق واسـاليب وعـلاقات الاشتقاق - كلمة «غم » . . نجـد ان تحديد العنصرين الرئيسين في اسرتيها او تكوين مجموعتها ، هما :-

أ - المعنى العام ، وهو - تقريبا - التغطية . .

ب - الحروف الثابتة وهي الغين « المعجمية» والميم في كثير من حالاتها . .

ونجد من مفردات المجموعة (تجوزا) .

- غمر ، صب الماء فوق الشيئ لتغطيته
- غمس ادخل الشيئ في الماء حتى تغطى
- غمط غطى ، او اخفى المآثر والحسنات للشخص . .
- غمد اخفى السيف او غطاه في غمدة . .

الى اخرها ، حيث نجد الحروف المختلفة في هذه المفـردات تاتي لتحديد المعنى الخاص وصورة الفعل وحالته ضمن المعنى العام . .

ومن هنـا وكـل ما سبق . . تتضـح صور العلاقة بين المعاني والمفردات التي تعطي الفرصة - كواحدة من مجموعة عناصر - للتوسع في التوظيف اللغوي للمفردات ولكن في حالته البسيطة والاولية .

ثانيا وثالثا

من فنـون اللغـة الـرئيسية : اشتقـاق الكلمة وحكم حركة اخرها وموضوعها التصريف والنحو . ولايهم الموضوع هذا الايغال في اي منهما . .

ورابعا

فن البـلاغـة ، ومعـروفـة اسسهـا وصورها واساليبها ، ونتجاوز هذه الاسس والمصطلحات الا ماكان منها في سياق الحديث وهو قليل والذي يهمنا هنا هو المجاز - مرة اخرى - كمدخل سريع لصور من اسلوب التوظيف اللغوي . .

٤ ـ التطور الطبيعي للغة

المجاز وما يدخل في نطاقه من المصطلحات والاساليب ـ كما هو معروف ـ اوسع الصور البلاغية في الاستخدام اللغوي وهو ـ بالتالي اوسع ساحة للكشف والابداع في جانب التوظيف اللغوي للمفردات ، ولعله ـ ايضا ـ ابرز واكثر الوسائل والصور والنتائج للتطور الطبيعي في مفردات اللغة العربية . .

ولوا اختبر باحث مدى التطور هذا في نصف قرن مضى من الزمن ، وبعملية بسيطة هي ، ـ مثلا ـ بالمقارنة بين لغتي نصين او اكثر احدهما من عصر الاربعينات من هذا القرن ، والاخر من عصرنا الحاضر لظهر الفرق والدليل لصالح عنصر المجاز على غيره من عناصر التطور الاخرى منفردة ، ونتيجة المقارنة تنطبق على العصور الماضية وربما القادمة الان هذه العناصر وصورها والنسب فيما بينها ، قد لاتتغير والذي يختلف هو مدى حركتها اتساعا وانحسارا . والعامل المتحكم ـ في هذه الحركة ـ هو مدى حركة الثقافة اتساعا وانتشارا ايضا . .

ومع التسليم ـ من قبل الجميع ، وفي المقدمة اساتذة الادب والبحث والدراسة في مجال اللغة خصوصا ـ لعصور الاستقراء والتدوين والكشف وروادها الذين قدموا جهودا كبيرة فيها ، وبالاخص اذا ما قيست بالنقص والبدائية في الوسائل بكل انواعها بالنسبة لما هي عليه الان . . الا انها ـ علوما وثقافة ـ ظلت محصورة في اعلامها ـ وربما ـ قلة قليلة من مريديهم وتلاميذهم . . بينما راحت معارف اللغة ـ في مفرداتها ومصطلحاتها ـ في العصر الحديث «العشرين عاما الماضية خصوصا» بشكل لم يسبق له مثيل في الاتساع والانتشار وهذا ـ بالطبع وبصرف النظر عن المضمون العام ـ بفضل انتشار المطابع والصحافة ووسائل الاعلام . . فعادت كثير من المفردات والمصطلحات الفصحى ، اضافة الى ما نشأ من مشتقات ومصطلحات جديدة ، نشرتها ـ جماهيريا ـ وروجت لها وسائل العصر الحديث بسرعة قياسية وفي فترة قياسية ، واصبحت متداولة على السن عامة الناس وحتى الاميين منهم ، وهذه اللغة الجديدة والشائعة يمكن ان يطلق عليها ـ تجوزا ـ لغة الاعلام بوصفه المروج الاول لها . .

بين المجاز والمجاز الراجح

وكما قلنا . . فالمجاز هو الاطار الاوسع لعملية التطور والتجديد هذه ـ كما هو في غيرها ـ بشكل واضح وبارز ويتمثل ـ في عنصره الاكبر ـ في ما اطلق عليه الباحثون الاول ـ ضمن المصطحات التي وضعوها ـ مصطلح «المجاز الراجح» وهو ـ مع غيره بالطبع . . معروف في ابجديات مناهج البلاغة . . ويعني ان الكلمة عندما تستخدم استخداما مجازيا اكثر من استخدامها في موضع دلالتها الاصلية او الحقيقية ، تسمى مجازا راجحا . . ولعله « المجاز الراجح» يعتبر ـ بعد الرجحان في الاستعمال الجانب المجاز ـ اشبه بالحقيقة او بالاستخدام في موقع المعنى الحقيقي «٤١» ولكنه يظل مجازا . .

ولو اخذنا مثالا على هذا ـ من التطور العام في معاني المفردات لصالح المجاز ، فيما اسميناه ، لغة الاعلام المعاصرة والشائعة ـ لاكد ما سبق الحديث عنه من اتساع المجاز في عملية التطور . . وذلك مثلا **«عقد اعضاء مجلس الادارة اجتماعا استثنائيا ناقشوا ـ فيه ـ القضايا المطروحة على المجلس واتخذوا حيالها ـ او ازاءها ـ القرارات اللازمة »** . .

نموذج صغير لكلمات يناهز عددها خمس عشرة كلمة ، نسمعها تتردد يوميا ، ويفهمها الجميع بالمعنى المقصود دون محاولة استيعابها بمعانيها المجازية المنقولة من الحقيقة وبنظرة بسيطة يلاحظ القارئ ان معظم او كل ـ كلمات هذا النموذج الذي يمثل نصا ـ او جزءا من نص ـ لخبر تتناقله وسائل الاعلام . . هي كلمات مستخدمة استخداما مجازيا فيما يطلق عليه « المجاز الراجح» ليس هذا فقط . . بل ولعل كثيرا من هذه الكلمات

قد فقدت ـ لدى كثير من القراء ـ معانيها الاصلية ، وذلك لاسباب منها كثرة الاستخدام وتقادمه في بعضها . .

ولو عدنا الى المدلولات الحقيقية لبعض هذه المفردات ، لوجدنا على وجه التقريب ـ مثلا :-

عقد : تستخدم في الحبال

اعضاء : اعضاء جسم الانسان والحيوان

ناقش : الشوكة لاخراجها من باطن القدم او غيره ـ القضايا ، المطروحة امام القاضي ليقضي فيها

ـ حيال مقابل

ـ ازاء ، بجانب

القرار القعر وهو نموذج للتمثيل وهكذا . .

وكذا تقريبا ـ بقية الكلمات الموجودة في النص . . وهناك ملاحظة اخيرة وهي ان النقل ـ في هذه الكلمات ـ من الاستخدام الحقيقي الى المجازي جاء ـ في معظمه ـ من المدلول المادي الى المدلول المعنوي وهو الطابع العام للمجاز وهنا يظهر مبرر ـ او سبب ـ اخر للمجاز ليس الغرض البلاغي فقط . . بل ومواكبة الحاجة اللغوية في مواجهة نشوء معاني عن مسميات جديدة تحتاج وتتطلب الفاظا جديدة للتعبير عنها ضمن عملية تطور ونمو اللغة ككائن حي تطورا ونموا من داخلها وهو قانون ثابت ومعروف . .

٥ ـ المجاز في حقيقة الدلالة

وهنا نقطة تعتبر ذات اهمية خاصة وجديرة بالتوقف قليلا لمناقشتها عامة وسريعة . . رغم انها تستحق الكثير من التوقف والبحث من قبل المؤهلين ببحثها . . ولكي يمكن ايضاح الغرض من طرحها والاتساق مع موضوعها بعض الشيء . . نبدأ المحاولة من اول الطريق . .

معروف ان اسلوب التدوين ووضع الاصول والقواعد الاولى لاي علم من العلوم تفرض على مؤسسيها مناهج محددة للبحث يدخل ضمنها ـ وضع مصطلحات لمسميات تدخل ادوات في المنهج واسسا في البحث ونتائج تسفر عنه وعناصر يتغياها لتصبح المصطلحات اسماء واعلاما متميزة وثابتة يسهل ويستقر ـ من خلالها ـ التعامل مع القواعد الثابتة موضوع البحث او العلم ـ ويتم ولاشك ـ وضع المصطلحات على اساس ان تكون مستوعبة لمعظم صفاتها لتعبر عن مضامينها ـ التي وضعت لها ـ في اغلب الحالات . .

وذلك يعني ـ بديهة ـ ان المصطلح لايستوعب كل صفات مسماه ليعبر عنه في كل الحالات ـ اي ان هناك حالات وصفات شاذة او خارجة عن حدود المصطلح لم يتطابق فيها مع الاولى «الحالات» ولم يستوعب الثانية «الصفات» ولذا قالوا ـ كأصل من الاصول الثابتة للقواعد ـ لكل قاعدة شواذ وهذه القاعدة ـ او الاصل ـ تصدق نفسها بنفسها بمعنى ان هناك قواعد لاشواذ لها .

ولان المصطلح موضوع وليس اصلا وانه لا يستوعب كل الصفات في كل الحالات ، بل في معظمها وهو ما يبني عليه الحكم وتقوم عليه القاعدة فان هذا الاستثناء كثيرا ما يوقع في الخطأ نتيجة سوء الاستخدام او الفهم او كليهما ومن صور ذلك مثلا :-

ـ نسيان الوضع للمصطلح ، وبالتالي انكار استخدامه في معناه الاصلي ، مثل فعل جاز ويجوز وجائز كمصطلح فقهي . . ينكر بعض المعنيين استخدامه بمعناه الواسع كصطلح او بمعناه الاصلي في النصوص القانونية او غيرها بحجة انه خاص بما يجوز او لا يجوز في الشريعة الاسلامية . .

ـ الاحتجاج بالشاذ عن القاعدة ، كالاعتراض النحوي الذي يقول ، قلتم ان المفعول به هو ما وقع عليه الفعل ، ثم تقولون مات زيد ، برفع زيد على انه فاعل ، بينما الفعل واقع عليه . .

ـ ان تؤدي كثرة الاستخدام العام للمصطلح الى اضفاء مفهوم ينحرف به عن معناه الصحيح ، فيوخذ على اساس ذلك المفهوم مثل «المجاز» الذي اكسبه سوء الاستخدام مفهوما منحرفا عن معناه الصحيح ، ورغم ان التعامل مع المفهوم المنحرف ومن ثم تحكيمه وجعله اساسا للراي ، خطأ مركب

، يفترض ان لا يقع فيه الباحثون والمهتمون بالجدل والمقارعة بالرأي بصفة خاصة وبالذات في قضية بحجة قضية انكار المجاز والذي يعني - فيما ينطوي عليه - وجود المبالغة ومجانفة الحقيقة وربما الكذب او نوعا منه . . وهذا اساءة الى معنى المجاز والى حقيقته التي لاتكاد تخفى على ذي بصيرة ناهيك بالباحث والمحاجج . .

صورتان لمعنى واحد

من كل ما سلف - في الفقرة الاخيرة - نصل الى النتائج او الملاحظات التالية :-

١ - ان اطلاق مصطلح المجاز على «المجاز» - في مقابل الحقيقة ، في التقسيم الرأسي - هو في حد ذاته «مجاز» ان جاز التعبير الذي استخدمه مؤقتا اذ ان !

أ - وضع معنى الكلمة - في حال المجاز - مقابل المعنى الحقيقي الاصلي لها - كما وضعه القدماء متجوزين فيه الوصف والمقابلة - يعطي المفهوم المباشر الذي يعني ان معنى المجاز معنى غير حقيقي ، وهذا هو المدخل الذي عبر عنه الطاعنون في الاعتماد على المجاز معنى ومفهوما . . بينما المعنى المجازي هو معنى حقيقي وثابت . .

ب - ترديد مقولات الباحثين - في هذا المجال - عن المعنى الحقيقي والمعنى المجازي والمعنى الاصلي والمعنى المنقول وما الى هذا ، ، تفيد بمنطوقها وان لم يكن مقصودا - ان المعنى المجازي غير المعنى الحقيقي وبالتالي فان هناك معنيين للكلمة . . معنى حقيقيا هو معناها الاول واخر مجازيا هو المنقول او الذي ينشأ عند النقل الى المجاز ، وهذا كله غير وارد ولا موجود فلا اكثر من معنى واحد للكلمة في الحالين والفارق او الموجود هو استخدامان وصورتان للكلمة صورة في مجالها الاصلي الذي وضع مدلولها ليعبر عنه واخرى في مجال اخر مرتبط - بالاول - باوجه شبه وقرائن تسوغه وتعطي المدلول والمفهوم المباشرين بنفس القدرة والبداهة ويمكن القول بان الوسيط بين الصورتين هو التوظيف ، وهو الوسيلة والغاية وسياق الحديث عن القرائن المسوغة . .

٢ - ان نقل المعنى من الحقيقة الى المجاز مطلقا أو المجاز الراجح مقيدا او الفصل بين المعنيين الحقيقي والمجازي ، كل هذا - كما سنو تعبير مجازي «نستخدم كلمة مجازي هنا بمفهومها الشائع» اذ لا نقل ولا نصل في العملية ولكن استخدام في المجال الاصلي واستخدام في المجال المشابه يعطي صورة مشابهة . .

٣ - ولك يكون تسلسل النقاش منطقيا قدر الامكان . . فان الاستخدام للمعنى الواحد للكلمة بين الدلالة المادية والدلالة المعنوية في اغلب الاحوال التي تعني هذا الحديث ، اي بين الدلالة الاصلية للمعنى ، وهي المادية التي ينقل منها . . والدلالة المعنوية التي ينقل اليها وهنا بصرف النظر - كما قلنا عن المصطلحات البلاغية التي تنشأ وتتميز في ظل المجاز مثل الاستعارة والتشبيه والكناية وانواع كل منها وغيرها باعتبارها داخلة ضمنا . .

الصلات بين الدلالتين

٤ - ان النقل من الدلالة الاولى للمعنى أو الدلالة الاصلية او المادية او الحقيقية كما وصف معناها الاوائل» الى الدلالة الثانية او المعنوية او المجازية ، لايتم اعتباطا وبدون الاصول المميزة والا لكان نوعا من التعمية او اللغط او نوعا من علم الغيب على حد تعبير ابن جني (٤٢) ولكنه يتم - كما هو معروف - طبقا لروابط وصلات تربط بين الاستخدامين من ناحية وتميز الاستخدام المجازي من ناحية ثانية وهي تتمثل في اسس اهمها اوجه الشبه بين الدلالتين . .

فنحن - مثلا - نقرأ - للمتنبي ومن بديع غزله :-

ويسمن عن برد خشيت اذيبه
من حر انفاسي فكنت الذائبا (٤٣)

كما نقرأ لنزار قباني يصف خفاء حزنه . .

اني كمصباح الطريق صديقتي
ابكي ولا احد يرى دمعاتي (   )

أ - ونلاحظ - في بيت المتنبي أ - ان الذوبان الاول «خشيت اذيبة» فيه الدلالة الاصلية للمعنى

بحكم ان حر الانفاس - بديهة - تذيب البرد او الثلج - فالدلالة - هنا - اصلية لمعنى الكلمة في ظاهرها ولكن لاتلبث هذه الدلالة ان تسفر عن الدلالة الاخرى المجازية - في نفس الوقت - من كلمة «البرد» فكانت الدلالة من طرفيها التعبير عن شدة الشوق بحرارة الانفاس ، وعن صفاء وبياض ما اظهرته البسمات من الاسنان بالبرد فكان استخدام الذوبان كنتيجة [illegible] لمقدمات اوجه الشبه الرابطة بين الدلالتين . .

ب - وان الذوبان الثاني « فكنت الذائبا» تاتي فيه الدلالة المجازية صريحة ، وعلى حكاية الاول من حيث الاستخدام اللفظي وبجامع - ايضا اذا اردت اضافته - وهو الكناية اما عن التحول الذي يعتري العاشق واما عن الحالة الاتية وما سببته حرارة اللقاء والشوق من ضعف وعدم تماسك . .

وفي بيت نزار صورتان بلاغيتان للمجاز :-

الاولى : اشارة صريحة - بحرف التشبيه اللفظي وهو الكاف - الى تشبيه نفسه بالمصباح ، مصباح الطريق او الشمعة الذي يحمله الساري ليلا ليضيئ طريقه . وعلاقة التشبيه قائمة بين زيت او شمع المصباح «المشبه به» ودمعات عينيه « الشبه» واوجه الشبه مثلا . .

- السيولة ويمكن - للتعبير عن عمق المعنى الذي ربما قصده الشاعر - اضافة سبب السيولة الاتية عن الاحتراق الحقيقي في الاولى «المشبه به» والمجازي في الثانية . .

- تساقط السائل - الى الارض - في شكل قطرات متتابعة . .

- ان لا احد يرى . . او يهتم بان يرى - تساقط القطرات . .

والثانية . . ان في المشبه - بعنصري الشبه الرئيسين تساقط الدمعات وان لا احد - يراها - كناية عن خفاء حزنه او عدم اهتمام الاخرين وعدم مشاركتهم اياه احزانه وهي صورة بديعة في تعبير سهل وصادق عن الحزن الذي يتدفق منها . .

حقيقتان لا نقيضان

ومن التمثيل بهذين البيتين . . يمكن استنتاج ثلاث ملاحظات للتدليل على ماسبق . .

الاولى : ان الدلالتين - في كل صورة - في تقابل الحقيقة والمجاز . . هما مادية التعبير في الاولى معنويته في الثانية بين حرارة الانفاس وحرارة الشوق وذوبان البرد وذوبان الجسم وقطرات زيت المصباح وقطرات الدمعات وعدم رؤية احد للقطرات في جانبي الشبه . . الخ . .

الثانية : ان الدلالة المجازية لم تكن في مقابل الحقيقة بمعنى انها غير حقيقية بل هي دلالة حقيقية تتساوى مع الاولى « الحقيقية كما تسمى» في التعبير عن حقيقة الحدث وثبوت الصورة وواقعية المعنى ، والمجاز - بمعنى المقابل للحقيقة - انما هو في الاستخدام اللفظي او التوظيف اللغوي للكلمة او العبارة وليس في المعنى كما يدل عليه مفهومه .

وكمثال بسيط . . فان ما يعرف الناس - من خلال المعاناة - ان العشق - في اكثر حالاته - يسبب الضنا والالام والعذاب حقيقة ثابتة مثل حقيقة ان الحرارة تذيب البرد وكما ان الانسان قد تتساقط دمعاته دون ان يراها احد . . فكذلك يحزن ولا يحس به احد وهكذا فان الدلالة الثانية ليست فارغة او عديمة التعبير عن معنى قائم وحقيقي كما يفهم من مقابلة المعنى المجازي بالحقيقي . .

الثالثة : ان التعبير واضح في الدلالة المجازية وضوحه في الحقيقية بالتماثل والتساوي بصورة تلقائية سهلة لا يعوزها لفظ توضيح او ابانة نتيجة لتوفر القرائن واوجه الشبه بشكل مكتمل ودون اشارة الى شيئ منها فلا يمكن ان يفهم ذوعينين ان الشاعر قصد ان يقول بانه ذاب بالحرارة جني فقد حجمه وتحول الى مادة سائلة كما يذوب البرد او الثلج . .

فاذا كانت حجة من يرون ان الدلالة

المجازية مخالفة للواقع ومتناقضته مع الحقيقة لانها لم تعبر عن الحقيقة المادية تعبير الدلالة الاصلية عنها وهو ان الشاعر لم يذب بالحرارة ذوبان البرد . . فان هذا يكون احتجاجا على المستحيل ونسفا للغة وطبيعة تكونها ونموها وعلاقاتها التعبيرية بمضامينها - ناهيك عن كونه الغاء لكل اسس واصول وقواعد البلاغة ابتداء من الحديث العام الذي يتداوله ويتبادله عامة الناس وانتهاءا بارقى النصوص ابداعا وجمالا ولا يبقى - حينئذ - مسرح للنقاش او الرد باكثر من رد الشيخ الامام المرحوم «يمدد ابو حنيفه ولا يبالي» . .

عناصر ترفد الدلالة

من كل هذا يمكن القول بان التوظيف اللغوي للمفردات ، يعتمد على اساس الاطر العامة لمعاني الاسر اللغوية من خلال حركة التبادل للمعاني بين هذه الاسر ، عبر الدلالة المجازية لتعطي صورا تعبيرية جديدة تحدد مفاهيمها قرائن موضوعية تمثلها العلاقة القائمة بين الدلالتين ضمن التوجه العام للنص ، وفي الموقع الذي يضفي التوظيف - منه - على - معنى الكلمة فنية اكثر في تأثرها وتأثيرها منه وفيه وهي عملية يتحكم فيها الذوق والموهبة اكثر من اي شيئ اخر . .

إذ ان هناك - كما هو معروف - عدة عناصر فنية تشترك في نسج الدلالة الابداعية الناتجة عن عملية التوظيف للكلمة في النص . .

ولعل من ابرز هذه العناصر . .

- غنى شكلها - او ائتلاف الحروف التي تشكلها - بالموسيقى الداخلية الناتجة عن التناغم السريع والسهل بين اصوات اجزائها . .

قدرة الكلمة على احتواء معناها باستقرار لايشوبه قلق ، وقدرتها على اعطاء اشارات الى اكثر من معنى في اطار معناها الذي توظف لاداته وفي انسجام تام معه . .

- قدرتها على اعطاء الدلالة الجديدة بسهولة ويسر وتلقائية ودون تكلف او اغراب في الدلالة او الاشتقاق تفرض البحث المعجمي وسيطا بينها وبين المتلقي .

- انتظامها في النص او الجملة الشعرية في تناسب بصهرها مع جملتها في وحدة واحدة شكلا ومضمونا ومفهوما وصدى . .

- الى غير هذه من العناصر التي تدركها موهبة المبدع والمتلقي وان اعجزته الدقة عن وضعها او التعبير المباشر عنها . .

لغة الشعر وحتمية التطور

فلغة الشعر هي - بالفعل لغة خاصة ومتميزة وهي - بالتالي تتطور وتتجدد في استقلال نسبي عن اللغة العامة إذ ان تطور لغة الشعر تتحقق بعاملين رئيسين هما :-

- عامل عام ، وهو تطور اللغة ونموها الطبيعي ، ويؤثر فيه - كما هو معروف - عوامل واسباب ثقافية ايجابا وسلبا . .

- وعامل خاص بلغة الشعر ويتمثل - باختصار - في قدرة الشعر على الكشف والاستحضار للجديد باستمرار وهذا الكشف - يظهر - اكثر في جانبين - جانب تقني - ان جاز التعبير - ويتمثل في تكوين مفردات جديدة من خلال الاشتقاق وقد يظهر - ايضا - طرقا جديدة للاشتقاق . وجانب ابداعي ، ويتمثل في التوظيف اللغوي للمفردات توظيفا جديدا يجعل من لغة الشعر « اللغة الاشارة» كما يقول ادونيس (٤٥) . .

وهنا تجدر الاشارة الى ما يلي :-

١ - على اساس الكشف - بمختلف جوانبه وانواعه - تقوم الحداثة في لغة الشعر اولا ، ثم في اللغة عموما . . بوصف لغة الشعر مؤثرة تأثيرا مباشرا فيها وان كانت سابقة لها ومتميزة عنها ، وهو تأثير ناتج عن مدى العلاقة بين الشاعر وجمهوره . .

٢ - ان الحداثة - سواء في لغة الشعر ام في غيرها مع الفارق النسبي - هي قضية حتمية ناتجة عن مقدمات حيوية وتاريخية واجتماعية وثقافية ضمن التطور والتجدد

العام في كل شيئ ، وهي تظهر - وان اختلف المصطلح - في فترات زمنية متفاوتة مع الاختلاف في الاطار الكلي لها اتساعا وضيقا ، تبعا لمدى توفر العوامل المساعدة . .

وقد قيل - تبعا لسنة التطور المستمرة - ما معناه : ماكان حديثا بالامس اصبح اليوم - قديما ، وما يوصف اليوم بالحداثة سيوصف غدا بالقدم وما تواجهه قضية الحداثة في الشعر - اليوم يعتبر من حيث حتميته امرا طبيعيا تكرر عدة مرات فواجه زمن جرير والفرزدق وابن ابي ربيعه وبشار مثلا ، وما رجهـ - فيما بعد - زمن صالح عبد القدوس وعلي بن جبله وابي نواس ومسلم بن الوليد ثم في عصر ابي تمام والبحتري وعصر المتنبي والمعري وابي فراس وفي عصر الموشحات الاندلسية والى عصر شعـراء المهجـر ومـا تلاه حتى اليوم وسيواجـه القادمون ما واجهه القدماء . . ولكن الحداثة لا تتمثل - كما يرى بعض ضيقي النظرة - في اشخاص او شعراء محددين ، بحيث يمكن محاربة الحداثة - او الجهاد ضد الحداثة - بمحاربتهم ولا حتى بقتلهم ، ولذا لم تقتل - في الماضي - بقتل امثال بشار وصالح عبد القدوس وابن جبله وعشرات من الشعراء الاخرين ، بل ظلت مستمرة متـواصلة لارتباطها بالحياة بكل ما فيها تلك سنة الله تعالى في خلقه «ولن تجد لسنة الله تبديلا» . .

التحديث لا شذود فيه

٣ - والتحـديث - في اللغـة - لايعني ابتـداع واختلاف مفردات لا اصول ولا جذور لها في اللغة ، ولكنها تأتي من اصول ومفردات لغة قائمة وموجودة وطبقا لاصـول ثابتة تتم عملية التحديث والتجديد ، كون اللغة مثلها مثل اي علم اخر ، توجد - فيها - ثوابت واصـول لا تتغـير ، وهي - عادة - قليلة ومحدودة . . وتوجد - كذلك - متغيرات ومجالها واسع وعناصرها مرنة وقابلة للتطور والحركة واهم العناصر الرئيسية للتحديث - كما سبق - يتركز في جانبي الاشتقاق والتوظيف اللغوي الاشتقاق فيما يتعلق بتركيب المفردة واشتقاقها من اصلها الثـابت والتـوظيف اللغـوي لها الذي يوسع من دائرة استخدام دلاتها المعنوية . .

٤ - كل عوامـل التـطور والتحـديث في لغة الشعر ، تصب ، - كما يلاحظ بصفة رئيسية افقيا ورأسيا - في عملية التـوظيف اللغوي للمفردات ، كمقدمات لها وعناصر لرفدها ، وهي العوامل التي سبق الحديث عنها ، مثـل تبـادل النقـل بين الاسر اللغـوية واستخدام الـدلالـة المجازية والاشتقاق وغيرها ، بوصف عملية التوظيف هي العملية الاخيرة لمجموعها ٥ - استكمالا لمضمون النقطة الثانية ننبه هنا الى نقطتين فرعيتين :-

الاولى : ان وضـع الاسس الاولى لعلوم اللغة العربية ، هي - في حقيقتها - تحديث للغة بل اساس التحـديث الاول لها ضمن عملية التوثيق والتدوين - وهي - في حد ذاتها - آتية عبر مسيرة التطور وقد واجهت عملية التوثيق الاولى استنكارا غير قليل ونقل د/ شوقي ضيف (٤٦) ما اظهره العرب من تعالي على علم النحو وتعلمه وازدرائهم له ولجماعته حتى سموه «علم الموالي» وقـد قام - بالفعـل على جهـود من سموهم الموالي في معظمه . .

كما نقل عن السير في «ابي سعيد» ان قوما من العرب مروا على جماعـة من اللغويين يتحدثون في اللغة فلم يفهموا ما يقال من مصطلحات وتعابير لم يألفوها فقال احدهم . ،. انكم لتقولون في كلامنا كلاما ليس من كلامنا . .

الثانية : ان عملية تطور اللغة وتحديثها ، بشقيه الايجـابي والسلبي كما توجـد اشتقاقات واستخدامات ودلالات جديدة في جانبها الايجابي . . فانها - كذلك في الشق السلبي - تنـطوي على اهمـال ومـوت كلمات واشتقاقات واستخدامات ودلالات قديمة ، مثلها كأي عنصر حي ونـام ومتـطور كالانسـان والحيوان والنبات وهـذه قضية بت فيهـا القـدماء في عصور الحضارات الانسانية الغابرة ومضى عليه من تلاهم من الامم عبر العصور ومنهم علماء اللغة العربية في عصر التدوين وما تلاه . .

وكان تقسيمهم النوعي لمفردات اللغة العربية ، اولا ، الى مهمل ومستعمل « ٤٧ » وبصرف النظر عن مدى الصعوبة في تقبل الاحصاء العددي لمفردات كل من القسمين والاختلاف - فيما بينهم في الارقام . . فان ذلك الاحصاء يعطي - من مجمله - نتيجة واحدة ومتفق عليها من قبل المختلفين . . وهي ان المهمل اضعاف المستعمل . .

الهوامش والمراجع

١ - العمـدة لابن رشيق ص ١٠٠ (٢) - في قصيدته اليائية المشهورة التي مطلعها :

الا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا
فما لكما باللوم خير ولا ليا

(٣) - في الادب الجاهلي ص ٦٥ د/ طه حسين
(٤) - سيرة النبي لابن هشام ص
(٥) - الشعر والشعراء لابن قتيبه ص ١٤٩
(٦) - اعجاز القرآن الباقلاني ص ٦٢
(٧) - راجع الكشاف في تفسير (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) للزمخشري
(٨) - سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ص ٢٨٩ ح - ١ - لابن هشام
(٩) - د / طه حسين الادب الجاهلي ص ٧١ .
(١٠) - راجع تكوين العقل العربي ، محمد عابد الجابري
(١١) - المدارس النحوية د/ شوقي ضيف ص ١٧٦ وماتلاها ..
(١٢) - اعجاز القرآن
(١٣) - الكشاف
(١٤) - مجازات القرآن .
(١٥) - دلائل الاعجاز
(١٦) - المجازات ايضا
(١٧) - دلائل الاعجاز
(١٨) - آية ٤ سورة ابراهيم
(١٩) - آية ٣٠ الانفال
(٢٠) - آية ٦٤ المائدة
(٢١) - آية ٨٤ الزخرف
(٢٢) - آية ٧٢ الاسراء
(٢٣) - آية ٨ القارعة
(٢٤) - تتلمذ على الخليل ق ٢ هـ انظر المدارس النحوية ص ٥٧ د/ شوقي ضيف
(٢٥) - ١٠٠ - ١٧٥هـ راجع المدارس النحوية ص ٣٠ د/ شوقي ضيف
(٢٦) - معاصر لسيبويه راجع المدارس النحوية ص ١٧٢ د/ شوقي ضيف
(٢٧) - عثمان = = = = = = = = = = = = ص ٢٦٥
(٢٨) - الخصائص ابن جني ص ١٦
(٢٩) - راجع مغني اللبيب لابن هشام
(٣٠) - الخصائص ص ١٦ لابن جني
(٣١) - العقد الفريد
(٣٢) - نهج البلاغة .
(٣٣) - نظام الغريب ص ٦٥ للوحاظي الحميري تحقيق القاضي محمد علي الاكوع
(٣٤) - توجد العبارة في بداية كتب النحو مثل الاجرومية للاجرومي وقطر الندى لابن هشام وكافية ابن الحاجب . .
(٣٥) - عمرو بن معد يكرب
(٣٦) - احمد شوقي
(٣٧) - الشريف الرضي
(٣٨) - المتنبي
(٣٩) - ابو نواس
(٤٠) - ابو فراس
(٤١) - انظر الخصائص لابن جني ج ٢ ص ٤٤٧
(٤٢) - الخصائص جـ ٢ ص ٣٦٠ في باب الحذف
(٤٣) - المتنبي ديوان المتنبي جـ ١ ص ٢٥١
(٤٤) - نزار قباني مجموعة « الرسم بالكلمات» ص ٤٦٥ من المجلد الثاني للاعمال الكاملة . ◦
(٤٥) - زمن الشعر ص ١٧ ادونيس
(٤٦) - المدارس النحوية
(٤٧) - المزهر جـ ١ ص ٧٤ للسيوطي

معجم اسماء النبات اليمنية .

عبدالله محمد الحبشي

شغلت الاسماء اليمنية الكثير من المعاجم المتخصصة في هذا المجال وقد استوقفني من تلك المعاجم كتاب (معجم اسماء النبات) للدكتور احمد عيسى الذي نجده ينص على اصل الكلمة وقد حفلت كثير من تلك الاسماء بنسب يمنية متعددة وقد عني بذلك في القرن السابع الملك المظفر يوسف بن عمر الرسولي المتوفي سنة ٦٩٤ في كتابه المعتمد في الادوية المفردة الذي افرد الأسماء اليمنية للنبات بفصل مستقل بعنوان «تفسير بعض اسماء الادوية والالفاظ بما هو اجلى منها بلغة اليمن» . .

وقد رأينا جمع هذه الاسماء في معجم مستقل سهل المأخذ دون التوسع في شرح تلك المفردات لان هذا يخرج بنا الى مجال الطب والزراعة والغرض من جمعنا هو الجانب اللغوي وبيان اصول الاسماء للنباتات اليمنية سواء كانت هذه النباتات يمنية المنشأ او ان اسمها هو المستعمل عند اهل اليمن ولا يعني هذا انهم انفردوا بأسماء خاصة بهم فربما كانت تستعمل في غيرها من البلدان الا اننا نجد صاحب (معجم اسماء النبات) ينص على انها اسماء يمنية ، وهذا الذي دفعنا الى جمع هذا المعجم ، وقد كان المستشرق «شوينفرت» الالماني هو أول من جمع اسماء النباتات اليمنية ووصفها في كتاب مستقل نشر سنة ١٩١٢م وقد استعان به الدكتور احمد عيسى واستفاد منه في كتابه وما احق هذا الكتاب بالعناية والترجمة لاهمية موضوعه وانفراده في مجاله . .

○ آذان الجارية : نبات نسب اسمه الى اليمن صاحب معجم اسماء النبات ص ١٤٣

ابرة الرهب : الشكاعي = السنف

ابو زيدان : هو خصي الثعلب ويسمى باليونانية «طريغلن» اي ذو ثلاث ورقات لان اكثر ورقاته ثلاث ورقات مائلة نحو الارض شبيهة بورق الحماض او ورق السوسن الا انها اصغر منها وفي ولونها حمرة مائلة الى حمرة الدم وساق رقيقة طولها نحو ذراع وزهر شبيه بزهر السوسن الابيض واصله شبيه ببصل «البلبوس» مستدير في مقدار تفاحة احمر الظاهر ابيض الباطن حلو الطعم طيب .

ابو الركب : وسمي «فراسيون» هو ذو واغصان كثيرة يخرجها من غصن واحد عليه زغب يسير ولونه ابيض واغصانه مربعة وله ورق في مقدار اصبع الابهام الى الاستدارة وفيه تشنج مر الطعم وزهره وورقه متفرقة الاغصان التي فيها وهي مستديرة شبيهة بالفلك خشنة وتنبت في الخراب من البيوت .

اثق : ذكره صاحب اسماء النبات ص ١٣١ من الاسماء النباتية في اليمن

اثل : في معجم اسماء النبات اسم للطرفاء عند اهل اليمن وفي المعتمد الطرفا نوع من الاثل

احبل : اسم للوبيا عند اهل اليمن دجره

الاحريض : هو العصفر والبهرمان والاحريض ايضا هو الزرد (شجرة الذهب)

الاراب : (نوع منه باليمن) وهو الحبق القرنفلي ويسمى ايضا فرنجمشك واصابع الفتيات

الاسحل : هو السبستان بالفارسية شجرة تعلو على الارض قدر قامة لها ورق مدور كبار وقشرها الى البياض ولها عنب وعناقيد خضر ، ثم تصغر وتطيب وفي داخله لزجة تتمطط وحبه كحب الزيتون

ويجمع ويجفف حتى يصير زبيبا .
الاشخر : هو شجر العشر وهو من العضاة ينبت صعدا وله سكر يخرج من فصوص ومواضع زهره وفي سكره شيئ من المرارة ويخرج له تفاح كأنه شقاشق الجمل .
الاشق : هو صمغ الطرثوث قال الشهابي . هو جنس نبات طفيلية من الفصيلة الجعفيلية .

الاشنه : ويسمى مسواك القرود انظر في تعريفه (معجم الالفاظ الزراعية ٢٦) وفي المعتمد ٥٥٩ هو شيبة العجوز موجود في اليمن ينبت قريبا من البحر على وجه الارض يعرف بالبحرين
االاقطن : هو الماش قال الملك المظفر الرسولي في تعريفه هو حب صغير كالكرسنة الكبيرة اخضر اللون براق وله عين كعين اللوبيا مكحل ببياض وشجرته كشجرة اللوبيا وهو من شجر اليمن ويسمونه الاقطن (وانظر معجم اسماء النبات ١٣٧) .
اقليت : هو الزراوند نبات له ورق طيب الرائحة مع شيئ من الحرافة الى الاستدارة ناعم وهو في شعب صغيرة مخرجها من اصل واحد واغصان طوال وزهر ابيض وما كان داخل الزهر احمر فانه منتن الرائحة واما الطويل فله ورق طوال اطول من ورق المدحرج نبات من فصيلة الزراونديات فيه جنبات معترشات للتزيين .
من الاقليط : هو الحماما شجر كانها عنقود خشب مشتبك بعضه ببعض وله زهر صغير مثل الدواء الذي يقال له الخيري وله ورق شبيه بورق الفاشر واجوده ماكان لونه شبيها بالذهب ولون خشبه الى لون الياقوت وهو طيب الرائحة قال الملك المظفر الرسولي ويسميه اهل صنعاء من الاقليط .
اكشوث : نبات موجود بشعبات تعز (المعتمد ص ٥٥٩) وهو جنس نبات طفيلية مضرة من فصيلة المحموديات سوقها صغير خيطية طوال تلتف على مضيفها وتنشب فيه زوائد ماصة تمص نسفه ولا ورق لها (الشهابي ٢٠٤)
اقلام الذئب : هو نبات الهليون يختص ببلاد الجند ويعظم فيها يقول المظفر في وصفه ورقه كورق الشبث ولا شوك له وله بزر مدور خضر ثم يسود ويحمر وفي جوفه ثلاث حبات كانها حب النيل صلبة ومنه صنف كثير الشوك
ا ام غيلان : هي شجرة القرظ
ام اللبن : هي المعروفة بعلك الغزال (معجم اسماء النبات ٧٩)
انجاص : هو الكمثري بلغة اهل اليمن وسوريا « اسماء النبات ١٥١ »
الانجرك : هو المعروف بوج قال الشهابي : يسمى قصب الدزيرة في مصر نبات عشبي جذماري من الفصيلة القلقاسية لجذاميره اي سوقه الارضية رائحة زكية
الانجرة : هو القريص والحريّق له ورق خشناء وزهره اصفر وله شوك دقيق ينبو عنه البصر فان مصه عضو من البدن آلمه واحرقه وحمره .
البادي : هو المعروف بلحية التيس بقل زراعي محول من المركبات اللسينية الزهرة تطبخ جذوره اللحمية الغلاظ .

بحسين : هو المعروف بعشبة المجومية وركب الجمل كذا في (اسماء النبات ٤٧)
بر : هو القمح في كلام اهل اليمن (اسماء النبات ص ١٨٤) والحنطة (المعتمد ص ٢١ .
برطم : قال في المعجم ص ٣ هو الشوحط
برعم : هو حب القطن .
بسباس : الفلفل الاحمر
بسباسه : هو الجاركون قشور الجوزبُود كذا فسرها في المعتمد ص ٥٦٢ وفي موضع اخر ص ٥٦٤ قال بسباسة هي داركيسة وستاتي
بسيرة : ذكرها صاحب اسماء النبات ص ١٤٤ في كلام اهل اليمن ولم يفسرها واظنها بسيلة المذكورة في المعتمد ص ٥٦١ قال هو الترمس .
بشام : هو البلسان البري (اسماء النبات المعتمد ٥٦١)
بشقيم : نبات من اليمن (اسماء النبات ١٨٦)
بشير : اورده صاحب اسماء النبات ولم يفسره ولم

اجده في غيره
بصل العنصل : الاشقول او الاشقيل قال (المعتمد هو بصل البحر وله ورق مثل الكراث يظهر منبسطا وله في الارض بصلة عريضة وتسميه العامة بصل الفار ويعظم حتى يكون مثل الجمع ويقع في الدواء ويقال له العنصلات .
بقاع : هو الحدق قال في المعتمد هو اسم لنوع من الباذنجان بري وثمره يكون اخضر ثم اصفر وقدره على قدر الجوز وشكله شكل الباذنجان سواء .
بقم : هو العندم
بقيم : ذكره صاحب اسماء النبات ١٧١ من اسماه عنده اهل اليمن .
بكـار : هو الصبغـاء والشـام : جنس من نبات الفصيلة النجيلية (الشهابي ٤٢٨)
بلجـم : هو الشلج قال الشهـابي هو اللفت في المعاجم العربية وانظر المعتمد ٥٧١ .
بلسن : هو العدس معروف
بليع : هو المعروف بعين الديك وسمي ايضا ششم
بيده : نبات ذكره صاحب اسماء النبات من كلام اهل اليمن
التالق : هو الجميز
ثالوب : هو الثلب كذا في اسماء النبات
التبشع : هو الخروع
تتن : هو التبغ الاسود والتبغ عموما .
التشمة : هو الحبة السوداء والجسمك .

التفص : هو تراب الهند
تفلوك : من نبـات اليمن ذكـره صاحب (اسماء النبات ١٦٧) .
تماتم : قال في المعجم ١١٣ هي الطماطم في كلام اهل اليمن كذا
تمار : هو المعروف بشير ذكره صاحب اسماء النبات وفي موضع اخر تمار هو حنا البقر .
تمتم : هو السماق
تنوب : هو العسب
ثويلب : من اسماء النبات عند اهل اليمن (انظر اسماء النبات ص ١٥٦)

الجادي : من اسماء الزعفران المعتمد ٥٦٥
جبوسه : نبات في اليمن ذكره في اسماء النبات ٥٧ ولم يشرحه
جربـوز : قال في المعتمد ٥٧٢ هي البربوز وهي البرية وفي اسماء النبات ١١ الجربوز هي البقلة اليمانية
الجرجـير : هو الايهقـان قال في المعتمد قيل انه الجرجير البري قلت الجرجير (معروف)
جرع : ذكره في اسماء النبات ١٣٥ لغة يمنية في هذا النبات ولعله تصحف بالجزع (معروف)
الجساد : من اسماء الزعفران المعتمد ٥٦٥
جعدر طويل : نبات من اليمن « اسماء النبات ٥٣»
الجعدة : هو نبات اسمه باليونانية فوليوم وسياتي في القصلم والهلال
جعيفـة : ذكـره في اسماء النبات ١٠٣ بنسبته الى اليمن ولم يشرحه
جلجلان : في المعتمد هو السمسم (معروف)
جليف : اسمه اليماني كما في اسماء النبات ٥٤ وعند غيرهم يسمى وعلان ولم اجد من شرحه
جمع : نبات منسوب الى اليمن انظر اسماء النبات ١٥٦
جؤشب : اسمه اليماني ويقابله عند غيرهم سليس وجلوين انظر اسماء النبات ١٨٥
جومر : هو الريحان بلسان اليمن وسيأتي في شجر الرعاف
الحابي : اسم اخر للريحان عند اهل اليمن وسموه ايضا لحبوه وعلوه انظر اسماء النبات ١٢٦
الحاشا : هو الصعتر معروف
حب الراسن : هو زبيب الجبل ويعرف بالميويزج بالفارسية في المعتمد ١٩٤ نبات له ورق شبيه بورق الكـرم البـري المشرف ، وقضبان قائمة سود وزهر شبيه بزهـر نبات يقال له بطاطس وثمره في غلف خضر مثل ما للحمص
حبون الملوك : هو التوت الشامي وسمى خرتوت وقرندالي

حدق : يقابله شروه انظر معجم اسماء النبات ٦٢ وفي المعتمد ٩٢ لم ينسب هذا الاسم الى اليمن وقال الحدق اسم لنوع من الباذنجان بري ويسمى في اليمن العرصم (انظر ٥)
الحديف : هو من اسماء الجرجير عند اهل اليمن
حذوب : نبات اسمه اليمني وسمى ايضا موك وطرح عند غيرهم
حريش : نبات كذا يسمى عند اهل اليمن ومصر
حرجه : نبات باليمن
حرس : هو الطلح عضاة لها شوك ضخم وخشب صلب
حرق : هو الدنق كذا نسب الاول الى اليمن صاحب اسماء النبات ١٦٢ ولا اعرفها
الحرمل : يسمى باليونانية مولى وبالفارسية اسفند (معروف)
حزا : هو شجر الحلوب في كلام اهل ظفار (المعتمد ٥٦٣)
الحسب : هو الجلبان قال المظفر الجلبان من القطاني الماكولة وله قضبان مربعة ينبسط على الارض وله ورق على الطول ملتوية على القضب وله نوار الى الحمرة تخلفه مزاود فيها حب مدور الى البياض قال المظفر في المعتمد ٥٦٢ يعرف باليمن ويسمونه الحسب.
حسق : اسمه عند اهل اليمن وقال في اسماء النبات يقابله الحمش ويسمى في سوريا نعيم ومن اسمائه محوط ولا اعرفه
الحسك : قال في المعتمد ٥٦٧ هو المعروف بشكوهك ولا اعرفه ولعله شكوهج قال الدكتور احمد عيسى هو الحسك وحمص الامير وحمص الجبل الخ .
حشرافه : هي النبتة المعروفة بلسان النور ولها أسماء اخرى وحشرافه اسمها في اليمن
حشَرق : نبته ذكرها صاحب اسماء النبات ٨٣ ونسبها الى اليمن حشوش
حصار : نوع من النيل يسمى توشة بمصر وفي سوريا ودنه

الحصوا : هو جرجير الماء على لسان اهل صنعاء (المعتمد ٥٦٢) وانظر اسماء النبات وقال يمانية ص ١٧٠
حضال : نبات يماني (اسماء النبات ١١١)
الخفت : هو السذاب بلغة اليمن
حلبة الحبش : هو السنامكي قال المظفر كثير الوجود باليمن ويسمى حلبة الحبش
الحلف : هو الحرف ويسمى حب الرشاد
حلوب : قال المظفر شجر باليمن يسمونه اهل تعز بذلك واهل زبيد يسمونه طرح واهل المخلاف يسمونه شراج واهل ظفار يسمونه حزا
حمر : هو التمر الهندي بلغة اهل اليمن
حمرور: نبات نسبه احمد عيسى الى اليمن
حمس : هو العرشق والقروان والزرب والاول اسمه في كلام اهل اليمن قلت لم اجد تعريفا له

حميص : هو الحماص لا اعرفه
حنا البقر : هو الحمرور
حنون : هو الفاغية نوار الحنا والمعتمد ٥٦٩ اسماء النبات ٥ ١٠٦)
حوجم : هو العنقب والقرقر (وفي المعتمد ٥٦٣ الورد الاحمر) وفي موضع اخر منه هو النسرين الورد الصيني (المعتمد ٥٧٢)
الحوك : هو حبق القرنفل وهو ريحان معروف (المعتمد ٥٦٠)
حومر : نبات اسمه منسوب الى اليمن في (معجم اسماء النبات ١٦٨) ولعله نفس الحمر والتمر الهندي وفي المعتمد الحومر التمر الهندي (المعتمد ٥٦٣)
حوير : هو النيل ويسمى في سوريا صباغ
حياة الموتى : هو القطران (المعتمد ٥٦٣)
حيضة الجبال : هي المومياء الفارسي المعدني الخالص

خاع : هو الهينان نبات كذا فسره في المعجم ١٤٨
الخاملا : هو المازريون قال في المعتمد ٤٦٩ نبات له اغصان طولها شبر وورق كورق الزيتون الا انه ادق منه

خبق : نبات ذكره في المعجم ٤٦ من اسماء النبات عند اهل اليمن
حداعة الرجال : قال في المعتمد ٥٦٤ هو شجرة المنج
خدش : هو اسم الشجر عند اهل اليمن قال في المعجم يقابله تمليكه ونمر (معجم اسماء النبات ١٣٥)
خربز : هو البطيخ
خربش : هو السياب من النبات
خربق : هو الانجره والقريص من النبات
خرخرة : نبات اسمه هكذا عند اهل اليمن (المعجم ١٠)
الخروع : هو الطمرا (والخروع معروف)
خريدة : نبات باليمن (معجم ٣١)
خزام : قال في المعجم هو البربران والاول اسمه في اليمن
خزق : هو القريح من النبات
خزله : نبات اسمه في اليمن
خسف : هو الجوز والضبر والاول اسمه في اليمن

خشخاش : هو مادة تستخرج من لبن الافيون
خطم : هو الحرض يعمل منه الخطم المذكور (المعتمد ٥٦٣)
الخطمى : هو ورد الحمار قال في المعتمد ٥٤٦ قيل انه البهار وهو احمر الداخل اصفر الخارج
خفت : هو السذاب (بلغة اليمن) ويسمى الخنف
خنس : هو الجميز (معجم اسماء النبات ٨٣)
خنضور : اسم النبات عند اهل اليمن لم يشرحه في المعجم ٨٣
خوص : هو ورق النخل والدوم
خوضه : نبات من اليمن (المعجم ١٤)
الخوعة : هو البابونج قال الملك المظفر في المعتمد وفي لغة اهل الجبال الخوعة (وانظر المعجم ١٨)
خومل : نبات يسمى في مصر ودنه رومية ويسمى حلقة والاول اسمه في اليمن
الخيل : نبت في اليمن يقابله شجرة الحلتيت والانجدان

داحبة : ذكرها في المعجم من اسماء النبات في اليمن وهو نبات لم يشرحه
الدادي الرومي : هو الهطنداس ويسمى لحية التيس
دارح : = ذارح
الداو شيشعان : هو الاسفلا ليوس نبات كذا ذكره في المعتمد ٥٥٨
الداركيسة : هي البسباسة
الدباء : هو اليقطين
دبا الهند : هو الببابا والعنبة
دجر : هو اللوبيا
دخن : ذرة معروفة
الدردار : قال في المعتمد هي شجرة البق (المعتمد ٥٦٦)
درف : = ذرف
دعدع : نبات اسمه اليمني (المعجم ٩٤)
دفران : هو الشوحط ومن اسمائه برطم صغير والعنشط

الدعبب : هو الكعثوب المعتمد ٥٧٠ ولم يشرحه وفي موضع اخر ص ٥٦٣ الدعبب حب الزلم
الدكوك : هو الاشنان وسمى الحرض وله اسماء اخرى
دمع : اسم النبات عند اهل اليمن (المعجم ١٠٢)
دوم : هو المقل المعتمد ٥٦٥ وفي موضع الدوم هو الخضلاف
ذارح : ذكره في المعجم من اسماء النبات اليمنية
ذارنج : قال المظفر موجود في الذارعي وملحان امنحانه اذا دلك به الجسد احرق ويقرح
ذحف : نبات مذكور في المعجم ونسبته الى اليمن
ذرف : نبات من اليمن المعجم ٨٣
ذرم : هو خشب الساج الهندي
ذرة الحبشة : هو بصل العنصل قال المظفر يسميه اهل الجبال ذرة الحبشة
ذنب الشور : اسمه في اليمن وسمى عند غيرهم ذقن الشيبة

ذنب الفرس : هي البقلة الحمقاء
الراسخت : هو نحاس محرق
الرباح : هو الحماط والتين الجبلي
الربرق : هو عنب الثعلب (المعجم ٧١) وقال في المعتمد ٣٣٧) ثمر مستدير له لون اخضر واذا نضج صار احمر
الرجلة : هي البقلة الحمقاء
ردح : هو المعروف بالميسة ومشواط الغراب عند غيرهم
الرقع : هو جوز القى ، قال في المعتمد بلغة اهل اليمن الرقع
رقمة : نبات اسمه في اليمن هكذا (المعجم ٣١)
رنجس : هي القطيفة والمخملية ذكره في المعجم لاهل اليمن ولم يشرحه
انـد الكلب : نبت اسمه في المعجم منسوب الى اليمن ولم يفسره
رويل : هو المعروف بزبل العبد في سوريا ومن اسمائه (ذنون)
الريباس : هو السماق البري
ريحان : نبات من اليمن ذكره في المعجم مكتفيا بالاسم فقط في المعتمد ٥٦٣ هو الخندقوقي (معروف) وانظر المعجم ١٨٣ مطابق لما هنا

ريحان يماني : هو القطف والخوشان من النبات
رين : هو القرقدان قال الشهابي في معجمه هو ابو طيلون ذو سنين
الريهقان : من اسماء الزعفران
زبيب غنم : هو الحشف
الزاوق : هو الزئبق
زرام : ذكره في المعجم ٦٥ منسوبا الى اليمن ولم يشرحه
زردج : هو العصفر
الزرنباد : حشيشة تشبه السعد لكن اعظم واقل عطرية وهي السوسن
زغاف : هو شوك العنب
الزفت : هو القار اليابس
الزنبق : هو الياسمين

الزنجي : هو شجر الصندل الاخر : قال الملك المظفر : ويسمى الزنجي وهو في جبل ملحان ويسمونه بلغتهم وبوقدونه (المعتمد ٥٦٦)
رته : قال في المعجم ١٢٥ هي الرمة
زهر الزر : هو القرنفل
زهر البقر : نبات ذكره في المعجم ١٩٠ منسوبا الى اليمن
الزوفا الرطب : ه هو صمغ الازفاب المعتمد ٥٦٧
الزوان : هو الشيلم
ساق الغراب : هو لبخ الجبل في سوريا وسمي ايضا طربش وكباث
سبع : هو غسل الرأس
سبيسبه : هو السوسب ذكره في المعجم ٧٩ ولم يشرحه
السبيعة : هو المازريون (سبق)
سحيل : نبت ذكره الى اليمن (في المعجم ٥٨) وفي ٥٧ هو الغرف
سرح : هو المرو قال في معجم الالفاظ الزراعية ٤٦٩ هو الصعتر نبات عطر طبي
سعادة : نبات يسمى في الجزائر لبين وعند الشهابي ١٢٥ سعادي جنس نبات من الفصيلة السعدية
سقية : نبت ذكره في المعجم الى اليمن ولم يشرحه
سلبه : ويسمى ايضا في السودان دواء قال في المعجم ٤٤ هكذا يسمى

سمار الحصا : ه هو الاسل (المعتمد ٥٥٩) وفي المعجم ١٠٢ يسمى في الشام بابير وغيره
السماق : هو التمتم
سمر : هو شجر الظبة
سنباذ : هو السنباذج شرحه المظفر بقوله هو حجر كأنه مجتمع من رمل خشن ويكون منه حجارة متجسدة
السنف : هو الشكاعي وابرة الراعي (سبق) وفي موضع اخر في باذا ورد هو الشوكة البيضاء ويسمى في تعز وسائر الجبال السنف يعلف به البقر ويسمى الشكاعي (المعتمد ٥٥٨،٥٦٠) (وانظر معجم اسماء النبات ١٣٩ وص ٣)

سنيام : هو الكمب واللبان كذا عند الدكتور احمد عيسى ولم يشرحه
سوجع : هو الخلاف (صنف من الصفصاف)
سورق : هو ساق الغراب والمرو سبق
سوسل : هي سنبلة النسم (المعجم ١٥)
سويد : هو القيان (فسره في المعجم بانه عدس حبشي)
سيف : هو سيف الرباح لم اجد شرحه
شاف الغراب : هو البر شياوشان وهو شعرة الفول والكزبرة وكزبرة البئر ويسميها اهل الجبال ، شاف الغراب كذا في المعتمد ٥٦٠
شبح : هو الحرج من النبات (معجم ٣٦)
الشبرم : يسمى يتوع والتسمية الاولى ليست خاصة باليمن وانما شرحه الملك المظفر بهذا الاسم لانه المستعمل عندهم (انظر المعتمد ٥٧٢)
شجر ابيض : يسمى الشيبة وفي سوريا ذقن الشيخ

شجر النّمر : هو حنية النمر ، كذا في المعجم ٢٤ والاولى يمنية
شجر الرعاف : هو حبق القرنفل قال المظفر يسمى باليمن شجر الرعاف (المعتمد ٥٦٠) وفي المعجم ١٢٦ هو الريحان وله اسماء اخرى
شجر مريم : هو نبكنشث بذر شجرة يسمى بلغة التهايم شجرة مريم (المعتمد ٥٦١)
شخاخ كلبي : نبت كذا ذكره في المعجم ١٠٣ منسوبا الى اليمن ولم يشرحه (والشخاخ البول)
شخص : كسابقه لم يشرحه
شدخ هندي : نبات اسمه هكذا في اليمن (لم اجد تعريفه)
شراج : قال المظفر هو شجر الحلوب باليمن يسمونه اهل المخلاف شراج (المعتمد ٥٦٣)
شرع : نبات باليمن لم يشرحه المظفر وفي المعجم .. هو العطر والغشوة (تنظر)

شرور : نبات سمي ايضا قصور وشخب والاول الاسم اليمني

شعث : هو الحقوة انظر (معجم اسماء النبات ١٦٦)
شعوس : هو الشيخ بلغة اليمن
شقر : هو الريحان في كلام حضرموت (المعجم ١٢٦) قلت هي عامة عند اهل اليمن
الشكاعي : هو السنف سبق
الشهار : هو الرازيانج (معروف)
شمش : هو البرتقال ويسمى ابو صغير
شميزة : اسمها في اليمن ويقابلها يبوسة ولا اعرفها
شنف : نبات ذكر اسمه هذا اليمني صاحب المعجم ٦٥
شوجب : من نبات اليمن لم اجده
شوحط : قال المظفر هو النبع (المعتمد ٥٧٢) وفي معجم اسماء النبات ٨٩ هو الشريان (وخباه سمي الفتح)
الشوحة : هي الحدأة (الطائر)
شوزم : اسمه اليمني يقابله الفطح (انظر المعجم ١٤٩)
شوس : من نبات اليمن يقابله النبات المسمى بالشعرى (معجم ١٤٣)
شوك الحمير : هو الخرشف البحري
شرع : هو شجر اللبان
شوك العجوز: نبات منسوب الى اليمن (معجم اسماء النبات ٥٣)
الشوكة البيضاء : هو السنف (سبق)
شهلوك : نوع من الخوخ
شوقب : نبات لم يعرفه صاحب المعجم ولم اجده في غيره (منسوبا الى اليمن)
شويك : هو الحوقم والاول يمني (اسماء النبات ١٤١)
الشيان : هو دم الاخوين
شيخ خراساني : نبات فسره المظفر بالوخشيزق وهو في المعجم الشيخ وقال (شيخ خراساني هي الحشيشة الخراسانية) (ومعجم أسماء النبات ٢٢)
شيقر : نبات قال في المعجم هو عود السم
شيلة : نسبة الى اليمن والجزائر في (المعجم

١٤٠، ٦٦) وقال يسمى ايضا اللب والكاج ونشك وكلها فارسية

الصدخ : حصو البقلة اليمانية

الصعتر : هو الزعتر وسمي ايضا الحاشا والكاشم

صورم : نبات ذكره في المعجم الى اليمن ١٤٤

طراح : هو شجر الحلوب بلسان اهل تعز

طعام : نسبه الى اليمن في المعجم ١٥٧ ولم يشرحه وفي معجم الشهابي هو الحنطة والقمح قلت هو الاسم الدارج له الى اليوم.

طعم : كسابقه وهو الدخن والذرة والحب (معجم ١٦)

الطلق : ذكره في المعجم ٨٤ وقال اسمه ايضا طلوق وفي المعتمد ٥٥٩ هو اسم لاقراص الكوكب.

طفلق : نبات ذكره في (معجم الاسماء ٥٨)

طم : ذرة نيلي ويسمى الجاورس (انظر المصدر السابق ١٧٢)

الطنب : هو الاسحل والسبستان وغيره

طهية : هو الحجدب

طيب العرب : هو الاذخر

الظبة : هو اسم للأبنوس في اليمن

عبب : هو نبات عين الغراب والمرجان الفقيشي (المعجم ١٩٠) ٥ ودمع في موضع اخر ١٠٢ وفي المعتمد ٥٧٠ العبب هو الكاكنج

عبلة : نبات اسمه في اليمن

عبهر : هو النرجس

العبيثران : هو الغبيراء قال المظفر ويعرف في اليمن بالعبيثران

عبيل : هو نبات النجيل وسمي ايضا نجمه والاول اسمه في اليمن

عثار : اسمه في اليمن ولا اعرفه (معجم ٣٤)

عثرب : نبات اسمه في اليمن كما ذكر الدكتور احمد عيسى في معجمه

العدمية : هي التوتيا

عدار : نبات من اليمن ذكره صاحب المعجم في موضعين ١٤٤ر١٧٥

عدين : نبات من اليمن (المعجم ٥)

العرعر : هو المسمى بالابهل وهو الذكر منه كذا في المعتمد ثم فسره في موضع اخر بقوله العرعر هو السرو الجبلي وفي مادة ابهل قال ص ٢ : هو صنف من العرعر كثير الحب وثمرته حمراء دسمة شبه النبق في قدرها ولونها وما داخله مصوف له نوى ولونه احمر اذا نضج كان حلو المذاق

العرصم : هو الابروج (المعتمد ٥٥٨)

العرفج : هو الغافث قال في شرحه الملك المظفر « هو من نبات المستأنف كونه في كل السنة ويستعمل في وقود النار ويخرج قضيبا واحدا قائما دقيقا اسود صلبا خشنا عليه زغب طوله ذراع واكثر

عرقيص : هو نبات المتن (معجم ٧٠) والشنظب (ص ١٣٦)

العرنج : هو الغافث السابق ولعله تصحف على ناشر كتاب المعتمد (انظر ٥٦٩) و(المعجم ٧)

عروق حمر : هي الفوة

عروة : نبات من اليمن (المعجم ٧)

عريام : هي العيثة في الجزائر ويقال لها ايضا هيثام

عسم العسمة : نبات منسوب اسمه الى اليمن

عسنب : نبات اسمه اليمني

العشرق : هو السنا (المعتمد ٥٦٦)

عصفاي : نبات يمني (المعجم ٢٧)

العصفر : هو الاحريض (المعتمد ٥٥٨) والبهرم والبهرمان ويسمى ايضا المزين وكلها في كلام اهل اليمن (المعتمد ٥٦١)

عضار : اسم لنبات عند اهل اليمن

العظلم : هو الجعده وتسميه اهل صنعاء الهلال

عقيس : هو النعيم في سوريا ومن اسمائه حمشد ومحوط وحليم

علف : هو السخم

العلفطان : هو الزاج الاصفر (المعتمد ٥٦٥)

العلقم : هو الحنظل

العلقي : هو الطحلب وقيل هو البلسان

علن : هو ثمر العناب ويسمى ايضا ارج وسنجد

عناب : هو الزخرف (المعتمد ٥٦٥)

عناص : اسم نبات من اليمن
عنب : هو العنبة ويسمى ايضا انبه (هندية)
عنب بريش : هو المض والخرميش
عنص : ذكره في المعجم ١٠٩ منسوبا الى اليمن ولم يشرحه
عنصيف : هو البابونج والاقحوان ونوار الربيع وله أسماء اخرى (المعجم ١١٥)
العنفقان : هو المسمى بأكليل الملك والعنوص وهذا شرحه الشهابي بقوله حندقوقي حقلي «معجم الالفاظ الزراعية ص ٤١٩»
عوجه : هو المر الصافي (المعجم ٥٥)
العوسج : هو الغرقد (المعتمد ٥٦٩)
عويد : نبات في اليمن
غاف : نبات من اليمن
غاقة : هي اللعية ويقال لها ايضا غاغة
غبيره : هي البعيثران
الغرار : هو الكرساني (المعتمد ٥٧٠)
الغـرم : هو امير باريس نبت (انظر خصائصه في المعتمد ٨)
الغبريا : هو المازريون واسد الارض والخاملا (نبات)
غزيرة : نبات ذكر نسبته الى اليمن صاحب معجم اسماء النبات ١٦٧
الغسول : هي اشنان القصارين
غشوة : نبات من اليمن (المعجم ٢٣)
غيم : هو اسفنج البحر
الفـارعة : هو السندروس وهو صمغ اصفر شبيه بالكهرباء الا انه ارخى منه وفيه شئٌ من المرارة
فاشرا : هو الكرم الابيض
فاغية : هو نوار الحنا ويعرف بالحنون
الفاغرة : هي حبة العروس قال في المعتمد هو حب الكبابة وهو نبات مثل الفلفل ولها اذان في اطرافها والصغيرة العلنجة ولونها اصهب
فاوانيا : هو عود الصليب ويسمء ورد الحمير نبات
الفج : هو البطيخ
فدحدحان : وسمي المليح (نبات)
فراسيون : قال المظفر هو بلغة اهل الجبال كسر عيونه وهو نبات ذو اغصان كثيرة مخرجها من غصن واحد عليه زغب يسير ولونه ابيض واغصانه مربعة وله ورق مقدار اصبع الابهام
فرعوجة : نبات ذكره صاحب معجم اسماء النبات ١٢٤ ونسبه الى اليمن
فركس : هو الخوخ الاورع وكذا في المعتمد ٥٦٩)
الفروش : هو الصنوبر
فسفسة : نبات ذكره في معجم النبات ١٨٨ ونسبه الى اليمن
فسوة الذئب : هو القعبل (نوع من الكمأة)
فصفصة : هو البرسيم يزرع على الماء ولا يجف صيفا ولا شتاء ويسمى الرطبة وهي القت والقضب
فقاح الخداف : هو زهر الصفصاف
فل اصفر : هو العرار والبصيصل
فل : معروف
الفلفل الاسود : هو الباباري
الفضيخ : هو البتع بنبذ التمر
الفنا : هو عنب الثعلب
االفوفل : هو البندق الهندي
فويع : نبات من اليمن
القبار : هو الكبر وهو اللصف
قبب : نبات ذكره في المعجم ١٠ منسوبا الى اليمن
قتادة : هو صمع هشاب
القرفة : نوع من الدارصينى (المعتمد ٥٦٤)
القرقوص : هو البطيخ الرومي
القريص : هو الانجرة ويقال له ايضا الخربق
قشيري : هو الماش ويقال له ايضا اقطن (انظره)
القصلم : الطرف ويسمى في لبنان حشيش الريح
قصيف : قال في المعجم ١١٣ هو الشيقر او عود السم
القضب : هو البرسيم (المعتمد ٥٦٩)
قطب : قطب
قطبة : هو القطب (نوع من الشوك) وفي المعتمد ٥٦٣ هو الحسك وبلغة البادية قطبة
القطف : هي البقلة الذهبية ويقال لها بقلة الروم (المعتمد ٥٦١ والمعجم ٥٥)

القعس : هو الكروبا ويقال له كمون ارمني
قف : هو الاس البري
قفل : قال (ابن سيده) : من شجر الجبل مثل شجر الاجاص
القلقاس : هو المعروف بآذان الفيل ويسمى ايضا وقعنب (المعتمد ٥٥٨)
قلقل : ويسمى حب القلقل وحب الرمان البحري اوبزر الرمان
قلمة الراعي : ذكرها في المعجم ٩٤ ونسبه الى اليمن
قمح : هو البلسان في كلام اهل اليمن
قنا : قال المظفر هو المعروف عند عامة المغرب بالكلخ
القنقلة : هي البقلة الحمراء بلغة اهل الجبال وتسمى الرجلة (المعتمد ٥٦١)
القنة : قال المظفر هو البارزد بالفارسية ويسمى خلباي ولزاق الذهب (انظر المعتمد (٥٦٠ والمعجم ٨٢)

قيصم : هو المعروف بالنسير والاول في كلام اهل اليمن (المعجم ١٠٣)
الكاذي : قال المظفر هو الكدر وهو الذي يعمل منه شراب وفي (المعتمد ٥٧٠) وفي المعجم الكاذي لفظة هندية
الكاشم : هو الزعتر ويسمى الحاشا (المعتمد ٥٦٥)
كبا : هو العلك الرومي وهو المصطكا (المعتمد ٥٧٠)
الكبح : هو الدفل ويسمى المسحب
الكدر : هو الكاذي سبق (المعتمد ٥٧٠)
الكراويا : يسمى القردمانا قال المظفر هو الكراويا الهندي
كرساني : هو الغرار كذا شرحه المظفر ولم يفسره ووجدته في المعجم ٥٩ يقابله اسم نعيم وندرة من النبات
كرسب : هو القهام (المعجم ١٦٧)

الكركم : قال المظفر هو تمر الكزمازك والعذبة كزمازك هو حب الاثل (كذا في المعتمد ٥٧٠)
الكزبرة : يسميها اهل الجبال شاف الغراب كذا عند المظفر (المعتمد ٥٦٠) وفي موضع اخر ٥٧٠ كزبرة البئر هي البرشياوشان
الكشط : قال المظفر هو العليط
كشكشى : قال في معجم ٧٠ هو الجنزير وفسره في موضع اخر بالحلبوب والخربوب
كمثوب : هو الدعبب (انظره)
كف عائشة : هو اصابع صفر وهو بقدر كف الطفل الرضيع وفي شكله ذو خمس اصابع او ست (المعتمد ٥٥٩)
كف مريم : انظر كف عائشة
كفعان : اسمه في اليمن وفي المعجم هو الرصين والشاكر ربه
كلبان : نبات هذا اسمه في اليمن (المعجم ١٥٠)

كلخ : هو الاشق والوشق (المعتمد ٥٥٩)
الحلبية : ذكره في المعجم الى اليمن
الكندس : قال المظفر هو شجر سراج الظلام
كنه : هو المصطكا
الكنب : هو الجاروش والذرة الحمراء عند اهل سوريا
كنيب : هي الحنطة الرومية وسمي ايضا السلت والشعير الهندي (المعجم ١٨٣)
كوار العبيد : نبات نسبه (في المعجم ١٢) الى اليمن
كوش : اسمه في اليمن ويسمى نوف ذكره في المعجم ولم يشرحه
اللاذنة : هي لسان الحمل (انظر المعتمد ٥٧١)
اللاعبة : هي قاتل الحيتان (المعتمد ٥٦٩) وفي موضع اخر ٥٧١ قال لاعبه موجودة في اليمن لها نفع عظيم في لسع ذوات السموم
اللبان هو الكندر الابيض (المعتمد ٥٧٠)
اللبلاب : هو البقلة الباردة كذا عند المظفر
اللبلابة : يسمى فوذنج بري قال في المعتمد ٣٧٢

هو بري وجبلي ونهري واهل الشام يسمونه الصعتر
لخاخ اسمه في اليمن ويسمى لاخ وسان ولم اجده
لزاب : هو المرزنجوش (فارسه ومعناه اذان الفار)
وله اسماء كثيرة منها مردقوش وبردقوش وعنفر
وعيسوب وسمسق وريحان دواود ومريحانه وانجوك
وملوك وجنف الفيل والاول اسمه في اليمن كماذكر
الدكتور احمد عيسى في معجم اسماء النبات ١٣٠
لزاق الذهب : هو الوشج (المعتمد ٥٧٢)
لسان البقر : نبات نسبة في المعجم الى اليمن
اللصف : هو الكبر ويسمى ايضا القبار (المعتمد ٥٧٠)
لصيق : اسمه في اليمن ومصر وهو اللصاق ايضا (المعجم ٨٤) ف وفي موضع اخر ١٤٤ هو الحمشد

لصيقة : نبات يعرف ايضا بحناء الغول والحرشة والكحيلة والاول اسمه في اليمن (معجم ٧٤)
لفت : هو السلجم
لهانة : هو القرنبيط في كلام اهل اليمن ومن اسمائه بيض العيار وهو الكرنب
لوع : يسمى ايضا لعد وعدم وامير ياسر والاول يمني
الماسكة : قال المظفر يعرف بمولد السرور
محاح : هو الاذخر
محرقة : هو القريص سمي بذلك بسبب ان ورقه اذا اصاب عضوا اصاب به حكة وتقريصا
مدان : نبات نسبه الى اليمن الدكتور احمد عيسى (في معجم النبات ٥٤) وفي موضع اخر ١٤٣ قال هو المبيسة ولم يشرحه
مدح : هو البدح ويسمى حميض وتين جبلي والاول اسمه في اليمن
المرتكة : قال المظفر هو المرداسنج (توسع في شرحه في المعتمد ص ٤٩٢)
مرخ : هو الدفس كذا في المعجم ١٣٦ ولم يشرحه ووجدت عند الشهابي ٣٨٨ «مرخ جنبه برية من الفصيلة الصقلابية تنبت في الشام وفي اللسان المرخ من شجر النار كثير الوري »

المرزنجوش : هو الانجرك (المعتمد ٥٦٠)
مرير : يسمى في غير اليمن لبين وحوه ونقد وكباش
المزين : هو البهرم والبهرمان وهو العصفر
مسعاطين : هو لبن العشر
مسك : نبت نسبه (في المعجم ٧٤) الى اليمن
مسواك القرود : هو الاشنة (انظره)
المضار : هو قصب السكر (في كلام اهل اليمن)
مظ : هو قشر الرمان البحري ويسمى مشكطرامشير (المعتمد ٥٧١ المعجم ١٧)

معص : ذكره الدكتور احمد عيسى منسوبا الى اليمن ولم يشرحه
نبت الزانية : هو باذروج وحبق القرنفل وهو الريحان قال المظفر واهل صنعاء يسمونه نبات الزانية
النبيت : هو الاقحوان (المعتمد ٥٥٩) (المعجم ٤٨)
النطرون : هو البورق الحجري
نعوذ : هو النهام والنعنع
نهام : المرزنجوش
النورة : هو الكلس
النيلج : هو النيل (معروف)
وقيد الجبس : هو العنصل
الهرد : هو الكركم
هرم : نبات من اليمن ذكره في (المعجم ١٦١) ولم يشرحه
هريجة : هو المازريون الهندي ، والاول اسمه في اليمن
الهلال : يسمى جعده قال في المعتمد (وهو نبات يطلع باليمن تسميه اهل صنعاء الهلال)
هلجلج : اسمه في اليمن ولم يفسره (في المعجم ١٧٦)
الهيل بوا : هو شوشمير (المعتمد ٥٦٧) وفي موضع اخر ٥٧٢ هو هيل قاقلي ويعرف بالقاقلة
واله : نبات نسبه (في المعجم الى اليمن ١٤٨)
وبل : كسابقه
الودع : قال المظفر هو سوار الهند

ورس : موجود في اليمن معروف (المعتمد ٥٧٢)

وزرة : نبات ذكر الدكتور احمد عيسى نسبته الى اليمن

الوسمة : هو الخطر قال في المعتمد ٥٦٤ هو ورق النيل ، ذكره في المنهاج انه الكتم وفي موضع اخر (٥٧٠) الوسيمة الكتم .

ولع : قال في المعجم ٤٧ هو شقر الحمار

ونم : قال في المعجم ١١٦ هو الدريس والنفل

الويكة : هي الملوخية «المعتمد ٥٧١»

يتوع : هو الشبرم

يحداب : هو المرار (المعجم ١٨٣)

يراميع : هو الاسفيذاج (المعتمد ٥٧٢) وفي موضع اخر ٥٥٥ هو الهليون (انظره ص - د)

يسر : هو المارزوان ذكره في المعجم ٣٨ ولم يفسره

يقطم : هو اليبروح (اصل اللفاح) انظر (المعتمد ٥٧٢ والمعجم ١١٤)



ثبت تاريخي ببلوغرافي عن:

«أعلام أدباء اليمن»
في «نفحة الريحانة» للمحبي

د. محسن جمال الدين
عضو إتحاد المؤرخين العرب
وعضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين

الحلقة الاولى

احببت (اليمن) صبياً ، يوم أن كانت خزانة والـدي ـ رحمه الله ـ تضم من بين محتوياتها كتاب (نفحة اليمن) للشيخ الأديب أحمد الشرواني اليمني (١) وهو في طبعة شعبية مصرية تجارية . لم أكن أميز صالح محتوياته ، من طالح هفواته الثقافية والطباعية .

وعشقت أسماعي (اليمن) شاباً ، في نشيد كنا نردده طلاباً ، في مدارسنا ومعاهدنا العراقية . وهو من نظم الشاعر (فخري البارودي) (٢) ومن قوله :ـ

بلاد العرب أوطاني
من الشام لبغدان
ومن نجد الى يمن
إلى مصر فتطوان
□□□
فلاحدّ يباعدنا
ولا دين يفرقنا
لسان الضاد يجمعنا
بغسان وعدنان
□□□
لنا مدنية سلفت
سنحييها وان دثرت
ولو في وجهنا وقفت
دهاة الأنس والجان
□□□

وأخذت أسعى كهلاً ، في متابعة تاريخ (اليمن) وآداب أهله وأعلامه ، وأشعار النوابغ من شعرائه ، وكتبت عنه بعض الدراسات والمقالات ، في صحف ومجلات . (٣) .

وفي كل يوم أزداد فيه إيماناً ومحبة وثقة ، بأن أهل (اليمن) في تاريخهم المجيد ، وماضيهم العتيد ، وحاضرهم الذي يسعى أبناؤه اليوم للخير والبناء والتعمير والتشييد . لابد أن يحتلوا في القريب العاجل ، وهم في ثورتهم الجديدة، وفي جمهوريتهم السعيدة . الموضوع الذي يستحقونه من العناية والإهتمام والبحث والدراسة . للكشف عن جواهر أرضهم المخفية، وثروة مخطوطاتهم العربية الغنية ، لكل ماهو رائع ومدهش . من المؤلفات التي كتبها اليمانيون ، في مجالات علوم القرآن والحديث الشريف، والفقه ، واللغة ، والتاريخ ، والأنساب، والأماكن ، والشعر ، والأدب ، وغيرها من الفنون والصنائع . !!

ولقد استهوتني منذ سنوات قريبة مراجعة مؤلفات أدباء اليمن وشعرائه، ومن كتب عنهم وترجمهم أو أشار الى آثارهم من العرب والمستعربين والمستشرقين .

ورجعت الى (البدر الطالع) (٤) أستنير به في ليل البحث!! والى (نفحة اليمن) أشم عبيرها العابق!!

والى (حديقة الأفراح) (٥) المجول في رحابها،

واقطف من جميل أزهارها!!

وهكذا كنت تراني باحثاً منقباً عن كل ماله صلة باليمن ، وتاريخها ، وأدبائها ، ولغتها ورجالها ، ومشاهير علمائها ، ونوابغ شعرائها ، ونفائس مخطوطاتها ، في ديار المشرق ، والمغرب ، وأرض الاندلس!!

■■■■■■

أخذت فكرة معالجة شخصيات الأدباء والشعراء حسب بلادهم وأقطارهم وأقاليمهم ، تتجلى قبل القرن الرابع الهجري، بصورة منظمة ومرتبة. حيث بدأ علماء العربية، ومؤرخوها ، يوزعون نتاج الادباء حسب التقسيم الجغرافي والبلداني. وكان من رواده العلماء التالية أسماؤهم :-

١ - هارون بن علي المنجم. المتوفي سنة ٢٨٨هـ /٩٠٠م مؤلف كتاب (البارع) . (٦)

٢ - أبو منصور الثعالبي - المتوفى سنة ٤٢٩هـ /١٠٣٧م . (٧)

صاحب (يتيمة الدهر) الذي يعتبر كتابه الرائد الحقيقي لهذا التقسيم .

٣ - أبو الحسن الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م . (٨) . الذي ألف (دمية القصر) .

٤ - الحظيري الورّاق المتوفى سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٢ (٩) الذي وضع (زينة الدهر) .

٥ - وتلاه العماد الكاتب المتوفى سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م (١٠) مؤلف كتاب (خريدة القصر) .

وهذه الكتب في الأغلب لم تفرد كتابا أو باباً خاصاً مفصلا باليمن. الا ما نقله (العماد الكاتب) في خريدته بقسم الشام.

وقد نقل أغلبه معتمداً على تأليف (الشاعر عمارة اليمني) المتوفى سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م. وأستمرت القرون تتوالى ، الى ان جاء القرن الحادي عشر الهجري. فرأينا أقلاما جديدة وأدباء باحثين ، يهتمون بتلك الديار العربية العريقة. ذات الحضارة ، والأمجاد التاريخية والعلمية والأدبية.

ولعل لعزلة اليمن، وبعد الشقة ، وقلة الزيارة لها، وأسباب أخرى يومذاك ،جعلت أولئك المؤلفين الجامعين للشعر وأعلامه يطوون صفحتها، ويتناسون شخصياتها!! ومن بين هؤلاء المهتمين وكتبهم يظهر لنا :-

١ - كتاب (ريحانة الألبا) وزهرة الحياة الدنيا . لشهاب الدين الخفاجي المصري الأندلسي . المتوفى سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م . (١١) .

٢ - كتاب (خلاصة الأثر في أدباء القرن الحادي عشر. لمحمد أمين المحبي الحموي الدمشقي المتوفي سنة ١١١١هـ ١٦٩٩م.

٣ - كتاب (سلافة العصر) في محاسن الشعراء بكل مصر. للسيد علي صدر الدين ابن معصوم المدني المتوفى سنة ١١١٩هـ/١٧٠٧م. (١٣) .

٤ - كتاب (سلك الدرر) في أعيان القرن الثاني عشر للهجرة. لمحمد خليل المرادي الدمشقي المتوفى سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م . (١٤)

٥ - كتاب (حلية البشر) في تاريخ القرن الثالث عشر لعبدالرزاق البيطار المتوفى سنة ١٣٣٥هـ ١٩١٦م (١٥) .

أما في المؤلفات العراقية ، التي سارت في دروب تلك القرون ، أو التي جاءت من بعدها ، فقد أعتنت باليمن رجالاً ، وأدباً ، وتاريخاً وثقافة ، وشعراً ومحبة، وصلة وتعاطفاً ، ومشاعراً واهتماماً ، وزيارة ومراسلة!!

وفي مؤلفات المؤرخين ، والجغرافيين واللغويين والمفسرين والنسابين من أهل الرافدين ، وبلاد مابين النهرين. ومن علماء بغداد والبصرة ، والموصل ، والكوفة ، والنجف الأشرف. الكثير من الأخبار ، والطرائف والأشعار ، والتراجم والأعلام. مايحتاج الى دراسة خاصة، وبحث مستقل!!

وعلى سبيل المثال لا الحصر (١٦):-

١ - تاريخ ابن الاثير الجزري الموصلي.

٢ - تاريخ الخطيب البغدادي.

٣ - معجم البلدان لياقوت الحموي البغدادي

٤ - مراصد الأطلاع لعبد المؤمن البغدادي .

٥ - سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للسويدي (١٧).

٦ - رحلة الى بلاد اليمن لابن الحكيم البغدادي (١٨)

٧ ـ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للآلوسي (١٩)

وتلا ذلك جملة تآليف أدبية شعرية ، مرت على أهل اليمن مرورا سريعا ، وبإشارات عابرة أمثال بعض مؤلفات :ـ

٨ ـ آل العمري الموصليين (٢٠)
٩ ـ آل الغلامي الموصليين (٢١)
١٠ ـ بعض تحقيقات الأب انستاسي ماري الكرملي . (٢٢)
١١ ـ بعض مؤلفات الاستاذ/ عباس العزاوي (٢٣) وغيرهم كثيرون . (٢٤) .

■■■

أما ما يتعلق باليمانيين أنفسهم ، وما تركته أقلامهم ، وآثارهم المخطوطة ، والمطبوعة ، فقد أغنانا الاستاذ العالم القاضي المعروف المرحوم الشيخ / (محمد محمد زبارة) المتوفى سنة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م (٢٥) بما خلفه لنا من كتب مطبوعة ومخطوطة ، نرجع اليها في اخبار وتراجم ومدن وقرى ونواحي المعروفين ، من أدباء اليمن ، وشعرائه وفضلائه . ومن هذه الكتب (٢٦) :ـ

١ ـ ملحق (البدر الطالع) للشوكاني (٢٧)
٢ ـ (نيل الوطر) في رجال اليمن في القرن الثالث عشر . (٢٨)
٣ ـ (نشر العرف) لنبلاء اليمن بعد الألف . في تراجم أعيان اليمن في القرن الثاني عشر . (٢٩) .
٤ ـ (نزهة النظر) في تراجم اعيان القرن الرابع عشر (٣٠)
٥ ـ الحسنيين) بأنساب من باليمن من بيوت عترة الحسنين (٣١) .

وجاء بعده الاستاذ الباحث الاخ/ عبدالله الحبشي (٣٢)

فألف لمراجعي ودراسي ومحبي (اليمن ؛ كتابه ومعجمه المفيد القيم (مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن) وله كذلك :ـ

١ ـ دراسات في التراث اليمني .
٢ ـ مراجع تاريخ اليمن .
٣ ـ فهرس المخطوطات اليمنية
٤ ـ حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول .
٥ ـ الصوفية والفقهاء في اليمن .

الى غير ذلك من تحقيقات وبحوث ودراسات . كان قد نشرها في أمهات المجلات السعودية (كالعرب) ومجلة (اليمن الجديد) الصادرة في صنعاء .

ولا نغفل علم وفضل وجهود القضاة العلماء من (آل الاكوع) (٣٣) وما قدموه من مساع طيبة ، في إحياء آثار علماء اليمن ومؤرخيه . وما قام به الاستاذ العالم الأديب القاضي (الإرياني) . من نشر مخطوطات يمانية أدبية . وما كتبه وحققه الاستاذ الشاعر احمد بن محمد الشامي (٣٤) إضافة الى الثمرات الطيبة اللذيذة المستساغة من شعر وأدب مجموعة كبيرة من الشعراء والكتاب اليمانيين الذين عاصرنا بعضهم وصادقناه وكتبنا عنه . كما جمع بعض تراجمهم وشعرهم الاستاذ الباحث الأخ المحامي (هلال ناجي) ، ومنهم الأخوة :ـ (٣٥)

١ ـ محمد محمود الزبيري .
٢ ـ ابراهيم الحضراني .
٣ ـ عبدالله البردوني .
٤ ـ احمد محمد الشامي .
٥ ـ الدكتور محمد عبده غانم .
٦ ـ الدكتور عبدالعزيز المقالح .
٧ ـ محمد الشرفي .

وغيرهم من الكتاب والنقاد والشعراء الكثيرين . وليس هذا بمستغرب فتاريخ الأدب اليمني يزخر بالمئات والألوف أمثالهم !!

ألم يقل الرسول الأعظم ، النبي العربي محمد (ﷺ) بأن المعرفة الحكيمة مصدرها (اليمن) حيث جاء في صحيح البخاري (ر٥) قوله (ﷺ) : (٣٦) «الحكمة يمانية» .

ثم ألم يذكر العالم العراقي اللغوي الشهير (ابوعمرو بن العلاء) عن شعر اليمن وأدبها بقوله (ر٥) (٣٧) «كادت اليمن أن تذهب بالشعر كله» . !!

الى ماهناك من أقوال وكلمات تدلل على

رسوخ اللغة العربية وآدابها وأشعارها الأولى في اليمن. وأن أغلب مشاهير الشعراء في الجاهلية والاسلام في الجزيرة العربية والمغرب والاندلس من جذور وفروع يمانية، ولولا ظهور الرسالة الإسلامية المحمدية في (مكة المكرمة) و(المدينة المنورة) وبين قبيلة قريش، ونزول القرآن الكريم، في تلك البيئة وذلك المحيط أول مرة. لكان لليمن حديث غير هذا الحديث!! ولا يخفى إن رسالة النبي العربي وقرآن ربه المبين، قد جاء لهداية العالم كله، وللعرب كلهم، وللانسانية جمعاء!!.

التعريف بالمحبي.
وكتابه نفحة الريحانة.

هو الأديب العالم الشاعر محمد أمين بن فضل الله بن محب الله المحبي الحموي الدمشقي الحنفي. (٣٨)

كانت ولادته بدمشق سنة ١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م. وتوفي فيها سنة ١١١١هـ/ ١٦٩٩م. عاش في فترة حكم بعض سلاطين الدولة العثمانية وهم :-

١ - السلطان محمد خان الرابع : ١٠٥٨هـ/ ١٠٩٩هـ

٢ - السلطان سليمان خان الثاني : ١٠٩٩هـ ١١٠٢هـ.

٣ - السلطان احمد خان الثاني: ١١٠٢هـ ١١٠٦هـ

٤ - السلطان مصطفى خان الثاني : ١١٠٦هـ - ١١١٥هـ.

□□ من أساتذته :-

تتلمذ أولا على يد والده الشيخ فضل الله المحبي المتوفي سنة ١٠٨٢هـ /١٦٧١م ثم اتصل بمجموعة من علماء بلده المعروفين المقيمين فيه، والطارئين عليه، ومن جملتهم :- (٣٩)

١ - ابراهيم الخياري المدني المتوفى سنة ١٠٨٣هـ ١٦٧٢م. صاحب الرحلة المعروفة.

٢ - ابراهيم بن منصور القتال المتوفى سنة ١٠٩٨هـ ١٦٨٦م.

٣ - شهاب الدين احمد بن محمد النخلي المكي الشافعي المتوفى سنة ١١٣٠هـ /١٧١٧م.

٤ - أحمد بن محمد بن عبدالوهاب الحلبي الحنفي المتوفى سنة ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م.

٥ - حسين بن محمود العدوي الشافعي المتوفى سنة ١٠٨٧هـ/ ١٦٨٥م.

٦ - عبدالغني بن اسماعيل النابلسي المتوفى سنة ١١٤٣هـ/١٧٣٠م.

٧ - علاء الدين محمد بن علي الحصكفي الحنفي المتوفى سنة ١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م.

٨ - محمد بن لطف الله العربي المتوفى سنة ١٠٩٢هـ/١٦٨١م.

٩ - محمد بن سليمان الفاسي المغربي المالكي المتوفى سنة ١٠٩٤هـ/١٦٨٢م.

١٠ - يحيى بن محمد بن عيسى النابلي الجزائري المالكي المتوفى سنة ١٠٩٦/ ١٦٨٤م.

وغير هؤلاء عدد وافر من الادباء والقضاة والوجهاء ممن تعددت بلدانهم ومشاربهم واتجاهاتهم الفقهية واللغوية والادبية.

وقد تولع (المجبى) بالسفر وطلب العلم من منابعه ومناهله. وقام برحلات متعددة منها :- (٤٠)

١ - رحلة الى القسطنطينية عاصمة الخلافة العثمانية، التي كانت تعرف ببلاد الروم، أيام السلطان (محمد خان الرابع).

٢ - رحلة الى الديار المقدسة، لأرض الحجاز لغرض الحج. والمجاورة في الحرمين الشريفين، والأتصال بعلماء المسلمين الوافدين لزيارة (مكة المكرمة) و(المدينة المنورة). ولقد استقى معلوماته عن (اليمن) وأدبائه وشعرائه وشخصياته البارزة، أيام وجوده مجاوراً هناك قبل عودته لوطنه بلاد الشام.

٣ - زيارته للديار المصرية وتعرفه على جماعة من أهل العلم والفضل في (القاهرة)، والإفادة منهم، ثم رجوعه لبلده. وهو في كل حالات الاقامة والسفر والقرب من أهله وخلانه. وربوع آبائه وأوطانه لم ينس يوماً فضل أساتذته ولم يغفل واجب من أخذ بيده منهم، في طريق بحثه ودراسته!!

وكان يسجل مايراه، وينقل مايسمعه،

ويستزيد من علم من يفيده ويرشده!! مع تواضع في الطلب ، ولطف في التحدث ، وسماحة في النفس وإيمان في القلب ، وتحمل على المكاره وتذليل للصعاب . !!

□□ من طلابه :-

لاشك أن لمؤلف نفحة الريحانة الشيخ (المحبي) الكثير من الطلبة الذين أخذوا العلم عنه ، وتلقوا المعرفة عن طريقه وهم متناثرون هنا وهناك وهنالك في ديار الشام والجزيرة العربية ومصر. ولعل منهم من العراق ، وأماكن من الدولة العثمانية . غير أن أبرزهم الذي سار في دربه ، وتتبع خطواته في التأليف هو تلميذه . (٤١)

١ - الشيخ محمد بن محمود المحمودي السؤالاتي الحنفي العثماني، الذي كان حياً سنة ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م. وهو الذي جمع ورتب بعد استاذه (ذيل نفحة الريحانة) .

٢ - الشيخ محمد بن السمان ، الذي صنع ذيلاً آخر لنفحة استاذه ، وهو معاصر ولا شك لزميله الشيخ محمود بن محمود السؤالاتي الحنفي .

□□ آثاره ومؤلفاته :-

ترك (المحبي) رحمه الله العديد من المؤلفات التي لها قيمة أدبية سامية . بما حوته من تراجم وأشعار ونصوص نثرية فقدت أكثر مصادرها ومراجعها ومظانها ، ونسيت أصحابها . لتقادم الزمن عليهم ، ولعدم معرفة الناس لهم، فطوى ذكرهم مرور الأيام ، وتعاقب ذوي السلطة والجاه من بعدهم ، من الملوك والرؤساء والحكام!!

ولقد خلف لنا مجموعة من الكتب ، التي لازال بعضها مخطوطا منسياً وبعضها الأخر مطبوعاً متداولاً . ومن هذه المؤلفات المختلفة الاتجاهات العلمية والادبية ، واللغوية التي عددها الاستاذ الفاضل الدكتور (عبدالفتاح محمد الحلو) محقق الكتاب في مقدمة (النفحة) . نجد الكتب التالية : (٤٢) .

١ - كتاب الأمالي - لم نره - وهو في الأدب .

٢ - كتاب جني الجنتين ، في تمييز نوعي المثنيين . وهو في النحو وقد طبع

٣ - حصة على ديوان المتنبىء - ولم نره - وهو في الأدب .

٤ - خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. وهو في التراجم والسير وقد طبع في أربعة مجلدات في مصر. منذ سنوات طويلة .

٥ - الدر الموصوف ، في الصفة والموصوف . - ولم نره - وهو في النحو .

٦ - ديوان شعره . وبعضه في (الخلاصة) و (النفحة) - ولم نره - مجموعاً قائماً بذاته .

٧ - قصد السبيل ، بما في اللغة العربية من الدخيل . ولم نره - وهو في اللغة ، لازال مخطوطا . ولعله سار فيه على طريقة (الخفاجي) المتوفى سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م .

مؤلف كتاب (شفآء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل . المطبوع قديما في (الأستانة) سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م . مع درة الغواص في أوهام الخواص. (للحريري) البصري المتوفي سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٣م .

٨ - مايعول عليه في المضاف اليه. في الأدب واللغة ولم نطلع عليه .

٩ - الناموس ، حاشية على القاموس، في اللغة . لم نطلع عليه.

١٠ - نفحة الريحانة ، ورشحة طلاء الحانة ، في التراجم والسير والأدب . وقد طبع في ستة مجلدات في مصر بدار احياء الكتب العربية سنة ١٩٦٧م/١٣٨٧هـ وهو شقيق متمم لكتابه الأخر (خلاصة الأثر ، في أعيان القرن الحادي عشر.) الذي طبع في القاهرة لأول مرة سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م

خطة الكتاب

وحصته (اليمن) منه :

سار المؤلف على خطة ثمانية أبواب ، وجعل لكل باب من أبوابه درباً يسير عليه من دروبه

الثمانية. وجآء بهذه الصورة: (٤٣)

١ - الباب الأول - عن محاسن شعراء دمشق ونواحيها.
٢ - الباب الثاني - في نوادر أدباء حلب.
٣ - الباب الثالث - في نوابغ بلغاء الروم (أي الدولة العثمانية).
٤ - الباب الرابع - في ظرائف ظرفاء العراق والبحرين.
٥ - الباب الخامس - في لطائف لطفاء اليمن.
٦ - الباب السادس - في عجائب نبغاء الحجاز.
٧ - الباب السابع - في غرائب نبهاء مصر.
٨ - الباب الثامن - في تحائف أذكياء المغرب.

وكان مصدره عن اليمن والحجاز، ماسمعه مشافهة، ونقله خطاً ومكاتبة، من الذين عايشهم واتصل بهم اثناء وجوده في بيت الله الحرام، ومسجد الرسول الكريم (ص).

كما أنه اعتمد على مجموعة من المؤلفات الأدبية والشعرية، والصوفية، والتاريخية، لمؤلفين من بلاد اليمن، ومن بلاد الشام، وبلاد الدولة العثمانية، ومن هذه المؤلفات التي أعتمدها في (النفحة) و (الخلاصة) (٤٤).

١ - بعض مؤلفات الغزي.
٢ - بعض مؤلفات البوريني.
٣ - بعض مؤلفات الخفاجي.
٤ - بعض مؤلفات البديعي.
٥ - بعض مؤلفات الفيومي.
٦ - بعض مؤلفات إبن معصوم المدني.
٧ - بعض مؤلفات إبن أبي الرجال اليمني.

وغير هذه المصادر التي سبقت أيامه وعاصرها.

عدد تراجم أدبآء اليمن فيه:-

إحتوى (الباب الخامس) من الكتاب على (٧٥) ترجمة وردت من صفحة ٢٣٩ لغاية صفحة ٦٠٩ في المجلد الثالث. وهي تتوزع بين حكام، وفقهاء، وقضاة، وأدباء وشعراء، احتضنتهم واخرجتهم مدن، وقرى ونواح يمانية. أمثال: صنعاء، وذمار، وتعز، وسحول، وكوكبان، والمخاء، والوشل، وصعدة، والشرف، والحيمة، وغيرها من الاماكن. وقد لاحظت أنه يضم بعض الإخوة (الحضارمة) مع اليمانيين، وذلك لوحدة البلاد القومية، والجغرافية يومذاك. (٤٥)

إسلوب المؤلف:-

في طريقة عرض التراجم:-

إن اسلوب (المحبي) وطريقته في التراجم، لاتختلف عن نهج كتابته العامة، التي امتازت بها مؤلفاته فقد طغت عليها أساليب عصره من الأطناب، والسجع، والمزاوجه، والتقديم، والتأخير في الجملة، والاستناد على الشواهد القرآنية، والاحاديث النبوية. والأمثال والأبيات الشعرية العربية، وذلك لحاجته للبرهان، والاقناع، والابانة، والدليل.!!

قال الاستاذ (الحلو) محقق (النفحة) عن اسلوبه (٤٦) «فهو صاحب نثر فني يقارع به كتاب عصره، ويغلبهم على ما أرادوا من سجع ملتزم، وأزدواج يسيطر على اسلوبهم.».

واستمر يقول:-

«نجد هذا واضحاً في صدر التراجم التي اثبتها لمعاصريه، في (خلاصة الأثر) وفي (نفحة الريحانة). كما تجده فيما دار بينه وبينهم من مراسلات ومحاورات، وبين لنا عن براعة (المحبي، في الشعر فقال:

«وكما برع المحبي في النثر، فقد ضرب بسهم وافر في الشعر، والنفحة مشحونة بمعارضاته، ومراسلاته، للشعراء كذلك فقد أورد طرفا من شعره في (خلاصة الاثر) ونحن الآن نورد (نموذجاً مختصرا من نثره وبعض شواهد شعره. (٤٧).

قال: في (الباب الخامس) في لطائف لطفاء (اليمن) مقدما لتراجمه: (حلية الأرض ونقش فص الأماني، الواصلون في الردع خطومهم بكل رقيق الشفرتين يماني».

«مامنهم الا كتب المسند ، وحدث عن العلياء وأسند» «واذا طاول المدى جياد الشعر في الميدان ، مسحوا منه بغرة أبلق ليس له في حومة السبق من مدان . . وأردف قائلا :-

«الراسخون علوماً ، الباذخون حلوماً» .

«سمحوا للمعالي وهم صبية
وسادوا وجادوا وهم في المهود

«ونالو بجدهم جدهم
فان الجدود علا للجدود

وختم قوله :-

«وقد سخر الله لهم الفصاحة حتى انقادت في أعنتهم ووهبهم البراعة حتى عرفت في أجنتهم .

●●●

المختار من أعلام اليمن في نفحة الريحانة :-

ان التراجم اليمانية في الكتاب كثيرة ، والقصائد والرسائل طويلة وقصيرة . لذا سأحاول تقديمها بصورة موجزة ، بحيث تعطينا الاطار العام لشاعرها ، والتاريخ المختصر لناظمها ، وسأجعل لكل مقطوعة شعرية عنواناً لمضمونها ، ورقماً متسلسلاً لصاحبها ، مع الاشارة للمصدر أو المرجع الذي ترجم له ، وعرف بحياته وآثاره إن وجد بين يدي!! (٤٨) .

□□ الهوامش :-

١ ـ أديب ، شاعر مؤلف له كتاب (نفحة اليمن) وحديقة الافراح توفى سنة ١٢٥٣هـ كتبنا عنه ـ دراسة في مجلة (آفاق جامعية) العدد ٤ س /٣ لسنة ١٩٧٩م .

٢ ـ شاعر معاصر من سورية . كانت له خزانة مخطوطات . وله مجموعة شعرية وولع بنظم الاناشيد ومحبة الموسيقى ومن مؤلفاته : ـ تاريخ يتكلم وقلب يتكلم

٣ ـ راجع دراستنا عن شاعر يماني عثرنا على مخطوطة ديوانه في مكتبة الحرم المكي الشريف . وهو الشاعر (يحيى الجحاف) ونشرناها في مجلة (العرب) الرياض. العدد /١٠س/ ٥ لسنة ١٩٧١م . وما كتبناه عن العالم الشيخ محمد بن محمد زبارة في (آفاق جامعية) العدد /٦ س/١ لسنة ١٩٧٨م. وما درسناه لديوان (ترجيع الأطيار بمرقص الاشعار) للآنسي في مجلة (التراث الشعبي) بغداد . العدد /٧ س/ ٩ لسنة ١٩٧٨م وغيرها من الدراسات والاشارات عن (اليمن) .

٤ ـ البدر الطالع ـ للشوكاني . العالم اليماني الصنعاني الشهير المتوفى سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤ وله كتاب آخر هو نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار .

٥ ـ حديقة الافراح ـ كتاب أدبي للشرواني اليمني ـ طبع عدة طبعات من أحسنها طبعة (بولاق) سنة ١٢٨٢هـ.

٦ ـ هارون بن علي المنجم ـ من أدباء ومؤلفي العصر العباسي توفى سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠٠ له كتاب (البارع) في التراجم كتب عنه وعن أسرته الدكتور يونس أحمد السامرائي مجلة المجمع العراقي ج/٢ المجلد /٣٧ سنة ١٩٨٦م ص /٢٣٨ .

٧ ـ أبو منصور الثعالبي ـ عالم ، أديب . من رواد التراجم بحسب البلدان له العديد من المؤلفات . توفى سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م. راجع عنه (الاعلام) و(معجم المؤلفين) وغيرها من المراجع عنه العديد من الكتب والدراسات .

٨ ـ الباخرزي ـ مؤلف كتاب (دمية القصر) والمتوفى سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م راجع عنه (الاعلام/ و(معجم المؤلفين) وكتب تواريخ الأدب الحديثة ـ ومنها تاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فروخ في (العصر العباسي) وراجع مقدمة (نفحة الريحانة) الجزء الأول. عنه دراسات وبحوث .

٩ ـ الحظيري الوراق مؤلف (زينة الدهر) على غرار دمية القصر وقد توفى سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م .

وراجع (الاعلام) و(معجم المؤلفين) ومقدمة الريحانة ج/١ وكتابه كما يظهر مفقود عنه نقول في كتب الادب

١٠ ـ العماد الكاتب ـ من أبرز ادباء العصر الايوبي مؤلف الخريدة ، التي خص لها مصر ، والعراق والمغرب والشام والاندلس ، وغيرها من البلدان الشرقية . توفى سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م راجع معجم المؤلفين ، والاعلام ومقدمة النفحة ج/١ لليمن حصة صغيرة في كتابه بقسم الشام لمحقق المرحوم الدكتور شكري فيصل ج/٣ سنة ١٩٦٤م دمشق .

١١ ـ شهاب الدين الخفاجي المصري الاندلسي أديب ، شاعر مؤلف ريحانة الالبا ـ وزهرة الحياة الدنيا وهو الذي سبق (المحبي) في كتابة التراجم التي خص اليمن ببعضها . توفى سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨ راجع الاعلام (ومعجم المؤلفين عنه وكتب تاريخ الأدب العربي .

١٢ ـ المحبي الدمشقي الحموي . مؤلف (نفحة الريحانة)

وخلاصة الاثر في التراجم توفي في سنة ١١١١هـ/١٦٩٩م.

١٣ - ابن معصوم المدني أديب ، شاعر ، مؤلف له (سلافة الدهر) و(أنوار الربيع) في علم البديع. راجع عنه معجم المؤلفين ، والأعلام - تاريخ الأدب العربي في العراق للمرحوم العزاوي ج/ ٢ ص٦٤ وبقية كتب التراجم توفى ابن معصوم سنة ١١١٩هـ/ ١٧٠٧م

١٤ - المرادي الدمشقي - مؤلف سلك الدرر والكتاب في التراجم في استطرادات ونقل واحيانا عدم الدقة في ضبط الحوادث والنقول. توفى مؤلفه سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م.

١٥ - البيطار - عالم دمشقي - له كتاب (حلية البشر) الذي نشره المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٦٦م توفى مؤلفه الشيخ عبدالرزاق البيطار سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦.

والكتاب لايختلف عن غيره سوى في حسن لغته ومعرفته للذين عاصرهم وترجم لبعضهم ، وقد ترجم لبعض معاصريه من أهل اليمن.

١٦ - الكتب التاريخية ، والجغرافية ، التي وردت أشهر مما يكتب عنها واصحابها من أبرز المؤلفين . يراجع عنهم الاعلام ومعجم المؤلفين ودوائر المعارف الاسلامية.

١٧ - محمد أمين البغدادي السويدي من علماء القرن الثالث عشر للهجرة له سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب. طبع على الحجر في بغداد أول مرة سنة ١٢٨٠هـ. راجع اكتفاء القنوع بما هو مطبوع. ومعجم المطبوعات العربية والمعربة لركس.

١٨ - محمد بن عبدالحميد البغدادي - أديب - رحالة ، شاعر . له رحلة الى بلاد اليمن - وهو من القرن الحادي عشر الهجري ذكرها وتحدث عنها الأب الكرملي - في مجلة لغة العرب سنة ١٩٢٩ . والعزاوي في تاريخ الأدب العربي في العراق ج/٢ ص ١٨٧ . والدكتور عماد عبدالسلام رؤوف في كتابه (التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني) ط/١ سنة ١٩٨٣ ص /٩٢ وما بعدها .

١٩ - الآلوسي محمود شكري . عالم عراقي - كان أول عراقي ينال جائزة وتقدير عن كتابه بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب توفى الآلوسي سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م. راجع / الاعلام. ومعجم المؤلفين - ومصادر الدراسة الأدبية. وغيرها .

٢٠ - آل العمري - عدة علماء ، عرف بعضهم بالتأليف والأدب والشعر والتاريخ من رجالات الموصل الحدباء. منهم الشاعر المشهور السيد عبدالباقي العمري ، والشيخ محمد أمين العمري وغيرهم . راجع الاعلام - ومعجم المؤلفين - والتاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني. وتاريخ الأدب العربي في العراق.

٢١ - آل / الغلامي - من علماء الموصل منهم الشيخ محمد بن مصطفى الغلامي من علماء القرن الثاني عشر الهجري ، له كتاب (شمامة العنبر) ترجم فيه لمجموعة من الأدباء والشعراء. وحقق المرحوم الدكتور سليم النعيمي الكتاب سنة ١٩٧٧م. وطبعه المجمع العلمي العراقي.

٢٢ - الأب انستاس الكرملي ، صاحب (مجلة لغة العرب) والذي أهتم ببعض (تراث اليمن) ومنه كتاب (الأكليل) للهمداني.

وكتاب بلوغ المرام للقاضي العرشي. وله مؤلفات في اللغة والأدب وهو من مشاهير رجال المعرفة في العراق وعاش مخضرماً في العهدين العثماني - والعراقي. وله خزانة كتب وزعت بعد وفاته سنة ١٩٤٧ كتب عنه الاستاذ الباحث كوكيس عواد كتابا مستقلا راجع / الاعلام ومعجم المؤلفين العراقيين لعواد ومصادر الدراسة الأدبية لداغر العزاوي - الاستاذ المؤرخ المحامي عباس العزاوي. ألف عن تاريخ العشائر العربية والكردية. وتاريخ الأدب العربي في العراق ، وعلم الفلك والموسيقى - له خزانة نادرة - نفيسة نقلت الى المتحف العراقي. وكتب عنها الاستاذ اسامة النقشبندي تعريفا في مجلة (المورد). توفى سنة ١٩٧١م.

٢٤ - يراجع / ماكتبه الاستاذ عواد في معجم المؤلفين العراقيين. وما أرخه الاستاذ العزاوي. والدكتور عماد عبدالسلام رؤوف - وما نشره وحققه الاستاذ الباحث سعيد الايوجي الموصلي. والاستاذ العالم الشيخ محمد بهجة الاثري. وما الفه من فهارس المخطوطات الاستاذ الدكتور عبدالله الجبوري. والاستاذ أسامه النقشبندي والانسة ظمياء السامرائي وغيرهم .

٢٥ - راجع/ عن القاضي (زبارة) مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن للباحث الحبشي وأشار عن وفاته سنة ١٣٨٠هـ بصنعاء. مع مؤلفاته ص/ ٤٦٧ وما بعدها .

٢٦ - راجع عن المؤلفات اليمنية وأصحابها كتاب الاستاذ الحبشي السابق . وكتاب (فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء)

٢٧ - راجع/ مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ص/٤٦٨ .

٢٨ - راجع المصدر نفسه ص/٤٦٨ وكتاب الأعلام للزركلي قسم المستدرك في ج/١٠ .

٢٩ - راجع/ مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن ص ٤٦٨ . والأعلام المصدر السابق.

٣٠ - راجع المصدر السابق للحبشي ص /٤٦٨ .

٣١ - راجع المصدر السابق للحبشي ص ٤٦٨

٣٢ - راجع / قائمة بأسماء مؤلفات الحبشي نهاية كتابه (حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول ص /٢٨٥ .

٣٣ - راجع عن (آل الأكوع) مصادر الفكر العربي الاسلامي للحبشي ومقدمة وفهرست مخطوطات الجامع الكبير بصنعاء. وجهود أسرتهم طيبة في تحقيق ونشر بعض اجزاء الأكليل للهمداني .

٣٤ - الشاعر الاستاذ أحمد بن محمد الشامي. شاعر يماني يسكن لندن حاليا . حقق ديوان الشاعر (الهبل) اليمني . وله كتابات وبحوث ودواوين شعرية

٣٥ - الاستاذ المحامي الباحث (هلال ناجي) كان من أوائل العراقيين الذين جمعوا أشعار بعض الاخوة اليمانيين . راجع

كتابنا (العراق في الشعر العربي والمهجري) بغداد - ١٩٦٢ .
٣٦ - راجع /المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي /لفنسك/ ج/١ ص /٤٩١ط/ ليون - بريل سنة ١٩٣٦ .
٣٧ - راجع /ديوان (الهبل) في بداية الكتاب ط/١ /١٩٨٣م تحقيق الشاعر احمد محمد الشامي مقدمة بقلمه . وقد نشرته الدار اليمنية للنشر والتوزيع .
٣٨ - راجع/ مقدمة الاستاذ عبدالفتاح الحلو - محقق النفحة ص/٤ ٩٠/١ وص/٥ مابعدها .
٣٩ - راجع/ المصدر السابق ص /٥ وما بعدها المقدمة .
٤٠ - راجع/ المصدر نفسه ص ٢٦/ مابعدها - المقدمة .
٤١ - راجع / المصدر نفسه ص/٣٠ وما بعدها المقدمة
٤٢ - راجع/ مقدمة نفحة الريحانة - للاستاذ الحلو ص/١٧ وما بعدها . والاعلام للزركلي - ومعجم المؤلفين لكحالة في ترجمة (المحبي) . . ولفهارس المخطوطات العربية هنا وهناك في المشرق والمغرب.
٤٣ - راجع مقدمة (نفحة الريحانة) ص /٢٧ وما بعدها (المجلد الأول) .
٤٤ - راجع المصدر السابق ص /١٩ وما بعدها (المجلد الأول)
٤٥ - راجع المجلد الثالث من المصدر السابق في تراجمه لشعراء من اليمن وعن هذه المدن راجع /معجم/ البلدان ، والروض المعطار ، ومعجم ما استعجم ، ومؤلفات الاستاذ المرحوم القاضي (زبارة) في تراجم الشعراء والادباء اليمانيين .
٤٦ - راجع المجلد الاول (مقدمة) الكتاب من نفحة الريحانة) ص ١٥
٤٧ - راجع المجلد الثالث من المصدر السابق ص/٢٤١ وما بعدها.
٤٨ - راجع بداية التراجم المجلد /٣ ص ٢٤٣ باسم الشاعر الحسن بن القاسم الزيدي .



من ارشيف الأحرار اليمنيين:

محمد بن أحمد صبره

مولده - نشأته - أدبه - شعره

كان الأحرار في سجن حجة يقضون السنين في إنتظار الموت على يد الجلاد وفي وقت مبكر من دخولهم سجن حجة دأبوا على تدوين سيرهم الذاتية وشعرهم الوطني ونتاجهم الادبي بمثابة وصية الى الاجيال القادمة وكان لشباب آل الارياني خارج السجن نشاط ملحوظ في هذا السبيل وأليهم يعود الفضل باحتفاظهم لهذه الوريقة التي كتبها الشاعر عن نفسه بخط يده وهو رهين قيود سجن نافع وقد سلمها لي الأخ الأديب الأستاذ لطف بن محمد بن يحيى الارياني فجزاه الله خيرا . .

□□ محمد بن أحمد صبرة :-

مولده ونشأته :-

ولِد بمدينة إب في ٩ ذي الحجة سنة ٤١ أو سنة ٤٢ (١) وترعرع في حجر والده الذي كان يشغل منصب (مديرية ماليتها) ويحتل مركزاً اجتماعياً محترماً ، فنشأ كما ينشأ غيره من أبناء ذوي الجاه والمناصب الحكومية والأجتماعية ، يظله حنان والده الذي كان يجهد في جلب أسباب راحته وطمأنينته ، كما يجهد في تعليمه وتهذيبه ، وهي تربية مستوحاة من تقاليد قومه اذ عني والده بتنشأته عليها ، ومنذ فارق عهد الطفولة الذي كان يحكمه في قلب أبيه ، ونفوس ذويه دخل في دور جديد من أدوار حياته ، ذلك هو دور التعليم والتهذيب، دور ملء جوه بالضغط وفيه تهوي وتقع عصى المعلم، فأدخل (المعلامة) (٢) ليتعلم القرآن ومبادىء الخط ، فقضى فيها سنة كاملة انتهت باكماله القرآن ثم أعيد إليها ليعيد القرآن كرة ثانية ويحفظ بعض المتون الأولية الفقهية كسفينة الصلاة وسفينة النجاة فقضى فيها مدة نحوا من نصف سنة ، ثم انتقل منها الى المكتب الابتدائي حيث تعلم مبادىء النحو والعلوم الدينية وتعلم الخط والحساب فقضى فيه سنتين أخذ فيهما الأجازة فيما قراء ثم أنتقل بعد إلى الرباط حيث درس الفقه والنحو والفرائض وحفظ جملة متونٍ في مختلف الفنون التي كانت تدرس يومئذ ، وأستمر في الرباط حتى وقد دخل في فصول حياته الأخيرة فقد كان لاينقطع عن الدراسة فيه؛

□□ أساتذته :-

قراء الكتب الأولية في النحو والفقه والفرائض على الشيخ قاسم بن علي شجاع الدين احد المدرسين برباط إب، وكان يوليه عنايته وإهتمامه ، اذ كان الصديق الحميم لعمه الذي كان يتولى حينذاك إدارة الأوقاف ، ثم تتلمذ للأستاذ محمد بن ناجي الوهابي المدرس بهجرة الحشيبري ، فالقاضي احمد بن محمد الحداد مفتى إب ، فالقاضي محمد بن علي الاكوع المدرس بهجرة الغيثي وكانت مقروآته على هؤلاء الاساتذة لاتتجاوز الفقه والحديث والنحو والبيان والفرائض ، بحسب المحيط الذي وجد فيه، وتتلمذ أيضا للقاضي عبدالرحمن بن يحيى الارياني ، في الحديث والتفسير والبيان،

اما اسلوب دراسته فهو ذلك الاسلوب الذي عاناه كل يمني أسلوب مملوء بالجهد والأعنات، وقد يتساءل القارىء حين يعرف نشأة هذا الشاعر ومقروآته ويقول : كيف أصبح شاعرا أو أديبا وهاهو ذا لم يعرف له أستاذ في الأدب ، ولم يقرأ من في مدرسته من كتبه شيئاً؟ ورفقاً بأعصابه سنورد له نبذة عن نشأته الأدبية ، وكيف شعر وكيف تأدب؛

□□ محمد بن احمد صبرة

□□ نشأته الادبية :-

نشأ الشاعر منذ طفولته ميالاً إلى الشعر بطبعه فهو كلما تصفح كتابا لاينظر الى موضوعه ولا يهتم بما يحتويه من بحوث علمية أو أدبية ، ولكنه يقلب صفحاته ليرى مافيها من شعر فيقرأه ، ولم يجد استاذا حكيما يستغل هذا الميول الفطري فيوجهه توجيها صحيحاً ، ويقفز به الى القمة، واذا فأستاذه في الأدب والشعر هو (فطرته) وكفى بالفطرة دافعا وموجها .

وحين بلغ الخامسة عشرة من عمره أدمجته التقاليد في سلك الرجال ، وباكرته بالزواج، غير انه لم يحمل عبء الحياة، وأنما ألزم بممارسة أعمال من يحملونه ، فكان يقضي صباح يومه في المدرسة وبقية اليوم يلازم أباه أو عمه، وبطبيعة الحال أشتغل ببعض الأعمال الحكومية فاستغرقت من شبابه قسطا ليس بالقليل ، وكان أبوه يحاول أن يمرن في الاعمال المالية، ففرض عليه ملازمته والمداومات في الدائرة ، ولكنه صادف نفوراً من ابنه الذي لم يجد في محيطه رغبته ، فتركه وشأنه ، وأوصاه ان يثابر على الدراسة ، ووصية أخرى كان لها أثرها في توجيهه ، فقد أوصاه ان لايقلد ولا يتقيد بمذهب غيره ، وان يكون دائما حر الفكر مستقل الإدرادة .

وكان أحب شيء اليه هو مجلس أبيه الذي كان يحضره جماعة من العلماء والأدباء فيتناقشون في مايعرض من مسائل علمية أو أدبية، ويشرحون بعض أبيات القصائد التي كان ينشدها النشاد في فترات متقطعة ، واذا كانت التقاليد تفرض عليه أن لايتكلم بحضرة أبيه ومن هو أكبر منه سناً الا جوابا ، فقد كان يجد بما يسمع متعة ولذة روحية .

نشاء ولوعاً بالشعر منذ صباه فقد كان وهو صبي يقرأه حيث يجده ، فيطرب له ويلذ به حتى ولو لم يفهم دقيق معناه ، وشب وشب معه ولعه، غير أنه كان قد نمى ذوقه ، وتوسعت مداركه ، فكان فهمه أدق، ولذته أعظم ، وطربه أشد ، وطبيعي ان يحاول قرض الشعر ، فولوع الانسان بالفن وغرامه به انما هو استجابة لنزعاته النفسية، فهو حين يحاول الأبداع فيه انما يكون مدفوعاً بقوى نفسية يسير دائما تحت تأثيرها ، ولقد اندفع الشاعر بدافع من نفسه الى قرض الشعر فكان في أول مراحله يعمد الى المقاطيع فيشطرها أو يخمسها كما كان ينظم البيتين والثلاثة يصوغ فيها معنى جال في فكرة وحاول الظهور ، ولكنه بحكم تربيته كان حيياً خجولاً فلا يقدم على ان يعرض ما أنتج على أساتذته كي يصادف تشجيعاً أو توجيهاً بل كان يطوي كل ما ينتج ، وبمناسبة عيد من الأعياد ، نظم أبياتا يهنىء فيها والده بالعيد وتجاسر وأقدم دون تهيب فعرضها على زميل له كان يحله من نفسه محلاً رفيعاً ، ولكنها ـ رغم ما أبداه هذا الزميل من إعجاب بها ـ ظلت مطوية أشهراً حتى أتاح لها القدر ان تكون السبب الوحيد في توجيه منشئها ودفعه الى ميدان الشعر والشعراء فقد صادف أن نزل المرحوم الشاعر احمد بن عبيدالله السالمي ضيفاً على والده ، وكان السالمي ذا روح جذابة تستهوي كل من عرفه ، فتجذبه اليها بسهولة وهوادة فأنس به وجرؤ عليه بعض الجرءة فأهداه السالمي نسخة من ديوانه لما رأى من ولعه بالشعر ، وبهذه المناسبة راى الشاعر أن يعرض عليه أبياته السالفة الذكر، ولكن كيف يعرضها وهو الحيّ الخجول الذي يخجل من رد التحية او البدء بها؟ وإذا فلا بد من حيله ، وماهي الحيلة؟ وظل يترقب فرصةً مناسبة لعرضها، وفي ليلة شديدة الظلمة بعد أن صليا العشاء الأخرة خرجا من المسجد معا، فرأى الشاعر أن الفرصة قد سنحت ، غير انه ظل مترددا بين

الأقدام والأحجام ، فكان كلما هم أن يكلمه في خلال مشيهما وتحت ستار الظلمة اذ بمار يحمل فانوساً يستضيء به فيخنق همته ، فيمسك خشية ان يرى السالمي احمرار وجهه وتصبب عرقه ، ولما أن وصلا الى شارع مظلم لايكاد المرء إن يرى فيه موضع قدمه ، عظمت جرأته وتقوت عزيمته فضغط على يد السالمي وقال والخجل يلعثم لسانه : نظمت ياأستاذ قصيدة أريد أن أمليها عليك فأبدى السالمي اعجابه وسأله : بالله عليك هذا صحيح؟ فأجابه نعم وسأمليها عليك الآن ، واطلق اعجاب السالمي لسانه فأملاها عليه حتى انتهت بانتهاء الشارع والوصول الى البيت، فأبدى السالمي اعجاباً زائداً بالقصيدة، وقال ماشاء الله هذا ياعزي من أحسن الشعر ويدل على خيال واسع وشاعرية قوية ثم استعادها منه مرة اخرى في المكان وعلى ضوء الأتريك فأملاها بشجاعة زائدة ، فلاحظ السالمي مافيها من اغلاط نحوية ، وضعف في بعض التراكيب ، ولكنه كان حكيما حين لم يبد له ما لاحظه بل أرشده إرشاداً يدل على رصانة وحكمة ونبهه من حيث لايشعر إلى تدارك أسباب الغلط دون أن يفهمه إياه فقد قال له بعد أن املاها للمرة الثانية : أتدري ان الشعر أمر سهل جداً؟ انه لايحتاج إلا إلى إتقان القواعد النحوية ، وحفظ كمية من القصائد الرائعة مع تفهم معانيه وما فيها من غريب اللغة ، ثم ممارسته في كل مناسبة؟ ويكفيك إني لم أقراء من العلوم شيئاً وانما حفظت قواعد النحو وعددا كبيراً من القصائد المختارة . وأكثرت من مطالعة كتب الأدب ، فلقي هذا التوجيه قبولا ورغبة ملحة ، وكيف لا وقد صدر من شاعر كبير له ديوان شعر فرضه ولي العهد وجماعة من الشعراء ، وكتب عنه في مجلة الحكمة كما نشرت له بعض قصائده ونشرت بعض الصحف أيضاً ، فاندفع الشاعر يدرس النحو دراسة بإمعان وتفهم ويحفظ ماروق له من الشعر ويطالع ماتهيء له وجد ته بين يديه من الدواوين وكتب الأدب ، ولم تمر أشهر حتى نظم قصيدة رصينة مستقيمة اللفظ والمعنى يمدح بها والده وأستهلها بقوله :

بمدح صفي الدين أبتكر الشعرا
وإن كنت لم أسطع ثناء ولا شكرا
بمدح أبي من يسهر الليل كله
لفقدي وفي رؤياي يستكمل البسرى
ومَنْ منتهى آماله أن يرى ابنه
يزاحم في المجد الكواكب والبدرا

ورغم ثقته بقصيدته هذه التي نيفت على الثلاثين بيتاً فهو لم يجرؤ على تقديمها لوالده او القائها بين يديه ، غير أنه كان في هذه المرة دقيق الحيلة فقد أنتظر يوم الجمعة يوم يجتمع الناس في مجلس أبيه وكان ممن حضر هذا اليوم فيلسوف اليمن الشيخ حسن بن محمد الدعيس ، والراوية الأديب الحاج محمد الصباري وغيرهم من علماء إب وأدبائها ، فاستدعى صديقه القاضي عبدالكريم بن احمد العنسي وعرض عليه القصيدة ورجاه أن يصلح ما فيها من اغلاط فطالعها وقال : ليس فيها شيء وأبدى إعجابه بها، ، فقال له : تفضل ونب عني بالقائها فقبل ودعاه ليدخل معه فاعتذر وبعد أن خرج من عنده دعا بخادم من خدمة أبيه وأمره أن يسمع ماسيقولون ويخبره، فذهب الخادم وأمليت القصيدة وصادفت اعجاباً من الحاضرين وقال كل واحد كلمته، ثم جاءه الخادم فأخبره بما قال كل واحد ، فشجع ودخل عليهم ، فانهالت عليه كلمات التشجيع والأعجاب ثم توجه الدعيس اليه وأظهر له إعجاباً زائداً كان له اثره في نفسه ، ثم جاء يحدثه عن أهمية الشعر ، وآثاره في النفوس، وما له من خطورة عند الأمم ، وحثه على الجد فيه وموالاة قرضه ، ومن يومئذ اندفع الشاعر بقرض الشعر في كل مناسبة ، غير أن المناسبات لم تكن في محيطه الا ثلاث : هناء أو رثاء أو ثناء ، وكان هناك ناحية أخرى لم يجدها ، تلك هي ناحية الحب فهو وان كان مرهف الاحساس رقيق العواطف لكنه لم يمس نفسه الحساسة حرارة الحب اللاذعة ، وهو وأن احب فحبه محصوراً بين جدران بيته، حب ليس فيه هجر ولا قلى ، ولا تجني فيه ولا تحكم ، ولا يعرف نفوراً ولا ازورارا ، حب ليس فيه الا قدسيته وطهره

، حب بعيد عن كلما يلهب العواطف ويهيج المشاعر ، ولذلك فقد كان شعره في دوره الأول محاكاة لشعراء عصره الذين لم يزالوا يحاكون القديم في جميع مظاهره ، فلا يتجاوز الهناء والرثاء والمدح ولقد كان حظ المديح في شعره قليلاً .

ثم شاء القدر ان يخرج منه شاعراً لايعبر الا عن نفسه ، ولا ينطق الا بما تكنه سرائره وتنطوي عليه حناياه ، فقضى أن يعتقل ويخرج من عشه الذي فيه درج وترعرع ، وفي ظله عاش في رخاء وسعادة وأن يبعد عن أبيه واحبابه وأترابه ، فأعتقل في شوال سنة ٦٣ ونفى الى حجة حيث اقام في سجنها (نافع) ستتين، وفي معتقل القاهرة بها سنة ، وهنا تبدو عواطفه بالأنشغال ، ومشاعره بالأضطرام ، الا ان الموقف كان موقف صبر وجلد ، ولقد كان رفاقه ينتظرون منه غير ما أراهم من صبره وجلده ، وقوة احتماله لالآم السجن ومتاعبه، وقسوة النفي ومرارته حتى لقد كان دائما يبعثهم الى التساؤل والاعجاب وكان هو يسمع تساؤلهم واذا رآهم يبدون جزعاً انكر عليهم فيدعوهم انكاره عليهم الى الشك في إحساسه فيتركهم وينشد لنفسه :-

يشك رفيقي حين ينظر بسمتي
وصبري على هول الخطوب وبأسها
وظن بأني لست ممن يهيجه
تذكر أرضٍ كنت من خير غرسها
ولو مَسّ نفسي وهي تضرم بالجوى
لما ارتاب في إحساسها عند مسها

ولقد كان يطوي هذا الصوت الشجي الحزين غاية الحزن عن رفاقه ، بل كان يطوي كل ما قاله معبراً عن آلامه وأحزانه اذ كان يحاول أن لايرى عليه شيء من دلائل الحزن والجزع فهو يأبى ان يسمعهم أمثال هذا النغم ، ولا يحب ان يسمعهم غير نشيده في الصبر والاحتمال وما استفاده في نكبته من تجارب ومعارف بالناس وطباعهم فلا يمتنع أن يسمعهم قوله :

تصبرت لا راضٍ بما الدهر سامني
وجرعني من بأسه ما أجرع
ولكن ربي وفر الأجر للفتى
على صبره والنفس بالخير تطمع
فقابلت هول الدهر بالصبر رغبة
بما عند ربي فهو أبقى وأنفع

ولا يبخل أن ينشدهم ثناءه على صروف الدهر الذي عرفته الناس وحقائقهم فيقول :-

لقد غشنى سلم الليالي وخانني
وخادعني دهراً طويلاً ولا أدري
أراني عدوي من أجل أحبتي
وكاتم أسراري الذي لم يصن سري
وكان يريني الأوفياء أخسة
وفاؤهم بالعهد ليس سوى الغدر
وكان يريني الخائنين أعزة
وفيين لم يخشو أسوى النكث والمكر
وكان يريني الصبح ليلاً وقل ما
يريني شعاع الشمس الا على ذعر
فجات صروف الدهر وهي عزيزة
علي وان قلبت فيها على جمري
(١) أرتنى بعين الحق كل حقيقة
وذادت ظلام الجهل والغش عن فكري
سيشكرها ماعشت قلبي وان أمت
فشعري من بعدي سيتلو لها شكري
(٢) وعلمتني علم الحياة الذي به
سأسلم نفسي والحجي عنت الدهر

وهو اذا كتب الى أبيه من منفاه يحرص كل الحرص لايكون في كتابه مايشتم منه أبوه رائحة حزن او الم ، فيزداد حزنه ويشتد جواه ويضعف صبره ولكنه كلما كتب اليه يهون عليه الامر ويحثه على الصبر والتسليم للقدر. فقد كتب اليه قصيدة استهلها بدعوة الى التسليم والجلد اذ قال :

طأطأ فديتك للقدر
واحذر تراب وان أضر

وأجعل فؤادك كالحديــــد
قســـاوة او كـــالحجـــر
وكن الأبي ولا تبل
أو في زمانك أم غـــدر

ويختتمها برجواه ان يهون على نفسه الامر وان يتأسى ففي الأسى سلوى:

مولاي هون بعض ما
بك من جواك المستعر
لسنا بأول من تنكر
دهرهم وسطا وكر
قبلي وقبلك يوسف
وأبوه يعقوب الابر
أرأيت لما قابلوا
بالصبر اهوال الغير
جمع الأله شتاتهم
بعد افتراقهما وسر
وقضى ليوسف رفعه
واعاد للشيخ البصر ( )

ولكنه وقد طالت الاقامة في المنفى تشتد لوعته ويزداد جواه ضراماً والتهـابـاً ، وكلما حاول ان يطوي انفعالاته النفسية واخفائها تأبى الا ان تظهر ولو في حالات قليلة ، وفي حالة من هذه الحالات كتب الى والـده قصيدة تعبر عن آلامه وما يقاسيه من فراق الـوطن وبعـد الأحبة ويبين في آخر قصيدته هذه السبب الذي كان يدفعه الى كتمان آلامه اذ يقول:ـ

أحباي لا لوم علي اذا أنا
كتمت عليكم مابقلبي المثلم
فأن يعينني اكتئاب أحبتي
ويؤلمني ان يعلموا بتألمي

ثم أدركته رحمة الله فأطلق سراحه بعد مضى ثلاث سنوات من يوم اعتقل الى ان اطلق وأبت الاقدار أن يطول بقاؤه في داره وبين أهله فلم تمض إلا ستة اشهـر من اطـلاقه حتى كانت الحوادث الاخيرة ويبدأ فصل الرواية من جديد فقد أعتقل مع الاستاذ نعمان ونفي مرة ثانية الى حجة واقام في نافع سنتين وأشهر ثم نقل الى القاهرة .

□□ نماذج من شعره :ـ

بين عواصف الذكريات

هاجه ذكرى الى الوطن
والى الاحباب والسكن
فجرت في صحن وجنته
أدمع صيغت من الحزن
وجفا أجفانه وسن
فراعه ماكان من شجن
فأتت حيرى تفتش في
لجج الظلما عن الوسن

□□□

وأنبرى مابين أضلعه
قلبه الخفاق مضطرباً
يتوخى في تزلزله
أن يفض الصدر والحجبا
فيجوب الجو ممتطيـــا
طائرات الشوق والسحبا
ليرى دنياه ماثلة
في ملاك يفضح الشهبا

□□□

منيتي والشوق يعصف بي
ودموع العين تنسجم
ان ذكرى ساعة سلفت
ساد فيها الصمت والالم
ساعة التوديع اذ خرست
ألسن فيها وسد فم
وأنتهت الا عواطفنا
تتناجى وهي مضطرم

□□□
حينما وافيت مزعجةً
كي تثيري ماطوى خَلَدي
فتركتيني مـودعـه
بدموع أوهنت جلدي
ودعاءٍ كـان يصـدره
قلبك المفجوع مطـرد
ربِ أرجع من أقـدسه
قبل نأي الروح عن جسدي
□□□
إنها ذكرى تزعزعني
وتذود النوم عن مقلي
وتُعنيني وتسلبني
هدي تفكيري بلا مهلِ
ويكاد القلب يتركني
عندها من شدة الوجل
لم يغثني من مغَبتِّها
غير جاري دمعي الهـطل
□□□
آهـ كم يشكو الفراق فتى
شيب جاري دمعه بدمِهْ
آه لو يجدي تأوهـه
لسَلا وارتاح من ألمهْ
وخبت نارٌ توهجهـا
لم يزل يبدو على كِلمـهْ
وأنتهـت احزانه وهدا
قلبه الخفاق في حَرَمه

□□ ليالي السجن

ياليالي السجن يابئس اللياْل
ياقـذى الأعين يارزء القلوب
يامبيدات الأسى والأحتمال
ومثيرات شجى القلب الغضوب
يامثال البؤس ياشرَ مثال
للمآسي والرزايا والخطوبْ
أنت إن أبدع في الوصف الخيال
مِسـرح الحزن وميدان الكروب
□□□
يابنات الزمن العاتي الخؤون
عجبي ياأمهات الحـادثـات
كيف تقسين على من يرحمونْ
وتسيئين لأهل الحسنات!!
خففي الوطاء فما هذا الجنون؟
أو لا يكفيك صب العبرات!
قا. غسلنا الأرض بالدمع الهتون
وملأنا أفقنا بالزفرات
□□□
فُقتِ بالطولِ على ليل العليلْ
وليالي البؤسا والعاشقينْ
وهُمُ يشكونها في كل جيل
وهي لم تنزل بهم ماتنزلين
إنما يشكون من نأي خليل
أو هموم العيش أو داءٍ دفين
واذا ما نحن نشكو ونطيل
فبنا حلت خطوب العالمين
□□□
ياليالي السجن بالله ارحمي
خافقًا زعزعه ما قد دهاه
وحشاً طافحةً بالألم
وفؤادا حطم الدهر مُناه
وكياناً في أكف السقم
ناحلا قد انهك السجن قواه
وسُباباً في خضم مظلم
من شقاء ليس يدري منتهاه
□□□
علَّليه بالأماني الباسمات
ودعيه من مثيرات جواه
لو شهدت حاله في الأزمات
لكفاك مابه الدهر رمـاه
فهو يمسى في محيط الحشرات
لاتذوق النوم خوفاً مقلتاه

يتلظى في جحيم الذكريات
خائر الأعصاب مسلوباً حجاه

□□□

انه يحسد سكان اللحودْ
حين يطويه الدجى في ثوبه
حين تغزوه براغيث الوجود
ممعنات كالدجى في حربه
وهو ملقى لم يطق حتى القعود
عاجزاً عن دفع ماحلَّ به
إن يقم ردته للأرض القيود
وأسالتْ دمه من كعبه

□□□

كل شيىء ضده حتى النسيم
فهو يهديه وباء وسموم
ليته يعفيه من ذكر القديم
رحمة بالخافق الواهي الكليم
آه كم ذا يشتكي الغاني السقيم
من بلاءٍ وعناءٍ مستديم
واذا يشكو الى غير رحيم
زاد في آلامه الشيىء العظيم

□□ تقدير وثناء :ـ

[قدمها لأستاذه القاضي عبدالرحمن بن يحيى]

دعنى أردد أنغامي والحاني
فقد تناسيت آلامي واحزاني
فجل ـ خيالي ـ بهذا الجو مغتبطاً
وصغ من النور أشعاري وأوزاني
دع النسيب ودع وصف الجنان وما
يقال في وصف أطيار وأغصان
هنا حديقة فضلٍ فاستجن بها
وصف حقائق ايمان وعرفان
جنيت منها ثماراً حلوةً فلها
ردد ثناءك في سِر وإعلان
وصغه من نشر أزهار حبتك بها
ومن أشعة إحساس ووجدان
وجيء به كالنجوم الزهر مؤتلقاً
يشع عن صدق اخلاص وايمان
أو مثل افئدة الاحباب منسجما
غضا تنزه عن غِش ونقصان
ولا أقول بأن الشكر بينة
على الولاء فوحي القلب برهاني
كلا ، ولكنه أمر أدين به
كما أدين بأن الله انشاني

□□□

ياعاشق المثل العليا ومن كلفت
به الفضيلة ذات الحال والشان
رأت فتىً كان في آمالها حُلُماً
عذباً فهامت به تهيام ولهان
تعلقته فذابت فيه وأعتقدت
ان المحال بأن تلقى له ثاني
ذرني أجد فيك النيل مهتدياً
بنور خلقِك في شدوي والحاني
وما أظن القوافي وهي مسهبة
تفي بوصفك مهما كان إمكاني
ولو عمدت الى الفردوس أنزع من
قلائد الحور مايحلو لأعياني
وجئت منها باعلاق منظَّمة
تزري بأعلاق بشار وحسّان
لَماَ وفيت ولكني أتيت بها
في وسع مثلي وإن لم يُرض وجداني
ما أنت لو أفصحت بالقول السنة
إلا ملاك أتى في شكل إنسانِ
صفاتك الزهر تملي كل رائعة
من المعاني بأيضَاحٍ وتبيان
سموت بالخلق الأسمى فما اختلفت
فيك العقول ولا احتاجت لبرهانِ
وقدَّسَتْك بحقٍ كل عاطفة
سيان عاطفة الأدنين والشاني
ومن يفز باعتراف الشانئين له
بالفضل فاز بإخلاصٍ ورضوانِ

اليك يافخر قحطان وزينتها
وابن التبابع من سادوا لفرقان
حوراء من نسل أفكاري بعثت بها
تشدو بشعري وتتلو آي شكراني

□□ يــانفــسُ :-

إياك يابنت الخطوب
وربيبة الزمن العصيب
أن تستثير جواك ذكـرى
للربوع أو الحبيب
أو تنظري وجه الحياة
بمقلة الجَشَع المعيب
ها أنت قد رضت الزمان
رياضـة اللبق الأريـب
وشربت من كفيه كاسات
المسرة والكـروب
ماذا جنيت من التقلب
في النعيم وفي الخطوب؟
لم تجن غير معارف
بالناس بالدنيا الكذوب
بتنكر الاخوان والخلان
والجـار القـريب
بتلون الأنسان في
حالَي سلامِكِ والحروب
بتناحر الشهوات
والاهوا ءوالطمع المريـبِ
بجلالة النفس العظيمة
في تجليها العجيب
بحقارة النفس الضعيفة
حين لاذت بالنحيب
يتعاظم العقل الكبير
الثاقب الرأي المصيب
يطوي الزمان مفتشاً
في الكون عن سر الغيوب
ويطارد الأيام والأحداث
في جـدٍ مـذيـب
كلفاً ينشدان الحقيقة
غير مرتاب هيوب
لم يثنه فشل ولم
يفزع من الدهر الغضوب

□□□

يانفس لاتغريك أنغام
الحياة فتستجيبي
فلقد عرفت بأن ما
فيها يسيـر الى المغيب
ورأيت أن المال والسلطان
كالحلم الخلوب
يمضي كما يمضي الشريط
امام ناظره الغريب
فيه المفاتن والمباهج
والنعيـم على ضـروب
فأذا آفاق رأى الحقيقة
في تفانيـها الـرهيب
وأصاخ للصوت المران
بأفقه النائي الرحيب
صوت الحقيقة حين
جَلْجَلَ للبعيد وللقريب
لابؤس لانعمى تدوم
فلم تفـزع من وثوبـي
لاشيء يبقى في الوجـود
سوى مكـونه الوهوب
لاشيء للإنسان أبقـى
من محبـات القلـوب
لاشيء يبقى في يديـه
من الثميـن أو الرغيب
لم تبق إلا قـوة الإيمان
في القلـب المنيـب

□□□

يانفس ماذا في الحيـاة
يـروق في نظـر اللبيـب

فلقد علمت بـأنها
سـر العـداة على الأديب
الحكـم فيها للهـدى
والحـق فيها للغلوب
والعدل لفظ ساحـر
فُتِنَتْ به فِكَرُ الشعـوب
واذا بحثت عن الحقيقة
فهـي من علم الغيوب
فحِذار أن تتـزعـزعي
تحت الحوادث أو تـذوبي
بل بـرهـني للدهـر أنك
غصة الـدهر الخـريب

□□ دمـعة من نور

ياقلب دع ذكـرى الاحبة والربى
فالذكـريات على السجين تهول
وارفق بطرفٍ بعد أن نضبتْ دما
وجـف مـاء شؤونه المعسـول
أضحى لهـول الحزن يعصـر دمعـه
من نوره ، والنور فيه قليل

□□ الى إبنة الطبيعة الساحرة
إب

هاكِهاَ مـن دم الفؤاد العميد
فاقبليها تفضـلاً وأعيـدي
لـك يا (إب) قد بعثت التحيات
وفيها ترين صدق عهـودي
صغتها من غـرام قلبي ومن
آلام نفسي ومن جوائي الشديد
من دموعي الغزار من لهب الآهـات
مـن وحشـة الغـريـب الشـريد
وسكبت الأنين فيـهـا وأفرغت
اشتيـاقـي الى ثـراك الفـريد

وتحيرت من أشعة حبي
ولظى لوعتي ، رويُّ قصيدي
ورسمتُ الذكرى ودقـات قلبي
واختلاجات فكـري المكـدود
واحتدام الأسى وآلام نفسي
وانفعالات جِـدتي وهمودي
ونضمتُ الظنون والخاطـر التائه
في مهمـة الخيـال البعيـد

□□□

«إب» مالي اذا ذكرتك أحسست
بأنــي شممتُ ريح الخـلود
وتبدى أمام قلبي (قلب)
يملأ الأفق بالحنان الرؤود
سواءت بها السمـاء حقولاً
وجنانا بها قرادي الوحيـد
ونشقت النسيم أذكى من العطـر
أريجـا ، من عبيـر الـورود
ورأيتُ الوجود أرحب مما
هو في فـكرتي بعيد الحدود
غير أني لا أرى (غير إب)
فيـه تختـال باخضـرار الـبرود
وكأني أجول بين روابيها
وفي سهلها الخضير النضيد
في ضفاف الأنهـار في حافة
الوادي وحيداً ، وفي سفوح النجود
في ظلال الـرياض والزهـر يفتر
حوالي للغرام الوليـد
والهزار الطروب سحر عقلي
بانسجام اللحون والترديد
والقماري الفصاح والبلبل
الفرحان يشدو بأجمل التغريد
وأنا أجتني الورود النضيرات
صفـارا مضرجـات الخدود
وأغني مع البلابل للحب
وأملي على الهزار نشيدي

وأناجي السماء نجوى نبي
فكره ذاب في جلال الوجود
ساعة لو تدوم لي عند ذكراكي
لما طال في الشقاء ركودي
ساعة تنقضي بأغمائه سكرى
وحلم كما أشاء سعيد
غير أني أفيق منها وإذبي
في دجى السجن راسفاً في الحديد
واذا بيننا القفار الموامي
وجبال مل ءالفضاء المديد
يالها حسرة تصب على القلب
شآبيب طائشات الوقود
قدرتْ اَن تذيب قلبي وقد كان
به - قبل - قسوة الجلمود

□□□

«إب» لو تسألين عني لقالوا
حافظ للعهود غير كنود
لم يزل يعصر الدموع من القلب
لذكراك في سخاءٍ وجود
كلما جنتِ الشؤون آهاب الجفن
بالقلب طالباً للمزيد
وإذا رمتُ ان أجفف عن قلبي
فأنساك لحظة في هجودي
عصفت بي وخاطري ذكرياتي
فأطارت من الجفون رقودي
فاعلمي أنني الوفي فلن انساكِ
حتى في محنتي وقيودي
وإذا مِتُ فاعلمي أنني
لستُ بناسيك في ظلام لحودي

□□□

ياليالي في رباها وأيامي
وأوقات غبطتي وسعودي

أين عهد قضيته بين أهلي
وصحابي بها بعيش رغيد؟
أين أيامنا المليئآت بالافراح
بالأنس بالصفاء الأكيد؟

أين تلك الجنان ، والطير يشدو
بأغاني جمالها المعبود
أين بعدان في طياله الخضراء
كالملك في البلاط المجيد
يعتلي عرشه وقد جلست (اب)
على حجره جلوس الوليد
فتبدت كأنها طفلة بين يدي
والد رحيم وودودِ
أين نهر (المؤيد) ينساب كالثعبان
يجري وراء صيد شرود؟
(والظهار) الرحيب كالراهب
الواجم قد هاله زئير الوعيد
(والسحول) الخصيب كالساكر
المخمور في فرشه الوثير الجديد
أين ماء (البُجونُ) و(الجُمري)
الرقراق و(الأنسي) عذب الورود؟
أين (حَبُّ) المنيع و(التعكر) الباكي
على مجده العظيم التليد؟
أين تلك الربوع؟ كم ذكريات
لي فيها! وكم بها من عهود؟
أين قلب يذوب حباً وعطفاً
وحناناً عليَّ ذوب الجليد؟
أين عين تدور حولي وترعى
في قيامي - رفاهتي - وقعودي؟
أين اخواني الكرام وأيام
تقضت في ظل حب رشيد؟
نتساقى خمر المحبة صِرفاً
عتقتها روح الأخاء الوطيد
أين تجوالنا المحببُ فيها
نتغني بكل معنى فريد؟
عصبة وحد الشباب خطاها
خَلُصت من منافق وحسود
تارةً نهبط الوهاد ونعدُو
تارة نرهق الربا في الصعود
نجتلي روعة الطبيعة في الخضرة
في الماء في النسيم البَرُود

في اصفرار الأصيل في بهجة الفجر،
وفي رهبة الظلام الكنود
في ائتلاقِ النجوم والليل يطوي
صفحات النهار طي البُرود
في شعاع الهلال وهو يواسي
كل قلب شكى جراح الصدود
في ابتهاج الضحى ، ببهرجة الشمس،
وفي لفحة الهجير الشديد
في دموع الغمام ، في غمزة البرق،
اليها في زمجرات الرعود
في تغني الطيور ، في نسيم الازهار
في لونها البهي العديد
في تثني الغصون حين تحاكي
الغيد في مشيها الطروب الوئيد
أيها الذكريات قد مرنتني
نوب الدهر فابدئي وأعيدي
حسب قلبي الجريح مايصطليه،
ماعلى مايذوقه من مزيد
لم يزل مبتلى بحب أسير
وجوى مطلق السراح مريد
باكرته الخطوب في طلعة العمر
فما لان للزمان العنيد
بل مضى في نضاله لايبالي
مايلاقيه من صراع مبيد

□□□

وطني كم أذيت قلبي اشتياقاً
وتركت الدموع تغري خدودي!
وأنا طيرك المغرد معذور
اذا مت في هواك الحميد
من ثراك الطهور أصل كياني
وعليه نبت وأخضرّ عودي
من جناك السهى ثوب عظامي
ومن المُا صفاء قلبي الودود
من لظى سُمك المذيب برى الله
دمائي وثورتي وشرودي
من هدوء النسيم كَوّنَ حلمي
وأناتي ورقتي في سجودي
من معانيك أطلع الله عقلي
كوكباً في سماء فكر مجيد
من سنا فجرك الندي خيالي
وشعوري ونغمتي وقصيدي
قد تعلمتُ من بلابلك الشدو
صغيراً وكيف أضرب عودي
وطني ان اكن مفرت بحق
لك عندي فقد حجدت وجودي
وطني هاكها دموع وفائي
وأهازيج قلبي المفؤودِ
هاكِها يا ابنة الطبيعة من ذوب
فوادي ومن رنين نشيدي

□□ أنشودة الهناء

[الى ذلك القلب الذي في سمائه اشرقت ، ومن درته انبثقت ، الى تلك الروح التي تنير لي طريق السعادة وتشيع في نفسي معاني الهناء والغبطة . الى ابي]

صغ تهانيك من أشعة فجره
والمعاني من ابتسامات ثغره
وأصنع اللفظ من تهاويل زهر السعيد
وأنشر به تفاويح عطره
وتخير لها رويا يهز القلب
في جرسه المرن وبهره
وأجعل البحر مائج اللحن
رقراقا له تنحني ترانيم طيره
واكسها من نسيج روحك ثوباً
ساحراً يجذب القلوب لسحره
وترنم بها أناشيد قلب
يصنع اللحن من هواه وحره
□□□
يايراعي وأنت أصدق من عَبّر
عني بنظمه ونثره

هاهو العيد قد أثار شجوناً
وهوى كنت قد هممت بقبره
ولقد جئت مذعناً لخيالٍ
أنطقت صمته افانين ذكره
عاف ورد الأنين والدمع لكن
راقه مورد الهناء ببشره
ولقد ظل حائراً ليس يدري
اذ ضحى ، ما أهاجه من مقره
فانبرى طائراً يحلق في الجو
ليلقي به بواعث شعره
واذا الجو خاشع لجلالٍ
خشعت عنده جلاله قدره
فأنثني يسأل السوابح فيه
راجيا بالسؤال انقاذ فكره
فأجابته ألسن النور همساً
ينطوي في حفيفة وحي سره
ذا جلالُ الأبوة السمح شعت
في نواحي الوجود أضواء بره
فتلاشى وذاب في لجة التقديس
حتى فقدت أطلال وكره
واذا بي أهيم في سكتة الصو
فيّ قد غاب في الوجود بأسره
نهبت قدرة الكلام مع الالفاظ
مـن ثغـره أساريـر ذكره
فبعثت الحجى ليبحث عنه
في حشا الأفق ، في لفائف صدره
ثم ارسلت إثره العين تأتيـني
باخباره وتفصيـل أمـره
فمضت كالشعاع تخترق الأفق
الى أن رقت مراقي بدره
وأطلت على العوالم من نافذة
البدر وهـو يعدو بسيـره
وإذا بالشعاع يومض بالبشرى
لقلب يهيم في جو ذعره
واذا شعلة أنت تتحدى الليل،
والليل في غيابات سكره

هبطت كالشهاب تغري الدياجي
وتغني غنى الفخور بنصـره
فتطامنت ثم أغمضت جفنيَّ
وقلبي يمور في افق بشره
واذا كل ذرة في كياني
مزهـر يسبح النشيد ببحره
واذا بالزفير صار نسيما
عاطرا يملأ الفضاء بنشره
ثم عم السكون حولي فدقَّت
ساعة الوحي في سرائر ديره
فاعتلى فوق اصبعي يراعي
واجماً كالنبي يصغى لأمره
فتجلى الخيال يلقي عليه
- ليصوغ - النهار كـرائم دره
فانتقى خيرها ونظم عقداً
بهت الفن من تناسق زهره
آثر الشعر اذ راى دقة الفن
به ان يكون زينة نحره

□□□

يا أبي أنت شدو قلبي والحان
شعوري وأنت ينبوع شعره
أنت شمسي لولاك ماشهد الدهـر
غنائي يهز جلمود صخره
أنت نبع لولاك مافخر الشعر
بشعري ولا أستطال لفخره
أنت روض ل ولاك ما أقتلع الكرب
من المدنفين انسام زهره
أنت أفق لولاك لم تفرج الهم
عن المدنفين اضواء بدره
أنت بحر يجود بالجوهر الغالي
لتبقى الحياة تشدو بذكـره
أنت روح تقدس الحق حتى
صار لحنا لسره ولجهره
أنت قلب لاشيء فيه سوى
الأيمان بالله أو صفاه وطهره

أنت عقل سامي العقيدة يبدو
نبل مرماه في رضاه وصبره

□□□

ياأبي : قد صهرتُ حبة قلبي
ثم صفيتُ ذوبها بعد صهره
ثم أفرغته بقالب حب
وقف الفن دون ادراك سره
ثم أخرجت منه عقد هناء
تتجلى به معاني بره
ينمحي الدهر وهو في عالم الأرواح
حي مفرد مع طبره
هو تاج الأبوة الزاهر الخالد
بالرغم من تقلب دهره
ياأبي : هاكها عصارة قلب
عاجز أن يفي بواجب شكره
لاتقل ان خبت كواكب فكري
حجبت نورها كآبة أسره
فأنا من تقاك جاء اعتقادي
ورضعت اليقين من صفو دره
وتعلمت من هداك ثباتي
واحتمالي أذى الزمان وفخره

□□ صباح العيد :-

ألي ياعيدُ؟ هذي البسمة
البيضاء من فجرك؟
ألي أهديت هذا البشر؟
والآلام من بشرك
وتغريني بأضواء
جلاها الفن من سحرك؟
فلم أنظر سوى الاحزان
والذكرى على ثغرك؟

□□□

رويداً ياصباح العيد
بالأجفان والقلب
رويداً بالفؤاد الفاقد
الاحباب والصحب
بجسم في يد الأيام
لم يهدأ على جنب
وما زالت به الأقدار
من خطب الى خطب

□□□

أعندي تطلب الأفراح
والأنغام والشدوا؟
ولم تترك لي الأيام
آمالاً ولا رجوى!!
ولم أملك من الدنيا
سوى الأحزان والشكوى
فهب لي مهجة تسلو
وقلباً يقبل السلوى

□□□

الا ياعيد ماجفني
عن الدمع بمعذور
ولا قلبي اذا سُر
بنو الدنيا بمسرور
ولا روحي برفاف
بجو منك مسحور
أأسلو؟ كيف؟ لا أدري
فهذا فوق مقدوري؟!

□□□

أأسلو؟ كيف؟ ياقلبي
وأنت الخافق العاني
كفلت الحب مولوداً
بإخلاص وتحنان
فكان النار في الأعماق
ذات اللهب القاني
وكان السقم والبلوى
وينبوعاً لأحزاني

□□□

أقلبي إن تكن أبقت
لك الايام من صبرك
فقاوم عاصف الذكرى
وما يعروك من دهرك

وغالب وجدك المجنون
وامحُ العيد من فكرك
وذوِب روحك العالي
دمًا ينساب في شعرك

□□□

معاني العيد ياقلبي
هي الآمالُ تنقاد
فأن تظفر بها تهواه
فالايام أعياد
وإن حاربك الدهر
فأتعابٌ وأنكاد
فلا تسليك أعياد
ولا يرضيك مرتاد

□□□

معاني العيد لو فكرت
لم تبرح من النفس
فإما شئتْ فابعثها
تبث النور في الرمس
وإن واريتها يظلم
عليك الكوكب الشمسى
فعش في عالم الأرواح
لا في عالم الحِس

□□□

وحلق في سماء الكونِ
عسى في أفقه تحيا
وفتش في فضاء الله
عن اسراره العليا
ولا تعبأ بدنيا الناس
فالدنيا هي الدنيا
هي الملأى بما يضنيك
والممقوتة المحيا؟

□□□

تجرد عن معاني الترب
وانسف كل أوضاره
وكن فرداً بهذا العالم
الطاغي بأشراره
ولا تفتن بما فيه
فما فيه سوى عارهِ
ولا تنظره الا نظرة
الجاني لأوزاره؟؟

□□□

□□ تنح ان لم تنفع

اذا أنت لم تقدر على نفع صاحب
وإسعاف مصدور توالت مصائبه
ولم تستطع عون أمرئً فيك أمل
فما قيمة الجاه الذي أنت كاسبه؟
وما رجل التأريخ الا الفتى الذي
يلوذ به عند الشدائد صاحبه
فيرجع عنه الدهر خسران خاسئاً
وتسعفه اخلاقه ومواهبه

□□□

□□ وجوم حزين

أيغنني؟ من تنأتْ
داره والوجد يدمي مهجته
ان تهجني وتمادت
بالأغاريد حمام أو هزارْ
لست أشدو مطربا
غير اني
أرسل الألحان آهات ونارْ!

□□□

آه مالي؟ لم تدعني
ذكرياتي للربوع الغالية
يالحالي؟ أرهقتني
مضرمات الشوق في نفسي وقلبي

سوف أفنــى تعبـاً
وبعيني
عبرة حيرى ثوت بين السفارْ!
سألتني باهتــمام
ربة الألحان عن سر وجومي
وَدَعَتْني للكـــلام
وهي فوق الغصــن تستوحي اللحونْ
وتغنيهــا بفــن
وانسجام
وأنا عن سر قلبي لا أبينْ!

□□□

فألحــت في طِـلابي
وأنا حيــران مفقود الكلامْ
فأثـارت بعض مابــي
بِشجِي من أغانيها المثيرهْ
لأغـــاريدي ولحــن
وغـــرامــي
فأذبتُ القلب دمعاً وأنين!

□□□

فتلاهَتْ عن دموعي
وهــي تجــري فوق خَدِّي غزارة؟
ثم قالت : أسجوعي
هــاج هذا الدمــع والقلب المعنَّى؟!
وأتــــت مستغفـــرة
بخضــــوع
وأنا في ألمي أحيا وأفنى؟!

□□□

لم تجــدني اذ تــدانتْ
غير صخر نبعتْ منه المياهْ
حققتني وأجــالــت
في عينيها ولم أبدِ حَرَاكًا
وأنثنتْ مستعبره
بــدموع
عصرتها عينها عطفًا وحزناً
وأستجاشت ثم غَنَّتْ
نغمةً ثكلى على القلب الصريعْ
وأستدارت ثم رَفتْ
بجناحيـها على وجهي وقلبي
فتحركت ولكن واجما
فأهَمَّتْ
أن تَسُلَّ الوجدَ من طيات جنبي

□□□

وأستمرت في انهمار
أدمعي ظنًّا بأن تمحو شجوي
فأستقرت بجواري
علّهــا تعـرف سِري من دموعي
فطــوى الجفن دموعي كاتماً
فألمت
بخيالٍ لاحَ من سري وحبي

□□□
□□
□

ملامح الشخصية في القصة اليمنية المعاصرة

دراسة تطبيقية أجريت على خمس وعشرين «نصاً سردياً»

د/ عبد الملك مرتاض
جامعة وهران - الجزائر

كانت النية حين جئنا لندرس القصة اليمنية المعاصرة ان نمسح بالقراءة عشر مجموعات قصصية على الاقل ، في محاولة للاطلاع على اكبر ما يمكن من الكتابات القصصية اليمنية التي اشهد لها بانها متميزة بخصائص تستمد من بين الكتابات القصصية العربية مشرقا ومغربا فهي تصوغ بعبق الشيح اليمني وعراره وتتنفس عن نسيم اوديته العميقة ومياهه الرقراقة وجباله الشاهقة ، وفجاجه العريضة ومعلقاته «مدرجاته» البديعة ، كما تعكس لغتها الفنية وهج الشمس وضوء القمر والاغبرة التي تثيرها السواقي كما تصور بصدق عجيب محلية اليمن في مقايله وحياته الاجتماعية والسياسية في شيء كثير من حرية التعبير ، وعمق التفكير والشخصية في القصة اليمنية طيبة وديعة في معظم اطوارها ، حيث ان معظم الشخصيات تتعرض للهوان او العذاب والذل اثما وعدوانا من قبل نظام الامام .. فما امتع واروع ان يقرأ القارئ اطرافا من هذه الكتابات القصصية اليمنية التي تعبق بصدق المحلية وجمال التصوير ، وبساطة التعبير ..

لكن ضيق الوقت حال بيننا وتحقيق هذه الرغبة وقديما قالت العرب .. « حيل بين العير والنزوان» فاجتزأنا بقراءة ثلاث مجموعات هي :-

- العقرب : لزيد مطيع دماج
- المرأة التي ركضت في وهج الشمس لحسن اللوزي
- عمنا صالح لمحمد احمد عبد الولي

ولعل من حق القصاص اليمنيين ان اعتذر لهم عن هذا الاختيار الذي لم اقصد من ورائه شيئا ، وانما مددت يدي الى المجموعات القصصية اليمنية فاخذت ثلاثا فكانت هذه العناوين ..

وربما كانت هذه المجموعات الثلاث التي كانت من حسن الحظ مختلفة الى حد ما ايديولوجيا وفنيا كافية نسبيا لرصد مسار هذه القصة عبر تطورها المتوثب ..

والحق اننا لو استقرأنا نصوصا سردية اخرى اضافة الى هذه ، لكنا نسينا ان نستنبط منها استنباطات قد تكون اغنى واهم ، بيد ان المدار في مثل هذه الاطوار ليس على كثرة القدرة وحشد المساحة وانما يقوم على تأسيس منهج ، ورسم خطة للدراسة ..

وقد لاحظنا حين جئنا نكتب عن بعض هذه القصة ، ان الكتابات السردية اليمنية مظلومة لم تلق من العناية والدرس من النقاد اليمنيين والعرب ماكان جديرا لها ان تلقاه منهم . وهو جنس قد نصادفه في الشعر ، والادب الشعبي .. اما القصة فاننا اذا استثنينا الاضاءات القيمة التي كتبها الدكتور عبد العزيز المقالح في بعض المقدمات التي قدم بها لطائفة من هذه المجموعات وخصوصا مقدمته لمجموعة «طاهش الحوبان» (لزيد مطيع دماج) والفصل الذي افرده للقصة اليمنية القصيرة

في كتابه « قراءات في الادب والفن » والمحاولة الجادة التي جاءها الدكتور عبد الحميد ابراهيم في كتابه « الوان من القصة اليمنية المعاصرة » (وهي تتمثل في كتابه مقدمة قدم بها بخمس وعشرين قصة لكتاب يمنيين مختلفين » نجدها كما لاحظ ذلك عبد الحميد ابراهيم نفسه تسير «في غيبة تكاد تكون تامة عن رقابة النقد» (ع ، ابراهيم ص ٣٨) . .

لايستطيع احد ان ينكر الان بان القصة اليمنية انطلقت بعنفوان وبعثت في الدم العربي شيئا لم يكن فيه مثلها مثل صنوتها في المغرب العربي ، . . ولكن لا احد يستطيع ان ينكر ايضا بانها شمرت هي ، وقعد النقد يتفرج اخرس لا يدري ايقدم رجله ام يؤخرها ؟

ولعل بعض ذلك الصمت النقدي هو الذي ازجانا ان نكتب عن هذا الجنس الادبي ، الجميل في اليمن ، بعد ان كنا اخرجنا كتابا عن هذا الجنس الادبي في الجزائر . . فغالبنا الكسل الذي يعتور الجسم والعقل معا في شهري ناجر ، واقبلنا على قسم المكتبة اليمنية التي خصصنا لها رفا كاملا في مكتبتنا ثم دبجنا هذا الفصل الذي هو في الحقيقة جزء صغير من كتاب كبير . . قد نقدم على نشرة حين استكمال كل عناصره . .

لماذا الشخصية وليس البطل ؟

لايزال الخلط يميز كثيرا من الكتابات النقدية العربية فيما يعود الى اصطناع المصطلح النقدي المعاصر ، فنحن نصرف الوهم الى مفهوم الشخصية الذي نعالجه في هذا الفصل نجد بعضهم يصطنع له «الشخوص» (وهو جمع شخص ، والشخص هو الانسان ، الكائن الحي العاقل الناطق) وبعضهم يستخدم «الابطال» معتقدا ان هذا المفهوم مرادف لمفهوم الشخصيات ، والشخصيات التي مفردها شخصية هي اداة سردية مثلها مثل اللغة والزمن والحيز والحدث ، او هي كما يعبر طودوروف وديكرو مجرد «كائن من ورق» فكيف اذن نطلق بعي على الكائن من ورق ما نطلقه على الكائن الحي العاقل الناطق . . ؟ والفرق بين هذا وذاك ان هذا يعيش حقا في التاريخ ويكون له وجود قانوني ويسجل في المجتمعات المتحضرة في السجل البلدي ، ميلادا ووفاة بدءا ذات مجرد شخصية متوهمة ينشئها خيال القاص ، او الروائي ، او المسرحي لمحاولة بلورة الحدث السردي بواسطتها ، فالشخصية صورة متوهمة للشخص وليست الشخص فليطلق عليها في شيء كثير من السذاجة «الشخوص» . .

اما البطل فقد حدد الغربيون مفهومه في كتاباتهم النقدية ودوائر معارفهم العصرية فاذا هو يختلف عن الشخصية لكونه ينهض باعمال خارقة يستطيع الانسان القيام بها ، فتراهم يطلقون اسم «البطل» على كل شخص عرف في تاريخ الخيال الشعبي الانساني بانه فوق مستوى البشر ودون مستوى الاله ، فكان البطل نصفه بشر ونصفه آلة . . وينطبق بعض هذا المفهوم لدى الغربيين على هرقل وصمصون وعنتره وفيروز شاه عند العرب . .

فالشخصية اذن هي الاولى بالاستعمال في هذه الدراسة ، فهي مجر اداة من جملة ادوات سردية يفسرها السارد في نصه لغاية فنية . . يختلقها ثم يقتلها او يذرها تحيا الى حين ، واذن فلا شخوص ولا ابطال وانما هي شخصيات . .

خصائص مجموعة العقرب

ان مما لاحظناه من الخصائص الفنية في القصص الواردة في مجموعة «العقرب» لزيد مطيع دماج :-

١ - طغيان المحلية الاصيلة « وهي خاصية كان لاحظها الدكتور عبد العزيز المقالح في تقديمه لمجموعة «طاهش الحوبان» وقد لاحظنا ذلك في جل القصص الواردة في «العقرب» ان لم نقل في كلها ، فنجد الحديث ، عن القات والتخزين ، والمقايل والشاي ، والتدخين والسجن ، والفقر والشمس والاتربة والغبار .

٢ - انها تصور تصويرا صادقا الحياة الاجتماعية

والعلاقات العامة بين الناس في المجتمع اليمني بالامس واليوم ، (وهذه الخاصية في الحقيقة ، مكملة للخاصية الاولى) ويلاحظ في التعرض لعلاقة الشخصيات بعضها ببعض في مجتمع الامس احتدام الصراع بين الحاكم « الإمام» والمحكوم (الشعب اليمني) او بين السلطة المضطهدة والشعب الفقير المحروم ، ويتجلى ذلك خصوصا في ثلاث قصص هن « ثورة بغله» والظاهري واول المنتحرين.

٣ ـ انها حاولت باصرار مخلص ابراز دعائم الوحدة واواخيها في سلوك الشعب اليمني ، وتفكيره ، ومسعاه ومحياه . . ويتجسد ذلك خصوصا في قصة الرحلة (وهي ارقى في رأينا على الاقل قصة في هذه المجموعة وهي لا ينقصها ، لكي تكون رواية الا تفصيل بعض الملامح واغناء بعض المناظر واشباع بعض خيوط الحدث).

٤ ـ تصادفت في مجموعة « العقرب» كل الطبقات الشعبية بمن فيهم المشردون ، والموظفون التعساء والعمال الفقراء ، والشرطة الباغية والجند المتغطرسون والجامعيون المتحذلقون . .

٥ ـ كأن مضامين هذه المجموعة محاولة مصرة وواعية معا لمسح كل الهموم والاحن التي يتجرع مرارتها الناس في مجتمع تتنازعه الاصالة الموروثة في السلوك والعواطف منذ العصور الموغلة في القدم فيقف حيران او شبيها به على هذا البرزخ المطل على عالمين متناقضين متنافرين . .

٦ ـ توظيف التراث الديني والتاريخي وربطه بالمعاصرة فاذا نتف تلقاك هنا وهناك من قصص المجموعة من احاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، واقوال مأثورة معزوة لعمر وعلي وابي ذر بالاضافة الى توظيف مواقف ، تاريخية مرتبطة بالنضال في سير ابي ذر والحلاج ورابعة العدوية ، او توظيف مواقف تاريخية ذات غايات اخرى كاشارة الحديث عن هارون الرشيد وزياد بن ابيه . .

٧ ـ توظيف مواقف نضالية معاصرة اصبحت ، رمزاً للاستماتة والشهامة والاباء الوطني مثل اثارة الحديث عن سير بعض زعماء الحرية في العالم امثال الياندي (الشيلي) . .

٨ ـ غياب الشخصيات النساء غيابا ملحوظا الا في قصتي «الرحلة» وفتاة مدبرة (على الرغم من ان الشخصية المرأة في القصة الاخيرة لاتصنع شيئا ولا تحاول ذلك كأنها وظفت في نص القصة لمجرد الزينة السردية ، مثلها في ذلك مثل الزوجة في قصة «الحياة» . .

ولكن الذي انقذ الموقف الفني في مجموعة «العقرب» ان الفتاة صاحبة المسجل التي امتطت الحافلة مع الركب من تعز الى صنعاء نهضت بوظيفة الشخصية الخيرة الشجاعة حيث كانت هي الحكم القوي بين المتخاصمين من الركاب من جهة ، كما وقفت موقفا شهما حين عرض الجند للركاب وهموا بازعاجهم ، فقد ضحت الفتاة بمسجلها الذي القى به احد الجنود بعيدا عنها فتكسر وامسى قطعا منفصلا بعضها عن بعض . . . ان هذا الموقف الجريئ العنيد لاتقوم به الا شخصية الفتاة اليمنية الاخرى في قصة « المرأة» التي ركضت في وهج الشمس لحسن اللوزي حيث تعمد الى اللثام والحجاب فتحرقهما ، وتصر على انها لن تخرج الى الشارع والعمل الا سافرة ولكن الاب يصر على ان تثوب الى حجابها ، لان الخروج عنه يجلب له العار ، ولكن الفتاة الثائرة تصر على ان لا تعود اليه ابدا ، وتنقطع عن العمل يوما واحدا ، تنتصر بعده على ابيها ، ثم تخرج في الشوارع طليقة كالحمامة . .

ويتكرر مثل هذا الموقف ، عند اللوزي ولكن بوجه اخر في قصة البحث عن طريقة ما حيث ان الفتاة الشخصية المحورية في هذه القصة ترفض رأي امها ، وطلب الفتى الذي قص اثرها في الشارع لكي يختطبها ، وذلك على اساس انها خطبة شفقة ، لا خطبة حب وتكافؤ وقد الفيناها تلقي بالحجاب وتلح على الفتى الخاطب سافرة . . مع انها كانت تبدو في اول امرها مجرد فتاة متسولة متشردة في الشارع تلتمس الصدقة من اولى الاحسان . .

٩ ـ نلاحظ ان المؤلف ، دماج كان يجنح الى اطلاق

اسم علي على شخصياته في هذه المجموعة «فاطمة علي في قصة «فتاة مدبرة» والاستاذ علي «في قصة اول المتحرين» والشيخ علي الجريح في قصة (الرحلة).

من خصائص مجموعة المرأة التي ركضت في وهج الشمس

تتميز الكتابة القصصية عند حسن اللوزي في هذه المجموعة بمميزات ترقى به الى قاص جيد ، ولاسيما في جملة قليلة من قصص هذه المجموعة ، ومن الخصائص التي لاحظناها في كتاباته السردية :-

١ : طغيان المحلية « وهذه صفة مشتركة في حقيقة الامر ، بين القصاص الثلاثة ، ان لم نقل بين جميع القصاص اليمنيين حيث سنلاحظها ايضا في مجموعة «عمنا صالح » للمرحوم محمد احمد عبد الولي مثلما كنا لاحظناها عند زيد مطيع دماج في «العقرب».

وليست المحلية عيبا ولا نقصا ولا ضحالة في الخيال ، ولا تقوقعا في الاقليمية ولا تعصبا للوطن ، وانما هي سلوك فني اصيل يسلكه عمالقة القلم حين يلهمون الى كتابة ادب خالد عظيم ، فلم تخلد المعلقات الا لمحليتها ولا الالياذة ولا «الايام» ولا مائة سنة من العزلة ، لغابرييل غارسيا ماركيز. فالمحلية اذا تنوولت باصالة في الكتابة وعبقرية في التصوير ، وصدق ورشاقة في العرض ، هي التي تكون اول المؤشرات لاصالة العمل الادبي وخلوده. فليست المحلية اذا مذمة وانما هي محمدة بيضاء.

٢ - تتميز الكتابة السردية عند حسن اللوزي بالتولج في عالم المرأة ، لاستكناهه ، او الغوص في اعماقه ، فاذا معظم قصص هذه المجموعة يعرض للعلاقة بين المرأة والرجل في المجتمع اليمني الجديد ، كما تتميز قصصه من دون القصص الاخرى في المجموعتين الاخريين ، بتناول المرأة اليمنية ومحاولة رسم دورها في بناء المجتمع اليمني المتحفز ، فكان اللوزي خلق ليكتب عن المرأة التي منحها بسطة واسعة للدفاع عن مكانتها في حياة كما نلاحظ ذلك في قصتي « البحث عن طريقة ما » والمرأة التي ركضت في وهج الشمس «وقد تكون هذه القصة ، اذا حق لنا ان نصدر حكم قيمة ارقى قصص المجموعة» وعن نفسها وشرفها «قبل الاستسلام لرغبتها الكامنة في اعماقها » كما نلاحظ ذلك في قصة العطش .

٣ - المرأة ، في قصص اللوزي ، هي اصل الكون ، والشمس عنده هي راعية الوجود «معبد الشمس لبلقيس».

٤ - المكان في قصصه تتنازعه الحيزية طورا ، والجغرافية اطوارا حيث اننا نلفيه اغرق في الحيزية منه في الجغرافية اذ معظم الامكنة الواردة في اعماله السردية هي شوارع ومسارح ودور ومقاه في صنعاء وربما تفرع المكان الى بوخاريس كما نلاحظ ذلك في قصة « البحث عن طريقة ما » والى نيويورك كما يجري ذلك في قصة يحدث احيانا في الجمجمة . .

٥ : مالا يقل عن اربعة اعمال في المجموعة « في الذاكرة ام خارج الذاكرة ؟ «وحكاية قصيرة جدا » واعباء رسالة وشرشرات مع الموت ، انما هي مجرد خواطر وتأملات وانا لا أدري لم ادرجت في هذه المجموعة ؟

٦ - ان اللوزي يؤثر في بعض القصص اطلاق عناوين لتدرج فيما يمكن ان نطلق عليه ، اللغة الجديدة اي ما يطلق عليه الغربيون «نيولوجيزم» حيث اننا نلاحظ انه يختلف عن دماج وعبد الولي اختلافا واضحا في ايثار العناوين غير المباشرة ولاسيما بالقياس الى ما يلي :-

- ○ **دوامة الدم والمطر**
- ○ **اللحظات بعدها**
- ○ **المرأة التي ركضت في وهج الشمس**
- ○ **يحدث أحيانا في الجمجمة**

٧ - يبدو ان اللوزي لاشأن له بالكتابة السياسية في شكل القصة بالذات ، فقصتاه « هيابنا » ورأسان في ضربة واحدة قد تكونان اسوأ قصص هذه المجموعة مباشرة ورتابة وبروده ، فعبقريته تتفتق حين يتناول المرأة وعلاقتها بالرجل . . فليكرع من

هذا النهل الثر .. فهو المجال الذي يجد نفسه فيه ، بل المضطرب الذي قد لا يسابق فيه ..
٨ ـ قد يكون اللوزي من احسن كتاب القصة اليمنيين اصطناعا للرمز وتوظيفا للتراث ..

من خصائص مجموعة «عمنا صالح» لمحمد عبدالولي

لقد لاحظنا انه يشترك مع دماج واللوزي ، في بعض الخصائص مثل :-
١ ـ المحلية الصادقة (اللهج بذكر القات ، والشاي والتدخين والسجن ، والسجناء والفقر والفقراء ، كما يشترك مع دماج خصوصا في الايلاع بوصف الحياة في سجن القلعة الرهيب حيث مالا يقل عن اربع قصص تتناول العذاب ، ووصفه في ذلك المحشر البشري الشنيع وهي «عمنا صالح العمراني» و«ذئب الحلة» و«السيد ماجد» و«ليلة حزينة أخرى» .
بل انه ليفوق زيد مطيع دماج حيث ان هذا القاص لم يتناول السجن ، والسجناء الا في قصتي ، اول المتنحرين ، وثورة بغلة بصورة صريحة وان كنا الفيناه يعرض في بعض الاحيان الخلفية للحياة في هذا المحشر الجهنمي في قصتي ، «الظاهري» والرحلة ثم وان كنا لاحظنا ايضا انه ابدع في وصف هذا العذاب خصوصا في قصته اول المنتحرين وهي قصة مثلها مثل الرحلة « كما كنا اومائنا الى بعض هذا من قبل » ..
لايكاد ينقصها من مقومات الرواية وعناصرها شيئ كبير ..
وقد لاحظنا ان اللوزي يشترك معهما في وصف حياة السجون ، ولكن في شيئ من الاحتشام الفني وذلك في قصته « يحدث اثناء المخاض» حيث ان صورة السجن هنا تكاد تكون ميتة فهي وصف لوضع فحسب ، وكان الاولى ان يدفع بالشخصيات الى محاولة التخلص من وضعها الشقي كما جاء ذلك بروعة عجيبة ، زيد مطيع دماج في اول المنتحرين اذ ظل الصراع محتدما بين السجناء ، ومدير السجن ولاسيما بين شخصيتي المريض والدكتور فجاوز النص الوصف الى الفعل ، والتفكير الى الحركة ، ووصف الحال الى التطلع الى تغيير الحال ، ولم يخمد هذا الصراع الذي ظل مضطرما الا حين استطاع السجناء ان يفروا خلسة مما اضطر مدير السجن الى الانتحار ..
والمحلية وهي صفة لا مغمزة ، كما قررنا ذلك من قبل ، التي تتجسد في كتابات القصاص الثلاثة لا تتجلى في الحقيقة في وصف مجالس القات ، والتدخين والفقر والاغبرة المثارة والشمس الساطعة ، والرياح العاصفة ، وانما تتجسد ايضا كما رأينا في وصف مرحلة تاريخية مفعمة بالعذاب ، يخيم عليها اليأس والتعاسة وتتسم بالبؤس والذل والخنوع وهي فترة حكم الامام ، ان حكم الامام في اليمن كان اسوأ الف مرة من حكم اي استعمار غربي.
٢ ـ لايكاد محمد احمد عبد الولي يصطنع المرأة شخصية في مجموعته هذه باستثناء لا جديد ، ورغبة وبدرجة ادنى النهاية اما في قصة عمنا صالح العمراني فنجده يتحدث عن الفتاة اليهودية الحسناء التي جنت العمراني بجمالها الخارق ، وسحرته ببهائها الفائق ـ من وراء الستاء ـ فحسب ، حيث ان شخصية الفتاة لا تبدو أي لا تضطرب في حيز القصة .. مثلها مثل فتيات صنعاء اللواتي كن ينظرن الى اول سائق سيارة يمني خلسة من النوافذ وخصاص الابواب ..

وعلى ان عبد الولي لم يقف من المرأة موقفا منصفا ، فيما يخيل الينا ، حيث انه حين يصطنعها شخصية ، يقدمها بئيسة ضعيفة لاتقاوم ولا تستطيع تغيير الوضع القائم في شيئ .. كما نلاحظ ذلك في قصة «رغبة» حيث ان العذراء الزنجية حين تقع بين يدي الفتى المفترس ، المكبوت لاتقاوم ولا تمانع بشكل صريح ، وكان جائزا او واجبا ان تصرخ ، او تبدي اي نوع اخر حقيقي من المقاومة وانما نلفيها تستسلم للفتى الشبق كالقضاء والقدر ، وكأن ذلك الاستسلام كان امرا عليها محتوما حيث لم تضف المراهقة شيئا على ترديدها عبارة «عادني بنت ! عادني بنت » (عمنا صالح ٧٤) بل كأن اسفها

على ان كانت بنتا لم يكن لان شرفها لطخ وانما للوجع الذي كانت تشعر به وهي تفتض.

وربما كان حسن اللوزي اذكى. واوغل في الفن من عبد الولي ، وذلك في قصته «العطش» حيث انه يصور الكبت الجنسي الذي كان يعانيه الرجل اليمني غير المتزوج (والتزوج عسير على معظم الفتيان لغلاء المهور وندرة الدور) وان كنا نقر بان عبد الولي ، هو ايضا وفق في رسم صورة الكبت الجنسي لدى فتى في سن الثامنة عشرة في عدن حيث الفيناه يرسم صورة هذا الكبت باسلوب اخر ، عند رجل يمني اخر يقطن صنعاء وهو في الثلاثين من عمره.

وبينما يجعل عبد الولي نتيجة افتضاض الصبية الزنجية ذات الاربع عشرة سنة تبدو وكأنها شرعية ، بحيث يتم الافتضاض وتتكرر الممارسة الجنسية دون التفكير في اي عاقبة « الحمل مثلا » فكأن المجتمع يرضي عن مثل هذه الامور ويعدها شرعية لا تدان (و هو امر بعيد عن سيرة الواقع في المجتمع العربي عموما ، والمجتمع اليمني خصوصا)

فاننا نجد المرأة المهجوم عليها عند اللوزي ، ترفض بشراسة كالنمرة الضارية ، ثم تعارض ثم تمانع ثم تتظاهر بالتأني ثم تتردد وتحار «وهو شأن يلحظ في سلوك اي امرأة كريمة وهو سلوك طبيعي في سيرتها لا نحتاج ، فيه الى تعلم ولا الى تمرس» قبل ان تسقط في احضان الرجل المكبوت المحروم من الجنس الذي ظلت هي ايضا في حقيقة امرها محرومة منه طوال عشر سنوات او اكثر. ولكن نتيجة هذا الوصال الجنسي كانت وخيمة حيث قتل الرجل والمرأة معا. ولم يخرجا من تلك الدار الا في نعشين. فالمجتمع لايتساهل في مثل هذه الامور فيسمح لرجل وامرأة بممارسة الجنس ، بصورة غير شرعية على مرأى ومسمع منه بدون عقاب ..

٣ : المرأة عند عبد الولي مستسلمة ، ضعيفة لا تقدر على شيئ لاتصارع ولا تمانع ولا تعارض ولا تدافع ، وقد استخلصنا بعض ذلك من القصتين اللتين جعل فيهما المرأة شخصية لهما وهما «رغبة» ولا «جديد».

بينما في هذه المرأة عند حسن اللوزي ، كما رأينا منذ قليل شرسة كاللبوة (العطش) وذات كرامة وشخصية قوية طورا ثانيا (البحث عن طريقة ما) وثائرة ، متمردة عنودة ، تتطلع الى التطور وترفض الجمود والسلفية طورا اخر «المرأة التي ركضت في وهج الشمس» ..

فشخصية المرأة تقوم في درجة واحدة مقابل شخصية الرجل ، بينما نجدها عند عبد الولي مقدرة او ميسرة لما خلقت له في النص ليقع عليها الفعل كما يقول النحاة ، اي ليسقط عليها الحدث باثقاله لا انها تسهم في تطوير مساره وتختاره في مجراه كما نلاحظ خصوصا في قصة «رغبة» التي نجد فيها شخصية الفتاة مجرد دمية ميتة يسخرها الفتى لما كان يريد.

وعلى ان من حسن حظ الشخصية المرأة ان زيد مطيع دماج هو ايضا يمنحها ابعادا ايجابية في قصته « الرحلة» فينضاف بذلك الى حسن اللوزي او ينضاف اليه ، حيث نجد شخصية الفتاة ذات الشرشف ، في هذه القصة ، تتخذ ثلاثة مواقف شهمة لم يستطع ان يتخذها من معها من الرجال.

١ : حين اراد جندي الاعتداء على الرجل المهندم وزوجته في الحافلة.

٢ - حين ازمع سائق الحافلة التخلي عن اثنين من الركاب تحت صمت زملائهم المسافرين فقد تاه اثنان من المسافرين حيث كانا يبحثان عن ورقة بينة اثارتها الريح وعبثت بها في كل اتجاه ، وذلك لكي يقدماها الى المحكمة لتحكم لهما باعادة الارض ، فالفتاة هي التي هبطت من الحافلة وعادت بالتائهين وهما حزينان باكيان ولم تبخل الفتاة اثناء ذلك في مواساة الرجلين.

٣ : حين اراد الجند تفتيش ركاب الحافلة وازعاجهم ما لصاحبهم الذي كان المراقب انزله من الحافلة لرفضه اداء مبلغ تذكرة السفر.

ففي كل هذه المواقف الثلاثة كانت الفتاة ذات الشرشف تستحيل الى شخصية ذات جراة

خارقة من اجل الانتصار للمظلومين وظاهرها على ذلك جمالها الرائع ، ومرحها الطافح .

٤ : وقد لاحظنا ان عبد الولي كان يوظف المعتقدات الشعبية في بعض كتاباته القصصية وخصوصا في قصتيه «عمنا صالح العمراني» وليلة حزينة اخرى وهو يتميز بهذه الخاصية من دون صاحبيه حيث يذكر في القصة الاولى ان ماكانت تتنبأ به شخصية العمراني في صورة تهويمات هذيانية كان يقع حتما فالتوديع عند العم صالح كان معناه تشييع جنائز من القلعة والترحيب كان معناه استقبال سجناء جدد.

ويتكرر هذا السلوك الاعتقادي في «ليلة حزينة اخرى » حيث ان العمراني حين كان يهمهم في هذيانه في تلك الليلة قائلا :-

- يا اهلا يا مرحبا . . يا اهلا . . (عمنا صالح ص : ٦٠) لم يكن يعني الا ان القلعة ستستقبل مع الفجر سجناء جدداً.

٥ : الجنس : يتميز عبد الولي عن صاحبيه بتناوله الجنس تناولا صريحا في قصته «رغبة» واذا كان اللوزي تناوله ايضا في قصته «العطش» فانه لم يأت ذلك الا في صور رمزية شعرية غطت به الفعل الجنسي المغلظ وجعلته يمارس تحت غطاء صفيق بحيث يقرأ المرء فلا تثيره القراءة مثلما تثيره حتما في «رغبة» حتى كأن عبد الولي لم يكتب هذه القصة الا لغاية جنسية خالصة ولعله كتبها في اوائل حياته الادبية.

ومهما يكن من امر ، فان هذه الميزة تميز مجموعته عن مجموعتي صاحبيه ، وتجعله من اوائل القاصين اليمنيين تناولا للجنس بهذه الصراحة.

الشخصية غير المخدوعة

نعني بالشخصية غير المخدوعة كل شخصية تتحرك في حيز النص وهي باهتة شاحبة ، ملامحها غامضة ، وكأنها وليد مجهض ويجوز ان نطلق على هذا المفهوم ايضا « الشخصية المرتجلة» . .

ويشترك في هذه الخاصية القصاص الثلاثة بدون استثناء فمما نلاحظه من ذلك لدى اللوزي انه يقدم في قصصه بعض الشخصيات كالدمي ، كالشخصية التي اتهمت بالشيوعية في قصة (يحدث اثناء المخاض) فسيقت زوجته الى السجن وهي حبلى ، فقد انتزعت المرأة من على فراش الزوجية والبعل ينظر دون ان يثور او يقاوم فلما ذهب الى السجن ليسأل عنها اجهز هو ايضا عليه ، ونحن نتساءل عن هذا المنطق الذي جعل الشرطة تقود امرأة الشيوعي ولا تقوده هو فتريح وتستريح؟ . فانا لا ندري كيف تركت الشرطة الهدف الى غير الهدف . ؟

ان الذي يعنينا هنا هو ان الشخصية «المرأة والرجل معا » تبدو بدون ارادة مسلوبة عاجزة ، كأنها شخصية غير راشدة ، فكأن النص لم يرد من وراء سرده غير تصوير واقع معيش بدون رغبة على الاقل سرديا ، الى تغييره والثورة عليه بوجه من الوجوه.

ومما يتصل بهذه الشخصية غير المخدومة ، او غير المبلورة ، ولا نقول الغامضة نلاحظ عددا منها في المجموعات الثلاث فبالقياس الى « العقرب » نجد شخصية فتاة مدبرة غير واضحة المعالم ، لم يرد النص السردي رسمها مثلما رسم في شيئ من القدرة الفنية شخصية الفتاة ذات الشرشف في قصة الرحلة فهذه الفتاة التي تحلق من حولها الناس في بعض الشارع ماخطبها؟ ولماذا طردت من عملها في المستشفى ؟ الا لانها رفضت رغبة غير مشروعة لمدير المستشفى؟ ام لانها لعلة اخرى؟ ثم ما شأن الشخصية المنقذة (الراوي) بها ؟ ثم ما بال الطلقات النارية التي تطلق لدى خاتمة النص السردي ؟ أكانت رميا للفتاة حتى لاتبيح بالسر الهام احتمالا ؟ ام رميا للشخصية المنقذة لها ، غيرة على الفتاة ثم ماذا كان من وراء كل ذلك . ؟

كأنه لاشيئ حدث ، وكأنه لا شيئ سيحدث من بعد ذلك ؟ فكأن هذه الفتاة مجرد شخصية ورقية « وهي من الناحية النظرية يجب ان تكون كذلك » رسمها القاص على نحو ارادة فلم

يتم له ما اراد . كأن كل شيئ غير مستكمل في هذه القصة ، وكأن كل مقدمة بدون نتيجتها وكل نتيجة بدون مقدمتها .

ولعل بعض ذلك ما نلحظه في قصة «دوامة الدم والمطر» لحسن اللوزي اذ الشخصية هنا لا تكاد تبدو ملامحها فهي حائرة ممزقة ، لانها لم ترسم ، فنجدها تمتطي سيارة ثم تدوس بها الناس ، ثم نلاحظ من بعد ذلك انها ترفض بكل بساطة الانقياد الى الشرطة تسقط في ابتذالات ليلية مع زوجة لها .

فالاولى لماذا اقدمت الشخصية في هذه القصة على دوس الناس وهم يستسقون ؟ الانها مجنونة حقا ام لانها كافرة كفراً مغلظا ام لانها مستهترة بالقيم الاخلاقية ؟ ام لانها كل ذلك ؟ ام لان قوى باغية كانت ورائها تحميها مهما اقترفت من جرائم ومهما هتكت من حرمات والا فكيف ترفض الانصياع الى الشرطة حين اقبلت لتحقق معها . ؟

والثانية الى اي غاية كان الراوي يقصد ؟ ولم بني هذه الشخصية هذا البناء المرتجل المستعجل . ؟ هل وضع ملامحها ورسم معالمها وحدد لها الوظيفة في هذا النص . ؟

ولا يقال الا بعض ذلك في قصة «النهاية» لمحمد احمد عبد الولي حيث اننا نلفي الشخصية (الفتى) حائرة ولعله بشرب الخمر محتالة كذابة ، بحيث تجيب الذين يراسلون الاب المتوفي باسمه وكأنه لايزال حيا خيفة ان يلعن ورثته المظنون وجودهم في اليمن فيطالبوا ببعض الثروة التي خلفها المتوفي في ارض الحبشة . . وتظل شخصية المرأة صاحبة الحان التي كان يشرب عندها فيشاربها اغمض واعصى ، على الفهم ، ان شخصيتي الابن المحتال والفتاة صاحبة الحان تظلان شاحبتين بدون رسم .

ومن حسن حظ النص السردي ان المؤلف اوما في بعض مقاطعه الاخيرة الى ان الشخصية المركزية كانت محتالة بعدم اقدامها على نعي الوالد للاقارب والاصدقاء ، في اليمن . . والا لظلت القصة مجرد تأملات تائهة في شوارع اديس ابابا .

الشخصية المجنونة

ويشترك القصاص الثلاثة في اصطناع الشخصية المجنونة اما من اجل تصوير واقع فظيع واما من اجل غاية فنية اخرى ، جنون الذي يلحق ببعض شخصيات هذه المجموعات الثلاث ناشئ اما عن الحرمان والكبت واما عن النكال والعذاب في سجن القلعة ، او جهنم اليمن .

ونجد محمد عبد الولي يبرع براعة فائقة في استخدام الشخصية المجنونة من اجل رسم الحدث القصصي وتطويره والبلوغ به الى غايته الفنية المرسومة فنلاحظ انه يصطنع هذا الضرب من الشخصية في معظم قصص مجموعته ولاسيما في عمنا صالح العمراني «وذئب الحلة» (والسيد ماجد) وليلة حزينة اخرى .

ويشترك معه في هذه الناحية الخاصية زيد مطيع دماج خصوصا في قصته «هاي هتلر» حيث نلاحظ ان شخصية هذه القصة مجنونة ويتمثل جنونها في جنون حب العظمة حيث انها تتمثل نفسها زعيما يخطب في الجماهير التي تصفق له طويلا . . ولكن هذه الشخصية تموت بعد سقوطها على درج المقهى ، فهل كان ذلك ايماءة الى موت عهد الزعامة حيث لا زعامة الا زعامة الشعوب . ؟

اما محمد احمد عبد الولي فقد وظف الجنون لغاية سياسية في شيئ كثير من الذكاء والاصرار ، بيد ان الشخصيات المجنونة في قصصه الاربع ، المومى اليها منذ حين غير حيه في الغالب ولا تجلب حتى المحبة لها كما نلاحظ ذلك في شخصية «ذئب الحلة» اذ الامر يتعلق بشخصية فتى يجن ثم يتوحش .

ولكن الذي نلاحظ في الشخصية المجنونة المستخدمة في نصوص عبد الولي انه يصطنع شخصية واحدة تحت اشكال مختلفة ، اذ ليس هناك الا شخصية صالح العمراني في حقيقة الامر ، والذي يقدمه القاص في كل قصة من القصص الاربع تحت اسم مغاير «السيد ماجد» «ذئب الحلة» ولكن بملامح واحدة او متشابهة مع ملامح

الشخصية الاولى في القصة الاولى . .

والحق ان الشخصية عند عبد الولي ثابتة لاتكاد تتطور ، وشاحبة لا تكاد تجد فيها اشراقا وقد ينطبق هذا الحكم خصوصا على شخصيات القصص الاربع التي كنا بصدد الحديث عنها، بالاضافة الى قصة «النهاية» . .

بينما نجد حسن اللوزي يصطنع الجنون فلسفة لشخصية قصته بحدث احيانا في الجمجمة . وقد لاحظنا ان هذه الشخصية ليست مجنونة من جنس جنون «ذئب الحلة» او «السيد ماجد» وانما هو جنون راق ان صح مثل هذا الاطلاق فهو ادخل في جنون الاتقياء والاولياء منه في جنون الدراويش والمعتوهين .

تجسيد الفقر والهجرة الاقتصادية

ونجد القصاص الثلاثة يحاولون رسم صورة المرأة اليمنية التي غاب عنها زوجها زمنا طويلا ، فنلاحظ ان هذه المأساة تتجلى في شئ كثير من اليأس والبؤس والتعاسة في قصة «لا جديد» لمحمد احمد عبد الولي اذ بمجرد ان تزوج الفتى هاجر عن حليلته التماسا للرزق فوضعت بعده غلاما لم ير اباه قط لانه هاجر الى ارض بعيدة جدا ، فكان يرسل اليها بعض النقود والملابس من حين الى حين من حيث كانت هي تقطن بيتا يمنيا عتيقا يوشك ان ينقض عليها . . وكانت رغبتها تتمثل في ان تعيش والصبي مع هذا الزوج المهاجر . . فكانت هذه الشخصية تعاني تعاسة العيش والحرمان من الزوج فكان الشقاء مضاعفا والحزن في قلبها مقيما.

ومثل هذا الموقف يكاد يتكرر في بعض قصة «العطش» لحسن اللوزي حيث ان المرأة التي داهمها الرجل طلبا في مضاجعتها لم يطمع فيها الا حين لاحظ بانها تعيش وحيدة منذ زمن طويل وذلك لان بعلها هاجر هو ايضا عنها.

ويتمثل فقر الشخصيات او توسط احوالها على ابعد تقدير في قصة «الرحلة» ايضا لدماج ، ان شخصيات هذه القصة كلها تركب الحافلة العمومية من تعز الى صنعاء (اذ لو كانت غنية لكانت امتطعت السيارة الشخصية ، او حلقت في الطائرة) مما يجعل الاختلاف الطبقي فيما بينهم ليس الا مجرد مظهر شكلي اقتضاه رسم الحدث وتطويره ، فليس بين هذه الشخصيات من المتوسطي الحال الا ذلك الرجل المهندم ذو النظارة الطبيه وزوجة المتحلية باساور الذهب ، وتلك الفتاة الفاتنة التي كانت تملك مسجلا تبث منه موسيقى جميلة للركاب . . وما عدا هذه الشخصيات الثلاثة المتوسطة الحال ، فباقيها يعاني الفقر والبؤس كصاحب الكوفية الخيزران التي اكل العرق نصفها الاسفل ، في انتظار ان يأكل نصفها الاعلى .

وعلى ان احمد عبد الولي يصطنع شخصية اخرى تطحنها الفاقة ويخلها الفقر ، وهي شخصية الفتاة الزنجية العارية التي كانت تغسل صحون الموسرين في بعض احياء عدن فلم تكن هذه الفتاة تكاد ترتدي شيئا يسترها مما اغرى بها الفتى الموسر ويسر له افتضاضها العرى والفقر وهي الشخصية التي تصادفنا في قصة «رغبة» . .

ويعود زيد مطيع دماج الى اصطناع الشخصيات الفقيرة وذلك في قصة «الحياة» التي تصادف فيها شخصيتي الزوجين ، «الرجل والمرأة» يعانيان كثرة الولد وانعدام المدد فقد ملأت المرأة الناتقة الرحم بيت زوجها ، اولادا اقوياء اشداء لا يموتون فينقص العدد ولا يغني هو فيقدر على النفقة . . انها قصة تصور مأساة الفقراء المتخلفين في العالم حيث لاشئ يعرف هؤلاء غير انتاج الاطفال والالقاء بهم الى خضم الحياة مما ينشأ عن ذلك مشاكل لا حل لها ، ولا سلطان عليها لاحد.

الشخصية الجماعية

يعمد القاص زيد مطيع دماج في بعض اطواره الى استخدام ما يمكن ان نطلق عليه «الشخصية الجماعية» حيث ان جماعة من الناس

هي التي تتولى تطوير مسار الحرف وصنعه كما نلاحظ ذلك في قصة «ثورة بغلة» اذ لا شخصية تطغي على الاخرى ، وانما يقع بينها تظاهر بما فيها البغلة التي تحركت بالحكمة والعدل حين رمحت رئيس حراس سجن القلعة ، فخلصت السجناء المعذبين من شروره ، بل دفعت باحدهم الى ان يتلمس الفرار ، من ساحة العرض التي انقلبت الى معركة بين البغلة الشامسة وحراس الأمام الى قريته النائية .

فالحدث الذي تنهض به الشخصية الجماعية يتمثل في معاناة سجناء سجن القلعة ، بضواحي تعز ، فجماعية الشخصية تتجلى في تعرض الرهائن (اشخاص يوضعون في السجن رهائن الى ان يعوضوا بسواهم من اقاربهم ، والا مكثوا هناك احتمالا حتى المهات) لشقاء جماعي في غياهب القلعة .

ونلحظ بعض ذلك ايضا في قصة «الاطفال وعين الشمس» لحسن اللوزي حيث ان القصة بالاضافة الى انها الوحيدة من بين القصص الخمس والعشرين التي تتناول الاطفال شخصيات فانها في الوقت ذاته تصطنع الشخصية الجماعية فاذا الاطفال يتظاهرون فيما بينهم من اجل تحقيق غاية تفيد منها مدينتهم وشعبهم معا. فكل أطفال المدينة يتعاونون من اجل انجاز فكرة فالنص السردي هنا لايقوم على الصراع بين الشخصيات مثلما نجد في قصة « المرأة التي ركضت في وهج الشمس » مثلا وانما على التعاون والتفاهم.

توظيف الرمز في بناء الشخصية

ولم يفت القاصين اليمنيين توظيف الرمز في رسم الشخصية ، كما نلاحظ ذلك عند زيد مطيع دماج ، الذي حاول استخدام الرمز في بعض قصصه وخصوصا في «العقرب» حيث نفترض ان البيت العزيز ليس الا رمز للوطن وان الابن الذي قتل ام عريط بيده قد يكون رمزا لشاب يضحي بحياته من اجل ان تحيا الجماعة في امن ودعة وسلام ، كما ان ام عريط نفسها قد تكون رمزا لاحتلال اجنبي ضار او خطر داهم الوطن فنفث فيه السم الزعاف ، والرعب والقلق . .

ولا يقال الا نحو ذلك في قصة « الرحلة» ايضا حيث ان صاحب الكوفية الخيزران التي اكل العرق نصفها الاسفل قد يكون القاص رمز به الى الشعب اليمني ، او اي قيمة جوهرية اخرى مشابهة لشيئ على ما يبدو فيه من عتاقة وقدم فان فيه ، مع ذلك جوهر لا يمحي ولا يزول وقد يكون المهندم صاحب النظارة الطبيه رمزا للرجل اليمني الجديد ، اليمني العصري ، وقد تكون الفتاة ذات الشرشف التي تبث الموسيقى والمرح بين الناس هي الحرية ، اي الموقف المتحرر ، اي يمن المستقبل الباسم كما يتمثله النص السردي

كما ان هذا القاص قد يكون اصطنع شخصية اسماعيل الطيب في قصة «هاي هتلر» اصطناعا رمزيا.

ونجد حسن اللوزي في قصة «يحدث احيانا في الجمجمة» يبرع براعة في استخدام الرمز في تقرير فكرة الهوس النرجسي الذي يغامر بعض المرضى بحب الخطابة في الناس وازعاجهم بكلامهم الهادي ، وشخصية صاحب المقهى هي مجرد شخصية ثانوية وانما الشخصية المحورية هي المجنون ولكن هذا الجنون ليس حقيقيا كما اسلفنا بعض القول لان المجنون يخلط ويخبط وافكار هذه الشخصية هنا متزنة بل مفلسفة . . وتبدو هذه الشخصية عميقة الوعي بمشكلة الكون ، ومصير العالم ويبدو ان اللوزي اصطنع الرمز تارة اخرى في قصة « الاطفال وعين الشمس » فرمي ببعض ذلك الى هدف تربوي الغاية قصد منه تحقيق التعاون بين المواطنين ، والحرص منهم على وحدة الصف ابتغاء انجاز عمل عظيم.

انما الشيئ الذي استغربناه حقا هو كيف اتفق زيد مطيع دماج وحسن اللوزي في استخدام

شخصية ذات ملامح واحدة ؟ فالحيز هو المقهى والمدينة هي صنعاء والشخصية المجنونة هي القيمة نفسها احتمالا ونريد الى قصتي هاي هتلر ويحدث احيانا في الجمجمة فالشخصية في القصتين تتمثل نفسها زعيما هادرا بصوته في الجماهير كما تتمثل كل ما يحيط بها ولو كان في شكل كراسي جماهير تستمع وتصفق وتبارك . .

ان كل ما في الامر من اختلاف التناول في هاتين القصتين الرمزيتين ، ان زيد مطيع دماج يجعل النص السردي يتحدث عن هذه الشخصية المجنونة فالحديث اذن من خلالها ، وليس من قبلها او هو وصف بالسلوك كما كان ذلك يتجلى في المدرسة البيهافيوريسية مدرسة اوص باصوصي وها مينغواي وفيتز - جير الد) وهي ارقى طرق السرد. بينما نجد حسن اللوزي يبعث في الشخصية ، عبر القصة المومإ اليها من قبل حيويتها المباشرة فيجري على لسانها خطبة طويلة تضارع هذه الخطب الطوال التي يصبها الزعماء او من يفترضون كذلك في مسامع الناس بدون اشفاق عليهم ولا حياء منهم . . ثم ان اللوزي يتدخل في الاخير ليفهمنا بواسطة شخصيتيه المجنون وصاحب المقهى بان الذي كان يستمع اليه صاحب المقهى لم يكن خطابا وانما كان مجرد مشهد من مسرحية طويلة لما تكتمل.

ان الذي يعود الى هذين النصين السرديين اللذين افترضنا انهما رمزيتان سيقتنع بان الفكرة واحدة والشخصية واحدة والحيز واحد وربما الزمن ايضا ، وانما الاختلاف ياتي الى النصين من طريقة رسم الحدث حيث ان اللوزي يعمد الى انسنة الاشياء «اعتبار كراسي المقهى كائنات عاقلة» وهي فكرة قد تكون جديدة في القصة اليمنية المعاصرة » على حين ان دماجا يجعل الشخصية تتخذ من بهو المقهى منصة تقوم عليها باعتبارها زعيما عظيما لتعرض الابطال ، ولتحيي الجيوش المدججة بالسلاح الشاكي. . انها الجانب الرمزي يلمس في قصة اللوزي اكثر من قصة دماج.

ويظل السؤال النقدي ، قائما : لماذا تناول القاصان شيئا واحدا فهل استهواهما هذا الموضوع . . ؟ ام ان هذه الشخصية كانت حقا تعيش في صنعاء . ؟

تلكم هي بعض الملامح التي تميز الشخصية في المجموعات الثلاث التي عرضنا لها والتي لم تفرغ حولها كل ما كنا نود قوله وقد تبدو هذه الدراسة غير ذات معنى كبير مالم يضف اليها العناصر الاخرى التي رسمنا للخوض فيها ومنها المضمون المتناول وتقنيات السرد المستخدمة واللغة الفنية والحيز الذي يضطرب فيه الحدث والزمن الذي يتعامل معه القاصون في تفريغ النص السردي.

ولما كان مثل هذا غير ممكن انجازه جملة واحدة والوقت لا يرحم فاننا بهذا الفصل وفي النفس هم مقيم من الفصول التي لما تنجز ؟ وليس يسعنا ونحن نضع القلم عن هذا العمل الا ان نشد مع بثينة في سلوها عن جميل . .

وان سلوى عن جميل لساعة
من الدهرما حانت ولا حان حينها

من مكتبة هذه الدراسة

مصادر ومراجع بالعربية :

○ ابراهيم / د. عبد الحميد ، الوان من القصة اليمنية المعاصرة ، دار العودة بيروت ١٩٨١م .
○ دماج / زيد مطيع دماج ، العقرب (مجموعة قصص) دار العودة بيروت ١٩٨٢م .
○ عبد الولي / محمد احمد « عمنا صالح» مجموعة قصص ، دار العودة بيروت ١٩٨١م
○ اللوزي / حسن ، المرأة التي ركضت في وهج الشمس ، دار العودة بيروت ١٩٨٣م
○ المقالح / د. عبد العزيز ، ثرثرات في شتاء الادب العربي دار العودة بيروت ١٩٨٣م . .
○ نفسه ، في القصة (مقدمة لمجموعة (طاهش الحوبان) (لمطيع دماج) ، دار العودة - دار الكلمة - بيروت صنعاء ١٩٨٣م.
○ نفسه قراءات في الادب والفن ، وزارة الاعلام والثقافة صنعاء ١٩٧٩م . .

ملحوظة :

هناك مراجع بالفرنسية . . نأسف لعدم تمكننا من طباعتها

النقد الأدبي .. في اليمن

د/ عبد الحميد ابراهيم

ان يكون هناك ادب ، تلك مرحلة .

وان يكـون هنـاك نقد لذلك الادب ، فتلك مرحلة تالية .

اما ان يكون هناك نقد لذلك النقد ، فتلك هي المشكلة .

فنقـد النقـد مرحلة اخـيرة تتهيا قبلها مراحل عديدة يكون فيها الادب قد قطع شوطه ويكون فيها النقد قد ادى دوره حينئذ ياتي النـاقـد الاخـير ، او ناقد النقد كما يسمونه فيستوعب المراحل السابقة سواء في الادب او في النقد ، ويحاول رصد سيرها ، والبحث عن مستقبلها..

ـ ٢ ـ

واليمن الحديث قد تهيأت له مرحلة الادب ، مع قصائد البردوني وما قبلها وما بعدها .

وتهيأت له ايضا مرحلة النقد ، مع كتابات المقالح وما قبلها وما بعدها ويدخل الآن مرحلته الجـديدة «نقـد النقـد» مع كتاب الدكتور رياض القرشي عن « النقـد الادبي الحديث في اليمن ، النشأة والتطور» (١) . .

ـ٣ ـ

وهنـا التحـدي الاول الذي يواجه الدكتور رياض القـرشي فهـو يأتي مرحلة اخيرة ، بعد ان تأصل الادب الحديث في اليمن ، وبعد ان تأصلت الـدراسـات النقـدية ايضـا ، وألفت الكتب ، وصـدرت الصحف والمجلات ، ونوقشت الرسائل وأنشئت الجـامعـات ، وكثرت الاتجاهات ، وتميز اسماء معروصه . وهو مطالب بان يستوعب اولا كل ذلك ، ثم يقول بعد كل ذلك كلمته .

والتحدي الثاني يبدو في ان الدكتور رياض القـرشي ، قد طمح الى ان يستوعب كل المراحل السابقة في تاريخ اليمن الحديث ، وان يقول كلمته عن شمال اليمن وعن جنوبه ايضا ، هو لم يكتف بمرحلة تاريخية معينة ، او بشخيصة معينة او بأقليم معين ، بل امتد بكتابه خلال فترة زمانية تبدأ من ١٩١٨م وتنتهي سنة ١٩٨٨م وخلال رقعة مكانية تشمل «عدن» واقاليمها وايضا «صنعاء» واقاليمها .

ان الفترة الزمانية الممتدة خلال سبعين عاما ، تعني تاريخ اليمن الحـديث ، منـذ ان استقل الامـام يحيى باليمن عن الاتراك ١٩١٨ ، وحتى ١٩٨٨ ، ومـا بين هـذين التـاريخين من احداث جذرية ، تشكـل اليمن الحـديث ، مثـل سنة ١٩٤٨م وانقـلاب الثـلايا سنة ١٩٥٥م وحـركة العلفي واللقية سنة ١٩٦١م ثم ثورة سبتمبر سنة ١٩٦٢م .

اما الرقعة المكانية فهي تعني مجابهة لظروف في الجنوب ، تختلف عنها في الشمال ، فالاستعمار قد خلق حالة خاصة في الجنوب ، تختلف عن الحالة الخاصة التي خلقها الامام في الشمال ، وكل حالة انتجت مناخا مختلفا اثر على الادب والنقد ، ثم نقد النقد ايضا .

ـ ٥ ـ

امـا التحـدي الثـالث وليس الاخير ، فهو ان الدكتور رياض القرشي ، لم يكتف بمتابعة النقد

اليمني في المؤلفات المتاحة بل تابع ذلك النقد في بطون الصحف والمجلات ، ومنذ ان نشأت الصحف والمجلات في اليمن ، وهو يستوعب كل تلك الصحف على امتداد الشمال والجنوب يثنيه في ذلك ان بعض الصحف قد توقفت ولا يثنيه ايضا غياب الفهرسة والارشفة ، بل هو يمضي في طريقه ويعي كل تلك الصعاب ، ويتحدث عنها في المقدمة بلذة المستكشف بعد ان وصل الى غايته واحس ان صعوبة الطريق انما هي امتحان لعزائم الرجال.

ويبدو ان الدكتور رياض القرشي هو رجل التحديات يبحث عنها ثم يستجيب لها في مستوى الدرجة هو لايكتفي بان يتناول موضوعا مطروحا ولا سهلا وهو لا يكتفي بما تيسر له ولغيره من مؤلفات متاحة بل هو يتبادل موضوعا يشمل اليمن كله على امتداد مساحته الزمانية ورقعته المكانية ، وهو يستوعب كل المراحل السابقة وهو يتابع كل ذلك خلال الصحف والمجلات التي اندثرت اوكالمندثرة.

وتاتي الاستجابة على مستوى كل تلك التحديات ، وتكون النتيجة كتابا مكونا من مدخل ، وبابين ، وخمسة فصول عدا الملاحق والمصادر والمراجع والفهارس.

- ٧ -

والمدخل هنا متقن ودقيق ، لا يميل الى الاستطراد والهامشيات التي تحوم حول الموضوع الرئيسي ولا توغل فيه ، شأن كثير من المداخل في الرسائل الجامعية ، ان مدخل الدكتور رياض القرشي هنا صفحات قليلة ولكنها تتصل بموضوع الكتاب ، تتحدث عن صلة النقد اليمني بالنقد العربي ، وعن اهم اتجاهات النقد اليمني ، وعن تحديد موضوع الدراسة ثم لاتفيض في هامشيات تاريخية واجتماعية وسياسية ، تحوم حول الموضوع ولا توغل فيه.

- ٨ -

ويأتي الباب الثاني بفصليه فيبرز « الاصول والموثرات» لحركة النقد اليمني ويقوم بدور « السياج الذي انعكست عليه ، وصدرت منه الحركة النقدية اليمنية وهو يفسر الكثير من القضايا او الظواهر التي سنحاول ان نلم بها في الباب الثاني» كما يقول المؤلف (ص ٩٤).

وقد أفاض المؤلف خلال هذين الفصلين ، وعلى امتداد مائة واربع واربعين صفحة هي حجم هذا الباب بفصليه - افاض في ذكر الأحداث التاريخية ، والظروف السياسية وفي حركة الشعر اليمني خلال فترة البحث (١٩١٨ - ١٩٨٨) وقد كان لهذه الافاضة اثرها على جهده في متابعة الحركة النقدية - وليس الحركة الادبية - خلال تلك الفترة فكانت الصفحات التي خصصت لحركة النقد قليلة قياسا الى حجم الباب لا تتجاوز خمساً وعشرين صفحة ، موزعة خلال الفصلين وضائعة وسط المعلومات الكثيرة والمتراكمة عن حركة الشعر اليمني وظروفه السياسية والتاريخية.

- ٩ -

اما الباب الثاني والاخير ، فقد امتد خلال فصلين من ص ١٤٧ الى ٢٦١ ، واوقفه الدكتور رياض القرشي على دراسة . «قضايا النقد الادبي النظرية والتطبيقية».

والقضايا التي تحدث عنها في الفصل الاول اربع هي :-

١ - مفهوم الشعر
٢ - مهمة الشعر
٣ - القديم والجديد
٤ - مناهج النقاد

والقضايا التي تحدث عنها في الفصل الثاني اربع ايضا هي :-

١ - مفهوم الشعر
٢ - مهمة الشعر.
٣ - القديم والجديد
٤ - ازمة النقد اليمني

- ١٠ -

ان هذه القضايا تجنح الى الجانب النظري

على حساب الجانب التطبيقي ، ان عنوان الباب يوحي انا ازاء قضايا نظرية وتطبيقية معا ، ولكن معالجة الفصول تركز على قضايا نظرية ، ان مفهوم الشعر او مهمته ، او الصراع بين القديم والجديد هي امور نظرية ، يدور الحديث عنها في الادب اليمني ، وفي الادب العربي ، وفي الادب الاغريقي ، وفي سائر الاداب العالمية . . ومن هنا ففي هذا الباب افتقدنا الخصوصية في حركة النقد اليمني ، والتي لاتبين بصورة واضحة الا عن التركيز على الجوانب التطبيقية .

- ١١ -

حقا ان الدكتور رياض القرشي قد اقترب من حركة النقد اليمني ، وهو يعالج محور «مناهج النقاد» فقد اكتشف ان هناك ثلاثة مناهج في النقد اليمني :-

١ - النقد التقليدي.
٢ - النقد اللغوي البياني
٣ - النقد الجديد.

وفي ظني ان النقد التقليدي يمكن ان يرتد الى النقد اللغوي والبياني ، على اساس ان النقد التقليدي كان يعتمد بالدرجة الاولى على مقاييس لغوية وبيانية ومن هنا يمكن ان يصبحا منهجا واحدا ، تحت عنوان «النقد التقليدي» ومن هنا يمكن ان تصبح مناهج النقد اليمني منهجين. بدلا من ثلاثة ، هما :-

١ - النقد التقليدي.
٢ - النقد الجديد

- ١٢ -

ويمكن ايضا ان يعاد تقسيم فصول هذا الباب على اساس هذين المنهجين فيخصص الفصل الاول لدراسة « التيار التقليدي» ويخصص الفصل الثاني لدراسة «التيار التجديدي».

حقا ان هذا التقسيم بصورته المجملة لم يغب عن ذهن الدكتور رياض القرشي فقد درس النقد التقليدي في الفصل الاول الذي اوقفه لمرحلة النشأة ، ودرس النقد الجديد في الفصل الثاني الذي اوقفه لمرحلة التطور.

ولكن الاطار الخارجي كان اطارا تاريخيا ، ينطلق من مرحلة النشأة الى مرحلة التطور ولم يكن اطارا من داخل الظاهرة النقدية ، يعتمد على فكرة المنهج النقدي .

حقا ان النتيجة في مجملها واحدة . . واننا في النهاية ازاء فصلين ، الفصل الاول عن مرحلة النشأة ، او مرحلة النقد التقليدي ، والفصل الثاني عن مرحلة التطور ، او مرحلة النقد الجديد. .

ولكن نقطة الانطلاق ، من اطار تاريخي او من اطار فني تنعكس في واقع الامر على المعالجة الداخلية ان الانطلاق في المناهج التقليدية لنقاد اليمن سيجعل الباحث يركز على هذه المناهج ، ويتحدث عن تطورها من مرحلة الى مرحلة بدلاً من هذا الحديث الخاطف والذي جاء في صفحات قليلة تتحدث عن محور رابع داخل المحاور الاربعة.

- ١٣ -

ولكن الدكتور رياض القرشي يفضل استخدام «المنهج التاريخي» في تبويب الكتاب وهو منهج يقوم على تتبع التطور التاريخي للظاهرة محل الدراسة ، منذ نشأتها وخلال سيرها وحتى مرحلتها الاخيرة ، وكأنه يتتبع تاريخا ، او قصة حياة في حالتي «النشأة والتطور» كما ينص عنوان الكتاب على ذلك صراحة.

والدكتور رياض يرى ان قصة النقد الادبي في اليمن تمر بمرحلتين :-

١ - مرحلة النشأة (١٩١٨ - ١٩٦٢م)
٢ - مرحلة التطور (١٩٦٢ - ١٩٨٨م)

وهو يقسم فصول كتابه من واقع هاتين المرحلتين التاريخيتين ، فالباب الاول (الاصول والمؤثرات» يقسمه الى فصلين فصل عن الاصول والمؤثرات في مرحلة النشأة وثان عن الاصول والمؤثرات في مرحلة التطور والباب الثاني (قضايا النقد) يقسمه الى فصلين ايضا . فصل عن قضايا النقد في مرحلة

النشأة وثان عن قضايا النقد في مرحلة التطور.

- ١٤ -

والدكتور رياض حر في استخدام منهجه التاريخي ، ولكن الاخرين احرارا ايضا في تقبل هذا المنهج او على الاقل في تقبل الصرامة التي بدأ فيها هذا المنهج . .

- ١٥ -

ليس حتما ان تكون الظاهرة الادبية مرتبطة بالتغيرات التاريخية ، فقد يكون التاريخ ، في مرحلة سكون ، بينما يكون الادب في حالة حركة وازدهار والعكس صحيح ، فاليمن مثلا كان تاريخها الامامي وقبل الثورة في حالة تخلف رهيبة الا ان تلك المرحلة قد شهدت مجموعة من الكتاب الذين مهدوا للثورة وممن تم تكوينهم الثقافي قبل الثورة واسماء مثل الزبيري والبردوني والمقالح تضرب بجذورها الثقافية الى مرحلة ما قبل الثورة ولا تزال حتى الان هي المسيطرة على الساحة الادبية ولما تظهر بعد اسماء اخرى ، تتجاوزها ، فضلا عن ان تقف بجانبها .

- ١٦ -

المنهج التاريخي اذن قد يتم على حساب الظاهرة الفنية ، فالمؤلف الدكتور رياض القرشي يبدأ كتابه من ١٩١٨م وهي بداية تاريخية بالدرجة الاولى ، فقد شهد هذا العام استقلال اليمن عن الترك ، وهي بلا شك مناسبة قومية تستحق الاشارة ، ولكن ذلك يكون في مجال التاريخ ، او في مجال تتبع الحركة الوطنية في اليمن ، او عند احياء الشعور القومي.

ولكن الظاهرة الادبية باعتبارها كائنا مستقلا عن التاريخ وان تأثر به لاتفيد شيئا من هذا التحديد ، فلم يشهد عام ١٩١٨ شيئا يذكر في مجال النقد الادبي ان الدليل البيلوجرافي الذي ذكره الدكتور رياض في نهاية كتابه يعود ببدايات النقد الادبي في اليمن الى ١٩٢٦م وهي السنة التي ظهرت فيها اول صحيفة في اليمن وهي صحيفة الايمان ومن ثم كان مناسبا ان يؤرخ لمرحلة النشأة في النقد الادبي في اليمن بدءا من سنة ١٩٢٦ بدلا من سنة ١٩١٨م . .

- ١٧ -

واخطر ما في هذا الكتاب ملحقان في نهايته :-

احدهما : ملحق النماذج النقدية .

والاخر : الملحق الاحصائي (البيلوجرافيا) .

- ١٨ -

فالاختيارات التي قدمها الدكتور رياض للنماذج النقدية ليست شيئا هينا فقد انتقاها بذوق الناقد ودقة العالم وهي تمثل البدايات الاولى للنقد الادبي ، ثم مراحل تطور النقد الادبي خلال تلك الفترة.

- ١٩ -

اما الدليل الاحصائي فهو مسح لست اقول شاملا ، فلا يوجد المسح الشامل في لغة البيلوجرافيا ، وهذا الاحصاء يظل دعوة مفتوحة للاجيال القادمة لتثريه بالاضافة ومحاولة الاقتراب من الكمال ، يكفي الدكتور رياض في تلك المحاولة البداية الريادية من ناحية ومحاولة الاستيعاب من الناحية الاخرى.

وهذه الملاحق لاتقل اهمية عن الكتاب نفسه ، انها تفتح الباب لاجتهادات اخرى ، وقد تتكرر هذه الاجتهادات من فرد الى فرد ، او حتى من جيل الى جيل ، وقد تختلف هذه الاجتهادات مع الدكتور رياض ، ولكنها في نهاية الامر تخرج من معطفة او من مئزره ان استخدمنا تعبيرا يمنيا .

- ٢١ -

وقراءة ثانية في تلك الملاحق يمكن ان تقدم لنا صورة اخرى ستختلف بطبيعة الحال عن كتاب الدكتور رياض القرشي ، ولكنها على اي حال تنبثق منه.

وحين اقول (بطبيعة الحال) لا اعني استخدام القاطعة والواثقة من نفسها ، ولكني اعني ان استخدام منهج مختلف عن منهج الدكتور رياض ، قد يؤدي بطبيعة الحال الى تصور اخر لتاريخ النقد الادبي اليمني.

وقد يؤدي هذا المنهج في النهاية الى مخالفة

للدكتور رياض في تصوراته ، ولست اقول « تصحيح تصوراته » فنحن في ميدان لايقبل القطع ويفسح المجال للرأي وما يخالفه.

- ٢٢ -

والمنهج الذي استخدمه في قراءة ثانية للملاحق هو منهج فني ، يحط مباشرة على الظاهرة الادبية ، دون ربطها بالتاريخ ، او اغراقها في احداث تاريخية.

حتى لو اراد هذا المنهج ان يتتبع تطور الظاهرة الادبية فان ذلك يكون من داخلها ، واعتمادا على التطور الذاتي للظاهرة.

ان الدليل الاحصائي للمقالات النقدية ، والذي ذكره الدكتور رياض القرشي كملحق ثان ، قد يتيح لنا تبويبا اخر للرسالة وهو تبويب يعتمد على التطور الداخلي للظاهرة ودون ربطها بالفترات التاريخية المعروفة.

ان هذه المقالات تعتمد على الصحف والمجلات الادبية ، بالدرجة الاولى وهي تكاد حتى من خلال قراءة عناوينها تعتمد على عدة اتجاهات :-

١ - اتجاه يهتم بالنقد الاوروبي الحديث وتمثله صحيفة «فتاة الجزيرة» والتي صدرت سنة ١٩٤٠م.

٢ - اتجاه يهتم بالنقد العربي القديم ، وتمثله مجلة « الحكمة القديمة» والتي صدرت سنة ١٩٣٨م وصحيفة «الايمان» التي صدرت سنة ١٩٢٦م.

٣ - اتجاه يجمع بين القديم والجديد ، وقد تمثل في المجلات والصحف الجديدة والتي اخذت في الظهور بدءا من اوائل السبعينيات ، مثل :- الحكمة الجديدة - الكلمة - اليمن الجديد - الثقافة الجديدة - دراسات يمنية.

٤ - اتجاه تغلب عليه التغطية الصحفية السريعة وقد ظهر في الجرائد والصحف والمجلات ، اليومية والاسبوعية وذلك مثل :- الثورة - الميثاق - الجمهورية - ٢٦ سبتمبر - ١٣ يونيو.

- ٢٤ -

واذا ما أبتعدنا عن الاتجاهات والخصائص واقترينا الى فكرة التطور من مرحلة الى اخرى ، فسنجد ان منهج الظاهرة الفني يعطينا صورة تختلف عن المنهج التاريخي.

- ٢٥ -

الدكتور رياض القرشي جعله منهجه التاريخي ، يتحدث عن مرحلتين في تاريخ النقد اليمني ، تتطور احداهما الى الاخرى ، كما تتطور الاحداث التاريخية.

المرحلة الاولى هي مرحلة النشأة والتي تمتد من سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٦٢م.

المرحلة الثانية هي مرحلة التطور ، والتي تمتد من سنة ١٩٦٢م - الى ١٩٨٨م.

- ٢٦ -

ومنهج الظاهرة الفنية لاينطلق من مرحلة الامامية ، او من مرحلة الثورة فتلك تقسيمات خارجية ، ولكنه ينطلق من الخصائص الفنية. ويتابعها في تطورها من مرحلة الى اخرى.

- ٢٧ -

ومن الصعب هنا ان نتحدث عن الخصائص الفنية من مرحلة الى اخرى حديثا شاملا فان ذلك يحتاج الى كتاب مستقل ، ولكني يكفي من باب المثال ان نحلل مقالة نقدية من المرحلة الاولى ، ونقيسها بمقالة نقدية من المرحلة الثانية . .

- ٢٨ -

وملحق النماذج النقدية الذي قدمه لنا الدكتور رياض القرشي ، يقدم لنا مجالا كبيرا للمقارنة.

وسوف نختار مقالتين دالتين ويمكن لهما أن تؤديا الى نتائج مفيدة في هذا المجال.

الاولى مقالة الاستاذ احمد الشامي ، والتي نشرها سنة ١٣٦٥هـ عن «البريد الادبي» تحت عنوان «بين المتنبي وشوقي».

والاخرى مقالة الاستاذ عبد الودود سيف والتي نشرها سنة ١٩٧٦م في اليمن الجديد ، تحت عنوان « اثر البردوني الناقد على البردوني الشاعر : التجديد الشعري والخصوصية المحلية» . .

- ٢٩ -

ولم يكن الاختيار عبثا فالمقالتان تدوران حول موضوع مشترك وهو الكشف عن شاعرية شاعر مشهور ولكن احداهما تمثل مرحلة في النقد تختلف عن الاخرى.

- ٣٠ -

مقالة الشامي تمثل مرحلة انطباعية جزئية ، تثير الاستحسان ببعض ابيات القصيدة دون ان تعلل وتنثر الابيات باسلوب جميل يبرز ما فيها من جمال دون ان تقوم هذا الجمال وتقف عند جزئيات في القصيدة او عند بعض الابيات دون ان تسلك ذلك في نظرة فلسفية كلية.

فالمتنبي عنده هو شاعر العربية الذي نعتز به ونفاخر ، وشوقي هو اشعر شعراء العربية في القرن الرابع عشر اما كيف ذلك ، فيكفي ان يورد بعض النصوص ثم يخاطب القارئ «ولولا خوف الملل لشرحتها لك في صفحات ، فسأتركها لذوقك بلا تحكم».

- ٣١ -

اما المرحلة التي تمثلها مقالة عبد الودود سيف فهي مرحلة منهجية شاملة ، تلقي نظرة جلية على النص ، وتكتشف ابعاده الفنية والموضوعية ، وتبحث عن الخصوصية من ناحية والمؤثرات الاجتماعية من ناحية اخرى وتبحث عن اشياء خفية داخل النص لم تكتشفها النظرة التقليدية وذلك مثل الرمز واثر الوزن واستخدام الضمير في غير وظيفته النحوية ، وتربط بين القصائد برباط مشترك وتنتقل من الماضي الى المستقبل يقول عبد الودود سيف في احدى مرأته :-

«اذن فالقصائد الثلاث حلقات متداخلة تبدأ بالنفي في «مغنى الغبار» ويستعيد الشاعر ذاته المستلبة في «جلوه» ثم تتكامل ذاتية الشاعر بالامتزاج بذات الارض وذوات الاخرين من حوله في « اغنيات في انتظار المغنى» حتى اذا تكامل الوجهان ، ذاته الفردية وذاته الجماعية بدأ الشاعر يتطلع ليعزف اغنيات المستقبل المنتظر».

ويقدم عبد الودود سيف كل ذلك في اطار من المنهجية وكأننا ازاء رسالة جامعية ، تتكون من مقدمة واجزاء وتبحث عن الاسباب والعلل وتصل الى النتائج بطريقة مقنعة لاتكتفي بمخاطبة ذوق القارىء ، أو نثر بعض الأبيات ، أو تقديم حكم كلي بأننا إزاء افضل بيت مثلا ولكنه يخاطب عقل القارئ ويستثير حسه النقدي حتى يجعل الاحكام في النهاية تبدو في صيغة علمية وان كانت تتحدث عن امور وجدانية.

- ٣٢ -

نحن اذن امام مرحلة انطباعية تليها اخرى منهجية ويتم رصد التطور من داخل الخصائص الفنية ، دون الانطلاق من الاحداث التاريخية.

قد يحتاج الناقد في تفسير خصائصه الفنية الى بعض الاشارات التاريخية ، ليس هذا مهما بل هو مطلوب ، ولكنه ابدا لن يبدأ من التاريخ لينتهي الى الفن فقد يضيع منه الفن في الطريق.

- ٣٣ -

قدمت حتى الان ثلاثة اقتراحات من واقع قراءتي للكتاب والملاحق اقتراح عن التقسيم الى تيار تقليدي واخر تجديدي . .

وثان عن التقسيم الى الاتجاهات من واقع الصحف والمجلات الواردة في ملحق الدليل الاحصائي.

وثالث من التقسيم الى مرحلة انطباعية واخرى منهجية ويقينا لو اعدت قراءة الكتاب والملاحق مرة اخرى فسوف اكتشف الجديد ، ولو ان قارئا اخر من جيل قبلي او بعدي قرأ الكتاب لخرج منه باكتشاف جديد ايضا.

ولكن كل هذا ينبثق في النهاية بوحي من كتاب الدكتور رياض القرشي.

وقيمة العمل ليس بان يتفق معه الاخرون على طول الخط او يختلفون معه على طول الخط ايضا ، ولكن قيمته بان يوحي ويحرك فالاتفاق او الاختلاف على طول الخط يوحي بان العمل دوجما طيقي يتطلب موقفا ثابتا . ، ولكن تحريك الاخرين يوحي بان العمل يحمل بذور بقائه مستمرة في الاخرين.

قراءة موسعة «لكتاب»

في الأدب اللاتيني ودوره الحضاري

الحلقة الثانية

محمد سالم شجاب

العصر الذهبي (فترة أوغسطس ٤٣ ق . م - ١٤م)

تحدثنا في العدد السابق عن بداية الأدب اللاتيني وأبرز رواده الاوائل ، وعن عصره الذهبي (فترة شيشرون ٨٢ - ٤٣ ق . م) وسوف نتحدث في هذا العدد - بمشيئة الله تعالى - عن العصر الذهبي الثاني للأدب اللاتيني (فترة اوغسطس ٤٣ ق . م - ١٤م) .

في القرن ا لاول قبل الميلاد عرف الادب الروماني اللاتيني اعلاما يجيدون النثر الفني مثل : شيشرون ويوليوس قيصر، وينظمون أشعارا رائعة مثل : لوكريتيس وكاتلليوس. وفي عصر أوغسطس ، بلغ الادب اللاتيني الذروة ، ووصل الى الكمال. فينظم فرجيليوس أروع الملاحم اللاتينية ، ويجعل هوراتيوس من الشعر الغنائي فنا من أرقى الفنون ، الى جانب جاللوس ، وتيبولوس ، وبروبرتيوس وأوفيديوس الذين ينظمون قصائد عن الحب تعتبر في بابها اروع مافي الأدب اللاتيني ، والذين عرفوا باسم «شعراء إليجيات الحب الأوغسطيين» .

وقبل الدخول في صلب الموضوع نرى ان نشير بصورة موجزة الى الخلفية السياسية لفترة أوغسطس التي وصل فيها الادب اللاتيني الى الكمال ، ثم اخذ بعدها في الهبوط . وما بعد الكمال الا النقصان .

أوغسطس : ولد عام ٦٣ قبل الميلاد وتوفى عام ١٤ بعد الميلاد. أول أبراطور روماني (١) وهو ابن بنت اخت يوليوس قيصر الذي تبناه وجعله وريثه دون علمه . اسمه الاصلي (أوكتافيوس) وبعد التبني عام ٤٤ ق . م اطلق عليه اسم (اكتافيانوس) (٢) ثم أطلق عليه لقب (اغسطس) عام ٢٧ ق. م وهو أول من حمل هذا اللقب. وهو اللقب الذي سمي به الشهر الثامن تخليدا للامبراطور (اغسطس اكتافيوس) منافس (انطونيو) في حب الملكة الجميلة (كيلوباترا) .

وانما اطلق على اكتافيوس لقب (اغسطس) للدلالة على التعظيم والتمجيد والتبجيل .

وهو ينطق بلهجة المغاربة «غشت» وفي تونس «أوت» بتأثير الفرنسية المغرمة بحذف بعض حروف الكلمات وابتلاعها .

و(اغسطس) تعريب للكلمة اللاتينية (أوجوستوس) Augustus ويقال: إن كلمة (أوجوستوس) هذه مأخوذة عن الكلمة العربية (وقر) المنتقلة الى اللغات الاوروبية القديمة ثم الى اللاتينية .

ومادمنا قد ذكرنا هذا فلا مناص من ايضاحه بصورة موجزة لاحاطة القارىء الكريم بشخصية البحث من جميع جوانبها .

إن كلمة (أوجوستوس) كلمة لاتينية ،

وأصلها كما تقول المعاجم هو (أوجور) وهو اسم للعراف ذي المكانة الدينية الى الكاهن. ويدل في مدلوله العام على معاني : القدر ، والمكانة ، والتعظيم ، والتمجيد ، والتبجيل، والاحترام ، والمباركة ، والتبريك.. الخ .

وكلمة (أوجور) هذه التي جاءت منها كلمة (أوجوستوس) وصارت تدل على العظمة بمختلف معانيها ، دينيا ، وسياسيا، اي على الكبر في المقام . نجدها تقابل بالضبط الكلمة الكنعانية العربية «يقر» بالدلالات ذاتها.

كما تقابل الكلمة المصرية القديمة «أجرو» وتعني الامتياز والتمام والكمال وعظيم القيمة

وما يشتق منها من دلالات الاحترام والتعظيم والتبجيل ، والكمال . مثل (أجرو) اي الالهة الكاملون واليمنية القديمة - سبأ - ومجن - ومعان وفي العربية (وقر) وما يشتق منها من دلالات التعظيم ، والتوقير والترزين ، والاحترام .

والوقار او (الوجار) بنطق القاف معقودة. وهذه بالذات هي (أوجور) التي خرجت منها (أوجوستوس) لقب الامبراطور اكتافيوس الذي سمي الشهر الثامن من التقويم الشمسي باسمه تبجيلاً وتوقيرا (٣) .

ثم نطقت بلفظ (اغسطس) محاولة لتعريبها وتفصيحها مرة ثانية فقلنا (اغسطس) بدلا عن (أوجستوس) أو (اجستس) أو (اغستس) أو (أوغست) تولى اغسطس على عرش روما بعد مقتل جوليوس قيصر في منتصف مارس ٤٤ قبل الميلاد ، وعلا شأنه في روما وكون مع (انطونيوس) و(لبيدوس) الحكومة الثلاثية الثانية . هزم هو وانطونيوس الجمهوريين عند فيلبي عام ٤٢ ق . م وطهر هو ومعاونه (أجريبا) البحار من قوات سكستوس بومبي

احتدم الخلاف بينه وبين القائد (انطونيوس) الذي فتنته الملكة كيلوباترا ، وهزمه اغسطس في معركة اكتيوم البحرية عام ٣١ ق . م وانتحرت كيلوباترا بعد هزيمة وقتل انطونيوس. وفي العام التالي ٣٠ ق . م ضم اغسطس مصر الى الامبراطورية الرومانية. واصبح سيد العالم الروماني. وحينذاك منحه مجلس الشيوخ «السناتو» عدة ألقاب . من بينها : امبراطور أي القائد المظفر. واغسطس أي المبجل . أصلح الادارة ودعم الامبراطورية وجمل روما ، وحسن الطرق الرومانية . وازدهرت العمارة في عهده. ورعى الاديب فرجيل والاديب اوفيديوس ، وهو راتيوس وغيرهم. ونشر لواء السلام (سلام اغسطس) وأطلق اسمه على آداب هذا العصر (٤) .

بعد ان تخلص اغسطس من خصمه اللدود انطونيوس وكيلوباترا في موقعة (اكتيوم) دخل العالم الروماني فترة سلام وازدهار. عندئذ تاق أغسطس الى ان يكون مجده وعظمته موضوعا لفنون الأدب .

ويعتبر كل من بنداروس ، وكاليماخوس، وثيو كريتوس ، وهوميروس ، النموذج الذي يحتذى به. اى بهدف ايجاد شعر جديد يمكن ان نسميه (شعر البلاط الأوغسطي). وكان وزير اوغسطس (مايكيناس) (٥) خير مثال للراعي الذي يحتضن الشعراء والادباء حتى انه أصبح مضرب الامثال في ذلك. بيد أن شعراء آخرين مثل اوفيديوس وتيبوللوس كانوا يستظلون بظل راع آخر للآداب والفنون غير مايكيناس .

وتجدر الاشارة الى ان اولئك الذين كانوا شعراء بلاط حقا مثل فرجيليوس وهوراتيوس وبروبريتوس ،ليسوا شعراء دعاية رخيصة ، لانهم لم ينظموا أشعارا تمجد اوغسطس وتتعارض مع وعيهم الفني والثقافي (فالزراعيات) لفرجيليوس لها هدفان اخلاقي وسياسي أما (الاينيادة) التي يقال انها نظمت خصيصا لتمجيد اوغسطس ، فقد مزجت الماضي بالحاضر، أي المجد الغابر بالامل في مستقبل زاهر.

وأما اوفيديوس ، فقد وصل الى التلميح والسخرية ، بل كاد يعلنها صيحة تمرد مدوية. وهو

الشاعر الوحيد الذي نجد في قصائده تملقا سافرا لأوغسطس . الا ان أوغسطس لم يكن لينخدع بسهولة .

لقد كان شعراء البلاط يشكلون فعلا دائرة ، وكان أوغسطس ملهما لاشعارهم وكان فرجيليوس وهوراتيوس وغيرهما قد آمنوا فعلا برسالة اوغسطس ورأوا في شخصه لامجرد المخلص بل التجسيد الحي لكل ما كانوا يتوقون اليه ويحتاجه العصر ، ولكن لم يصل بهم الأمر الى حد الدعاية الرخيصة .

وقد ادرك اوغسطس بموهبته الفذة القيمة السياسية لادب عظيم يمكن ان يترعرع في ظل حكمة ، وأدرك كذلك انه لكي يكون ذلك الادب عظيما وصادقا ينبغي ان يترك حرا . ولذلك فإن اي شاعر اوغسطي كان بوسعه ودون خوف على مصيره ان يتجنب مدح هذا الامبراطور مباشرة . فقد رفض هوراتيوس ان يشغل منصبا هاما في بلاط اوغسطس دون أن يفقد هذا الشاعر ماتمتع به من حظوة لدى هذا الامبراطور . وقد اعتبر هوراتيوس هذا ان اغانيه جديرة بالغار (٦) الذي يزين جبين اي قائد روماني منتصر . والاهم من ذلك ان قوله هذا لم يصدر عن أمان مسرفة الخيال ، بل كان شيئا مقبولا في عصره وهو مالم يحلم به ادباء روما القدامى .

اذن لم يكن الشعر الاوغسطي برمته اداة دعائية في يد البلاط . ولم يكن تملق الشعراء الاوغسطيين مثل سابقيهم السكندريين ، بل ان شعراء روما في عصر أوغسطس بدأوا يتحولون عن النموذج السكندري كليا متجهين مباشرة الى النماذج الاغريقية الاصلية من هوميروس وهيسيودوس الى داروس وغيرهم . ونلاحظ هذا التطور في سيرة فرجيليوس الأدبية نفسها . فقد بدأ من قصائد قصيرة عابرة على نمط قصائد كاتوللوس الى الشعر الرعوي تقليدا لثيوكريتوس الى اعمال كبرى حاول فيها وبها ان يكون (هوميروس) أو (هيسيودوس) الرومان .

وفي مقابل هذه النهضة الشعرية الاوغسطية نجد النثر الذي بلغ ذروة النضوج على يدي شيشرون ، قد تقهقر بعض الشيء فيما عدا تواريخ تيتوس ليفيوس . وكان شيشرون قد اغنى الخطابة والفلسفة والعلم . وهذه المجالات لم تعد تشكل ركيزة التعليم في عصر اوغسطس (٧) وقد آن الآوان ان نسلط الاضواء على ابرز ادباء هذا العصر أو هذه الفترة الأوغسطية ، وسيكون حديثنا عما يلي :-

١ - فرجيليوس
٢ - هوراتيوس .
٣ - شعراء إليجيات الحب الاوغسطيين .
٤ - تيتوس ليفيوس .

وسوف نتحدث عن نشأة كل شخصية واعمالها الادبية وتأثرها بغيرها وعلاقتها بالبلاط الاوغسطي ، بصورة مبسطة وواضحة .

١ - فرجيليوس :-

اسمه بوبليوس بن فرجيليوس بن مارو . ولد بوبليوس بالقرب من مانتوا في ١٥ اكتوبر عام ٧٠ ق . م . لأب يدعى فرجيليوس مارو . وأم تدعى ماجيا بوللا . (٨) وقد أشتهر باسم أبيه فرجيليوس . وأصبح علما له عند الباحثين ويختصره بعضهم فيقول له : فرجيل .

يعتبر فرجيليوس من اعظم شعراء الرومان ، كان أبوه مزارعا في مقاطعة مانتوا . عنى بتربية ابنه وتعليمه في ميلان ونابلي وروما ، ثم استبقاه معه في الريف مايقرب من عشر سنوات قضاها في تعلم شئون الفلاحة ، وفي الدراسة ونظم الشعر . ثم عاد الى روما عام ٤١ ق . م حيث رحب به مايكيناس نصير الحركة الادبية ، كما شجعه أوغسطس وقربه اليه . ولم تمض اربعة أعوام حتى اتم نظم أشعاره الرعوية وديوانه عن الزراعة . وقد تأثر فيهما بالشاعرين ثيوكريتوس . وهيسيودوس . اما ملحمته (الانيادة) فهي أروع مؤلفاته الأدبية ، قلد فيها الالياذة والاوديسا لأعظم شعراء اليونان هوميروس . واهم مايميز فرجيليوس عن سائر شعراء الرومان ايمانه بالأفكار التي تجول بخاطره ، واتقانه صنعة الشعر، وتمكنه من اللغة ، وبراعته في استخدام الأوزان . (٩) .

وسوف نتناول اعمال فرجيليوس الادبية بالتحليل ، وسنبدأ (بالرعويات) والرعوي أو الرعائي • نعت يتصف به الشعر الذي يتناول حياة الرعاة في بيئة ريفية واقعية. أو بتكلف صنع جوريفي يتبادل فيه الرعاة اشعارا مختلفة الموضوع منها الغزل والرثاء والنقائض الخفيفة. يرجع ذيوع هذا النوع من الشعر الى ثيوكريتوس (١٠) الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد. يطلق عليه لقب (أبو الشعر الرعوي) في الادب اليوناني . يعتبر من اهم شعراء الاسكندرية لأنه أبتكر هذا النوع من الشعر في عصر انعدم فيه الابتكار تمتاز أشعاره الرعوية بواقعيتها وحيوية شخصياتها وما تفيض به من لوحات رائعة لوصف الطبيعة التي احاطت به في سيراكوز (سرقسطة) مسقط رأسه وفي جزيرة كوس باليونان حيث تعلم في مدرستها . ولكنها امتازت قبل كل شيء بتصوير الرعاة كما رآهم مع قطعانهم في مروج بلدان البحر المتوسط وفي جبال صقلية. وتصوير حياتهم بمختلف مظاهرها وهم يرعون الماشية ويحلبونها ويغسلونها ويتنافسون فيما بينهم في ترديد الأناشيد الرعوية والاغاني الشعبية (١١) ومن خلال هذه الذكريات عن حياة الرعاة اوجد نوعا مصطنعا من الشعر يصف ريفا مثاليا لا وجود له في الواقع. وكانت هذه القصائد تتخذ أحد اشكال ثلاثة .

أ ـ لقاء راعيين وتنافسهما في الانشاد أمام حكم من الرعاة ولا يستطيع الحكم ان يفاضل بينهما فتنتهي القصيدة في جو من الفرح العام .

ب ـ راع وحيد يتغزل في راعية يحبها ، وقد تبادله الحب، وهي في اغلب الاحيان بعيده عنه .

ج ـ الرثاء الرعوي ، وهو أغلب الشعر الرعائي لثيوكريتوس. وفي هذا النوع يكون الرثاء عادة موضوعه (دافنيس) ذلك الراعي الاسطوري الذي عاف الحب ومات شهيدا بأمر الالهة ـ المزعومة ـ والرثاء هنا يلتزم قواعد معينة : وصف البيئة الرعوية ، والابتهال الى ربات الفنون ، ووصف حزن الطبيعة بأسرها على موت دافنيس ، ووصف موكب الجنازة ، وتعبير عن الحزن العميق ، واستعمال مجازات وصور شعرية مستمدة من الطبيعة عامة والزهور خاصة ، وختام ينطوي عادة على السلوى والأمل في الخلود .

وقد أصبح الشعر الرعوي مصطنعا تماما حينما انتقل الى الحضارة الرومانية على أيدي الشاعر فرجيليوس (٧٠ ـ ١٧ ق .م) في اشعاره المسماة (الرعويات) اذ تحول من ذكريات بعيدة الى حلم انسان المدن بسكينة الريف وجماله ، وتشوق الانسان المتحضر الى العصر الذهبي . (١٢) .

وقد أطلق العلماء المدرسيون في العصور الوسطى على القصائد الرعائية العشر التي نظمها فرجيليوس مصطلح (إكلوج) وأطلق هذا المصطلح في عهد النهضة على أية قصيدة رعائية في شكل محاورة بين راعيين ، سواء أكان موضوعها معالجة لأمور جادة أم مجرد وصف لطبيعة مثالية (١٣) لا وجود لها في الواقع . كما فعل فرجيليوس في رعوياته .

لم يكن فرجيليوس يشتاق الى الحياة في روما حيث لم يذهب هناك الا قليلا ، وإن ذهب فكان يتهرب من اللقاءات العامة ، فهو ليس من اناس المدينة وعشاقها بل إن ملامحه ريفية ، ولكن سيرته ـ كما نعرفها ـ لن تفسر لنا لماذا نظم شعرا رعويا ، ولو أن من ينظم هذا الشعر لابد من ان يحب حياة الريف. وهذا مانلمسه في كل اعمال فرجيليوس من أولها الى آخرها بما في ذلك (الاينيادة) .

يستهل فرجيليوس الرعوية السادسة (البيتان ١ ـ ٢) بما يوحي انه يعد نفسه ثيوكريتوس الرومان. أو بعبارة أدق ، يعد نفسه أول شاعر لاتيني يقلد شاعر الاسكندرية ثيوكريتوس.

وفي الواقع نجد ان الدلائل على وجود تأثير ثيوكريتوس في الشعر اللاتيني قبل فرجيليوس ضعيفة ومحيرة. ان علاقة فرجيليوس بثيوكريتوس علاقة نادرة. فهي عملية معايشة لانظير لها في الادبين الاغريقي واللاتيني .

ورويدا رويدا يتخلص فرجيليوس من تقليد

ثيوكريتوس الذي لم يكن قط تقليدا أعمى . وينجح فرجيليوس في الجمع بين قصائد ثيوكريتوس المتنافرة في وحدة متينة .

فالرعوية الثامنة لفرجيليوس تجمع بين شكوى الصبي غير المحظوظ في الحب ، وهو مايقابل القصيدة الاولى لثيوكريتوس من جهة ، والعمل السحري الناجح الذي تقوم به الفتاة ، وهو مايقابل القصيدة الثانية لثيوكريتوس . أما النهاية السعيدة فهي من عند فرجيليوس . وتتغنى الرعويتان الثالثة والسابعة لفرجيليوس بمباريات ومسابقات بين الرعاة ويديرها احد الحكمين . وهذا مايرد في القصيدة الخامسة لثيوكريتوس . وعند فرجيليوس تنتهي احدى المباريات بلا نتيجة حاسمة ، وفي حالة اخرى يكسب احد المتسابقين . أما بداية القصيدة السادسة التي تتناول اسطورة خلق العالم فيدين بها فرجيليوس لهيسيودوس .

ويتحدث فرجيليوس احيانا في قصائده الرعوية بضمير المتكلم ويذكر اصدقاءه ، وقد سبقه الى ذلك ثيوكريتوس . وفي القصيدتين الاولى والتاسعة نلمس خلفية سياسية فيما يتحدث عنه الشاعر، ورمز الى اوغسطس او كتافيانوس فزعم انه (الشاب الالهي) الذي لم يعد ذلك الراعي المطرود الهارب الى حقله ، وذكر ان الحياة الطيبة هي التي تمضي دون ان يمسنا فيها ضرر. كما نلمس فيها تملقا سافرا لاوغسطس ، فهو لم ير في صعود نجم هذا السياسي الشاب ماينبىء بأنه سيكون مخلص روما في المستقبل ، وكل مايقوله فرجيليوس في اوغسطس لايعدو مجرد الولاء لقيصر ووريثه من جانب شاعر جاء من الجانب الشمالي لنهر البون .

أما الرعوية الرابعة فهي تتجاوز الجو الرعوي التقليدي . فموضوعها الفعلي يقع خارج نطاق الرعويات ولو ان الموضوعات الرعوية تتردد أصداؤها بقوة في التفاصيل الواردة بهذه القصيدة (١٤) .

والملفت للنظر والغريب حقا ما جاء في القصيدة الرعوية الرابعة هذه من تنبؤات بميلاد السيد المسيح عليه السلام ، والأغرب من ذلك ماجاء فيها من نصوص مشابهة لنصوص الانجيل مثل قوله :

(فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدي والعجل والشبل والمسمن معا ، وصبي صغير يسوقها ، والبقرة والدبة ترعان تربض اولادهما معا . والأسد كالبقر يأكل تبنا ، ويلعب الرضيع الخ . .)

فمن المحال أن يقرأ المرء هذه القصيدة ولا يتذكر الانجيل (أشعياء الاصحاح الحادي عشر ٦ ـ ٨) (١٥) نظم فرجيليوس هذه القصيدة عام ٣٧ ـ ٣٦ قبل ميلاد المسيح عليه السلام . ومعلوم ان الانجيل حدث فيه تحريف وتزوير من قبل الرهبان والقسيسين . ولا نستبعد أن يكون هؤلاء أدخلوا شعر فرجيليوس في الانجيل والله اعلم .

أما «الزراعيات» فقد عمل فيها فرجيليوس من عام ٣٦ الى عام ٢٩ ق . م اي حوالي ثلاثة عشر عاما ، فوصل بالقصيدة الى صورة من صور الكمال في البنية الشعرية واللغة حتى ان (درايدن) يعتبرها افضل قصيدة لأفضل شاعر . (١٦) تطلق تسمية «الزراعيات» عامة على نوع القصائد التي تدور موضوعاتها حول الحياة الريفية واعمال الفلاحة والزراعة خاصة . وقد أشتهر هذا النوع من القصائد على يد الشاعر الروماني فرجيليوس في قصيدته المسماة (الزراعيات او الفلاحة) التي كتبها تكريما لراعي الفنون والآداب في زمنه الروماني الثري (مايسيناس) (١٧) أو (مايكيناس) . ففي عام ٣٩ ق . م أنضم فرجيليوس لدائرة مايكيناس الذي يعتبر اليد اليمنى لأوكتافيانوس أوغسطس (١٨) (وأغلب الظن ان مايكيناس قد اقترح على فرجيليوس ان ينظم قصيدة الزراعيات تدعيما لسياسته التي تهدف الى نهضة زراعية في الدولة الرومانية) . ففي تلك الفترة دخلت البلاد في حروب طاحنة . ولم يستطع اوغسطس ان يفرض

سيطرته الكاملة على ايطاليا الا عام ٣٦ ق . م وفي تلك الاثناء كان وباء فتاك قد حل بالزراعة الايطالية ، لان صغار ملاك الاراضي الزراعية قد انخرطوا في صفوف الجيوش المتقاتلة او كانوا قد طردوا من ارضهم لصالح المحاربين القدامى العائدين من الحروب المتتالية ، وهؤلاء بالطبع كانوا اقل خبرة بفلاحة الارض التي امتلكوها مؤخرا . وصفوة القول كانت البلاد تعاني من فقر حاصلات الزراعية (١٩) ولذلك اقترح مايكيناس على فرجيليوس هذا الموضوع .

ويلاحظ ان هذه المقطوعة الشعرية الطويلة لفرجيليوس تقع في اربعة اجزاء تتناول تربية الحيوان والنحل الى جانب الاعمال الزراعية البحتة .

اما ملحمة «الاينيادة» فقد نظمها فرجيليوس للتغني بنشأة روما . وصف فيها هروب (اينياس) البطل الطروادي من طروادة الى قرطاجنة حيث قابل (ديدو) وروى لها قصة مغامراته ، ثم تركها وأبحر الى صقلية ، وزار العالم الآخر. ثم نزل بشاطىء ايطاليا حيث وضع الاساس الأول للدولة الرومانية ، وبذلك أعتبر جد الرومان . وتعد الاينيادة اروع ملحمة لاتينية نظمها فرجيليوس على غرار الالياذة الهومرية . (١٩) فهي تمثل ذروة انجاز فرجيليوس الشعري . وكان الرومان يعتبرون ان الشعر الملحمي هو أسمى ضروب الادب ، على الرغم من أن هوراتيوس وبروبرتيوس تقاعسا عن التصدي لهذه المهمة بحجة انها اثقل من ان تحتملها كواهلهما. (٢٠)

٢ ـ هوراتيوس صناجة الرومان :ـ

ولد كوينتوس هوراتيوس فلاكوس في فينوسيا (فينوسا الحديثة) بمنطقة ابو ليا يوم ٨/١٢/٦٥ ق . م ومات يوم ٢٧/١١/٨ ق . م

يعتبر هوراتيوس من اعظم شعراء اللاتين. كان صديقا لفرجيليوس الذي قدمه الى مايكيناس وزير البلاط الأوغسطي . الذي عرف باهتمامه بتشجيع الأداب وقرب اليه ادباء العصر وخصوصا هوراتيوس وفرجيليوس . وأهم اعمال هوراتيوس الادبية هي :-

١ ـ الإيبوديات «الاغاني» Epodes
٢ ـ الساتيريات «الهجائيات» Satirae
٣ ـ الإيبيستوليات «الرسائل» Epistulae

وبفضل هذه الاشعار أصبح هوراتيوس من أشهر أدباء عصره بل أشهرهم جميعا بعد موت فرجيليوس . نجح في تصوير عصره تصويرا حيا ، وبرع في تصوير المناظر الايطالية تصويرا رائعا ساحرا ، باسلوب واضح ودقة متناهية والفاظ مختارة .

وسوف نتناول اعمال هوراتيوس الادبية بصورة موجزة وواضحة وسنبدا «بالايبوديات» .

١ ـ **الايبوديات** . جمع مفردها (إيبودس) Epodes ترجع في أصلها الى اللغة الإغريقية ، فهي مكونة من مقطعين الاول (ايبى) epi وهو حرف جر ، والثاني (أودي) ode. ومعناه أغنية (٢١) ويبدو أن المقطع الاول (إيبي) أصبح لازما للكلمة وليس له أية دلالة على الجر حيث أصبح المقطعان يكونان كلمة واحدة (ايبود) ثم أضيفت السين لتدل على الجمع (ايبودس) وعربناها بلفظ (ايبوديات) وترجمناها بمعناها الحرفي (اغاني) ومن الآن فصاعدا سنستعمل اللفظ المعرب (الايبوديات) ومعناه (الأغاني) .

يطلق على القصائد (الإيبوديات) مصطلح (فن الشعر) (٢٢) وهذا المصطلح يطلق على كل كتاب او بحث يشتمل على نظرية منهجية لقواعد نظم الشعر او لفلسفة ماهية الشعر وفي هذه البحوث يقوم المؤلف بتعريف الشعر وتحديد انواعه ووصف صيغه المختلفة والوسائل الفنية التي يستطيع الشاعر ان يلجأ اليها ليصوغ الشعر في هذه الصيغ (٢٣) وهذا مافعله هوراتيوس في «الايبوديات» أو «فن الشعر» أطلق هوراتيوس على القصائد الايبودية السبع عشرة اسم (الإيامبيات) . وهي تمثل شيئا جديدا في الادب اللاتيني . فلاول مرة تكتب مجموعة أشعار مستوحاة من روح الشاعر

الاغريقي القديم ارخيلوخوس. والافضل الا تعتبر هذه الاشعار تقليدا لقصائد الشاعر أرخيلوخوس. اذ يقول هوراتيوس نفسه في كتاب الرسائل الاول: «انه اتبع ارخيلوخوس في الاوزان والروح لا في الموضوع او الكلمات. ومن الملاحظ ان الايبوديات قد تأثرت بادب العصر الهيلليستي ولا سيما الميموس في الايبوديتين ٥٥ و٧٧. وكذا الاليجيات اللاتينية في الايبوديتين ١١ و١٥.

وتمهد الايبوديات للاغاني، فالإيبوديتان ١١ و١٥ تعالجان موضوع الحب ولو بطريقة مسلية. وتشرح الايبودية ١٤ لمايكيناس كيف ان قصة حب هي التي اخرت نشر مجموعة الايبوديات. والإيبودية ١٣ تصف الاستعدادات لاقامة وليمة، اما الايبوديات ١، ٧، ٩، ١٦ فهي قصائد سياسية. ومع انها تذكرنا بأرخيلوخوس الا انها تمثل شيئا جديدا في الشعر اللاتيني، وتتناول الايبوديتان الاولى والتاسعة معركة اكتيوم.

لقد نظمت الايبوديات اذن فيما بين عامي ٤٠ و٣١ ق. م ولكنها نشرت عام ٣٠ ق. م ومع ان هوراتيوس يحاول ان يفهمنا بانه قد ادخل بهذه القصائد ايامبيات ارخيلوخوس الى روما الا أنها اي الايبوديات، من التعقيد التقني بحيث أنها تتعدي مجرد تقليد ارخيلوخوس، وبها تأثيرات هيللينستية ولا سيما شعراء الابجرامة وكاتوللوس الشاعر اللاتيني الذي لايزعم لنفسه اي صلة بارخيلوخوس. (٢٤).

وبعد عام ٣٠ ق. م كثف هوراتيوس جهده في الشعر الغنائي، فاخرج في السنوات السبع التالية مايعتبر أهم وأكبر اعماله اي الكتب الثلاثة الاولى من الأغاني. وبرغم سبق كاتوللوس الى الشعر الغنائي الا انه حتى الآن لم يوجد مايمكن ان نسميه الصناجة أو (المغني اللاتيني) غير هوراتيوس. ففي اغنية الكتاب الثالث (٣) يقول هوراتيوس إنه (أول من واءم الشعر الايولي بالنغمة الايطالية).

ونهل هوراتيوس من أشعار بنداروس وكاليماخوس وملياجروس، وشعراء روما مثل إنيوس وفرجيليوس فهوراتيوس اذن متعدد المصادر واسع الثقافة وصاحب موهبة قوية، وأستطاع ان يصنع من كل ذلك شيئا جديدا (٢٥) في الايبوديات الغنائية.

٢ - الهجائيات: (الساتريات) أو (الساتوريات)

ظهر الهجاء في الآداب الغربية اول ماظهر في الآداب الكلاسيكية. وفي اللاتينية خاصة باسم (الساتورا) وسبق في الحلقة الأولى ان المحنا الى أن كلمة (ساتورا) Satura كلمة لاتينية تعني (الخلط) او (الحشو) بمعنى التنوع في المحتوى والتغيير في الوزن. ونضيف هنا القول بأنها مشتقة من المسرحية (الساتوروسية) اليونانية القديمة. والساتورا اللاتينية نوع من التمثيلية الهزلية التي تخلط الحوار النثري بالحوار المنظوم، وموضوعها عادة نقد الاخلاق والعادات الاجتماعية، ثم أصبحت بعد ذلك تؤلف على شكل منظومة ذات اوزان مختلفة كما هي الحال عند إنيوس (٢٣٩ - ١٦٩ ق. م) (٢٦) الذي لم تخل قصائده من نقد اخلاقي، ولكن لايمكن القول بانها كانت ساخرة (٢٧) وعند باكوفيوس (٢٢٠ - ١٣٠ ق. م) ويبدو أن باكوفيوس قد تفوق على إنيوس في تطعيم مسرحياته بالفكر الفلسفي حتى ان هوراتيوس يطلق عليه لقب (المثقف) (٢٨) وبعد ذلك تطورت (الساتورا) حتى أصبحت تنظم بأوزان منتظمة كما هي الحال في شعر لوكيليوس (١٨٠ - ١٠٢ ق. م) وجدير بالذكر ان لوكيليوس هو أول شاعر روماني يتمتع بمركز اجتماعي مرموق، فهو ليس مثل اغلب من سبقوه من الشعراء صعلوكا او طفيليا او أسيرا او عبدا، ولم ينظم لوكيليوس الشعر الهجائي الا بعد عودته من نومانتيا وكان آنذاك قد بلغ سن الرجولة الناضجة، وعرفت قصائده الهجائية باسم (الساتوراي) وهي قصائد أقرب ماتكون الى النثر حتى ان الشاعر المؤلف نفسه سماها (الاحاديث) وقلده في ذلك هوراتيوس فيما بعد. (٢٩).

تميزت اشعار هوراتيوس (الهجائيات) بالسخرية الخفيفة من نواحي النقص والغرور في الانسان.

كان هوراتيوس يطلق على اشعاره (الهجائيات) مع (الرسائل) أحيانا اسم (الأحاديث) تقليدا للوكيليوس فقد كان لوكيليوس هو النموذج اللاتيني امام هوراتيوس وقد سبقه لوكيليوس بحوالي مائة عام .

نشر هوراتيوس الكتاب الاول من (الهجائيات) عام ٣٥ ق . م تقريبا. ويشمل قصائد قليلة. ولا يظهر فيها العنصر الاخلاقي إلا نادرا أو يهمل تماماً. ويهدف الكتاب بصفة رئيسية الى التسلية . ونشر الكتاب الثاني عام ٣٠ ق . م . وتبدو فيه الشخصيات موضع الهجوم النقدي أقل ، وفي مقابل ذلك تبدو التقنيات الشعرية الموظفة لأول مرة أكثر حجما واكبر تعقيدا. فاحيانا نجد الشاعر يوجه النقد بنفسه مباشرة ، واحيانا اخرى يسنده الى شخص اخر .

وفي بعض المرات يترك الشاعر شخصا آخر يخاطبه فيصبح هو المتلقي والمستمع للنقد الذي يريد ان ينقله الينا. وفي مرات كثيرة يختفي الشاعر تماما مما يضفي على العنصر الدرامي في قصائده قوة تعبرية وتأثيرا فعالا . (٣٠) .

٣ ـ الرسائل :-

الرسائل الشعرية ، جمع رسالة. والرسالة الشعرية هي قصيدة ينظمها الشاعر على شكل خطاب في اي موضوع .

نشر هوراتيوس الكتاب الاول من الرسائل عام ١٩ ق . م. وليس لرسائل هوراتيوس مقابل يسبقها في الادب الاغريقي. وان كان بعض الباحثين قد عكفوا على دراستها واوجدوا لها مصادر في اشعار ابيقور، وثيوكرتيوس ، وميبيوس. ولا علاقة لرسائل هوراتيوس برسائل شيشرون (٨٢ ـ ٤٣ ق . م) الا بصورة جانبية هامشية. ولعل رسالة لوكيليوس الشعرية التي يشكو فيها من عدم زيارة احد الاصدقاء له أثناء مرضه، وكذا الرسائل الساخرة لمعاصريه مثل سبوريوس موميوس. لعل في هذه الرسائل الشعرية بداية لهذا النوع الادبي. وعلى أية حال فان هوراتيوس هو أول من افرد كتابا كاملا للرسائل الشعرية . وهذه الرسائل لاتهدف الى اصلاح المجتمع ولكنها مثل (الهجائيات) تهدف الى التأثير ولو جزئيا على رؤية القارىء الاخلاقية .

انها ليست رسائل شخصية عادية موزونة فهي بالاساس قصائد شعرية .

ونشر الكتاب الثاني منها عام ١٨ ق . م وتأخذ الرسالة الشعرية الثانية بالكتاب الثاني شكل الاعتذار لعدم كتابة غنائيات اخرى . يقول الشاعر:-

(انني دائما كسول ولم انظاهر بغير ذلك .
أما روما فلا تحتمل بسبب الضوضاء المرعبة .
وأنا لا استطيع الصبر على ماهي عليه الاوضاع الادبية .
وكم هو شاق قرض الشعر في مثل هذه الظروف .
وعلى اي حال وفي مثل سني تكون للانسان .
اهتمامات أكثر جدية . . . مثل الفلسفة)

وهكذا نجد في الرسائل فقرات غاية في الوضوح والبراعة اشبه ماتكون بالترجمة الذاتية مثل الشكوى من حياة المدن، ومناقشة نظرية الشعر الكلاسيكية وكذا بعض القصص المسلية . (٣١) .

٣ ـ شعراء اليجيات الحب الاوغسطيين :

الشعر الاليجي او الاليجيا في الادبين اليوناني والروماني هو اية قصيدة غنائية يلي فيها كل بيت من الأبيات الخماسية التفعيلات بيت من الابيات السداسية التفعيلات من الوزن الدكتيلي . وموضوعاتها مختلفة وهذا النمط الشعري اليوناني الاصل كثر استعماله في الشعر الروماني كما في شعر كاتوللوس (٨٤ ـ ٥٤ ق . م) (٣٢) وسوف يقتصر حديثنا عن اليجيات الحب الاوغسطي عند كل من جاللوس ، وتيبوللوس ، وبروبرتيوس ، وأوفيديوس .

١ ـ جاللوس :-

ان اليجيات الحب تعد ابداعا اوغسطيا صرفا رغم ان بها تأثيرات سكندرية . ورغم ان كاتوللوس سبق وأبدع في هذا المجال. وقد تكون قصيدة كاتوللوس رقم ٦٨ النموذج الذي احتذاه

الشعراء الاوغسطيون برغم أن الحب ليس هو الموضوع الأوحد في هذه القصيدة. وذلك لانه يجيء مصاحبا او منغمسا في موضوعات اخرى .

أما قصائد اليجيات الاوغسطيين فإن الحب هو الموضوع الاوحد فيها. ويلاحظ ان شعراء اليجيات الحب الاوغسطيين ابتداء من جاللوس قد نظموا كتبا باكملها من الاليجيات. وحمل كل ديوان من هذه الاليجيات اسم احدى النساء عنوانا كتقليد موروث عن الاغريق (٣٣) .

ظهرت اليجيات جاللوس فيما بين عام ٥٠ و٤٠ ق . م وهو في العشرينات من عمره ، ومن الكتب الاربعة التي نظمها لم يبق لنا سوى كتاب واحد. وهو في هذه الاشعار يخاطب معشوقته باسم (ليكوريس) التي كان اسمها الحقيقي (فولومنيا) أما اسمها الفني كممثلة ميموس فهو (كثيريس) وقد كانت عاشقة سابقة لانطونيوس كما يروي لنا بلوتارخوس . كان لجاللوس تأثير في فرجيليوس في (الرعويات) و(الزراعيات). فهذا الشاعر الملحمي يعالج موضوعات إليجية في هذين العملين. اما جاللوس نفسه فقد تأثر بكل من : كاليماخوس ، وأيوفوريون. واستغل جاللوس كذلك ستا وثلاثين قصة حب جمعها ناثر هيللينستي متأخر هو باثينيوس من نيكايا. ويعتبر الناقد (كوينتيليانوس) جاللوس كشاعر أخشن من تيبوللوس وبروبرتيوس وأوفيديوس. وربما كانت ابيودية هوراتيوس الحادية عشرة معارضة ساخرة لأساليب وموضوعات جاللوس الذي كان بلا شك يمثل همزة الوصل بين المجددين والشعراء الأوغسطيين. (٣٤) .

٢ - ألبيوس تيبوللوس :-

ولد البيوس تيبوللوس فيما بين عامي ٥٥ و٤٨ ق . م وأشتهر باسم أبيه (تيبوللوس) على عادة اليونان والرومان. كان تيبوللوس هذا ينتمي الى طبقة الفرسان وكسب (هبة عسكرية) وكان شديد التأنق. ومات عام ١٩ ق . م عن عمر يناهز الثلاثين عاما .

وكانت صداقة تيبوللوس لماركوس ميسلا من أهم موضوعات شعر تيبوللوس ، فلربما انه قد صاحب ميسالا في حملاته ببلاد الغال والشرق فيما بين ٣١ و٢٧ . ق . م .

وكان ميسالا هذا قد انضم الى صفوف انطونيوس عدو أوغسطس اللدود، ثم هجره وأنضم الى اوغسطس دون ان يتنازل عن ميوله الجمهورية ، وأصبح راعيا للآداب والفنون وضمت دائرته الأدبية بنت اخيه أو اخته (سولبيكيا) واوفيديوس وتيبوللوس وغيرهم. وربما تكون مجموعة الاشعار المعروفة باسم (مجلدتيبوللوس) مجرد مختارات من أشعار هذا المنتدى الادبي. ويتناول بعض قصائد هذه المجموعة قصة الحب بين سولبيكيا وكيرينتوس ، والاخير اسم مستعار يحمله العاشق وذلك في مقابل أسماء النساء المستعارة في غزليات كاتوللوس وبروبرتيوس وتيبوللوس .

كان تيبوللوس يشكو من تناقص ممتلكات الاسرة وربما عن طريق المصادرات. وهو يئن من وطأة الفقر ، ولكن ربما يكون كل ذلك جزءا من تكوينه النفسي كشاعر عاشق. فهو على النقيض من هوراتيوس الذي تشى أشعاره بالتوازن والطمأنينة الى حد بعيد. ومن المحتمل ان يكون تيبوللوس قد رفض ، أو على الاقل لم يطلب رعاية الامبراطور اوغسطس ووزيره مايكيناس وأستبدلهما بحماية ورعاية ميسالا .

ونجد ان موضوعات الحب الرومانسي والحياة الريفية تجذب تيبوللوس. وفي فقرات رعوية الطابع يبدو تيبوللوس متأثرا بفرجيليوس. ومع ان تيبوللوس هو الشاعر الاليجي الوحيد الذي قضى جزءا من حياته في الخدمة العسكرية الا انه قد عبر بكل وضوح عن كراهيته للحرب ، وأدان الجشع والسعى وراء السلطة التي تقود للمهالك. وأعتقد تيبوللوس بأن المال هو الذي يفسد مشاعر الحب .

ونلاحظ ان امرأة تدعى (ديليا) وان كان اسمها الحقيقي هو (بلانيا) هي التي تسيطر على الكتاب الاول من إليجيات تيبوللوس ويبدو أنها كانت تعيش مع أمها العجوز، وأنها كانت تكرس

حياتها لعبادة الالهة المصرية المزعومة وأن (إيزيس). أما نيميسيس معشوقة تيبوللوس الأخرى والمذكورة في لكتاب الثاني من إليجياته فيبدو أنها كانت عاهرة محنكة في حوزة قواده .

يتميز تيبوللوس بأنه يعيش في عالم خيالي صنعه لنفسه بأحلامه وحنينه للعصر الذهبي المفتقد. سواء أكان هذا العصر في روما القديمة بماضيها العريق ام في روما المعاصرة في ظل السلام الأوغسطي . (٣٥) .

٣ ـ سكستوس بروبرتيوس :-

ولد سكستوس بروبرتيوس فيما بين عامي ٥٤ و٤٧ ق . م في أسيسي، حيث كانت أسرته تحتل مكانة بارزة على المستوى المحلي، مات ابوه وتركه صغيرا وعانت الاسرة من مصادرت الاراضي التي امر بها اوغسطس اوكتافيانوس عام ٤١ ـ ٤٠ ق . م ورفض بروبرتيوس ان ينخرط في مناصب عامة، وأثمر تعليمه الخطابي في الشعر وليس في ساحات المحاكم. وسيرا على منوال جاللوس إحتفى بروبرتيوس بقصة حبه مع من يسميها باسم اغريقي مستعار (كينثيا) والتي كان اسمها الحقيقي (هوستيا) .

فقصة حبه حقيقية، ليست كما هو الحال بالنسبة لقصة حب أوفيديوس مع كورينا. وقصة حب بروبرتيوس تملأ الكتب الأربعة التي تنقسم اليها اليجياته

يعد بروبر تيوس من كبار شعراء الرومان الغنائيين ، وشعراء الحب الرومانتيكي ، ويوضع جنبا الى جنب مع اللورد بايرون على سبيل المثال ، فهو يقفز من قصة حب الى اخرى ويتنقل بين احضان النساء. انه دائما على أهبة الاستعداد لكي يقدم نفسه دون ان يعطي شيئا بالفعل. ولكي يلعب هذا الدور لايكفي ان يكون عاطفيا ورقيقا ، اذ عليه ان يتحلى بقدر من العزة وأن يضفي على نفسه لونا من الغموض المحبب للنساء وعليه أن يعطي لقراء أشعاره انطباعاً بأنه كبطل قد وقع في صراع مع الآلهة ـ المزعومة ـ الحاقده عليه بفعل الغيرة منه لأنه يتحدى قدره .

فالحب عندبروبرتيوس يمثل قوة دفع ورفع كونية تفوق في القدرة والقيمة كل الفضائل والقيم الأخرى بما في ذلك الثروة والسلطة ونبل المولد(٣٦) .

يمتاز شعره بالحيوية وصدق العاطفة ، لكن مايحتويه من غرابة في الالفاظ ، وتكلف في العبارة ، جعل النقاد يتهمون صاحبه بالصنعة والجدب . (٣٧) .

وقف بروبرتيوس تحت لواء الحب والسلام الذي رفعه انطونيوس وكليوباترا في مواجهة جيوش الحرب التي يقودها أوغسطس اوكتافيانوس (الوحشي). ولكن بروبرتيوس يتناقض مع نفسه وينضم الى جوقة الأبواق الاوغسطية ويهاجم كليوباترة بشراسة عنيفة ، فهو يصفها بأنها مبتذلة حتى بين خدمها فهي (ملكة مومس) وكانوبوس ـ أبوقير حاليا ـ مدينة زانية . (٣٨) .

٤ ـ أوفيديوس شاعر الحب والاساطير:-

ولدبوبليوس أوفيديوس ناسو في سولمو او سولمونا على بعد ٩٠ ميلا من روما. وذلك في ٢٠ مارس عام ٤٣ ق . م .

أرسله أبوه الى روما لكي يتعلم ، وفيها أظهر ذكاء وتفوقا على أقرانه في مدارس الخطابة ، ولكنه كان يفضل (المقالات الخطابية) على (المناقشات الخطابية). وفي روما لم ينضم أوفيديوس الى حاشية راعي الآداب والفنون مايكيناس الوزير الاول لأوغسطس. ومع ان أشعار أوفيديوس تشي باحترام ملموس لأوغسطس وحكومته إلا أنه لم يكتب شيئا تشتم منه رائحة النفاق او الدعاية الأمبراطورية . (٣٩) .

وفي عام ٨م نرى ان افيديوس ، ولأسباب غير معروفة يعيش في المنفى حتى يموت عام ١٨م. وتنقسم أشعاره الى ثلاث مجموعات .

أ ـ غرامية

ب ـ اسطورية

ج ـ قصائد نظمها في المنفى .

وكل هذه الاشعار باستثناء ما كتبه عن الاساطير من النوع الغنائي الذي وصل الى الذروة على يديه (٤٠) وتفصيل هذه المجموعات كما يلي :-

١ - الغزليات .
٢ - البطلات
٣ - فن الهوى .
٤ - علاج الحب .
٥ - ميتامورفوسيس .
٦ - الاعياد
٧ - الأحزان .

وتوضيح ذلك كما يلي :-

١ - الغزليات :-

أكتسب أوفيديوس شهرته عن طريق اليجياته التي قيل إنها تصور تجاربه الشخصية في الحب، واعطاها عنوان (الغزليات) ونشرت بعد عام ١٦ ق .م. وتقع في ثلاثة كتب وتضم ٣٩ قصيدة يتراوح طول الواحدة منها فيما بين ١٨ و١٤ بيتا. وتحكي معظم هذه القصائد قصة حب أوفيديوس مع إمرأة يسميها (كورينا). وربما لم تكن في حياة اوفيديوس قصة حب واقعية. ولعل البطلة الحقيقية لهذه القصائد ليست كورينا ، فقد تكون شخصية وهمية ، وانما هي الاليجية كفن شعري متطور.

٢ - البطلات :-

كانت (البطلات) عبارة عن رسائل وهمية باقلام شخصيات اسطورية نسائية تخاطب عشاقها. ويمكن ان نعتبر كل رسالة منها (مقالة خطابية) فهي ليست قصة سردية بسيطة. وكل بطلة تدافع عن قضيتها مستغلة فنون الخطابة المتداولة آنذاك.

وهي رسائل تشحذ الخيال وترتفع به الى آفاق الرومانسية بقدر الاثارة والمغامرة. إنها تقع في ١٤ رسالة منظومة في الوزن الاليجي ، وتخاطب البطلات بها عشاقهن أو ازواجهن. (٤١) .

٣ - فن الهوى ، أو فن الحب :-

ويتضمن عددا وافيا من التعليمات التي يتبعها العشاق والعاشقات في اثناء الحب. (٤٢) ويتناول علاقات غانيات روما بالمعجبين بهن .

٤ - علاج الحب ، أو داء الحب.

ويشمل الارشادات التي يمكن بها التخلص من الحب والتهرب منه . (٤٣) ويقدم هذا الديوان مع سابقه صورة حية لدنيا الفساد والهوى والملذات في روما مع بعض النصائح التعليمية في مجال هذا الداء .

٥ - ميتامورفوسيس Metamorphoses

ميتامورفوسيس : كلمة يونانية الأصل ، وهي مركبة من مقطعين الاول (ميتامور) ومعناه استحالة أو مسخ ، والثاني (فوسيس) وأصله (فيس) phase ومعناها : شكل ، أو حالة أو مظهر (٤٤) ويكون المعنى الحرفي للكلمة بمجملها : مسخ الأشكال, أو (التناسخات) وهو إسم ديوان أوفيديوس ، الذي يقع في خمسة عشر كتابا بالوزن السداسي. وفي كل قصائد هذا الديوان يتخذ اوفيديوس موضوعات من أساطير التناسخ. وتدور فكرته حول مسخ الاشخاص والاشياء الى صور واشكال مختلفة. وله ديوان اخر عن الخرافات اسمه (فاستي). (٤٥) .

يبدأ أوفيديوس في ديوان (التناسخات) بالتناسخ الاكبر من (الفوضى) الى العالم المنظم ، وينتهي بآخر التناسخات وهو تأليه يوليوس قيصر. وتحوله الى (يوليوس المؤله) ويلاحظ ان اوفيديوس يتعامل مع الموضوعات الاسطورية دون اي حس ديني، فهو لايرى في هذه الاساطير سوى موضوعات تقليدية مسلية وممتعة (٤٦) وهو على النقيض من فرجيليوس الذي أحاط الاساطير بهالة من القدسية .

٦ - الاعياد :-

لقد بين أوفيديوس موضوعات ديوانه (الاعياد) في مطلع هذا الديوان (الكتاب الاول ص ١ - ٢) بقوله :-

(فصول التقويم الروماني في نظامها السليم. أصولها مطالع ومغارب الافلاك . . . تلك هي موضوعاتي) .

يسير أوفيديوس في ديوان (الاعياد) على نفس الدرب الذي طرقه من قبل كاليماخوس في

(الاسباب) ، وصديقه ومعاصره أوراتوس في (الظواهر). أما الايعاز المباشر فقد جاء الى اوفيديوس من بروبرتيوس. كما ينبغي الا نغفل هنا (الاينيادة) فهي وإن اختلفت عن (الاعياد) في كثير من الجوانب مثل الشكل والمضمون والاسلوب. الا انها قد مارست تأثيرا كبيرا على اوفيديوس. واذا كانت (الاينيادة) تمثل المعتقد الفلسفي والتأملي لصاحبها. فان (الاعياد) تعد ضربا من ضروب التدريب الادبي.

و(الاعياد) هي الديوان الاوغسطي الوحيد لأوفيديوس بمعنى انه يسير مع التيار العام لهذا العصر ، وبالتحديد تمجيد الفكرة الرومانية والمشروع الاوغسطي . (٤٧) .

٧ ـ الاحزان (ترستيا) Tristia

أما ترستيا اي الاحزان فهي من أشعار اوفيديوس في المنفى. وهي تصور آلام الشاعر في منفاه وتوسله الى الامبراطور اوغسطس بطلب الرحمة والعفو.

ففي عام ٨ م صدر قرار بطرد اوفيديوس او نفيه الى توميس على شاطىء البحر الأسود. وكان السبب الرسمي المعلن لنفيه هو لا أخلاقية اشعاره ، وآثارها السيئة على الاخلاق العامة. وهذا سبب ضعيف ومزيف ولا يمكن قبوله. وفي نفس الوقت شاعت في روما أقاويل بأن اوفيديوس كان على علاقة حب مع (يوليا) حفيدة الامبراطور اوغسطس المستهترة. وهذه ايضا شائعات لايمكن الأخذ بها . اذ كان اوفيديوس في سن الخمسين وكانت يوليا فتاة صغيرة السن جدا. وعلى أي حال فإن هذا لاينفي احتمال تورطه في احدى فضائحها على نحو أو آخر.

وفي يأس وقنوط عشية مغادرة روما انفجر أوفيديوس في غيظ فأحرق (التناسخات) وكثيرا من أعماله ، وشرع ينظم (الاحزان) ترستيا، وهو في طريقه الى توميس.

نظمت (الاحزان) في الوزن الاليجي ، وهكذا اعاد الوزن الى استخدامه الاصلي بعد ان كان قد حقق ازدهارا في عالم الغزل. ونظمت أولى القصائد في الطريق الى توميس وارسلت الى روما بمجرد الوصول الى المنفى (٤٨) وله مجموعة رسائل من (البحر الاسود) موجهة الى قوم بعينهم في روما.

وطابع أشعار اوفيديوس كلها الاستخفاف، وهي تخلو من روح الجد التي يتميز بها فرجيليوس وهوراتيوس، وذلك لآن اوفيديوس كان يحب المتعة ويسبح وراء خياله الخصب ، ويجد سهولة في التعبير عما يريد بأسلوب متدفق فياض مما جعله شاعرا طريفا يحب الناس تلاوة شعره ويجدون متعة في ترجمته وهذا يفسر تعدد الترجمات التي ظهرت في شعره في مختلف اللغات . (٤٩) .

٤ ـ تيتوس ليفيوس (٥٩ ق . م ـ ١٧م)

تيتوس : مؤرخ روماني مغمور السيرة قضى اربعين عاما يكتب تاريخ روما منذ نشأتها وحتى وفاة دروسوس عام ٩ ق . م في ١٤٢ جزاء بقي منها ٣٥ جزءا. لايذكر مصادره الا في مواضيع الجدل او الشك ، ويستخدمها دون ان يمسها بتعديل الا من حيث الاسلوب كتابه مليء بالتكرار والتناقض والتباين في التواريخ ، قليل الالمام بالنظم الرومانية ، وفنون القتال واحوال روما في عهدها المبكر، وشئون الشرق . وهو لايزيف الحوادث لكن اسلوبه الادبي المنمق كثيرا يجعل عباراته مضللة (٥٠) عنوان مؤلفه (منذ تأسيس المدينة) أو (كتب عن المدينة منذ تأسيسها) ظهرت المجموعة الاولى في الفترة مابين خلع لقب (أوغسطس) على اوكتافيانوس عام ٢٧ ق . م وغلق معبد يانوس للمرة الثانية عام ٢٥ ق . م ولقد حقق هذا الكتاب لصاحبه شهرة واسعة حتى في حياته اذ يحكى ان رجلا قدم من قادش الى روما بهدف أن يرى ليفيوس فقط . (٥١) كان هدفه كتابة تاريخ روما بحيث يكون جديرا بما بلغته من مجد وسؤدد. وتسيطر على تأريخه مشاعره الوطنية واحساسه بعظمة روما. وصف حياة رجال الماضي وخلقهم وسياستهم ، وأشاد بمقاومة روما لها نيبال.

نقد الفساد الذي تطرق الى الحياة العامة. أهم ما امتاز به قدرته على تصور الاحداث والشخصيات وتصويرها ونقل صورة امينه للروايات القديمة (٥٢)

عمد ليفيوس الى ان يكون تاريخه مؤلفاً أدبياً مشبعا بروح الفن ، شاعريا في اسلوبه وطريقته في تناول الاحداث. ومن ثم نجد تأريخه يتسع للكثير من المشاهد العاطفية المؤثرة. ولمحاولات رسم الشخصيات بدقة أو على مستوى رفيع من الفن، أو حتى باللجوء الى اقتطاف كلمات جاءت على لسانهم ، وكل ذلك بهدف التأثير في الجمهور.

وفيما يتعلق باللغة والاسلوب فان ليفيوس ينتمي الى أواخر العصر الجمهوري لا العصر الاوغسطي ، ومع ذلك فإن بشائر الانتقال الى اسلوب العصر الفضي تتبدى جلية في التركيبة النحوية لجملة ليفيوس. (٥٣).

والى هنا عزيزي القارىء تنتهي خطوتنا الاولى التي خطوناها معا في «الادب اللاتيني ودوره الحضاري» وارجو أن تتبعها خطوات ، فالطريق امامنا طويلة لاتزال. فما رأيك في استراحة قصيرة الآن ، تنفض في اثنائها عنك وعثاء السفر، وتنتظر خلالها في الاعداد التالية متابعة الادب اللاتيني في العصر الفضي من عام ١٤ م الى نهاية القرن الثاني الميلادي ، والى مابعد العصر الفضي مرورا بالعصر البيزنطي ووصولا الى لاتينية العصور الوسطى.

ونرجو من الله العلي القدير ان يهيىء كاتباً آخر لاكمال المسيرة ، أو ييسر لنا سبحانه المراجع المعنية بهذا المجال. فهو على كل شيء قدير وبالاجابة جدير واليه المصير.

□□ الهوامش والمراجع :-

١ - كان الامبراطور في الجمهورية الرومانية هو القائد الاعلى للجيش. وقد اتخذ يوليوس قيصر (١٢٠ - ٤٤ ق.م) وأغسطس (٦٣ ق.م - ١٤م) لقب امبراطور نظرا لمركزهما العسكري الرفيع. وانما اعتبر اغسطس اول إمبراطور روماني نظرا لما قام به من فتوحات وإصلاحات. واتخذ لقب امبراطور بعدهما جميع خلفائهما ، وحمل هذا اللقب في العصور الوسطى اباطرة الدولة الرومانية المقدسة بوصفهم سلالة اباطرة الرومان القدماء. وحمله أيضا نابليون بونابرت ، كما أقتبسه عواهل النمسا والمانيا وانجلترا (امبراطور الهند) وفي امريكا حكام البرازيل والمكسيك ، مثل ايتوربيدا ومكسمليان.

٢ - الموسوعة العربية الميسرة ج ١ ص ١٧٥

٣ - الدكتور علي فهمي خشيم. رحلة الكلمات ص ١٢٧

٤ - الموسوعة العربية الميسرة ج ١ ص ١٧٥.

٥ - كان جايوس مايكيناس من (أريتوم) سليل الارستقراطية الاترسكية العريقة. وكان فارسا رومانيا وصديقا مخلصا ومقربا من اوغسطس.

٦ - الغار : شجر ، كان يكلل به القائد المنتصر في عهد الرومان القدامى. وفي العصور الوسطى ظهر لقب (مكلل بالغار) في انجلترا ، حينما كانت الجامعات تضع إكليلا من شجر الغار على راس الطالب المتفوق في النحو أو علوم البلاغة او الشعر، ثم شاع استعمال هذا اللقب بالنسبة لكثير من الشعراء الممتازين من باب المدح والتهنئة. فنجد مثلا انه في عام ١٣٤١م قد كلل مجلس الشيوخ بروما الشاعر بتراركا بالغار تكريما لتفوقه. ولم يستعمل هذا اللقب في انجلترا رسميا الا سنة ١٦٦٨م حينما عين الشاعر جون دريدن (شاعر البلاط) او (شاعرا مكللا بالغار) وكان مرتبه الرمزي مائة جنية سنويا. ومن واجبات شاعر البلاط ان يكتب الاشعار مدحا او رثاء حسب أوامر الملك ، كما كان عليه ان ينظم قصيدة طويلة بمناسبة رأس السنة الميلادية واخرى بمناسبة عيد ميلاد الملك.

٧ - عالم المعرفة الادب اللاتيني ودوره الحضاري تأليف الدكتور أحمد عتمان العدد ١٤١ سبتمبر ١٩٨٩م ص ٢٠٧ - ٢٠٩.

٨ - المصدر نفسه ص ٢١٣.

٩ - الموسوعة العربية الميسرة ج٢ ص ١٢٨٣.

١٠ - مجدي وهبة وكامل المهندس : معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ص ١٧٩.

١١ - الموسوعة العربية الميسرة ج ١ ص ٥٨٩.

١٢ - معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ص ١٧٩.

١٣ - المصدر نفسه ص ١٨٠

١٤ - عالم المعرفة السابقة ص ٢١٤ - ٢١٥.

١٥ - المصدر نفسه ص ٢١٧

١٦ ـ المصدر نفسه ص ٢١٩ .
١٧ ـ مجدي وهبة معجم المصطلحات العربية ص ١٩٢ .
١٨ ـ مجلة عالم المعرفة السابقة ص ٢١٩ .
٢٠ ـ الموسوعة العربية الميسرة ج١ ص ٢٥١ .
٢١ ـ المصدر نفسه ٢٩٧ (هامش).
٢٢ ـ ويرجع هذا المصطلح الى أرسطو . الذي سماه (فن الشعر أو مبحث حول الشعريات) الذي يمكن اعتباره اساس كل فنون الشعر اللاحقة في أوروبا .
٢٣ ـ معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ص ٢٧٩
٢٤ ـ مجلة عالم المعرفة مرجع سابق ص ٢٤٧ .
٢٥ ـ المصدر نفسه ص ٢٤٨
٢٦ ـ مجدي وهبة مرجع سابق ص ٤٢٣
٢٧ ـ مجلة عالم المعرفة مرجع سابق ص ٢٧ .
٢٨ ـ المصدر نفسه ص ٨٥
٢٩ ـ المصدر نفسه ص ٨٩ ـ ٩٠
٣٠ ـ المصدر نفسه ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .
٣١ ـ المصدر نفسه ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .
٣٢ ـ مجدي وهبة مرجع سابق ص ٢١٢ .
٣٣ ـ مجلة عالم المعرفة مرجع سابق ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤ .
٣٤ ـ المصدر نفسه ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .
٣٥ ـ المصدر نفسه ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ .
٣٦ ـ المصدر نفسه ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ .
٣٧ ـ الموسوعة العربية الميسرة ج١ ص ٣٥٧
٣٨ ـ مجلة عالم المعرفة مرجع سابق ص ٢٦٠ .
٣٩ ـ المصدر نفسه ص ٢٦٣ .
٤٠ ـ الموسوعة العربية الميسرة ج ١ ص ٢٦٧
٤١ ـ مجلة عالم المعرفة السابقة ص ٢٦٣ ـ ٢٦٥
٤٢ ـ الموسوعة العربية الميسرة ج١ ص ٢٦٧ .
٤٣ ـ المصدر نفسه
٤٤ ـ أنظر : الياس انطون الياس : قاموس الجيب انجليزي ـ عربي ص ٢٣٩ ، ٢٧٩
٤٥ ـ الموسوعة العربية الميسرة ج ١ ص ٢٦٧ .
٤٦ ـ مجلة عالم المعرفة السابقة ص ٢٦٧
٤٧ ـ المصدر نفسه ص ٢٦٨ .
٤٨ ـ المصدر نفسه ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥
٤٩ ـ الموسوعة العربية الميسرة ج ١ ص ٢٦٧ .
٥٠ ـ المصدر نفسه ج ٢ ص ١٥٩٧
٥١ ـ عالم المعرفة مرجع سابق ص ٢٧٩ .
٥٢ ـ الموسوعة العربية الميسرة ج ٢ ص ١٥٩٧
٥٣ ـ مجلة عالم المعرفة السابقة ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ .

القوة في المجتمع

التعريفات والمفهومات الأساسية

د/ عبدالملك علوان المقرمي
جامعة صنعاء - كلية الآداب

□□ مقدمة :-

نناقش في هذا البحث اربعة موضوعات أساسية هي : مفهومات القوة، وموضوعها ، والمشكلات التي تواجه الباحثين في تعريفها ، والمفهومات المتصلة بها ، وذلك من خلال عرض وتحليل تراث القوة، بهدف استخلاص مايهمنا منه، ويخدمنا في تطوير الاطروحات الخاصة بناء ، وبحيث يشكل البحث قاعدة تقوم عليها بحوث قادمة .

وثمة أسباب تقف وراء هذا التصور الرباعي لمكونات البحث.

فمن المتعذر مناقشة الاتجاهات النظرية في دراسة القوة دون تحديد نظري لطبيعة الموضوع Subject ، والمفهومات الاساسية Key Concepts ، والتعريفات المعتمدة في العلم Definitions .

أما الهدف النهائي من هذا التقسيم فيتمثل في مجموعة نقاط هي :-

بلورة الاهتمام بدراسة القوة كموضوع قائم بذاته ، وميدان من ميادين علم الاجتماع ، واظهار القوة كموضوع للاتفاق أو الاختلاف ، او الصراع بين المحاور الأساسية لأي بناء اجتماعي ، فضلا عن كشف الطرق التي تتوزع بها القوة والنفوذ بين الطبقات ، والصفوات ، والشرائح الاجتماعية في اي مجتمع من المجتمعات. ثم المزاوجة بين تحليل النظم الحاملة للقوة والقوة نفسها، مع إيضاح طبائع الادوات المختلفة لممارستها من نظم ايديولوجية وثقافية، وقمعية مختلفة .

وسينفرد هذا البحث بمناقشة كل ماهو متصل بالمفاهيم التكنيكية ، تاركين الاتجاهات والمداخل النظرية لبحوث قادمة .

وبناء على هذا سنقسم بحثنا الى النقاط التالية :-

أولا : القوة : الموضوع والحدود المعرفية .
ثانيا : موضوع القوة (اشكالية التعريف) .
ثالثا : حول تعريف القوة .
رابعا : القوة والمفهومات المتصلة بها .

□□ أولا : القوة: الموضوع والحدود المعرفية :-

موضوع القوة هو : العلاقات السياسية القائمة بين طرفين أو أكثر من أطراف التفاعل الاجتماعي في مجتمع معين (١) . وسواء كانت هذه العلاقات قائمة بين أفراد ينتمون الى نسق قرابي ، أو طبقي أو غير ذلك فان أي وضع من هذه الأوضاع يفرز من خلال عملية التفاعل نوعا من اللامساواة ، هذه اللا مساواة هي مانسميها بالتحديد : علاقة القوة Power relation . (٢) .

وقد شكل موضوع القوة قاسما مشتركا بين علم الاجتماع العام وعلم الاجتماع السياسي ، غير ان الأول لايهتم بتحليل قضايا القوة كموضوعات قائمة بذاتها بقدر مايهمه النظر اليها داخل السياقات الاجتماعية بصورة شديدة التجريد ، .

ولهذا فأن موضوع القوة قد عني به كل من علم السياسة ، وعلى الاجتماع السياسي، وعلم الاجتماع العام . لذلك فالحديث عن القوة متشعب وغير قابل للتعريف القاموسي الجامع المانع . ومع ذلك سوف نحاول ان نقدم تعريفات مختصرة للقوة وعلاقاتها بحيث يشكل ذلك نقطة بداية لتلمس الطريق الصحيح في عرض هذا الموضوع الشائك . (٣) .

تفترض علاقة القوة وجود جانب مسيطر Dominant وجانب خاضع Dominated ، فالسيطرة والخضوع هما المعادلة المعيارية لجوهر البناء السياسي وبناء القوة ، ومن ثم فان دراسة البناء السياسي والعلاقات السياسية لايمكن ان تتجنب دراسة القوة ، بل ان القوة تحتل مكان الصدارة مادامت السياسة نفسها هي البحث عن القوة، والقوة كما يمكن تصورها هي المفتاح الذي يمكن من خلاله كشف لعبة السياسة وتحليل خصائص أي بناء سياسي . (٤) .

ان كشف هذه الارتباطات التي تكونها القوة بعناصر البناء الاجتماعي قد فرضت دائما، اكثر من طريقة لدراستها ، وأكثر من وجهة نظر في النظر اليها ، فشكل كل ذلك مجموعة من المداخل المعرفية (الابستمولوجية) التي تدور على اختلافها حول سؤال محوري واحد هو : ماموضوع القوة . ؟ . وباختلاف الاجابة على هذا السؤال اختلفت المذاهب النظرية ، فالبعض يرى أن القوة في المجتمع الرأسمالي ، تكمن في صميم النظام الاقتصادي ، وبالتالي فالعلاقات الاقتصادية هي جوهر القوة ومكمن ممارستها (٥) . وقد ظل هذا المدخل الابستمولوجي يغذي تيارا كاملا من النظريات والافكار الماركسية في القوة بكل تفرعاته وتبايناته .

بينما يؤكد ماكس فيبر على عناصر السلطة Authority والعلاقات السياسية المتفرعة منها ، بالاضافة الى طبيعة انماط تلك السلطة التي تحدد خصائص العلاقة بين الحاكم ، وموضوعاته .

فالقانون ، في رأي فيبر يوجد حيثما يوجد احتمال قوي لحمايته بواسطة ادارة مخولة لاستخدام السلطة . أما القوة في هذا السياق ، فهي قدرة جماعة أو طبقة معينة على تنفيذ ارادتها الخاصة ، وفرض مصالحها ضد مصالح الاخرين برغم ماقد تجده من مقاومة ،في سياق عملية التفاعل الاجتماعي . (٦) .

أما تالكوت بارسونز فيعتبر القوة خاصية من خصائص النسق الاجتماعي ، تمارس من خلال أوضاع خاصة تحتلها القيادة الواقعة على قمة النسق، لكن القوة، مع ذلك ، منتشرة خلال النسق كله ، وتعمل من أجل تحقيق أهداف نظامية محددة (٧) .

وقد أدت هذه المداخل الابستمولوجية الثلاثة للقوة ، الى اختلافات وخلافات جذرية في الاراء التي طرحت حول وظيفة علم الاجتماع السياسي نفسه، فهناك من يقول بأنه علم متخصص في دراسة الدولة، وهناك من يرى أنه متخصص في دراسة القوة، كما أمتدت هذه الخلافات لتشمل موضوع القوة نفسه ، وظهرت على هيئة اشكالات واختلافات تقف دائما امام أية محاولة للاتفاق .

□□ ثانيا: موضوع القوة (اشكالية التعريف) :-

يعرف براتراند راسل B.russell القوة بأنها مجموعة من الافعال ذات النتائج الغائية The Pro-dection of intended effects ، وبناء على ذلك فهي فكرة كمية ، ويضرب على ذلك مثلا برجلين لهما نفس الطموحات فاذا حقق الاثنان قدرا متساويا من الانجاز فلن يكون أحدهما اكثر قوة من الاخر. وثمة اشكال عدة من القوة، كالقوة التي موضوعها الكائن البشري، والقوة التي موضوعها المادة ، أو الطبيعة غير الحية . ويتم تعريف النمط الأول من القوة بمقتضى انماط التأثير التي تحدثها في الافراد اثناء عملية ممارسة القوة ، أو عن طريق معرفة الاجهزة التنظيمية التي تتم داخلها تلك الممارسة .

اما القوة بمعناها الثاني فهي ما يحققه الانسان من سيطرة على الـطبيعة نجدها متجسدة في منجزات العلم (٨) .

ويعـد تعريف راسل واحدا من التعريفات المبكـرة للقـوة فلقـد حدثت بعـده ثورة كبـيرة من التعريفات الى درجة ان الباحث ليحتار في تصنيفها ، بل انـه من غير الممكن لبـاحث واحد تغطيتها جميعا . أما هذا التشعب في التعريفات فقد صحبه تعدد ، وتشعب في وجهات النظر التي أنطوت هي أيضــا على خلافـات نظرية وأيديولـوجية ومنهجية عميقة . (٩) .

ويرى هاريسون فاجنر H. Wagner أن ثمة ثلاث مشكلات أساسية تواجه الباحث عن تعريف دقيق للقوة : المشكلة الأولى ، وتتمثل في عدم وجود اتفاق تام بين الباحثين حول الاجابة على السؤالين التاليين :

من هو صاحب القــوة؟ ومـا مقـدار تلك القـوة؟ . وأمـا المشكلة الثـانية فتتمثل في صعوبة الـوقـوف على تعـريف مقنـع للقـوة . أمـا الثـالثة فتتلخص في أن العـلاقة القائمة بيـن مصطلحي القـوة Power والسياسة Politics تبدو محيرة للغاية (١٠) . وبـالاضـافـة الى ذلك فان محاولة تعريف مصطلح (قوة) في حد ذاتها قد تؤدي الى العديد من المشكـلات الجـانبية مثل : هل القوة خاصية من خصـائص الأفراد؟ أم هل هي ضرب من العلاقة بين مجاميع كبـيرة من الناس؟ أم هل تنطوي على فكرة القهر Coercion واذا كان كذلك فماذا تعنى كلمة قهر في حد ذاتها؟ (١١)

لاتقف هذه التساؤلات عند حد ، بل تمتد عبر كل ما كتب عن القــوة ، بنفس الصـورة من التعـدد والغمـوض اذ تثـير تسـاؤلات اخرى أكثر غموضا ، وأقل قبولا للاتفاق ، وأبعد ماتكون عن الـوقـوف على تعـريف محدد وواضـح . ومن تلك التساؤلات مثلا : ما العلاقة بين السلطة والقوة؟ ما العــلاقــة بين النفــوذ والمكــانــة والقسر والقـوة والحكم؟ . . الــخ . . يرى فاجنـر ان بعض هذه المشكلات تبدو زائفة لانها تقوم أساسا على سؤ فهم كلمة قوة Power أما البعض الآخر فتقوم على أسس حقيقية كامنة في أساليب الملاحظة وتفسير الظواهر . (١٢) .

وعـلى الـرغم من توافـر الآف التعـريفـات المعاصرة للقوة، الا انه يمكن العودة الى التعريف الـذي بدأنـا به هذه الفقـرة ، وهو تعريف راسل للقـوة : القـوة هي (قـدرة البعض على خلق آثار مقصـودة على حياة البعض الآخر.) (١٣) . فمن هذا التعريف أشتق دينيس رونج D. Wrong خمس خصـائص أسـاسية للقوة وهي : أن للقوة طبيعة غائية ، كما أنها فعـالة ، ولها خصائصٍ ومكونات تبـدو دائـما في حالـة كمون أو استتار . ولها طبيعة لاتمـاثلية أي أنها أحادية لانها تتضمن قدرة بعض الاشخـاص على التـأثير في سلوك وحياة الآخرين بصورة تبدو دائما أحادية الجانب .

أما الخاصية الخامسة والأخيرة فتتلخص في هذا السؤال : هل تلك الاثـار الناجمة عن ممارسة القوة على الآخرين من قبل جماعة أو أفراد معينين ذات محتوى سلوكي خالص؟ ، أم أن ثمة نتائج ، وأثارا ذاتية اخرى يمكن أخذها في الاعتبار؟ (١٤) .

□□ ثالثا : حول تعريف القوة :-

رأينـا في الفقـرتين السابقتين كيف ان القوة موضوع خلافي يتعذر الاتفاق حول تعريفه تعريفا جامعاً مانعا ، ومن ثم لعبت هذه الخلافية دورا هاما في تعـدد الاتجـاهـات واختلاف وجهات النظر في تحليل القـوة . كما تنبـع هذه السمـة الخلافية، في بعض جوانبها من كون القوة مفهوما تقييميا Evaluative . فكـل قضية من قضـايـاهـا تنبع بالضرورة من موقف قيمي اخلاقي وسياسي محدد . وبعبـارة اخـرى : ان القـوة مرتبطة ، في جوهرها بمجموعة من الفروض القيميه Value assump-tion تتحكم في أبعادها المختلفة حينما تنقل من مجال

الفكر الى مجال الممارسة والتطبيق التجريبي . (١٥)

ويكمن المبدأ الاساسي الذي يقف وراء كل حديث عن القوة في فكرة محورية هي : أن (أ) يؤثر بطريقة أو بأخرى على (ب) تأثيرا فعالا ذا معنى (١٦) . ويترتب على هذا الوضع أن فكرة القوة شأنها شأن المفهومات الاخرى المتصلة بها كالقسر والعنف والنفوذ والسلطة .. الخ ، تتخذ مستويات عديدة من ذلك التأثير وفقا للوضع الذي تتطلبه عند تطبيقها على واقع اختباري معين ، أو بعبارة اخرى ان القوة عندما تنقل الى مجال التطبيق العملي تقدم أكثر من وجهة نظر واحدة سواء فيما يتعلق بالتعريفات النظرية ، والمفهومات أو في تحديد الحالات الواقعية للقوة في الحياة الاجتماعية الفعلية ، ولدينا العديد من وجهات النظر ومن المفهومات ، نقدم نماذج منها للتدليل على هذه الطبيعة التاإثرية لمفهوم القوة .

يرى تالكوت بارسونز ان القوة هي احدى الميكانيزمات العاملة على احداث تغييرات في أفعال الوحدات المختلفة الاخرى داخل عملية التفاعل الاجتماعي ، سواء كانت تلك الوحدات أفرادا أو جماعات (١٧) وبناء على ذلك يعرف بارسونز القوة بأنها قدرة معممة لصيانة الانجازات التي تحققها الوحدات الاخرى في نسق التنظيم الجمعي ، حينما تكون التزامات ذلك النسق مشروعة بالتوجه نحو تحقيق أهداف جمعية ، مرهون تحقيقها باستخدام قوانين موضوعية محددة ممكن اتخاذها من قبل أي وحدة من الوحدات أو المؤسسات .

ويستند هذا الطرح على اعتبار ان قوة (أ) التي يمارسها على (ب) تقع ضمن حدود مشروعية ممارسة القوة . هذه المشروعية هي حق (أ) باعتباره وحدة صنع القرار داخل عملية جمعية متكاملة ، في صنع قرارات تسبق من حيث الاهمية قرارات (ب) . وهنا تصبح الاولى لخدمة مصالح جمعية ، بينما الثانية لخدمة مصالح فردية (١٨) . ويربط بارسونز بتعريفه هذا بين القوة والسلطة ربطا مباشرا ، فضلا عن ربط المفهومين بقضية الاتفاق العام على القيم General Consensus ، وبمتابعة تحقيق الاهداف الجمعية ، وبذلك يفصل بارسونز القوة عن قضية صراع المصالح . أنها بتعبيره وسيط ناقل لمجموعة الالتزامات والشروط التي يتحقق من خلالها الفعل الجمعي (١٩) .

ويمكننا بصورة عامة وصف الفكرة المحورية لتعريف بارسونز للقوة ، وكذلك التعريفات التي قدمتها المدرسة الوظيفية ، بأنها تعريفات تسعى لتدعيم الاطار النظري العام الذي يقوم عليه هذا الاتجاه ، فحين ربط بارسونز القوة بالقرارات السلطوية كان ذلك سعيا واعيا منه لتدعيم نظريته الخاصة بالتفاعل الاجتماعي . كذلك فعلت أرندت H. Arendt في تعريفها للقوة بأنها مفهوم متصل بالمقدرة الانسانية على خلق الفعل الموحد ، المنسق والمنسجم في مكوناته بصورة جمعية . (٢٠) .

ولكن على الرغم من أن تعريفات بارسونز ، وأعضاء مدرسته الوظيفيين اكثر شيوعا ، فأنها أقل تخصصا ، فتراث القوة بتراكمه وبثرائه ينحصر في أعمال طلاب العلوم السياسية ويأتي على رأسهم روبرت دال R. Dahl . يعرف دال القوة في مقال مبكر له قائلا : إن فكرتي الاولية عن القوة يمكن ان تكون كالتالي (أ) له قوة على (ب) الى درجة أنه قادر على جعله يأتي بفعل كان يمكن أن يفعله بطريقة أخرى . (٢١) . ويعد هذا التعريف نموذجا لكثير من التعريفات الخاصة ببعض رواد المدرسة التعددية في القوة . ويميز دال بين خمسة مكونات أساسية للقوة هي :-

١ - الاساس الذي تقوم عليه ، ويمثل مجموعة المصادر التي يعتمد عليها (أ) في التأثير على سلوك (ب) . وقد تكون هذه المصادر اقتصادية أو عسكرية ، أو مكانة اجتماعية أو مجموعة معينة من الامتيازات .

٢ - وسائل مارستها ، وهي عبارة عن مجموعة من الافعال المحددة كالوعود والتهديدات أو ماشابه ذلك ، والتي يستطيع (أ) أن يحقق بواسطتها

استخـداما أمثل لقوته من أجل تأثير أكبر ، وأكثر فاعلية على سلوك (ب) .

٣ ـ مداهـا ، ويتمثـل في مجموعـة الافعال التي يستطيع (أ) من خلالها أن يجعل (ب) ينفذ ، أو يأتي بما يريد (أ) من أفعال .

٤ ـ مقدارها ، وهو احتمال زيادة ما ينجزه (ب) من أفعال نتيجة لاستخدام (أ) قوته ضده .

٥ ـ نطاقها ، ويتلخص في ضرورة وجود مجموعة من الافراد يمكن لـ (أ) أن يمارس قوته ضدهم . (٢٢)

ويرى دال أن علاقة القوة القائمة بين فردين أو أكثر ينبغي أن تقارن ، وتدرس على ضوء العناصر الخمسة السابقة ، فقوة الفرد تكون أكثر وضوحا عندما تتحقق لها الشروط التالية :-

أ ـ كلما كان أساس قوته أكبر كانت قوته اعظم وأكثر فاعلية .

ب ـ كلما كانت لديه وسائل اكثر لممارسة القوة كانت قدرته أمضى .

ج ـ كلما اتسع نطاق قوته ازداد مقدارها ، ووسع مداها . (٢٣) .

ويركـز دال بصـورة خاصـة على المتغـيرات الثلاثة الاخيرة في تحليله للقوة (٢٤) ، ويمثل هذا الفهم مرحلة مبكرة من حياة روبرت دال . أما عمله الأســاسي الـذي بلور فيه آراءه ، ونضجت فيه مفاهيمه فهو كتابه : من يحكم؟ والذي وضع فيه دال مقولاته الشهيرة حول القوة . لقد وجد دال أن القـوة في مدينـة نيوهـافن New Haven موزعـة في الجماعـة . كما ضمن هذا الكتـاب نقـده لنظرية الصفـوة ، ودحضه لمقولة الطبقة الحاكمة او مقولة تركز القوة في ايدي صفوة ، أو صفوات معينة . (٢٥) .

تمدنـا هذه التحليلات بفكـرة عامة عن مفهومات القوة التي طورها رواد المدرسة التعددية The Pluralists ، وهي كما نلاحظ مفهومات لاتفي بازاحـة ذلـك القـدر من الغمـوض الـذي لايزال يكتنف مفهـوم القـوة . غير ان شيئـا من ذلـك الغموض يمكن ان يزاح اذا تذكرنا ذلك الانشقاق الذي نشأ بين النظرية العددية ، من ناحية ، وكل من نظرية الصفـوة ونظرية الـطبقـة ، من ناحية اخـرى . ويكمن ذلك الانشقاق في قضية محورية هي : ان رواد نظرية الصفـوة ـ السوسيولوجيين ـ يرون ان القوة متركزة في أيدي الصفوة (٢٦) . وهو تحليل يقترب من مقولة نظرية الطبقة في القوة ، اذ هي متركزة في ايدي أقلية تعكس السيطرة الطبقية ، وتمتلك وسـائـل الانتاج (٢٧) . بينما يرى مفكرو ودارسو الاتجاه المضاد ان القوة منتشرة في الجماعة .

□□ رابعا : القوة والمفهومات المتصلة بها :-

تتضـح لنـا من خلال الفقـرات السـابقـة صعوبـة التعميم حول القـوة ، وصعـوبـة فصل مفهـومها عن المفهومات الاخرى القريبة الشبه بها مثـل السلطة والنفـوذ والعنف والقهـر (٢٨) . وسأحاول ان أرسم في هذه الفقرة بعض الخطوط الفـاصلة والـواصلة بين هذه المفهومات . وبما ان التفريق بينهما ، على هذه الاسس ، يتطلب رصدا لكافة وجهات النظر التي قدمت حول القوة ، فأني سأعـمـد الى بيان الـفـروق التكنيكية بين هذه المفهومات مع قليل من التركيز على الجوانب المعرفية والمنهجية .

□□ ١ ـ القوة والسلطة :-

يتطلب الحديث عن علاقة القوة بالسلطة ، الـرجوع الى أكثر الاسهامات العلمية شيوعا لدى الدارسين في هذا الحقل ، وأقصد اسهامات ماكس فيبر M.Weber يرى فيبر ان القوة هي قدرة شخص معـين ، وامكـانياتـه في فرض ارادتـه على سلوك الاشخـاص الآخرين . أو أنها (احتمالية ان يكون فاعـل معين داخل شبكة العلاقات الاجتماعية في موقع يسمح له بفرض ارادته على الاخرين بالرغم مما قد يلاقيه من مقاومة ، وبصرف النظر عن الاسس التي تقوم عليها تلك الاحتمالية . (٢٩) .

أمـا السلطة فأنها علاقـة القـوة بين الحاكم

والافراد حين يمارس الحاكم القوة كحق مشروع . كما يعتقد الافراد ان من واجبهم اطاعة الحاكم والامتثال لاوامره . (٣٠) .

وبتعبير آخر ، يعرف فيبر السلطة بقوله أنها : احتمالية ان يكون القائد في وضع معين، مطاعا من قبل جماعة معينة ، أو أشخاص معينين . (٣١) .

وفقا لهذه التعريفات تبدو القوة مرتبطة بشخصية الفرد الذي يمارسها بينما تقترن السلطة ، دائما ، بالاوضاع والادوار الاجتماعية .

وبعبارة اخرى بينما تكون القوة علاقة سياسية حقيقية واقعية ، تكون السلطة نمطا من العلاقة الشرعية للسيطرة والخضوع . لذلك يفسر فيبر السلطة بانها قوة ذات مشروعية . (٣٢) .

وينسج على ضوء هذه التعريفات الشائعة عند فيبر ، كثيرون من علماء الاجتماع تعريفاتهم الخاصة لهذين الموضوعين فنرى رالف دارندورف R. Dahrendorf يعرف السلطة بالصورة التالية :-

أ - علاقة السلطة هي ، دائما ، علاقة سيطرة وخضوع .

ب - اينما توجد علاقة السلطة ، يكون المسيطر قادرا ، بحكم وضعه الاجتماعي على السيطرة على سلوك الخاضعين من خلال مجموعة من الافعال والاجراءات كأوامر التحليل والتحريم ، والمنع ، سواء كانت أوامر مباشرة أو غير مباشرة .

ج - هذه الادوار المتوقعة لحامل السلطة تظل في حالة دوام نسبي كأوضاع اجتماعية مستقرة ومشروعة . وليست مجرد خصائص شخصية ، كما هو الحال بالنسبة للقوة .

د - وانطلاقا من ذلك فأن تلك الادوار المتوقعة تتضمن ، في العادة تحديدا للاشخاص الخاضعين ، فضلا عن المناخ المناسب لممارسة ذلك النوع من العلاقة السلطوية . فالسلطة اذن نمط مختلف عن القوة ، وهي ليست علاقة سيطرة مطلقة على الاشخاص او الجماعات الخاضعة . (٣٣) وبهذه الصورة يقدم دارندورف نظرية جبرية للبناء الاجتماعي مركزا على موضوع علاقات السلطة بشكل أساسي .

هـ - وبما ان السلطة هي علاقة شرعية للسيطرة فان العصيان ، ورفض الاوامر السلطوية لابد ان يتبعه عقاب من نوع معين وبذلك فهي احدى وظائف النظام القانوني Legal System الذي يضمن اقصى حد من الممارسة الفعالة للسلطة . (٣٤) .

ويقوم هذا التفريق بين السلطة والقوة على محكات موضوعية يمكن العثور عليها من خلال دراسة الادوار بعيدا عن تحديد الخصائص الشخصية لحاملي القوة والسلطة . ولكن ليس هذا هو مجال اهتمامنا الان كما انه ليس الموضوع الاساسي في دراستنا هذه فبؤرة الاهتمام لهذا البحث هي التركيز على القوة كما تمارس على المستوى الاجتماعي الشامل . (٣٥) .

أما فيما يتعلق بتطوير التعريفات التعددية ، فقد قدم كل من باكراك وباراتز اسهاما هاما في تطوير مداخل وتعريفات نظرية جديدة للقوة اخرجتها من النطاق الشخصاني الذي نجده عند اسلافهما التعددين . اذ يرى باكراك وباراتز أن القوة ليست شيئا يملك ملكا شخصيا Personal Property ، فهذا الاعتبار يؤدي الى الخلط بين القوة كما تمارس على الناس ، والقوة ، كما تمارس على الطبيعة (٣٦) ، كما ان القوة بمعناها السياسي ، لايمكن ان تفهم على أنها القدرة على احداث نتائج أو آثار مقصوده ، بشكل مطلق بل بشكل يتضمن أفرادا آخرين يدخلون في علاقة (القوة) أي في السياق الاجتماعي (٣٧) . وهكذا تتميز القوة عند باكراك وباراتز بالخاصية العلائقية Relational وبالاعتماد على القيم المتصارعة بين حامل السلطة أو القوة ، ومتلقيها في سياق الممارسة . وبناء على ماتقدم يمكن التفريق بشكل أوضح ، بين القوة والسلطة من خلال هذه العناصر .

أ ـ لكي تكون هناك علاقة قوة لابد أن يكون هناك ـ كشرط جوهري ـ صراع للمصالح .
ب ـ توجد علاقة القوة فقط ، حين ينصاع (ب) لرغبات (أ) انصياعا فعليا .
ج ـ لاتقوم علاقة القوة الا اذا كان أحد أطراف التفاعل في وضع يسمح له بفرض عقوبات من نوع معين . (٣٨) .

وتضع هذه النقاط الثلاث حدا واضحا بين مفهومي القوة والسلطة بحيث يبدو الاول نقيضا للثاني ، وذلك في اطار تطوير المفهوم التقليدي للسلطة الذي قدمه ماكس فيبر وأتباعه ، والذي يعتبر السلطة قوة رسمية F0rmal Power مؤطرة تنظيميا Institutionalised Power (٣٩) .

كما يعتقد باكراك وباراتز أننا اذا أعتبرنا السلطة شكلا من أشكال القوة فان ذلك قد لايخدمنا كثيرا من الناحية التطبيقية . واذا أعتبرناها قوة رسمية فأن الامر قد يؤدي الى تعمية المفهوم نفسه والباسه مزيدا من الغموض ، ولعل العلاقة بين المفهومين تكون أوضح اذا اجرينا المقارنة التالية : في الوضع الذي يتضمن علاقة قوة يكون (ب) عقلانيا باختياره الخضوع بدلا من العصيان فالخضوع ، يكون في هذه الحالة أهون الشرور أما الوضع الذي يتضمن علاقة سلطة فأن (ب) يخضع للحاكم لانه يعتقد ان سلطته تتفق مع ما يحمله من قيم . وبهذه الصورة يفرق باكراك وباراتز بين القوة والسلطة ولكن دون أن يوفقا في فصل الاثنين فصلا تاما ، ولعل ذلك يرجع الى الاطار النظري التعددي الذي ينطلقان منه (٤٠) .

٢ ـ القوة والنفوذ والمكانة :ـ

يحتل مفهوم النفوذ Influence مكانة هامة في علم الاجتماع السياسي ولكن كما أن مفهوم القوة يثير كثيرا من المشكلات ، كذلك مفهوم النفوذ ، فهو مفهوم خلافي بطبيعته ، وهو أقرب مايكون الى المجتمع منه الى النظم السياسة ، فضلا عن انه يشبه القوة المعممة في المجتمع . (٤١) .

ويرى روز F.A. Ross ان المكانة هي السبب المباشر في تكون القوه ، وبناء على ذلك فالطبقة التي تمتلك قدرا أكبر من القوة ، ومن المكانة تمتلك قدرا أكبر من النفوذ (٤٢) . اذن فالمكانة مصدر من مصادر القوة ، لكنه مستقل عنها ، اي ان القوة والمكانة ليستا شيئا واحدا ، وان كان بعض العلماء مثل بيرستد Bierstedt يحاول ايجاد نوع من العلاقة بينهما (٤٣) ، فهو يرى انه على الرغم من عدم تلازم مفهومي القوة والمكانة ، فأنهما حينما يجتمعان تكون المكانة ناتجة عن القوة ، وليس العكس (٤٤) ، وأنه يمكن العثور على شواهد تدل على انفصال المكانة عن القوة والعكس (٤٥) . وتنطبق هذه المقولة على العلاقة بين القوة والنفوذ اذ يرى بيرستد وجود فارق بين المفهومين فالنفوذ ينطوي على الاقناع ، بينما تنطوي القوة على علاقة القهر Coercison .

وبعبارة أخرى تكشف القوة عن علاقة سيطرة واضحة ، بينما يوحي النفوذ باهمية عنصر الاختيار والاقناع ، فالخاضع يسلم لصاحب النفوذ طواعية ، في حين يكون تسليمه لصاحب القوة مشروطا بالقوة نفسها وبادواتها المختلفة (٤٦) .

ويمكن أن يوجد كل من النفوذ والقوة بمعزل عن الاخر في تعريف باكراك وباراتز ، اذ يذهبان الى القول بأن النفوذ يمكن أن يتم تعريفه بالطريقة التالية : «شخص له نفوذ على شخص آخر ، ضمن مدى معين الى درجة ان الاول يستطيع بدون اللجؤ الى اي نوع من أنواع العقاب ، أن يجعل الثاني يغير مجرى أفعاله»

وبناء على ذلك تتشابه القوة والنفوذ في خاصيتين أساسيتين هما : العقلانية Rationality ، والعلائقية Relational . (٤٧)

□□ ٣ ـ القوة والقمع والعنف :ـ

يقترن القمع عادة Force بالقوة الفيزيقية . فالقمع يحول الموضوع الانساني الى شيء في مرتبة المادة الجامدة ، لهذا فأن أكثر أشكال القمع وضوحا تتجسد في العنف بشكليه المادي والمعنوي الذي يدمر الانسان من الداخل ، ولكن الشكل الشائع يظل متصلا بالقمع الفيزيقي المباشر ، أو حتى الحرمان من الاحتياجات الأنسانية الاساسية (٤٨) ويختلف الاستخدام الفعلي للقمع عن مجرد

التهديد باستخدامه. فالتهديد باستخدام القوة مثلا يفترض تقدير النتائج عن طريق عملية الاتصال. فالذي يرفع سلاحه مهددا ضحيته: نقودك أو حياتك؟ يترك، في الحقيقة مجالا للاختيار، وفرصة للمقارنة بين مجموعة من القيم لاختيار اكثرها نفعا (٤٩)، ولعلنا نجد توضيحا لهذه القضية عند جورج زيمل G. Simmel حيث يرى أنه: حتى في أشد حالات الخضوع قهرا، وقسوة تظل هناك مساحة معينة من الحرية الشخصية قد لانتنبه لوجودها لان اظهارها يتطلب التضحية باشياء أخرى لانفكر عادة بفرضها على أنفسنا. (٥٠)، أما حينما يقترن التهديد باستخدام القمع والتطبيق الفعلي لاساليب قمعية، فان المفهومين يختلطان ليشكلا ظاهرة ثالثة هي القهر Coercison.

ويظهر العنف كشكل من أشكال التسلط والسيطرة السياسية عندما تكون القوة في خطر او قد اختفت بالفعل. اما القمع فانه يمارس عندما تفشل عملية ممارسة القوة. اذن القمع، كشكل من أشكال القوة، لايتحقق الا عندما يكون في أشد حالاته وضوحا، وعندما يكون قمعا سافرا. أما في حالته الكمونية فنجده يتخذ أشكالا تفاعلية اجتماعية ذات طابع تبريري لممارسة السلطة(٥١)

□□ ٤ - القوة والقرار واللاقرار:-

يعرف دال Dahl القرار بأنه مجموعة من الافعال، متصلة ومتضمنة باختيار بديل معين بدلا من آخر (٥٢) ويعرف بيتر روزي P. Rossi بشكل أكثر بساطة بأنه (اختيار مجموعة من البدائل لفعل معين من بين مجموعة أكبر من الافعال (٥٣) وهذان التعريفان يختلفان بصورة ما عن التعريف الذي قدمه لاسال وكابلان Lasswell and Kaplan للقرار حيث يقولان أنه: «سياسة تتضمن قوانين وعقوبات صارمة» (٥٤) ويمكن الاختلاف في اعتبار لاسال وكابلان ان القرار نتيجة منطقية لممارسة القوة بينما يعتبره باكراك وباراتز ناجما لا عن ممارسة القوة فحسب، وانما ناتج عن ممارسة النفوذ والسلطة. ويتلخص موقفهما في نقطتين هما:-

أ - كل قرار يفترض وجود تفاعل بين شخصين أو أكثر من أجل تحقيق هدف معين.

ب - ينتج الخضوع عن استخدام أحد أشكال السيطرة السياسية مثل القوة والنفوذ، والسلطة والقمع.

وفي كل الاحوال لانستطيع ارجاع القرار الى أي مصدر من هذه المصادر المتعددة قبل أن نقوم بتحديد قضية هامة هي: من وجهة نظر من تم اختيار القرار؟ هل من وجهة نظر صانعه؟ أم من وجهة نظر متلقيه؟. وهذا الفهم يقدم لنا اطارا أوسع لعملية فهم القرار، كما يوسع من مدخل القرار في دراسة القوة بشكل أكبر من ذلك الذي قدمه لاسال وكابلان، أو حتى دال نفسه. (٥٥)

ان باكراك وباراتز يفرقان، بدقة، وبعمق بين القوى المختلفة التي تعمل ضمن وضع معين في أية عملية سياسية، بعدم النظر الى عامل واحد بعينه كعامل أوحد في التأثير على القرار وصنعه. فبينما قد يكون هناك قرار ناجم عن علاقة قوة، هناك قرارات لاتتضمن ذلك النوع من العلاقة.

أما المدخل الاخر الذي طوره باكراك وباراتز، واعاراه اهتماما كبيرا فهو مدخل اللاقرار Nondecision Making Approach وذلك في اطار دراستهما للقرار وعلاقته باشكال السلطة السياسية. ويتولد اللاقرار عندما تمنع القيم السائدة، والاحكام والترتيبات التنظيمية القائمة، مطالب معينة من الظهور، والتحول الى بقضايا سياسية مكتملة النمو Political issues فاللاقرار ليس لاحدث وانما هو حدث سياسي يمكن قياسه من خلال القضايا الكامنة (٥٦).

وخلاصة القول فأن هذا يقدم لنا التعريفات والمفهومات الاساسية في القوة، ليكون دليلا عمليا ونظريا لتوضيح مسار البحث في هذا الميدان.

كما سيحسم الكثير من المشكلات المتصلة بمعنى كلمة قوة، ومعاني الكلمات الاخرى المتصلة بها فضلا عن أنه سيبلور المجال العام الذي تتحرك داخله البحوث المتصلة بموضوع القوة في المجتمع، في سياق تراث علم الاجتماع السياسي.

المراجع والهوامش :-

١ ـ د. محمد علي محمد : أصول الاجتماع السياسي : السياسة والمجتمع في العالم الثالث : الجزء الثاني . القوة والدولة . دار المعرفة الجامعية ١٩٨٥م. ص ٦ ـ ١٨

٢ ـ Maquet.J. Power and Society in Africa Trans by. Jeanette.K. World Univ. Weidenfield and Niclson. london. (1971).pp.21-26.

٣ ـ د . اسماعيل علي سعد. نظرية القوة ، مبحث في علم الاجتماع السياسي . دار المعرفة الجامعية ١٩٨٦ ص ٢٨ ـ ٣٦ .

واعتمدنا في ضبط التعريفات والمصطلحات على القاموسين التاليين :-

The odorson and Theodorson: A Modern dictionary of Sociology. Barns and Noble books. (1969).

Duncan, M.: A new dictionary of Sociology Kigan paul. london. (1981)

4- Ibid.

5- Marx.K. Capital. Vol. I. Mosco. F.I.p.H. (1961). p. 10.

6- Weber. Max. Class and Status. in I. coserand Rosenberg: Sociological Theory, Macmillan (1976) p.p.313-319.

7- Parsons. T.(ed) :An Outline of the Social System. in Theores of Society. Vol. I. New york free press. (1966).

8- Rassell. B. Power: and Social analysis. London. George Allen and Unwin. I. T. D. (1938). P.35.

9- Ibid. p. 36

10- Wagner. R. H. The Concept of Power and The Study of Politics. in R. Bill and Othors Political Power. A Reader in Theory and research. Free prees. (1969). P. 4.

١١ ـ د. محمد علي محمد : أصول الاجتماع السياسي : مرجع سابق ص ١٨ .

12- Runciman. W. G. i Social science and Political Theory. Combredge, Univ. press. (1969). pp.78-78.

13- Russell. B. Power. op. Cit. pp. 35-36.

14- Wrong.D. Skeptical Sociology heineman. london. (1976). p. (165).

15- Lukes. Steven: Power. A radical View. london. The Macmillan. press. (1964). p.26.

١٦ ـ د . محمد علي محمد : المرجع السابق. ص ١٣

17- Parsons T. (on the concept of Political Power) in R. Bill and Others:Political Power. op. Cit P.251.

18- Ibid. p.p. 255-6.

19- Ibid.

20- Arendt. H. On Violence. london- Allenlane Penguin press. (1970). pp. 44-45.

21- Dahl . R. (The Concept of Power) in R. Bill. And Others. Political Power. op. cit. p. 81.

22- Ibid. D.81.

23- Ibid.

24- Ibid . p 226.

25- Dahl. R. Who governs Demdcracy and Power in an American City. New haven and london. yale Univ. press. (1961).

26- Mills. C.W. the Power elite. new york. Oxford Univ. Press. (1969).

٢٧ ـ د. محمد علي محمد : المرجع السابق. ص ٣٢

٢٨ ـ المرجع نفسه ص ١٨

29- Weber. Max: the Theory of Social and economic Organisation.Trans. by T. Parsons. Oxford. Univ Press. (1947). P. 152.

٣٠ ـ د. محمد علي محمد : المرجع السابق.

31- Weber. Max: the Theory of Social and economic Organisation. op Cit. P 152.

32- Weber . Max : Types of Authority: in: Coser and Rosenberg: Sociological Theory. Mocmpllan. (1976) P.P. 131-135.

33- Dahrendorf. R. Class and class Conflict in Industerial Society. Routtledge and Kigan Paul. london and henly. (1959) P.P. 165-179.

34- Ibid. P. 67.

٣٥ ـ د . محمد علي محمد : أصول الاجتماع السياسي مرجع سابق.

36- Bachrach and Baratz: Decisions and nondecisions an analytical Frame Work.

A. P. S. R. Vol. 57. (1963). P. 333.
37- Ibid.
38- Russell. B. Poer. Op. cit. p.p. 35-36.
39- Bachrach and Baratz: decisions and nondecisions. op. cit. p.p. 166-180.
٤٠ - د . محمد علي محمد أصول الاجتماع السياسي : مرجع سابق . ص ١٧ - ٢٦ .
41- March. J. an introduction to the Theory and Measurement of influence. in. R. Bill and athors : Political Power. Op. cit. p.p.166-180.
42- Ross. F. A. : Social Control: Mocmillan. (1961)
43- Biersted. R. an analysis of social Power. in Coser and Rosenberg: sociological Theory op. cit. p.p 136-148.
44- Ibid.
45- Ibid. p.p. 136-148.
46- Biersted. ibid. p. 137.
47- Bachrach and Baratz: decisions and nindecisions. op. cit. p. 637.
48- Arendt. Hannah. On Violence. op. cit.
49- Wrong. D. Skeptical Sociology. op. cit. P. 184.
50- Throuh D. Wrong: Ibid. P. 184.
51- Easton. David: The Perception of authority and Political change. in G. J. Friedrick: (Authority) Cambredge. (1958) p. 183.
52- Dahl. R. The analysis of influence in local Comm unity Through: D. Wrong: Skeptical Sociology. op. cit.
53- Rossi. P. Community decision Making: (in Ronald yong (ad) Approaches to the Study of Politics. Evanston. (1958).



ماكس ڤيبر: الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية

سلطة الأيديولوجيا وعلائقها الاقتصادية والاجتماعية ★

أ . د رضون السيد

□□ الكتاب وأصوله في سياق الفكر الألماني:

ليس كتاب ماكس فيبر Max Weber الصغير هذا أهم ما كتبه المفكر والسوسيولوجي الألماني المعروف . لكنه ـ ولا شك ـ أشهر كتاباته ، وأكثرها حظوة لدى القراء ، وبخاصة بعد أن ترجمه تالكوت بارسونز T. Parsons إلى الانجليزية عام ١٩٣٠ ، ونظر اليه باعتباره نقضا لمقولة كارل ماركس في المادية التاريخية، وشروط التطور والصراع الاجتماعي والاقتصادي (١) ـ وان يكن هذا الأمر بالذات بعيدا عن مقاصد ماكس فيبر أثناء تفكيره وكتابته للأخلاق البروتستانتية ، ومحاولاته الشاملة الأخرى. فكتاب فيبر الصغير هذا هو في الأصل مقالة طويلة صدرت على حلقتين في مجلة (معروفة) للعلوم الاجتماعية بألمانيا عام ١٩٠٤/١٩٠٥ (٢) . وقد أثارت المقالة فور صدورها ردود فعل عنيفة مناصرة ومعادية شارك فيها ماكس فيبر نفسه حتى وفاته عام ١٩٢٠، وأعد لإصدار طبعة من المقالة والردود عليها مالبثت أن صدرت بعد وفاته بالعنوان السالف الذكر (١٩٢٠ /١٩٢١) ضمن مجموعة مقالاته الصادرة آنذاك. ويذكر المؤرخون لماكس فيبر وعمله العلمي أن مقالته الشهيرة تلك صدرت بعد إبلاله من مرض عُضال عطله عن كل عمل علمي على مدى أربع سنوات . وقد شكلت المقالة افتتاحا لحقبة (جديدة) من عمل فيبر الضخم والجاد : دراسة تاريخ (العقلنة) (Rationalisierung) في الغرب في جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأيديولوجية . (٣) وكان قد ركز حتى مطلع القرن العشرين على الجوانب التاريخية البحتة والتقنية لتلك العقلانية. ففي أطروحته للدكتوراة درس القوانين التجارية الأوروبية في العصور الوسطى. ثم تحدث في بحث آخر عن تطور ملكية الأرض عند الرومان. وفي بحث (ثالث) عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية للعمال في شرق ألمانيا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر (٤) أما بعد خروجه من بطالة المرض فقد تابع العمل من ضمن (التاريخانية الألمانية) لكنه اهتم بوجه خاص بالجوانب الفكرية والعقلية والأيديولوجية للنهوض والصعود الغربي: (Geistesgeschichte) فكانت تلك الدراسات التي جمعت عشية وفاته في (الاقتصاد والمجتمع) (٥) وتتضمن بحوثا في سوسيولوجيا الأديان والفرق الدينية، ونشوء المدن الغربية وأواليات السلطة

(★) بمناسبة صدور ترجمة عربية لعمل ماكس فبر المعروف:
الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية ـ ترجمة محمد علي مقلد مركز الانماء العربي ببيروت ، ١٩٨٩ ، ١٩٨ص .

وقضايا مشروعيتها أو مايسمى بتقنين (العنف) وعقلنته . وفي هذه المرحلة تميز عن زملائه الكبار من أمثال تونيز وسومبار وترولتش بمصيره الى حصر الظواهر أو (عقلنتها) في (نماذج) صافية (Types, Patterns) لتسهيل مقاربتها ودراستها من ضمن المشروع الكبير لقراءة التاريخ الغربي بطريقة (غائية) بوصفه محاولات مستمرة ومتعرجة في عملية تطوير معقلن - او تطور (طويل المدى) باتجاه (العقلنة) ليس بالمعنى التقويمي للظاهرة بل بمعنى: اخضاع الطبيعة والإنسان لمبادىء عقلانية وأيديولوجية واجتماعية واقتصادية هي التي أوصلت إلى الرأسمالية .

وعندما يقول (Giddens) في مقدمته لطبعة (جديدة) من «الاخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية» (٦) إن كتيب فيبر هذا يمثل التاريخانية الألمانية في ذروة نضوجها ، فهو يعني إيضاح الفروق البارزة بين طريقتي التفكير عند الألمان والإنجليز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . فالتاريخانية الألمانية ذات أصول مثالية تقيم تفرقة (فاصلة) بين (العلم الطبيعي) و(العلم البشري) أو الانساني بينما عمد ج . س . ميل ببريطانيا في كتابه : المنطق (١٨٤٣م) الى توحيد العلمين أو المجالين المعرفيين : الطبيعي والاجتماعي او الإنساني . والتقى ميل في ذلك إلى حد ما مع الوضعية الفرنسية التي كان يمثلها أيامه أوغست كومت . أما في المانيا فإن الوضعية الموحدة هذه لم تلق ترحيباً كبيراً . صحيح أن دلتاي (Dilthey) كان معجباً ب(جون ستوارت ميل) لكن قراءته النقدية له كانت وراء اصطناع مصطلح : العلوم العقلية أو الانسانية Geisteswimenschaften والمصطلح في الأصل ترجمة محورة ومؤلنة لمصطلح ميل «العلوم الاخلاقية» ويمتد هذا التقليد الألماني الى الوراء إلى منتصف القرن الثامن عشر حيث تظهر أصوله بوضوح في المثالية العقلية الألمانية المفرقة تحليلياً أو تمييزاً (her-meneutik) بين علوم الطبيعة ، ودراسة الإنسان

ففي حين نستطيع أن نفهم الحدث الطبيعي او الواقعة الطبيعية بمعرفة علتها أو عللها فإن السلوك الإنساني ذو معان داخلية أو متضمنة ، ولا يمكن معرفته من خارج كما تعرف الطبيعة أو تفهمه ، لذا فإن للتاريخ لدى المفكرين الألمان في القرن التاسع عشر مكاناً مركزياً في فهم الحدث الإنساني، والتطورات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المتعلقة به . ذلك أن القيم المعنوية والثقافية التي تلعب دوراً أساسياً في الحياة الشعورية لدى المجتمعات البشرية تتبادل التأثير والتأثر مع العوامل المادية في عملية التطور الاجتماعي في التاريخ . . وانطلاقاً من موقع التاريخ الهام في العلوم الاجتماعية تبنى فيبر نقطة أخرى تالية تقول إن الفقه أو الفهم أو التعقل (Verstehen- Understand-ing) يشكل مقدمة أساسية للتعرف على السلوك البشري في التاريخ (٧) ولكي لاتنشأ أوهام حول معنى التفهم او التعقل عنده ، سارع الى نقد الحدس والاستشعار كطريقتين لإدراك السلوك البشري او تعقله . ثم انه لم يرفض دور العلل والأسباب الخارجية في فهم السلوك البشري أو حركية المجتمعات في التاريخ . وربما كانت كل هذه الخيوط التي نسجها في محاولته الكبرى او مشروعه الكبير ، وراء بعض الغموض الذي أحاط بكثير من التفاصيل ، والناجم عن صعوبات النسج ومخاطره .

□□ اطروحة الكتاب وردود الفعل

قدم فيبر في مطلع الكتاب اطروحات ثلاثا حاول التدليل عليها في القسم الثاني منه : الاطروحة الأولى تقول إن الملاحظ منذ القرن السادس عشر أن البلاد الأوروبية المتقدمة ، والنواحي الأكثر تقدماً منذ القرن الثامن عشر بأمريكا ، بالمعنيين التقني والاقتصادي ، هي تلك البلاد والنواحي التي اعتنقت المسيحية البروتستانتية وبخاصة «الفرقة الكالفينية» ضمن البروتستانتية . وهذه الظاهرة وإن اختفت فيا بعد بتسرب التقدم

الاقتصادي ، وصعود الطبقات الوسطى في مناطق غير بروتستانتية ، لكن حتى في نهاية القرن التاسع عشر ، فإن البروتستانت كانوا مايزالوا ممثلين في الشركات والبنوك والعمليات الاقتصادية بشكل عام بنسبة أكبر من نسبة عددهم ضمن سكان أوروبا الغربية ، وضمن سكان البلد المعين مثل ألمانيا والنمسا وهولندا وسويسرا . إنطلاقا من هذه الملاحظة الاستطلاعية ، يمكن القول إن الطوائف البروتستانتية تتميز بميل أكبر إلى «الاقتصادية العقلانية» .

ولا يمكن نسبة ذلك إلى أسباب خارجية جغرافية أو اجتماعية أو سياسية ، اذ تتماثل الظروف لدى الطوائف المسيحية المختلفة التي تقطن معا أو متجاورة . فلابد من إعادة ذلك إلى (خصيصة ذاتية) أصيلة ومستمرة ليست مادية خارجية ، كما أنها ليست (حب الحياة) أو (حب الكسب) وهنا يقدم فيبر أطروحته الثانية القائلة ان الرأسمالية الحديثة لم تنشئها الثروات الضخمة وكميات الذهب والفضة التي توافرت للأوروبيين ، بل انشأتها تطورات الروح الرأسمالية الأوروبية أو العقلية الرأسمالية الحديثة الظهور بأوروبا الغربية وإمريكا فمبدأ العادة Habitus لدى بنيامين فرانكلين ليس معناه حب المال أو حب الكسب أو حب الحياة الثرية . بل هو «صيغة مبدئية اخلاقية لطرائق العيش المثلى» وهذا المبدأ الكالفيني لايرى في العمل وسيلة للكسب من أجل العيش ، بل ان العمل ذاته هو فلسفة الحياة ومعناها او أنه هو الذي يسوغ نفسه . وهذه هي اطروحة فيبر الثالثة فقد أرست البروتستانتية (في صيغتها الكالفينية على الخصوص) مفهوماً للعمل يقوم على الدعوة (Be-rufung , Calling) العلاقة فيه بين الإنسان والله قائمة على الاصطفاء والاختيار وعلى العبد أن يجد ويجتهد طوال حياته بمقتضى التكليف الواقع على عاتقه رجاء أن يكون من المختارين دون أن يكون متأكدا من ذلك ، فالعمل هنا ليس من أجل الكسب بحد ذاته ، بل من أجل النجاة لكن بعكس الكاثوليكية - فإن منطلقه هذا العالم . ولذا فإن العمل الجاد والمحسوب يكتسب معنى إخلاقياأو يتأسس على اخلاقية معينة للحياة وطرائق العيش والسلوك فيها .

كانت ردود الفعل على هذه الدراسة المبدئية غير الشاملة أو الكاملة ، سريعة وعنيفة (٨) وقد اعترف فيبر نفسه بأن كثيرا من سوء الفهم الذي أحاط بها يعود في الغالب الى طرائقه التعبيرية ، والتدليل القاصر الذي اتخذ شكل البرنامج لا الدراسة التحليلية . لكنه أنكر أن يكون قصده اعتبار الروح الايديولوجية البروتستانتية علة (لظهور الرأسمالية) فقد قال في كتابه (٩) : (لقد حاولنا ببساطة ، أن نحدد الحصة التي تعود إلى العوامل الدينية من بين العوامل العديدة التاريخية المعقدة التي أسهمت في تطور حضارتنا الحديثة الموجهة تخصيصاً نحو الحياة الدنيا . . ينبغي أن نحرر أنفسنا من الاعتقاد بأن الإصلاح الديني يمكن أن يستنبط بصفته ضرورياً من الناحية التاريخية) . . فيكمن همنا الوحيد على العكس من ذلك تماماً ، في تعيين حدود التأثيرات الدينية ومساهمتها في تكوين العقلية الرأسمالية تكويناً نوعياً . والملاحظ أن كتاب فيبر أو أطروحته لاقت بعض الترحيب من علماء اللاهوت ، ومقارنة الأديان ، والسوسيولوجيين ، بينما كانت ردة فعل المؤرخين سلبية بشكل عام . وعلى الرغم من أن ردة الفعل العنيفة من جانب المؤرخين الاجتماعيين والاقتصاديين أزعجت ماكس فيبر كثيرا فإنها من جانب اخر دفعته للتدقيق في فكرته الاساسية ، وللسير قدماً بخطوات أكثر حذرا في الدراسات اللاحقة حول سوسيولوجيا الأديان وتاريخيتها . بل ان الطبعة الثانية من مقالته التي نتحدث عنها هنا تتميز عن الأولى بكثرة حواشيها وتعليقاتها التوضيحية والجدلية . ثم إنه وضعها ضمن كتاباته الواسعة عن «الاخلاقيات الاقتصادية» في الأديان والمجتمعات فاتخذت معنى جديداً أكثر عادية وتحدداً . ويمكن ايجاز الاعتراضات الجادة على فيبر من جانب علماء

اللاهوت بأنه لم يقرأ الكاثوليكية قراءة دقيقة تشبه قراءته للبروتستانتية. ثم إن العلاقة بين (الدعوى الأخلاقية) للدين أو المذهب ليست واحدة أو موحدة وإن كانت كذلك، فمن المستحيل تقريبا قياس او تقدير آثارها على حركية الأفراد والمجتمعات مع قلة المعلومات وبخاصة أن ما يتحدث عنه فيبر ويرتب عليه نتائج يتصل بداخل الأفراد وصراعاتهم ذات الاعتبارات الأخلاقية الصعبة التقدير(١٠).

ويقول المؤرخ جيوفري التون ان اعتراضه الرئيسي على أطروحة فيبر تعميمها الواسع الذي لاتؤيده الوقائع والتطورات الاقتصادية فهناك نواح كاثوليكية السكان بإيطاليا وهولندا وسويسرا وفرنسا ظهرت فيها روح رأسمالية بالمعنى الفيبري قبل النواحي البروتستانتية المجاورة لذا فقد كان على المؤرخ فيبر أن لايقع ضحية حب السوسيولوجيين للتعميم بناءً على عينات قليلة أو غير ممثلة (١١).

أما فيبر نفسه فقد أشار الى أهدافٍ جانبية من وراء الدراسة المبدئية هذه الى جانب الهدف الرئيسي. فقد رفض هنا وهناك نزعات (المادية التاريخية) في الحتمية ونزعات (المثالية) الجامدة والروتينية. فليست هناك في نظره «حتمية اقتصادية» أو «حتمية منطقية عقلانية» والمسألتان: الدين والرأسمالية، كانتا آنذاك موضع نقاش من كل الأطراف فجاء تدخل فيبر رابطا بين المسألتين بمثابة القنبلة التي انفجرت فجأة. فقد أغضب الماركسيين الذين كانوا مسيطرين في أوساط أساتذة الجامعات الشبان اعتباره العوامل الدينية ذات تأثير مغير ومحول في التاريخ والمجتمع. أما اللاهوتيون الكاثوليك فقد اعتبروا قوله بسكونية الكاثوليكية، وجمودها في مجال الروح التجارية والرأسمالية، قولا بتخلفها. في حين اعتبرت الكنائس البروتستانتية الكبرى إبرازه لدور كنائس التقويين والنسكيين على حسابها، ظلماً تاريخياً لدورها في الإصلاح الديني، وفي ظهور الدولة القومية الحديثة.

□ فيبر في ترجمته العربية :-

لم يحظ فيبر باهتمام كبير في الوطن العربي مشرقه ومغربه وربما رجع ذلك الى قلة المتخرجين العرب من الجامعات الألمانية في العلوم الإنسانية لذا فقد اقتصر الأمر على تلخيصات لأفكاره السوسيولوجية ضمن الكتب المدرسية في علم الاجتماع. وفي السبعينات تُرجمت محاضرتاه: العلم كحرفة، والسياسة كحرفة، لكن النصين بقيا غير معروفين. ثم أعدتُ ترجمتهما، كما نشرتُ كتابه الصغير عن المدينة. لذا فإن الترجمة الحالية لنصه المهم هذا تستحق الترحيب. ولم يذكر المترجم ماهية الأصل الذي ترجم عنه، لكن قراءتي لها ومقارنتها بالترجمتين الفرنسية والإنجليزية أظهرتني على ان الترجمة الفرنسية كانت هي المستند. ولم يقدم المترجم أو الناشر للعمل بأي توضيح. لكن الترجمة جيدة في أكثر المواطن، ومقبولة في كل المواطن مقارنة بالأصل الألماني. وما آخذه عليها هنات طفيفة، واختلافات في المصطلحات.

بعد المقدمة التي يذكر فيها فيبر أطروحاته الثلاث السالفة البيان، يبدأ الفصل الثاني من الكتاب بدراسة اخلاق العمل في البروتستانتية المتشددة. وتتكون المقدمة التي اعتبرها فيبر في النشرة الثانية للكتيب فصلا أول من ثلاث فقرات: الانتماء الديني والشرائح الاجتماعية، وروح الرأسمالية، وفكرة العمل عند لوتر. في الفقرة الأولى يستنتج فيبر وجود فروق في النشاط الاقتصادي، وفي الثراء، وفي طرائق العمل بين البروتستانت والكاثوليك في أوروبا الغربية وأمريكا، ثم بين البروتستانت أنفسهم. وهو يدلل على طريقة جون ستيوارت مل هنا: النفي والاستبعاد ـ أن ذلك لايعود في الأصل لأسباب خارجية جغرافية أو جيولوجية أو اجتماعية أو سياسية. وتأتي الفقرة الثانية لتحصر السبب وتحدده وهي بعنوان: روح الرأسمالية. فالعقلية الرأسمالية البازغة عند البروتستانت قبل الكاثوليك هي سبب التمايز بين الطائفتين أو الدينين. وتتركز الفقرة كلها على اقتباسات من كتابين للأميركي بنيامين فرانكلين بعنوان (ملاحظات ضرورية لمن يرغب في أن يكون ثريا) و(نصيحة الى شاب تاجر). والفقرات كلها تنصح بعدم إضاعة الوقت لأن الوقت مال، والمال حياة ونجاح واستقامة في الوقت نفسه. ففكرة العمل المقنن والمعقلن، الداعية إلى الاحتراف

والتفاني فيه، هي مايطلق عليه ماكس فيبر مصطلح الـروح الـرأسمالية . وفي الفقرة الثالثة يجري شرح مفهوم العمل عند مارتن لوثـر M.Luther ويلاحظ فيبر أن لوثر في ترجمته للعهدين القديم والجديد إلى الألمانية عبر عن كلمة تعني العمل بالكلمة الألمانية : Beruf بمعنى التكليف أو المهمة؛ ومنها الكلمة Berufung الرسالة أو الدعوة. وحاول فيبر أن يكون دقيقـا فقـال إن تلك الكلمة صارت تعني ماتعنيه الكلمـة الانجليزية Calling دعـوة أو تكليف أو رسالة. وهذا هو التطور الذي عرفه مفهوم العمل عنـد لوثر مقارناً بالكاثوليك فالرهبانية عنده لم تعد مستحسنة لأنه لا مهمة لها في هذه الحياة . لكن المفهوم توقف لديه عند هذا الحد ولم يتطور قدماً كما كان عليه الحال لدى بعض الشيع البروتستانتية. والمترجم هنـا يؤثر كلمة أو مفرد الشغل بدلا من العمـل ، وفي أكثر الاحيـان الـربح أو الانجاز بـدلا مـن الكسـب. والعمـل والكسـب مفـردان عربـيـان قـديمـان أكثـر قربـًا مـن المـفـردين الآخريـن لمفـهـوم فيبـر مـن ورائـهـمـا

فلمحمـد بن الحسن الشيباني (ـ ١٨٩هـ) كتاب اسمه الكسب أو المكاسب ، وللحارث بن أسد المحاسبي (ـ٢٤٣هـ) كتاب اسمه المكاسب، ولأبي بكر الخلال (ـ ٣١١هـ) كتاب اسمه : مسألة في العمل والكسب، وتدور هذه الكتب كلها حول مفهوم العمل وفلسفته في الإسلام. وقد فكرت طويلاً في مفهوم فيبر لـ(Calling) عند تحريري لمقالة لأحد الزملاء بمجلة الحوار عن مفهوم ال Beruf عند فيبر فالدعوة تتجه الى الاخرين. والتكليف يتجه الى الفرد أو الى الانسان في كل الأديان أما ال Berufung وال Calling فهـو اعتقـاد الفرد بأنه مكلف بعمل معين من الله ، وبدعوة الناس الى العمل نفسه ـ فالأمـر مزدوج. وقـد توصلت الى ان المفـرد أو المصطلح الأدق هنا هو الاحتساب ، وهو عنوان كتاب لمحمد بن عوض السَنَامي (من القرن الثامن الهجري) : نِصـاب الاحتساب. وهو يعني عند الأصوليين القيام بعمل ما باعتقاد أنه مكلف به من غير رجاء فائدة أو ربح ، بل ـ رجاء رضاء الله عز وجل. ومن هذا الباب فالامر بالمعروف والنهي عن المنكـر احتسـاب ، والتعيش عن طريق الكسب احتساب لأنه حفظ للحياة البشرية التي أمر الله عز وجـل بحفـظها. لكن الاحتساب ليس عملا من أجـل الـعـمـل كما تطور لدى بعض الـطوائف البروتستانتية ، بل يقابله مفهوم الكفاية الذي يحد من سريانه وان لم يبطله .

ويأتي الفصل الثاني من الكتاب عن (اخلاق العمل في البروتستانتية النسكية) . ويذكر فيبر أن الـبروتسـتـانتية المتشـددة او الـورعـة هذه لها أربع طوائف رئيسية . . الكالفينية والتقوية Pietism ، والميثودية Methodism والمعمودية Baptism والشيع المتفرعـة عنها . ويشرح فيبر المعتقدات الأساسية لكل من هذه الفرق وبخاصة الكالفينية مؤكدا على الـطبيعـة الجبرية الاصطفائية القاسية لكل هذه الفرق وبخـاصة الكالفينية مرة اخرى التي تضع الإنسـان في عزلـة داخلية قاهـرة ممزوجـة بعقيدة الأستعـلاء المطلق القاسية لله ، وتفاهة كل ماهو جسدي. ومن هنا يكون على الإنسان لكي يبقى أمله في الخـلاص ـ كما يقول R. Baxter الطهري المعروف (١٢) «أن يقوم بعمل الرب الذي بعث به الى الأرض طيلة مايدوم النهار» فتبديد الوقت جريمة في حق الله لأنها لهو عنـه: وينـتـهـي الأمـر بالطلب(١٣) : (إعملوا ـ بغير انقطاع ـ إذن على ان تكـونـوا أغنياء من أجـل الله لا من أجـل الجسد والخطيئة). وهنا يكمن الاقتران أو التوافق الشرطي المتبادل إلى حد ما بين البروتستانتية النسكية والروح الرأسمالية وليس اليهودية كما يُدعى أحيانا (١٤). «فقـد وقفت اليهودية إلى جانب الرأسمالية المغامرة متجهة نحو السياسة والمضاربة . وبكلمة (واحدة) كانت تقاليدها هي الرأسمالية المنبوذة. أما الطهرية او النسكية فقـد تبنت تقاليد المشروع البورجوازي العقلاني والتنظيم العقلاني للعمل. ولم تقتبس من الأخلاق اليهودية إلا مايمكن أن يساعدها وهكذا

فإن اعتبار العمل واجبا دينيا ، واعتبار الاستهلاك تبذيرا ملعونا ، واعتبار الربح المشروع مثلا أعلى ورمزا أو إشارة للاصطفاء ، كل ذلك يجعل النتيجة العملية بالتأكيد: تكون الرأسمالية عن طريق الادخار النسكي القسري .

ويختار المترجم في الفصل الرئيسي من الكتاب هنا ترجمات مثل نسكية ، وتقوية ، وطهرية أو طهورية . ولست أملك مفردات أفضل ، لكنني لا أرى دقتها أو اقترابها من مفهوم فيبر لها . ثم إنني لا أعرف سبباً لترجمة اسم الكويكرز «بالصاحبين» . ويبقى المصطلح الأكثر إشكالاً: Geist وهو الذي عبر عنه المترجم هنا تارة بالروح ، وطوراً بالعقل او العقلية . ومعروفة إشكاليات هذا المفرد وأبعاده عند كانط وهيغل بيد أن مايقصده فيبر هنا أدنى الى العقلية أو الروحية أو البيئة الشعورية .

وقد اختتم المترجم الكتاب بترجمة مقالة متضمنة في الترجمتين الإنجليزية والفرنسية كان فيبر قد نشرها في صحيفة (المانية) عام ١٩٠٦ وهي تهتم بالروح الدينية عند الطوائف البروتستانتية بأمريكا ونتائج ذلك في التنظيم الاجتماعي والنشاط الاقتصادي وهي لاتأتي بجديد بارز بل تكرر بطريقة أقل تخصصا وتقنية ماتوصل اليه في القسم الثاني من الكتاب .

□□الاحتساب والرأسمالية

الانشغال الرئيسي لماكس فيبر ومن قبله ماركس وآخرون ، كان إذن بالظاهرة الرأسمالية الغربية (الأوروبية في الأساس) : عِلَل ظهورها ، وقوانين تطورها ومآلاتها ، وعلائقها وجدلياتها الداخلية ، وصلاتها بالعالم من حولها .

وقد رأى ماكس فيبر أن الشروط الضرورية لظهور نمط الانتاج الرأسمالي الحديث بالغرب كانت اليد العاملة الحرة والقوانين المعقلنة والاستقلالية النسبية للمدن (١٥) لكن ظهور هذه الشروط وتطورها قاده للاهتمام بأوضاع المجتمعات البشرية الأخرى ، ومن ضمنها الاجتماع الإسلامي(١٦) . فقد لاحظ ماكس فيبر ان ظواهر رأسمالية كثيرة عرفتها المجتمعات القديمة بالهند والصين ، ومجتمعات الإسلام قبل أوروبا بمئات السنين أو آلافها . لكن هذه الظواهر لم تتطور إلى رأسمالية بالمعنى الحديث إلا في أوروبا الغربية منذ القرن السادس عشر .

ويرجع ذلك من وجهة نظر فيبر الى الأنماط السياسية ، أو أنظمة الحكم التي سادت تلك المجتمعات ، ومن ضمنها المجتمع الإسلامي وحالت دون تطور رأسمالي مكتمل بتلك المجتمعات . وعلى طريقته في النمذجة (١٧) فإن فيبر يجمع أنظمة الحكم الشرقية والإسلامية تحت مصطلح الباتريمونيالزموس Pat-rimonialimus (١٨) وتأتي معالجة فيبر لهذا الشكل من أشكال الحكم ليس في الاخلاق البروتستانتية بل ضمن معالجته لأشكال الشرعية وإشكالياتها في مجموعته الكبرى (الاقتصاد والمجتمع) . فهناك ثلاثة أشكال سلطوية: النمط التقليدي ، والنمط القانوني أو الدستوري ، والنمط الكارزماتي . والباتريمونيا لزموس شكل فرعي من أشكال النمط التقليدي . وهو شكل يعرف في المجتمعات المتشبثة بتقاليد وأعراف متقادمة وموروثة ومقدسة .

وبالتالي فإن المتسلط فيها يستند في شرعيته إلى هذه الاعراف المتقادمة والسائدة لكن السلطة الواسعة التي تتيحها له هذه الأعراف بالذات قد تدفعه للطغيان والاستبداد والخروج على الأعراف السائدة ذاتها . وفي هذه الحالة يمكن الحديث - كما يقول فيبر - عن شكل سلطاني (أو دولة سلطانية) من ضمن النموذج الكبير (الباتريمونيالزموس) . ولا ينبغي فهم المسألة عند فيبر بطريقة «ستاتيكية» فهو يرى ان قضايا النمذجة في أشكال السلطة والشرعية شديدة الحركية وليست جامدة . ثم إن الإسلام كدين - من وجهة نظره - ليس مانعا من موانع

الرأسمالية أو أنه ليست هناك علاقة عِلية بين الإسلام والباتريمونيالزموس (١٩) .

ومع ذلك فإن الشروط الاقتصادية والاجتماعية للنشوء الرأسمالي الأوروبي وأعني بها : اليد العاملة الحرة والقوانين المعقلنة ، والاستقلالية المدنية (٢٠) توافرت في الاجتماع الإسلامي الوسيط دون أن يكتمل رغم ذلك الظهور الرأسمالي! فما السبب الكامن وراء ذلك؟ وبخاصة ان التقليدية والتي يتحدث عنها فيبر في نظام الحكم السلطاني ، وجدت بشكل أو بأخر بأوروبا فلم تقف حائلا دون ظهور الرأسمالية الحديثة لتوافر شروطها الاقتصادية والاجتماعية ، ثم السياسية بعد الثورة الفرنسية؟!

إن الشروط السالفة الذكر عند فيبر لم تصبح فاعلة إلا باقترانها بالمؤثر الأيديولوجي البروتستانتي (والكالفيني على الخصوص) الذي قدم للشروط الاجتماعية والاقتصادية رؤية ذات بعد اخلاقي تسويغي ، ومفهوما دينياً أو فلسفة (تقوية) للعمل الإنساني Berufung وقد اقترحت من قبل ترجمة المفهوم الفيبري بالاحتساب في السياق الإسلامي . والواقع ان الاحتساب الذي يشكل في الإسلام الفلسفة الكبرى لوجود الفرد والجماعة ، والمعنى الديني الكبير للعمل الإنساني ، هذا المفهوم يستحق نظرة فاحصة إذ ربما كانت له علاقة فعلية بمآل النظرة الإسلامية للمال والتملك والعمل الإنساني بشكل عام . فالاحتساب في الشريعة عام ، ويتناول كل عمل مشروع يُفعل لله (٢١) وهو متصل بمهمة الإسلام والمسلمين في العالم (٢٢) : **«وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس» «ويكون الرسول شهيداً عليكم»**(٢٣) وهذه الشهادة او الوكالة تكون بعد أداء المهمة التي أوكل الله سبحانه الى المسلمين أمر القيام بها في العالم وتجاهه (٢٤) **«ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف» «وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله»** (٢٥) **«ويؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف»**(٢٦) ومن هنا فإن الاحتساب ، اي العمل لله ، الذي هو المعنى الحقيقي للحياة في الإسلام ترجمته (الامر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر اذا ظهر فعله. (٢٧)

وكما يتناول ذلك الخارج غير الإسلامي . فإنه يتناول الداخل الاسلامي . . وهو في الخارج دعوة وجهاد ، وفي الداخل عمل وإرشاد . (٢٨) ويقتضي الاحتساب المتحول الى سلم داخلي للقيم لايوازن بين الحلال والحرام والحسن والسيء فقط بل بين الحَسن والأحسن الانصراف عن «متاع الدنيا» «الى متاع الاخرة» بحيث يغلب العمل لله على العمل للنفس دون أن يخل ذلك بنظام الكسب ، الذي هو سبب استمرار الحياة البشرية على الأرض. وهكذا فإنه باستثناءات «قليلة جدا»(٢٩) تراوح الموقف من الثروة بعد القرن الثالث الهجري بين مُؤثر للفقر أو مؤثر للكفاية . فمقتضى الاحتساب عند المحاسبي (- ٢٤٣هـ) والصوفية اجتناب الحرام ، والزهد في الحلال (٣٠) ومقتضاه عند الفقهاء ومنهم الماوردي (- ٤٥٠هـ) الكفاية (٣١) أن يلتمس المرء وفق حاجته من غير ان يتعدى زيادة عليها . وواضح أن رؤية كهذه لاتسمح بتكوين فائض على مستوى الأفراد ، أو التخطيط لاستثمارات طويلة المدى. بل إن النظرة التي سادت في عصور الإسلام الوسيط أن الثروة الطائلة لايمكن أن تأتي من مصادر مشروعة .

وبسبب من هذه النظرة المتشككة في الثروة طبيعة ومصادر ما كانت العامة تستنكر كثيرا إقدام المتسلطين على المصادرات والتخريب للثروات ، بل كانت تشارك في أعمال السلب والنهب ضد الأثرياء (٣٢) وظلت الأرض الزراعية في غالبيتها كما هو معروف ، طوال عصور الإسلام القديمة ، بإدارة الدولة مع ما يترتب على ذلك من إخراج لها من نطاق السوق والتنافس ، ومع ما ينم عليه ذلك من موقف سلبي أو غير مبال على الأقل تجاه الملكية الفردية . (٣٣)

أما الحِرَف والصناعات فقد انتظمت في

أصناف حفظتها ، وتابعت تقاليدها، لكنها حالت دون نموها وتوسعها برسومها الدقيقة، وأشكالها الجامدة ، واهتمامها المفرط بالكيف دون الكم، وإضفائها طابعاً دينياً على كل تقاليد تعلم الحرفة وممارستها (٣٤). وحدها التجارة بقيت حرة بعض الشيء في التصرف والأخذ والعطاء .

لكن وسط سواد فلسفة الكفاية والاحتساب عن طريق الدعوة والجهاد والعمل الجسدي في الزراعة والحرفة ، ظهرت التجارة الرامية الى الثراء دونما جهد كثير بوصفها تحيلاً وخداعاً ، يقول ابن خلدون(٣٥) . . (أما التجارة . . فالأكثر من طُرقها ومذاهبها انما هي تحيلات في الحصول على مابين القيمتين في الشراء والبيع لتحصل فائدة الكسب من تلك الفضيلة» .

★★★★★★★★

كانت هذه نظرات في رؤية ماكس فيبر لأصول الرأسمالية الأوروبية ، وعلل انفراد أوروبا بها منذ القرن السادس عشر حتى صيرورتها ظاهرة عالمية في القرن التاسع عشر. وقد حاولت من جانبي ان أنظر في الأطروحة الفيبرية نظرة جدلية بغرض استخدامها لتبين بعض وجوه التطور الفكري والسياسي والاجتماعي في مجالنا الحضاري الخاص. وما كان غرضي المشاركة فقط في النقاش الدائر منذ الستينات حول المقتضيات والنتائج الاقتصادية للإسلام ، بل قراءة بعض التوجهات الإسلامية الوسيطة في ضوء ظواهر الصحوة الإسلامية الحاضرة من جهة ، وتحرك العالم كله في السنوات الخمس الأخيرة باتجاه نمط (حضاري معين) وشامل ، يكون علينا اليوم أن نقرر موقفنا منه انطلاقاً من الفلسفة الكبرى لاجتماعنا التاريخي ، ومصالحنا الآنية في هذه المنطقة من العالم . ولعل مايمكن ملاحظته ختاماً أن رؤية ماكس فيبر ليست رؤية كاشفةً أو مفسرة بل هي وجهة نظر تصنيفية أو تنظيمية للتطور الأوروبي . أما ما حاولت عرضه بإيجاز في قضية الاحتساب فيذكر ما آلت اليه الامور بعد القرن الثالث الهجري في سياق حوارية النص مع الظروف المحيطة في الفكر والسياسة والاجتماع والاقتصاد . لكن المعروف أن التجارة والزراعة والحياة الخاصة والعامة ، شهدت كلها ، وبشكل شامل ازدهارا ضخماً في قرون الإسلام الثلاثة الأولى في ظل الفلسفة نفسها، والنص نفسه (٣٦) . لهذا لابد من التأكيد على الانفكاك بين العقيدة الإسلامية ، والاشكال الاقتصادية المحددة ، كما لابد من قراءة دقيقة لشروط تحقق النص في المرحلتين التطوريتين السالفتي الذكر من مراحل حياة الاجتماع العربي الإسلامي .

■■ الحواشي

١ ـ قارن عن تشابكات العلاقة بين ماركس وفيبر او فيبر والماركسية ب:
Gregor Schollgen , Max Webers Anliegen (Darmstadt 1985) pp. 44-79. A. Giddens, Marx, Weber and the Development Of Capitalism in Sociology ,vol.4,1970.

٢ ـ Archiv fur Sozialwimenschaft und Sozialpolitik vol. xx, xxi.

٣ ـ نشر ماكس فيبر في الفترة نفسها مقالته الشهيرة (امكانية الموضوعية في العلوم الاجتماعية ، وعلم الاجتماع السياسي) .

٤ ـ قارن عن أعماله هذه :ـ
Jurgen Kocka (Hg.), Max Weber, der Historiker Gottingen 1986.

٥ ـ Wirtschaft u. Geselhchaft I-11, 1921.

٦ ـ قدم السوسيولوجي البريطاني المعروف أنطوني غيدنز لطبعة (شعبية) من ترجمة تالكوت بارسونز. وأرجع هنا الى النشرة الصادرة بلندن عام ١٩٨٩م .

٧ ـ Giddens في تقديمه للترجمة الانجليزية لكتاب فيبر ص ٨ ـ ١٠

٨ ـ أنظر عن هذه الردود مقدمة Giddens السالفة الذكر ص ١٩ ـ ٢٥ ، و ص ١٨٤ ـ ١٨٥ (الحواشي)، Christian Gneum, Max Weber: Ein Symposion (munchen, 1988) p.88-101.

٩ ـ الاخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية (الترجمة العربية) ص ٥٨ ـ ٥٩ .

١٠ ـ المؤرخ الاقتصادي، Herbert Luthy

١١ ـ في Europa in Zeitalter der Reformation 1517 -1559,2 Bde. Hamburg 1971, P.290.

١٢ ـ الاخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية ، ص ١٣٥

١٣ ـ ص ١٣٨ .

١٤ ـ ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .

١٥ ـ قارن عن ذلك : Bryan S. Turner ,Weber and and Islam A Critical Study, London 1974, P.140, Maxime Rodinson, Islamischer Pat-rinonialinsmus, Max Weberss icht des Islam, Frankfurt 1987, S.180-189.

١٦ ـ وانظر الترجمة العربية لكتاب ماكسيم رودنسون : الإسلام والرأسمالية ، بيروت ١٩٨٢م ص ٢٠ ـ ٢٨ .

١٧ ـ تعرضت طريقة فيبر هذه للانتقاد ، رغم الاعتراف بفائدتها من جانب Julnen Freund, Sociologie de Max Weber, Paris 1966, P.211.

١٨ ـ عن مفهوم فيبر هذا انظر: B. Turner, op. cit. 75-92

١٩ ـ Max Weber, Wirtschaft und Gesellschaft, Tulingin 1956,S.651.

وانظر بيري أندرسون : دولة الشرق الاستبدادية ، ترجمة بديع عمر نظمي ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ص ٤٥ ـ ٨٢ .

٢٠ ـ لايرى ماكس فيبر أنه كانت هناك استقلالية مدينية في الإسلام الوسيط ، كما أنه يرى أن الفقه الإسلامي شامل وشعائري وبالتالي مقيد للتطور الرأسمالي . ويشاركه رأيه في الفقه المستشرق شاخت ، قارن عن ذلـك ، ماكسيم رودنسون . الإسلام والرأسمالية ، مرجع سابق ص ص ٨٣ ـ ١١٤ ، ورضوان السيد : المدينة والدولة في الإسلام ، بمجلة الأبحاث بالجامعة الاميركية ببيروت ، م ٣٤/١٩٨٦م .

٢١ ـ عمر بن محمد بن عوض السنامي : نصاب الاحتساب ، تحقيق ودراسة مريزن سعيد عسيري ، مكة المكرمة ١٩٨٦ ، ص ٨٣ ـ ٨٤ .

٢٢ ـ سورة البقرة /١٤٣ ، وسورة الحج / ٧٨ .

٢٣ ـ سورة آل عمران/ ١٠٤ .

٢٤ ـ سورة آل عمران / ١١٠ .

٢٥ ، ٢٦ ـ سورة آل عمران / ١١٤ .

٢٧ ـ الماوردي : الأحكام السلطانية القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٢٤٠ ، والفراء الحنبلي: الاحكام السلطانية ، القاهرة ١٩٥٧ ص ٢٨٤ ، والسنامي : نصاب الاحتساب ، مرجع سابق ، ص ٨٢ .

٢٨ ـ يوضح ذلك النظرة التى سادت كتب الزهد التي كثر ظهورها في القرن الثاني الهجري وأشهرها كتاب عبدالله بن المبارك (ـ ١٨١هـ) وكيع بن الجراح (ـ ١٩٧هـ) فهما يتضمنان أبوابا في الاقتصاد في كل شيء يمكن اعتباره عملاً دنيويا .

أما كتب الكسب التي ظهرت في الفترة نفسها فهي ردة فعل على الترك الكامل للعمل والكسب احتسابا . لكنها لاتدعو للعمل مطلقا بل من أجل استمرار نظام العالم ، وتحقيق الكفاية فقط ، قارن عن ذلك كله ، رضوان السيد : أبو الحسن الماوردي دراسة في رؤيته الاجتماعية ، بمجلة الابحاث م ١٩٨٥/٣٣م

٢٩ ـ يؤثر الدمشقي صاحب كتاب : الإشارة الى محاسن التجارة ، بيروت ١٩٨٥م ص ص ٥ ـ ٦ الغنى على الفقر. وقارن بالماوردي : أدب الدنيا والدين ، بيروت ١٩٨٢م ، ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

٣٠ ـ الحارث بن أسد المحاسبي : المسائل في الزهد ، تحقيق عبدالقادر احمد عطا، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ص ٤٣ ـ ٤٤

٣١ ـ الماوردي : أدب الدنيا والدين ، مصدر سابق ص ١٩٧ ، والماوردي : تسهيل النظر وتعجيل الظفر، تحقيق رضوان السيد ، بيروت ١٩٨٧م ، ص ص ٢٢١ ـ ٢٢٣ .

٣٢ ـ رضوان السيد : الإسلام المعاصر ـ نظرات في الحاضر والمستقبل ، بيروت ١٩٨٦م ص ص ٦٥ ـ ٦٦

٣٣ ـ الفضل شلق : الخراج والإقطاع والدولة ـ دراسة في الاقتصاد السياسي للدولة الإسلامية ، عجلة الاجتهاد م١/ خريف ١٩٨٨م/ ص ١٦٥ وما بعدها ، وماكسيم رودنسون : الإسلام والرأسمالية ، مرجع سابق ، ص ٤٣ وما بعدها .

٣٤ ـ رضوان السيد : مفاهيم الجماعات في الإسلام ، بيروت ١٩٨٤م ص ص ٧٧ ـ ١١٢ .

٣٥ ـ إبن خلدون ؛ المقدمة ، تحقيق علي عبدالواحد وافي القاهرة ١٩٥٧ ـ ١٩٦٢ ، م٢/ ٢٧٨ .

٣٦ ـ قارن على سبيل المثال:ـ

Andrew Watson, Agricultural Innovation is the early Islamic World, Cambrndge umi. Pren, 1983.

عوائق تأسيس البحث العلمي - وتوطين الإبداع التكنولوجي في الوطن العربي

د/عبد المجيد المخلافي

الحلقة الثانية :

(دراسة حالة) الجمهورية العربية اليمنية

لقد شهد اليمن بعد ثورة السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢م قيام كثير من المؤسسات التربوية والثقافية والعلمية ومنها وزارة الاعلام والثقافة ، ووزارة التربية والتعليم ، جامعة صنعاء ، وفروعها بتعز والحديدة واب وحجه ، والمعهد القومي للادارة العامة ، والجهاز المركزي للتخطيط ومركز الدراسات والبحوث اليمني ، هيئة البحوث الزراعية هيئة المساحة الجيولوجية والتنقيب عن الثروات المعدنية والبترولية والهيئة العامة للاثار ودور الكتب ، المدارس الفنية والمهنية ، المخابر العلمية ، الصحف والمجلات والدوريات ، المطابع ، المتاحف العلمية ، المعارض العلمية المؤتمرات العلمية ، والندوات العلمية ، وفي مجال علم التخطيط ، يشكل البرنامج الانمائي الثلاثي الاول (١٩٧٣ - ١٩٧٦) والخطة الخمسية الاولى (١٩٧٧م - ١٩٨١م) والخطة الخمسية الثانية (١٩٨٢م - ١٩٨٦م) والخطة الخمسية الثالثة (١٩٨٧ - ١٩٩١م) ، تدشينا حقيقيا لدخول اليمن تجربة التخطيط العلمي ا والبرمجة الفعلية لمختلف جوانب الحياة اليمنية . .

وعلى الرغم من ضخامة وايجابية الشوط الذي قطعته اليمن تحت حكم الثورة والجمهورية في مجال انشاء واقامة العديد من مؤسسات التربية والثقافة والعلوم ، الا اننا لا ننوي في هذا العرض تقييم ذلك الشوط فذلك موضوع بحث مستقل ولابد من القيام به عندما تكتمل اجراءات مسح لكل جوانب الاعداد للنهضة العلمية والتكنولوجية المرتقبة في الجمهورية العربية اليمنية اذ ان اجراء مسح شامل كهذا لابد وان يضع بعين الاعتبار سرعة تلاحق التطورات التي

تشهدها يمن الثورة والجمهورية في مجال التربية والثقافة والعلوم التي لا تمكن الباحث احيانا من القيام بتقييم موضوعي ومتأني ، صحيح ان الشوط الذي قد قطعته اليمن تحت حكم الثورة والجمهورية يعتبر شوطا ضروريا واساسيا لبدء مسيرة المجتمع اليمني نحو النهضة التعليمية والتكنولوجية لكن السؤال المطروح هنا هو : لماذا بعد مرور ربع قرن على قيام الثورة ما تزال البنية الاساسية اللازمة للنهضة العلمية والتكنولوجية في اليمن غائبة ؟ لماذا لم نتوفق حتى الان في تأسيس ثقافة البحث العلمي « تقاليد اكاديمية علمية وعملية » ؟ لماذا تمارس الابحاث ، على قلتها - بمعزل عن المحيط الطبيعي للانسان اليمني والخصائص الحضارية والثقافية للمجتمع اليمني ؟ لماذا لم تحتل قضية تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي مكانتها المشروعة في خططنا التنموية كأولوية من اولويات التنمية . . ؟

والواقع ان الاجابة على مثل هذه الاسئلة تستلزم استحضار نوعين من العوائق :- اولهما العوائق الخارجية وثانيهما العوائق الداخلية وبما ان العوائق الخارجية الخاصة بالبيئة الدولية ، والعوائق الداخلية الخاصة بالبيئة القومية التي استعرضناها فيما سبق تنطبق بدرجة او اخرى على هذا القطر العربي او ذاك ، فسنكتفي في هذا الاطار بالتركيز على العوائق التي تتعلق بالخصوصية المجتمعية لليمن دون غيرها من الأقطار العربية واضعين بعين الاعتبار حتمية وجود التفاعل بدرجة او اخرى ، بين عوائق البحث العلمي في اليمن وبين عوائق البحث العلمي في الوطن العربي ككل وبين ما تفرزه البيئة الدولية والصراع الدولي من عوائق تحول دون تأسيس « البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في اليمن» : فبينما «يعاني البحث العلمي في اليمن من نفس العوائق والمشكلات التي يعاني منها في بقية اجزاء الوطن العربي» (١٢٦) تظل هناك عوائق نابعة من خصوصية الواقع اليمني قبل وبعد الثورة . ويلخصها البعض فيما يلي :-

١ - عدم وجود خطة علمية متكاملة ٢ - عدم وجود الكتب والمجلات العلمية المتخصصة ٣ - عدم وجود الهيئات او الجمعيات العلمية ، ٤ - عدم توفير المكتبات العلمية العامة ، ٥ - عدم وجود نواد علمية مستديمة او مؤقتة ترعى الموهوبين وتشجع الناشئين (١٢٧) وعلى الرغم من اعترافنا بخطورة العوائق المذكورة الا اننا نستطيع القول ان قائمة العوائق اكبر من ذلك بكثير . حيث ما تزال اليمن تواجه نقصا كميا ونوعيا في مجال البحث والانتاج العلميين ، نظرا لان البنيات التحتية والشروط الضرورية لذلك ما تزال غائبة الى حد كبير خاصة وان معظم العوائق التي تحول دون تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في يمن ما بعد الثورة ماهي الا نتائج ليمن ماقبل الثورة . . فلا زال المجتمع اليمني يعاني من بعض ظواهر الانحطاط التاريخي والثقافي الذي اصيبت به اليمن تحت حكم الامامة البائد قبل ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢م . . ولا يستطيع احد ان ينكر حقيقة ان القوى المستفيدة من اوضاع اليمن ماقبل الثورة قد تسببت في تعرض اليمن لحرب اهلية مدمرة مما ادى الى التوقف المؤقت للنهضة اليمنية التي دشنتها الثورة ، ومما لاشك فيه ان اثار الحرب الاهلية مدعومة ببعض الجيوب الثقافية المتبقية من عهد ماقبل الثورة ، قد شكلت اكبر عائق من عوائق النهوض العلمي والتكنولوجي في اليمن . .

ان الوضعية الراهنة للبحث العلمي في اليمن ما تزال تفتقر الى اهم الشروط المجتمعية والعلمية والعملية اللازمة لتأسيس البحث العلمي المأمول . . فقلة عدد الجامعات والمراكز والمعاهد والمؤسسات البحثية ، والتطبيقية ، وقلة عدد المساهمات الابداعية والدراسات الواعدة بالعطاء العلمي والابتكار التكنولوجي والمرتبطة باحتياجات المجتمع اليمني وقضاياه المصيرية وحداثة عهد اليمن بالتخطيط ، ماهي الا مظاهر تذبذب وتعثر

تدل على عدم وجود البنية الاساسية اللازمة للبحث العلمي في اليمن . وعلى الرغم من قتامة الصورة فانه ليس من المبالغة في شيئ اذا قلنا بان الازمة التي يعيشها البحث العلمي في اليمن ليست ازمة نمو فالنمو موجود ومستمر منذ ان تفجرت الثورة وحتى الان ، وقد لعبت جامعة صنعاء منذ تأسيسها ١٩٧١م دورا كبيرا في تسارع وتيرة ذلك النمو « ١٢٨» لكن الازمة ازمة انطلاق تسببت فيها عوائق مجتمعية ذات ابعاد كثيرة وجذور تعود الى ماقبل الثورة . . ويمكننا تصنيف عوائق الانطلاق حسب طبيعة البعد الذي ينتمي اليه هذا العائق او ذاك ، واضعين بعين الاعتبار وجود التفاعل الدائم والمستمر بين مختلف الابعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية والاعلامية والمؤسساتية والذاتية وعلى مختلف المستويات وطنيا وقوميا ودوليا . .

العوائق السياسة :-

تعاني اليمن مثلها مثل بقية البلدان العربية من بعض العوائق السياسية التي تحول دون الدفع بالنهضة العلمية والتكنولوجية . . ومع ذلك تظل لليمن خصوصيتها واوضاعها المتميزة ، ولما كانت « الجمهورية العربية اليمنية من البلدان النامية ، فهي تعاني من الكثير من المشاكل التي تعاني منها البلاد المبتدئة ، لذلك فان محور التفكير الاني في العمل العلمي وانشغال الرأي والحكم ليست كلها مما يؤدي الى ان يلقي العمل العلمي من الاسبقية مما يمنح في البلاد المتقدمة ، ولهذا نجد ان النشاط العلمي لم يحظ بعد بالاهتمام الكامل كما ينبغي له ان يكون فهو لا زال يحبو في خطواته الاولى ، ولازالت مجالاته وتطبيقاته ، محدودة بالنسبة للبلاد المتقدمة» (١٢٩) ومن الملاحظ انه لا توجد وزارة للتعليم العالي والبحث العلمي ، (ربما لانه لا توجد الا جامعة واحدة هي جامعة صنعاء) ولا توجد مؤسسة وطنية للعلم والتكنولوجيا ولا توجد خطة وطنية شاملة للبحث العلمي تتحدد بموجبها الخطط الفرعية للمراكز والادارات البحثية التابعة للقطاعات التنموية المختلفة ، هذا بالاضافة الى غياب دور المجلس الاعلى للمناهج التعليمية كجهة مسئولة عن تنمية المحتوى العلمي للمناهج التعليمية ، كل هذه العوامل المعيقة قد حالت دون امتلاك اليمن لسياسة وطنية شاملة للعلوم والتكنولوجيا للاهتداء بها في رسم سياسة للنهوض بالتعليم العالمي ومقتضياته وتأسيس البحث العلمي وتحديد اولوياته وتوطين الابداع التكنولوجي وتحديد غاياته ، وهكذا فان قلة المؤسسات المهتمة بتأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي وعدم تمكين المتوفر منها للاضطلاع بدورها المطلوب نتيجة لعدم توفر الشروط المجتمعية اللازمة تشكل عوائق خطيرة لايستهان بها - كما ان ازمة الافتقار الى خطة وطنية شاملة لتأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي تجمعها علاقة ارتباط عضوي بالواقع الفعلي للانسان اليمني اقتصاديا ، ولم توضع خطة للتقدم العلمي » (١٣٠) ولا تغيب عن بالنا قضية غياب الوحدة اليمنية وما لذلك الغياب من اثار معيقة للنهضة اليمنية بما في ذلك النهضة العلمية والتكنولوجية ، حيث ان عدم تحقق الوحدة اليمنية يعتبر اكبر عائق امام تكتيل جهود الشطرين لبناء نهضة علمية وتكنولوجية يمنية شاملة - ولربما تكون المشاريع المشتركة للتنقيب عن النفط والمعادن ، وانجاز مشروع دستور دولة الوحدة ، وحرية التنقل والتواصل بين الشطرين ، والمحاولات المستمرة لبناء الشروط الاقتصادية للوحدة ، بدايات مبشرة ، وممهدة لخطوات اخرى تليها مثل : مشروع النهضة العلمية والتكنولوجية لدولة الوحدة . .

تتوفر بعض السندات التشريعية والقانونية لتأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في اليمن . . وهناك نوعين من هذه السندات التشريعية والقانونية . . الاول يتمثل في محتويات القرارات والقوانين واللوائح الخاصة بانشاء مختلف المؤسسات التربوية والثقافية والعلمية التي انشأت بعد الثورة . ومنها على سبيل المثال قرار

مجلس القيادة رقم (١١٨) لسنة ١٩٧٤م بقانون جامعة صنعاء وقرار مجلس الوزراء رقم (٦) لسنة ١٩٧٢م بانشاء مركز الدراسات والبحوث اليمني، والقرار الجمهوري رقم (٤٠) لسنة ١٩٨٢م الخاص بانشاء مركز البحوث والتطوير التربوي . .

اما الثاني فيتمثل في بعض النصوص المتناثرة في مختلف الوثائق السياسية والدساتير والمواثيق التي تؤكد على «حرية التعبير والمعرفة» (١٣١) فعلى سبيل المثال تنص المادة الثلاثون من الميثاق المقدس الصادر عام ١٩٤٨م على «كفالة حرية الرأي والكلام والكتابة والاجتماع في حدود الامن والقوانين» (١٣٢) وتنص المادة (٣٣) من الدستور الدائم الصادر في عام ١٩٦٤م على ان «حرية الرأي والبحث العلمي مكفولة ولكل انسان حق التعبير عن رأيه ونشره بالقول بالكتابة او التصوير او غير ذلك في حدود القانون» (١٣٣) كما تنص المادة (٣٤) على ان «حرية الصحافة والطباعة والنشر مكفولة وفقا لمصالح الشعب وفي حدود القانون» (١٣٤) وتؤكد المادة (٥٥) والمادة (٥٦) من الدستور الصادر عن مؤتمر خمر سنة ١٩٦٥م على نفس المعاني المؤيدة لحرية التعبير والمعرفة في الدستور الدائم الصادر عام ١٩٦٤م (١٣٥) كما تنص المادة (٢٥) من الدستور الدائم سنة ١٩٧٠م على ان «لكل مواطن حق الاعراب عن فكره بالقول او الكتابة او التصوير في حدود القانون» (١٣٦) كما طرح الميثاق الوطني الصادر سنة ١٩٨٢م قضية حرية الفكر والتعبير بأي وسيلة من الوسائل كحق من حقوق المواطن «فمن حق اي فرد او جماعة امتلاك الحرية في اعلان الاراء والافكار» (١٣٧) وقد اكد مجلس الشورى في تعقيبه على بيان الحكومة لعام ١٩٨٨م على «ضرورة الاهتمام برفع كفاءة الايفاد الدارسي للخارج عن طريق منح الاولوية - للاختصاصات الدقيقة المطلوبة في كافة المجالات - ومنح مجال الدراسات العليا لجامعة صنعاء في المخصصات المتوافرة خاصة شروط الاشراف العلمي والبحثي والاهتمام بالملحقيات الثقافية بالخارج والتاكيد على ان يعين العاملون فيها . . من المؤهلين تربويا والقادرين على رعاية الموفدين والاعتناء بابناء المغتربين في المهجر، وربطهم بوطنهم «١٣٨» كما اكد على ضرورة «ان تولي الحكومة اهتماما متزايدا بجامعة صنعاء والسعي نحو رفع مستوى التحصيل العلمي والتربوي والطلابي وخريجي الجامعة ورفع معدلات القبول بالجامعة واعطاء الاولوية في مجال التدريس للكفاءات اليمنية المؤهلة لتحقيق الاكتفاء الذاتي من اعضاء هيئة التدريس في الجامعة» . . (١٣٩) وقد جاء في المادة الثانية من وثيقة تاسيس مجلس التعاون العربي ما ينص على ضرورة تحقيق التنسيق والتكامل في مجال «التعليم والثقافة والاعلام والبحث العلمي والتكنولوجيا» (١٤٠) كل هذه امثلة تدل على توفر بعض السندات التشريعية والقانونية اللازمة للنهوض بالعلم والتكنولوجيا، كما تدل على تزايد اهتمام الدولة اليمنية باهميتها ولا غرابة في ذلك فكل دول العالم تهتم بتأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في ارضها «اذ ان الدول تفهمت فجأة ان مصيرها مربوط بالاكتشافات وبانجازات علمائها وتقنييها (١٤١) لان قوة العلم في مجتمع ما شرط من شروط القوة السياسية في ذلك المجتمع ووسيلة من وسائل تنميته وانعتاقه . .

وعلى الرغم من دعم الدولة اليمنية لقيام مؤسسات البحث العلمي وتوفير كل هذه السندات التشريعية والقانونية الدالة على وجود الاهتمام بالبحث العلمي على المستوى الرسمي، الا اننا نلاحظ رغبة الجميع بأن يشمل هذا الاهتمام جميع جوانب عملية تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي خلال تنشيط قنوات التواصل العلمي بين الدولة والمجتمع، وقد يكون من المستحسن تكوين لجنة خاصة بشئون البحث العلمي والتكنولوجي في مجلس الشورى اذا ما توفرت السندات الدستورية والتشريعية والقانونية لها واكتملت الشروط العلمية والخصائص الوطنية لاعضائها خاصة وان الحاجة الى مزيد من السندات التشريعية والقانونية المنظمة لشئون البحث وحقوق

الباحثين والمؤلفين لازالت تنتظر لجنة كهذه لتقوم بالمطالبة بتوفير مالم يتوفر حتى الان من سندات تشريعية وقانونية ودعم مادي ومعنوي لمؤسسات البحث العلمي والمشتغلون به وبالدفاع عن المؤسسات والكوادر البحثية الوطنية خدمة للوطن وتمكينا للمجتمع من ممارسة اعمق للديمقراطية كشرط من شروط تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي . . .

لقد تعرضت النهضة العلمية والتكنولوجية في كثير من اقطار امريكا اللاتينية وافريقيا للاجهاض المرير ، ولليمن في ذلك الاجهاض الذي حدث في تلك الاقطار دروس وعبر لايستهان بها ولما كانت اليمن في البداية ، والبداية نصف الطريق - ولكي تنجو النهضة العلمية والتكنولوجية في اليمن من ذلك الاجهاض لابد لنا جميعا ان نعي ونقدر اهمية استمرار دعم الدولة للجهود الوطنية الرامية الى تحقيق الاهداف التالية :-

١ - بلورة سياسة وطنية للعلم والتكنولوجيا لكي يتحدد بناء عليها خطة وطنية شاملة لتأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي وخطط مرحلية قابلة للتنفيذ حسب ظروف الزمان والمكان والبشر . .

٢ - التعريف بخطورة العوائق المجتمعية « السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية والاعلامية » التي تحول دون تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي داخل الوطن . .

٣ - توفير الشروط المجتمعية « السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية والاعلامية » اللازمة لتأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي . .

٤ - تحصين مؤسسات البحث العلمي والابداع التكنولوجي ضد التبعية العلمية التكنولوجية للاجنبي فتحرير العقل اصعب من تحرير الارض

٥ - تدعيم الاستقلال النسبي المشروع لمؤسسات البحث العلمي والتعليم العالي ماليا واداريا واكاديميا . .

٦ - استمرار التنسيق والتعاون والتكامل بين اليمن وبقية الاقطار العربية في مجال البحث العلمي والابداع التكنولوجي . .

٧ - تمكين الكادر الوطني المتوفر واعطاء الاولوية للكادر الوطني والقومي على الكادر الاجنبي ، مع ضرورة التفريق بين الكادر الاجنبي الصديق والكادر الاجنبي العدو .

٨ - توفير قنوات السيطرة والتحكم والتأكد من توفر الشروط اللازمة في اي برنامج للتعاون العلمي بين اليمن والبلدان الاجنبية فلربما كان هذا البرنامج او ذاك وسيلة من وسائل احتلال العقل ، واحتلال العقل اخطر من احتلال الارض . .

العوائق الاقتصادية :-

علينا ان نعرف بان محدودية موارد المؤسسات المعنية بالبحث العلمي في اليمن وقلة كوادرها وعدم الاهتمام بما توفر من كوادرها ، وعدم نشر نتائج الابحاث او استغلالها على نطاق واسع وعدم توفر التسهيلات الببليوغرافية والمرجعية والمصادرية ، يؤدي الى تشكل وضع اقتصادي واجتماعي وثقافي ، معيق اسفر عن نشاط علمي بطيئ النمو « ان لم نقل متوقف» لايشجعه استخدام اقتصادي تنموي واستخدام ثقافي ابداعي ، فالمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والجهات الادارية لاتستفيد من خدمات البحث العلمي ، ولا تهتدي بنتائجه واكثر من ذلك فهي لاتشجع الباحثين اليمنيين على انجاز دراسات علمية هدفها الرئيسي المشاركة في الدفع بعجلة التنمية والتحول الاجتماعي نحو مزيد من انعتاق الانسان وتحرير المجتمع من قيود الانحطاط وقد ادى انخفاض الطلب المجتمعي على العلم ونتائجه الى ضعف الارتباط العضوي بين ما يتوفر من نشاطات البحث العلمي والتطوير التكنولوجي وبين متطلبات القطاعات الانتاجية وغياب قنوات الاتصال والتفاعل التي يمكن ان تؤدي الى تقوية ذلك الارتباط وتعاني اليمن من غياب التخطيط العلمي في عدد من المشاريع . والمؤسسات الوطنية الانتاجية واعتمادها على تكنولوجيا مستوردة وتقاعسها في بناء

قاعدة وطنية للتخطيط والادارة العلمية والكفاءة الانتاجية . . وقد ادت هذه العوامل المعيقة الى انعدام السوق المستفيدة من نتائج البحث العلمي في اليمن حيث ان عدم استخدام وتوظيف طرائق ونتائج البحث العلمي في مختلف قطاعات التنمية قد حال دون نمو تلك السوق واصبح العمل بتزكيات ونتائج ابحاث الخبراء الاجانب وفرق البحث التابعة للشركات الاجنبية بديلا عن العمل بنتائج البحث العلمي التي تتم بجهود الكادر الوطني والقومي . .

ان ضعف مستوى الاحترام والتقدير الاجتماعي للمشتغلين بالعلم والبحث العلمي كمورد بشري هام في عملية التنمية ، قد مكن البعض من الادعاء بان الانفاق على البحث العلمي والمشتغلون بالبحث العلمي نوع من انواع الترف والعبث . وقد انعكست اثار هذا الادعاء في ضآلة المخصصات المالية اللازمة للبحث العلمي في الموازنات السنوية « ١٤٢ » كما انعكس في ضعف الانفاق العام على البحث العلمي وفوز الخبراء الاجانب وفرق البحث والاستشارات التابعة للشركات الاجنبية بنصيب الاسد في ذلك الانفاق على حساب الكادر الوطني والقومي ، وقد اسهمت عقدة الخواجه هذه في عدم تمكين الكوادر البحثية الوطنية في الاضطلاع بادوارها في مختلف قطاعات التنمية . . وبدون تخصيص جزء معقول من ميزانياتنا المالية لتمويل البحث العلمي والنهوض التكنولوجي في خططنا التنموية ، فان تأثير الضغوط الاقتصادية على مؤسسات البحث العلمي والمشتغلين به سيستمر ويستفحل . .

لكنه من الواجب علينا جميعا ان نعي ضرورة البحث العلمي للتنمية والصناعة فلا ضغط الحاجات الاقتصادية وعدم توفر الامكانات والوسائل اللازمة للبحث ولا «الحد المتمادي من خلق مراكز ووحدات البحوث ولا اجبار الاكثر لمعانا من علمائنا الناشئين على التخبط في اسفل سلم الرواتب بمستطيع مد الصناعة بمزيد من المهندسين في كل المستويات الذين تحتاجهم لتطوير انتاجها الروتيني» (١٤٣) وهكذا فان محدودية البحث والانتاج تعود بشكل جزئي الى التخبط الذي تعاني منه المؤسسات التربوية والمراكز البحثية نتيجة غياب الاستقلال النسبي المشروع من الناحية المالية والادارية والاكاديمية ، وضعف في المرافق والتجهيزات اللازمة لممارسة البحث العلمي ، ونقص في التشجيع المادي والمعنوي ، وغياب الاعتراف بالدور الهام الذي يمكن لنتائج البحث العلمي ان تلعبه في شتى القطاعات التنموية كانعكاس لغياب التفاعل والاتصال بين عالم التنمية ومجتمع العلم والتواني في اعداد الكوادر الوطنية وعدم تمكين المتوفر منها في مختلف مؤسسات المجتمع وقطاعاته الاقتصادية ، كل هذه العوائق الاقتصادية متفاعلة مع غيرها من العوائق تحول دون تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في اليمن . .

العوائق الاجتماعية :ـ

إن تربية وتهيئة الإنسان للعطاء العلمي والإبداع التكنولوجي في مجتمع ما عملية إجتماعية وثقافية شاملة لاتتحمل الجامعة وحدها مسئوليتها. فعلى الرغم من اعترافنا جميعاً بأن الجامعة تعتبر أهم مؤسسات البحث العلمي في أي مجتمع ، إلا أن الجامعة التي لاتتمتع بالدعم المادي والمعنوي اللازم من قبل المجتمع تكون غير قادرة على القيام بواجبها على الوجه الأكمل. فالجامعة لاتعمل من فراغ ولكنها مقيدة بإعتبارات المحيط الاجتماعي من حولها . فبدون توفيرنا لمحيط اجتماعي يساعد على انتشار العمل العلمي الفردي والجماعي ويحترم المشتغلين به ويقدر النتائج التي يتوصلون اليها، وبدون تقوية إيمان المجتمع بقيمة وأهمية العلم كشرط من شروط التنمية ، وبدون تشجيع ودعم مختلف القطاعات التنموية للبحث والباحثين، بدون استخدام النتائج التي يتوصلون اليها ووضعها موضع التطبيق ، وبدون تجنيب الباحث تأثير الضغوط الاجتماعية وخاصة التأثير الناتج عن التخلف الاجتماعي ، بدون تحقيق كل تلك

النواقص ستكون محاولة الجامعة حل أزمة انطلاق البحث العلمي في اليمن محاولة سابقة لأوانها . (١٤٤) وهكـذا فليس من الانصـاف أن نلقى مسئولية أزمة إنطلاق البحث العلمي على مؤسسات البحث وحدها . ذلك ان الإنطلاق في تأسيس البحث العلمي وتوطين الإبداع التكنولوجي هو دليل على تهيؤ الجو المجتمعي العام الذي يعتبر النشاط العلمي عنصراً أساسيا في حركة وتجدد وإنعتاق المجتمع . حيث أن جانب (العرض) في انتاج البحوث العلمية وتنظيمها لابد وأن يرتبط إرتباطاً وثيقاً بجانب (الطلب) المتمثل في القطاعات التنموية المختلفة، وجانب الطلب في مجمله قرار يتخذ على المستويات العليا في مختلف القطاعات التنموية . ولا شك أن هناك أنصار كثيرون لقضية تأسيس البحث العلمي وتوطين الإبداع التكنولوجي في المستويات العليا والمستويات الدنيا للمجتمع . ولكن لابد أن يتحول التعاطف مع قضية البحث العلمي الى دعم مجتمع حقيقي وشامل للبحث العلمي وبكافة أشكال ووسائل الدعم المادبة والمعنوية .

عندما يتغاضى مجتمع من المجتمعات عن غياب الديمقراطية الثقافية فيه ويتخاذل عن إيجاد الحلول لذلك الغياب، يصبح غياب الديمقراطية الثقافية سبباً فتاكاً من أسباب الإنحطاط العلمي والتكنولوجي لذلك المجتمع . إن عدم العمل على توفير الكتب في مختلف الإتجاهات الفكرية وبمواصفات علمية سليمة ، وبسعر رخيص في مجتمع ما، يشكل علامة بارزة تدل على أن ذلك المجتمع لايتمتع بكامل الديمقراطية الثقافية كشرط من شروط تأسيس البحث العلمي وتوطين الإبداع التكنولوجي .

كما إن محاربة أو قمع الحريات الفكرية والأكاديمية والعلمية والثقافية في مجتمع من مجتمع ما سبب رئيسي من أسباب شيوع النمط الأحادي في التفكير وغياب تعددية المنهج العلمي مما يؤدي إلى جمود تصور المجتمع لنفسه وبالتالي ينحط الإبداع العلمي والتكنولوجي فيه ، حيث أن ضغط الحريات الأكاديمية والثقافية والفكرية ، والإسراف في التدخل في شئون الباحثين ومؤسسات البحث العلمي ، وخطورة الخوض في موضوعات حساسة وشائكة المسلك من وجهة نظر بعض الفئات الإجتماعية ، تشكل عوائق إجتماعية خطيرة قد تسد منابع الإبداع الفكري والعلمي والفني مما يقلل من فرص النهوض العلمي والتكنولوجي في المجتمع اليمني . .

العوائق الثقافية :-

بدون نهجنا لسياسة ثقافية تضع في مقدمة اهدافها انعتاق الثقافة العربية من التغريب والعصر وسطوية واللاانسنة وبدون تعريب العلوم «كتابة وبحثا وقراءة وتدريسا» ستظل اليمن - كغيرها من البلاد العربية - تعاني من غياب ثقافة البحث العلمي ، والمقصود بثقافة البحث العلمي هو «انتشار الوعي الجماعي باهمية البحث العلمي في حياة الافراد والمجتمع وبامكانية استخدام نتائجه لتحسين ظروف هذه الحياة وتطويرها ، وبالتالي ضرورة الاهتمام به وتشجيعه » (١٤٥) وفيما يتعلق بغياب ثقافة البحث العلمي في اليمن ، يمكننا رصد الملامح التالية :-

١- انخفاض مستوى الثقافة العلمية في المجتمع اليمني (٢) - فقدان اليمن ، - كغيرها من البلاد العربية - جزءا كبيرا من تراثها العربي الاسلامي المخطوط الذي يقبع الان في بطون المكتبات والمتاحف العالمية خارج حدود اليمن (٣) - ضعف حركة التوثيق والتدوين العلمي وندرة الفرص المتاحة للباحث الوطني والقومي للاطلاع على خزائن المكتبات الخاصة الزاخرة بالعديد من المخطوطات التاريخية الغير محققة والغير منشورة ، (٤) - قلة المكتبات العامة وصعوبة توفر المراجع الكافية ومصادر المعلومات المتنوعة ووسائل البحث وتسهيلاته المتطورة من تصوير وطباعة وغيره ، (٥) - شيوع النمط الاحادي في التفكير ، وتقهقر احترام

تعددية المنهج العلمي (٦) - ضعف التواصل الثقافي المستنير مقابل قوة التواصل الثقافي الوضيع وهكذا فكل ملامح غياب ثقافة البحث العلمي هذه متفاعلة مع بقية العوائق الثقافية والعوائق الغير ثقافية اصبحت تفعل فعلها الخطير والمعيق لتأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في اليمن ..»

العوائق التربوية :-

يتسم النظام التربوي والتعليمي في اليمن بسمات كثيرة الايجابية منها والسلبية ، ولما كان تركيزنا هنا على العوائق التربوية التي تحول دون تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي فاننا نستطيع القول ان السمات السلبية تشكل عوائق تربوية خطيرة ، ولابد من حشد الجهود الوطنية المكثفة للقضاء عليها ويمكننا تلخيص هذه السمات المعيقة على النحو التالي:-

١ - قصر مهمة النظام التربوي والتعليمي على « تفريخ الموظفين» (١٤٦) (٢) - غياب شبكة وطنية للمعلومات التربوية ، (٣) - ضعف التخطيط التربوي ، (٤) - التباطؤ الشديد في بلورة فلسفة تربوية شمولية من المصادر المتوفرة والمليئة بالمبادئ والاسس المتناثرة هنا وهناك (٥) - ضعف التركيز على خلق الكوادر العلمية والفكرية والفنية والادبية ، (٦) - حشو رأس الطفل بمقررات مدرسية جاهزة غير مبنية على اسس تربوية وعلمية سليمة ، (٧) - ضعف المحتوى العلمي لهذه المقررات ، (٨) - ضعف الاعداد العلمي للمدرس واستبداده وتسلطه ولعل في هذه السمات المعيقة ما يكفي لاغتيال العقل وكبت السؤال وقتل روح البحث والتقصي في كيان الناشئة في اهم واخطر مراحل التكوين فتؤدي تلك السمات الى خلق روح التواكل والاعتماد على الغير وحب السهولة والكسل العقلي مما يتناقض مع الفطر السليمة والعقول البريئة ، ويؤدي الى اختلال التوازن بين التربية والتعليم فقد اصبحنا نعلم ولا نربي ومن ثم قتلت قدرة التربية على التغيير الاجتماعي (١٤٧) ولابد من التنبه لخطورة ضعف المستوى التربوي والعلمي لاسلوب التنشئة الاسرية في المجتمع اليمني والذي يتميز بامية شبه شاملة ففي مجتمع يتميز بامية شبه شاملة تتسم العلاقات القائمة في محيط الاسرة - كخلية تربوية اولى في المجتمع - بالاستبدادية والتسلطية على نحو غير طبيعي .. فمنذ ان ينشأ السؤال في عقل الطفل ويقدر على التعبير عنه بالكلام فان لكل سؤال جوابا جاهزا عند والديه وغير صحيح في معظم الاحوال (١٤٨) خاصة اذا ما عرفنا ان الشعوذة وانماط التفكير اللاعقلاني لازالت مسيطرة على الثقافة الاسرية اليمنية ، وهكذا فان ضعف المحتوى العلمي للمناهج الدراسية ، وضعف الاعداد العلمي للمدرس في مراحل ماقبل التعليم الجامعي ، وضعف التحصيل العلمي للطالب اليمني في مراحل ماقبل التعليم الجامعي ، وعدم التزام التخطيط العلمي ودراسات الجدوى قبل القيام باي تغيير في العملية التربوية ، تشكل عوائق تربوية خطيرة لابد من ازالتها اذا اردنا للتربية ان تقوم بدورها في اعداد الانسان اليمني وتهيئته للبحث العلمي والابداع لياخذ مكانه تحت شمس القرن الواحد والعشرين ..

العوائق الاعلامية :-

ليس المقصود بالحديث عن العوائق الاعلامية ان رصيد الاعلام اليمني لازال صفرا حتى الان ، فنحن لا نستطيع ان ننكر الشوط الذي قطعه الاعلام اليمني منذ فجر الثورة وحتى الان ، ولا نستطيع ان ننكر الجهود الفردية المبدعة للاعلاميين اليمنيين ، فالازمة ليست ازمة نمو الاعلام اليمني ولكنها ازمة انطلاق الاعلام اليمني ، كما اننا لا ننوي تقييم الايجابيات التي يتسم بها الاعلام اليمني فذلك موضوع مستقل بحد ذاته . ولكننا نود تحديد العوائق الاعلامية التي تحول دون النهوض التكنولوجي في اليمن .. ومن هذا المنطلق نستطيع تحديد تلك العوائق على النحو التالي :-

١ - ضعف الاهتمام بالجوانب الجدية والتعبوية والتنموية اللازمة لاسهام حضاري يمني ، ٢ - اتساع الهوة بين قضايا الجماهير والاعلام وضعف الارتباط العضوي بينهما ٣ - ضعف الاهتمام بالتشكيل العلمي لوجدان وعواطف المواطن اليمني

نحو غاياته الحضارية السليمة ٤ـ التباطؤ الشديد في انتشال المواطن اليمني من براثن الوعي اللاعقلاني والاسري والعشائري والقبلي والطائفي والقطري والاقليمي ٥ ـ عدم القيام باسهام جدي في توعية المواطن اليمني بالشروط التي ادت وتؤدي الى الانحطاط وتعريفه بالشروط التي ادت وتؤدي الى الانعتاق ٦ ـ ضعف الاعلام العلمي مقابل قوة الاعلام اللاعقلاني . :

ولا شك ان رداءة التجهير العلمي والتكنولوجي للمؤسسة الاعلامية اليمنية ، وضعف الادارة وتعارض الادوار فيها ، وقلة عدد ساعات البث التلفزيوني والاذاعي ، وقلة عدد الصحف ، وقلة مراكز التوثيق الاعلامي ، وانخفاض المستوى العلمي لبعض الاعلاميين اليمنيين وغياب كلية جامعية للدراسات الاعلامية ، وندرة الدورات والمؤتمرات التثقيفية العلمية للاعلاميين اليمنيين ، وضعف برامج التدريب الصحفي ، وضعف الجهود المبذولة لتحسين وتنشيط مكاتب الاعلام بمحافظات الجمهورية وضعف المحتوى العلمي للمادة الاعلامية عموما ، كل هذه العوائق الاعلامية ادت وتؤدي الى افقاد المؤسسة الاعلامية بعض قدرتها على اداء دورها في تهيئة الانسان اليمني لعصر العلم والتكنولوجيا . .

العوائق المؤسساتية :ـ

ان تقويم الدور الذي تلعبه المؤسسات العلمية ونشاطات البحث العلمي في تنمية وتطوير مجتمع ، لابد ان يترافق مع القيام بدراسات بنى وقدرات هذه المؤسسات على الانتاج العلمي ، ودراسات حول توفر السياسات والتشريعات التي تهدف ، ليس الى الاستفادة من نتائج هذه النشاطات فقط ، بل الى تكثيف الطلب عليها وتوجيهها نحو الارتباط الوثيق بمتطلبات برامج التنمية في ذلك المجتمع (١٤٩) ولعل اكبر دليل على اهمية تنمية البنى الاساسية للمؤسسات هو انشاء لجنة استراتيجية العلوم ، التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم للقيام «ببرنامج واسع من الدراسات والبحوث الميدانية يهدف الى التعرف على واقع المؤسسات الجامعية ومؤسسات البحث والتطوير العربية وتحليل بناها التنظيمية الوظيفية . . وذلك لتحقيق الاستفادة من التجارب المتراكمة بصورة مقارنة ، والتعرف على اولويات التطوير والاصلاح في النظم والبنى الهيكلية لهذه المؤسسات» (١٥٠) ومن هنا تاتي اهمية مبادرة عمادة الدراسات العليا في جامعة صنعاء ودعوتها لعقد ندوة البحث العلمي (١٥١) والتي بدأت بالتركيز على دراسة النظم والبنى الهيكلية لمؤسسات البحث العلمي في اليمن ، وقد قدمت لهذا الغرض اوراق عمل علمية لباحثين وطنيين يعملون في مختلف المؤسسات اليمنية ذات العلاقة بالبحث العلمي وقد اتيحت لنا فرصة الاطلاع على الاوراق التالية :ـ

١ ـ ورقة عمل حول « واقع البحث العلمي وآفاقه المستقبلية بجامعة صنعاء» وقد قدمها الدكتور عبدالله صالح بابقى ـ وكيل عمادة الدراسات العليا لشئون البحث العلمي (جامعة صنعاء) . .

٢ ـ ورقة عمل حول « التشريعات والاجراءات الكفيلة بتنشيط البحث العلمي بجامعة صنعاء» وقد قدمها الاستاذ الدكتور محمد الخوالده « من جامعة اليرموك» والدكتور دواد عبد الملك والدكتوره امة الرزاق علي حمد «مدرسي كلية التربية ـ جامعة صنعاء» . .

٣ ـ ورقة عمل حول « البحث العلمي والتنمية» وقد قدمها الدكتور عبد الكريم احمد عامر « مدرس ـ كلية التجارة ـ جامعة صنعاء» . .

٤ ـ ورقة عمل حول (مركز البحوث والتطوير التربوي ، نشأته واهدافه وانشطته) وقد قدمها الدكتور محمد سرحان سعيد المخلافي « رئيس وحدة بحوث المناهج وتقنيات التربية ـ بمركز البحوث والتطوير التربوي» . .

٥ ـ ورقة عمل حول « الانشطة البحثية عن الثروات البترولية والمعدنية» وقد قدمها الدكتور عبده شرف غالب ، والمهندس نوري جمال محمد «من

وزارة النفط والثروات المعدنية» . .

٦- ورقة عمل حول « مركز البحوث والاستشارات بالمعهد القومي للادارة العامة» نشأته ، واستعراض لاهدافه وانشطته ، وقد قدمها الاستاذ احمد عقلان الشيباني رئيس مركز البحوث والاستشارات بالمعهد القومي للادارة العامة . .

٧ - ورقة عمل حول « تطور نظام البحث الزراعي في الجمهورية العربية اليمنية » وقد قدمها الاستاذ عبد الرحمن سلام والدكتور عبد الرحمن بامطرف من هيئة البحوث الزراعية بوزارة الزراعة والثروة السمكية . .

٨ - ورقة عمل حول (مركز الدراسات والبحوث اليمني ومهام البحث العلمي في اليمن) وقد قدمها الدكتور محمد عبد الواحد الميتمي (مدير عام البحوث بالمركز) . .

٩ - ورقة عمل حول «البحث العلمي والتنمية . . ماذا ولماذا وكيف » وقد قدمها الدكتور محمد سرحان المخلافي (رئيس وحدة بحوث المناهج وتقنيات التربية - بمركز البحوث والتطوير التربوي» . .

١٠ - ورقة عمل حول « تحديات التعليم العالي واتجاهات تطويره » وقد قدمها الدكتور احمد علي الحاج « مدرس بكلية التربية - جامعة صنعاء» . .

١١ - ورقة عمل حول « التعليم الفني في الجمهورية العربية اليمنية ودوره في التنمية الشاملة » وقد قدمها الدكتور بدر سعيد الاغبري «مدرس بكلية التربية - جامعة صنعاء» .

وبالرجوع الى اوراق العمل هذه نستطيع استخلاص قائمة بالعوائق المؤسساتية التي تحول دون قيام مؤسسات البحث اليمنية بدورها الكامل في تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في اليمن ، على النحو التالي :-

١ - ضعف البنى الاساسية والهياكل التنظيمية لهذه المؤسسات مما يضعف قدرتها على وضع الخطط والبرامج وعلى التنسيق لتنفيذ سياسة وطنية شاملة للبحث العلمي والابداع التكنولوجي في حالة وجود مثل تلك السياسة . .

٢ - ضعف المستوى العلمي لمؤسسات البحث اليمنية وقلة انتاجها العلمي والبحثي ، صحيح ان هناك مؤشرات كثيرة تدل على نمو الانتاج ولكن دون الحد المطلوب . .

٣ - ضعف الارتباط بين الانتاج العلمي والبحثي المتوفر لهذه المؤسسات وبين برامج التنمية في مختلف القطاعات التنموية . .

٤ - تخلف الطرائق وروتينية الاجراءات اللازمة لتقديم التسهيلات والخدمات والمعلومات العلمية والتكنولوجية وضعف التوثيق العلمي والتكنولوجي .

٥ - غياب شبكة وطنية للمعلومات لتغذية هذه المؤسسات وغياب الحد الادنى من التنسيق اللازم بينها . .

٦ - ضعف الانفاق على البحث العلمي ومؤسساته والمشتغلون به ، وقلة المرافق والتجهيزات ، وغياب الدعم المجتمعي ماديا ومعنويا لقضية تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في اليمن . .

٧ - قلة المجلات والدوريات الصادرة في اليمن وندرة المحكم منها .

٨ - عدم مراعاة البعض لمبدأ احترام ديمقراطية الثقافة وتعددية المنهج العلمي عند النشر . .

٩ - قلة الانتاج في مجال العلوم الطبيعية والتطبيقية حيث يلاحظ ان ما نشر داخل البلد في الفنون والاداب واللغات والعلوم الاجتماعية اكثر مما نشر في مجال العلوم الطبيعية والتطبيقية وذلك لندرة المجلات المتخصصة في العلوم الطبيعية والتطبيقية وتوفر بعض المجلات والدوريات التي تنشر بعض الابحاث والمقالات ، في الفنون والاداب واللغويات والعلوم الاجتماعية ، ولذا فان معظم ما نشر في العلوم الطبيعية والتطبيقية نشر في الخارج ، وقد يكون التباطؤ في عملية تعريب العلوم وطرائق تدريسها في كلية العلوم بجامعة صنعاء احد الاسباب التي ادت الى ذلك . .

العوائق الذاتية :-

العلم مهنة ومسئولية اجتماعية تمارس في مؤسسات واهم هذه المؤسسات التي يمارس فيها العلم هي الجامعة ومراكز البحوث ولذلك فبدون الفهم المجتمعي الصحيح لحقيقة وضع الاستاذ في الجامعة والباحث في المراكز لايمكن ان يكون هناك انطلاق في تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في اليمن - فمن المعلوم ان قلة الكوادر الوطنية وعدم تمكين المتوفر منها في مختلف القطاعات التنموية ، ونقص الروح التعاونية وغياب فرق البحث الجماعي تشكل عوامل معيقة لتكوين قدرة وطنية عالية في اجراء البحوث والدراسات واختيار وتطوير التكنولوجيا التي تحتاجها اليمن ، ناهيك عن توفير الشروط اللازمة لتأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في التربة اليمنية . .

وفي الحقيقة ان العجز الذي تعرفه محاولاتنا لتأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي وبالذات في نطاق القضايا المصيرية التي تواجه المجتمع اليمني ، هو عجز يتحمل جانبا منه كل المثقفين اليمنيين الممارسين للبحث العلمي ، فهم لم ينجحوا حتى الان في وضع تطور لخطة وطنية شاملة للبحث العلمي واولوياته في اليمن وبالتالي فهم لم يدركوا بعد ان البنية الاساسية اللازمة للبحث العلمي في اليمن لاتزال غائبة ، حيث اقتصروا على ترديد اهم مفاهيم ونظريات ومناهج وطرائق تخصصاتهم العلمية على المستوى النظري دون ان ينجحوا في الدعوة الى توظيفها وتطبيقها مباشرة في واقع المجتمع اليمني والقضايا المصيرية التي تواجهه وعلى ظواهر الانحطاط التي ما نزال نعتبرها كظواهر مستعصية غير قابلة للتغيير الى الافضل بالعلم ومن ثم نلجأ الى تبرير هذه الظواهر والتسويف في حلها وتقديسها كالاصنام حتى يخيل للواحد منا اننا قد اصبنا بالعقلية الصنمية من جديد وربما يكون توسيع المثقفين اليمنيين لمحيط اختناقهم بايديهم ، وعدم التزامهم بسلم لاولويات البقاء قد جعلهم يقعون فريسة سهلة لكوابيس الانحطاط فاذا كان المراد ان يكون هناك صحوة انعتاق من كوابيس الانحطاط هذه فان على المثقفين اليمنيين التنبه لحقيقة هامة وهي ان المثقفين انفسهم قد كانوا السبب في تمكين كوابيس الانحطاط هذه من السيطرة عليهم وهم انفسهم ضحيتها وهم وحدهم الذين يملكون حلول ووسائل ازالتها وهكذا فان ازمة الابتعاد عن الواقع الوطني والقومي قد تستفحل اكثر واكثر . لان ازمة الابتعاد عن الواقع الوطني والقومي والتعلق بالمنظومات العلمية الاجنبية التي لا تزيد معرفتنا كثيرا عن الخصوصيات الفعلية لهذا الواقع يعكس الازمة الناتجة عن الانفصام التام بين ما يوجه تفكيرنا العلمي من ضوابط غريبة المنشأ ومنزوعة من سياقها التاريخي والثقافي والبيئي ، وما نسعى الى فهمه من ظواهر وقضايا مصيرية وملحة لها خصائصها الوطنية والقومية وبيئتها وثقافتها وتاريخها المختلف . ليس معنى هذا ان نتوقف عن الاستفادة من المنظومات العلمية الاجنبية فذلك انغلاق فكري لا يجب قبوله لكننا نود التأكيد على حقيقة هامة وهي انه ليس هناك ما يمكن تسميته بـ« مدرسة فلسفية مقدسة » حيث يضل الواقع هو المحك الرئيسي لمدى انطباق هذه المدرسة الفلسفية او تلك المنظومة العلمية . فالى الواقع يجب ان نحتكم جميعا . .

وعلى الرغم من عزوف بعض الباحثين عن الخوض في قضايا شائكة وغير مريحة الا انه لايحق لاحد ان ينكر حقيقة ان البحث العلمي في اليمن غنى ببعض المبادرات الفردية المعبرة على وعي بعض الباحثين اليمنيين سواء في جامعة صنعاء او غيرها من مؤسسات البحث اليمنية ، بضرورة العمل على انعتاق الانسان وتحرير المجتمع وعلى دفع عجلة التنمية كتحول اجتماعي في عدة قطاعات اجتماعية واقتصادية وثقافية وتربوية واعلامية كما انه لايحق لنا

ان نبخل بالتشجيع المادي او المعنوي لهؤلاء الباحثين على انجازهم لبعض الابحاث والدراسات الهامة والتي لو تم استغلال نتائجها لاسهمت في انعتاق الانسان وتحرير المجتمع من بعض قيود الانحطاط . .

وهكذا فالمشكلات التي يواجهها البحث العلمي ومؤسساته والمشتغلون به فهي اما ناتجة عن عجز التشريعات المنظمة لشئون البحث العلمي والمشتغلون به ، واما عن ضغط الحاجات الاقتصادية وعدم توفر الامكانات والوسائل والمرافق والتجهيزات اللازمة للبحث ، واما عن ضعف الحريات الاكاديمية والثقافية والفكرية والاسراف في التدخل في شئون البحث العلمي ومؤسساته والمشتغلون به وفي ظل هذه العوائق ماذا يمكن للباحث العلمي ان يقدمه للمجتمع اليمني ؟ ماهي السبل التي يمكن ان يطرقها وماهي الوسائل التي يمكن ان يستخدمها لتجاوز هذه العوائق ؟ وفي اعتقادي ان عوائق من هذا النوع لايمكنها ان تعرف الحلول المناسبة الا في اطار ايجاد سياسة علمية وتكنولوجية محكمة كحل شمولي للمشكل العام الذي يتمثل في ازمة الانطلاق نحو تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في اليمن . .

وحتى لايطول غياب النهضة العلمية والتكنولوجية في اليمن ، فواجبنا يحتم علينا جميعا اعادة النظر في طريقة التعامل المجتمعي مع البحث العلمي بمختلف فروعه وميادينه . اذ لايكفي ان ندرس مختلف العلوم في مدارسنا ومعاهدنا وكلياتنا ونقول باننا بلغنا مستوى الانتاج المبدع والاضافة النوعية فيها . . بل لابد من اعادة هيكلة هذه العلوم حتى يتسنى لنا ايجاد الشروط اللازمة للانتاج المبدع والاضافة النوعية في هذه العلوم اذ بدون توفر تلك الشروط لن نستطيع توطين العلم والتكنولوجيا في تربتنا اليمنية ومالم نحقق مجتمعية العلم والتكنولوجيا فسنظل مستهلكين للحضارة لا صانعين لها . . وبدون توفر كل هذه الشروط المجتمعية ما اظن ان البحث العلمي والابداع التكنولوجي سيعرف تطورا ، او بالاحرى ، انطلاقة فعلية وخاصة على مستوى المشاركة الفعالة في كل خطة تنموية هادفة الى انعتاق الانسان وتحرر المجتمع من قيود الانحطاط . فاذا كان المراد لنتائج البحث العلمي ان تسخر لخدمة التحول الاجتماعي في اليمن فلابد لنا جميعا من ردم الهوة التي تفصل بين الشعارات التي رفعناها كدلالة على فهمنا للواقع اليمني وبين الممارسة التي تبرهن يوما بعد يوم على جهلنا ابسط خصائص ومقومات الواقع اليمني ، ان مسيرة تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في مجتمع ما لايمكنها ان تنطلق مالم تستكمل الشروط المجتمعية الضرورية لانطلاقها وعلى هدى فلسفة تنموية شمولية يتم بناء عليها نهج السياسات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية والاعلامية المؤدية الى نهضة شاملة بما فيها النهضة العلمية والتكنولوجية التي يطمح اليها ذلك المجتمع .

يتبع ـ الحلقة الثالثة في العدد القادم

الهوامش والمراجع:

١٢٦ ـ د. عبدالله صالح بابقي ، واقع البحث العلمي وآفاقه بجامعة صنعاء ، ورقة عمل مقدمة الى ندوة البحث العلمي المنعقدة في جامعة صنعاء ٨٨ ـ ١٩٨٩م ص ١ ـ ٢

١٢٧ ـ د. أبوبكر القربي ود. موسى الصفدي ، دليل النهضة العلمية في اليمن ، مركز الدراسات والبحوث اليمنية ، عدد ٦ ، ٧ ، ١٩٨٢م ، ص ١١٧ .

١٢٨ ـ ينوي الباحث مستقبلا القيام بدراسة حول (دور جامعة صنعاء في تأسيس البحث العلمي في اليمن) اذا توفرت مقومات تلك الدراسة .

١٢٩ ـ د. أبوبكر القربي ، د. موسى الصفدي ، دور الجامعة في المجتمع المحلي ، مرجع سابق ، ص ٤٣٤ .

١٣٠ ـ المصدر نفسه .

١٣١ ـ د . محمد أحمد علي ، التطور التشريعي لحرية التعبير والمعرفة في الجمهورية العربية اليمنية ، دراسات يمنية ، العدد ٢٨ ، ابريل ـ مايو ١٩٧٨م ، ص ٤٦

١٣٢ ـ الميثاق المقدس ١٩٤٨م.

١٣٣ ـ الدستور الدائم ١٩٦٤م

١٣٤ ـ المصدر نفسه.

١٣٥ ـ الدستور الصادر عن مؤتمر خمر عام ١٩٦٥م

١٣٦ ـ الدستور الدائم ١٩٧٠م

١٣٧ ـ الميثاق الوطني ١٩٨٢م

١٣٨ ـ أنظر نص تعقيب مجلس الشورى على بيان الحكومة ، الجلسة الاستثنائية المنعقدة يوم الأحد ١٦/أكتوبر ١٩٨٨م

١٣٩ ـ المصدر نفسه.

١٤٠ ـ إتفاقية مجلس التعاون العربي ١٩٨٩

١٤١ ـ فلاديمير كورغانوف ، مناهج البحث العلمي ، ترجمة د. علي مقلد ، دار الحداثة ، بيروت بدون ، ص ٥

١٤٢ ـ لاتحتوي الخطط الخمسية الثلاث على أية تفاصيل فيما يتعلق بالاتفاق على البحث العلمي والابداع التكنولوجي في الجمهورية العربية اليمنية

١٤٣ ـ د . فلاديمير كورغانوف ، مرجع سابق ، ص ١٤

١٤٤ ـ من خلال قراءتنا لمقالة كتبها د . احمد قائد الصائدي عميد الدراسات العليا بجامعة صنعاء (بعنوان : لماذا ندوة البحث العلمي)؟، في صحيفة الثورة ـ يوم السبت ١٩٨٩/١/٧م ، نلمس حقيقة مفجعة وهي اننا لازلنا في اليمن بحاجة الى تبرير قيمة وأهمية البحث العلمي، والدعوة الى تقدير الباحث واحترامه ، وان دل هذا على شيء فإنما يدل على ان دعم المجتمع اليمني للبحث العلمي لازال في بداية البداية

١٤٥ـ د . عبدالرحمن عدس، الجامعة والبحث العلمي ـ دراسة في الواقع والتوجهات المستقبلية ، مرجع سابق ، ص ٣٥٣.

١٤٦ ـ عبدالصمد القليسي ، أين البحاثة والدارسون؟ ، دراسات يمنية، عدد ١٣ ، سبتمبر ١٩٨٣م مركز الدراسات والبحوث اليمنية ، ص ٦

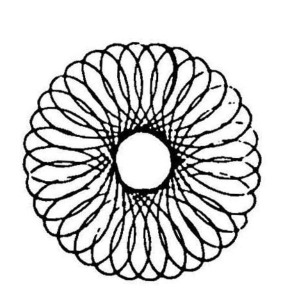
١٤٧ ـ د . عبده علي عثمان ، التربية والتغيير الاجتماعي ، الغد ، العدد الثاني ، ١٩٧٧م ص ٧

١٤٨ ـ عبدالصمد القليسي المرجع السابق.

١٤٩ ـ د . عصام النقيب ، دور العلم في التنمية والتغيير في الوطن العربي : أفكار اولية ، مرجع سابق ، ص ٨٢

١٥٠ ـ المصدر نفسه ، ص ٨٣

١٥١ ـ ندوة البحث العلمي ـ المنعقدة في عمادة الدراسات العليا جامعة صنعاء في الفترة من الى



قراءة في كتاب :
التقليدية والحداثة في النظام القانوني اليمني

دراسة مقارنة للدكتور / رشاد العليمي
عرض / محمد لطف غالب

هذا الكتاب هو بحث علمي تقدم به الباحث لنيل درجة الدكتوراه من قسم الاجتماع بكلية الاداب جامعة عين شمس بعنوان « انماط التفاعل بين النظم التقليدية والحديثة » (دراسة لبعض النظم الاجتماعية في المجتمع اليمني» وتم تغيير العنوان تأكيدا لخصوصية الدراسة . . » وقد صدر الكتاب في طبعته الاولى بالصورة التي قدم بها الى لجنة المناقشة مع اضافة الملاحظات القيمة للجنة المناقشة ، والتي اوصت بطبع هذا البحث وتبادله .

ويحتوي الكتاب على مقدمة وثلاثة ابواب ويضم كل باب عددا من الفصول ، ثم خاتمة الكتاب والملاحق .

وكان الباحث الدكتور رشاد العليمي قد تناول في بحث سابق بعنوان «القضاء القبلي في المجتمع اليمني» نال فيه درجة الماجستير من نفس الجامعة وصدر في كتاب ، درس فيه (القضاء القبلي . . نشأته ومصادره وبناه وتأثيره وكذا التداخل بين القضاء العرفي والقضاء الرسمي واشكال العلاقة بين النظامين القضائيين الرسمي والعرفي ثم الاجراءات المتبعة اثناء مراحل المحاكمة من بداية رفع الدعوى وحتى بعد اصدار الحكم ودرجات التقاضي والاسلوب المتبع في كل درجة من درجات القضاء العرفي وابرز الباحث العوامل التي تجعل افراد المجتمع اليمني اكثر رحيلاً الى العرف «القضاء القبلي» وترك اللجوء الى القضاء الرسمي ثم بين مميزات وعيوب كل من القضاء الرسمي والعرفي .

وفي هذه الدراسة «التقليدية والحداثة في النظام القانوني اليمني» فقد تناول الباحث بالدراسة والمقارنة النظام القانوني في المجتمع اليمني والخطوات التي اتبعت لتحديث حهاز القضاء والمعوقات التي عرقلت مسيرة تحديثه في السنوات الاخيرة رغم «أن ظاهرة التحديث في المجتمع اليمني بدأت بعد الحرب العالمية الثانية بدخول اليمن خلال هذه الفترة التاريخية في علاقات مع مراكز الحضارة الغربية الحديثة وتعاظمت هذه العلاقات بقيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م والتي كانت من بين اهدافها تحديث المجتمع اليمني وتغيير بناه تغييرا شاملا الى الافضل بما فيها النظام القانوني ولكن رغم كل المحاولات فقد «ظلت مشكلة تحديث النظم القانونية في المجتمع اليمني كامنة في ذلك الموروث التاريخي الذي ساد قبل قيام الثورة المباركة ، وعدم تجاوزه مما أعاق اي خطوة لتحديث النظام القانوني اليمني .

وتقدم هذه الدراسة الصورة الحقيقية عن نمط التفاعل والعلاقة بين القديم والحديث داخل النظام القانوني ومؤسساته العامة ، ثم معرفة العوامل التي اعاقته عن مواكبة التطور العام ، والعوامل التي افرزت التعددية القانونية في المجتمع وابعادها الثقافية والاجتماعية والتنظيمية . ثم الأساليب المتبعة في كلا النظامين القضائيين التقليدي والرسمي والحديث الرسمي ، والمتغيرات التي تدعم كل نظام على حده ، وماهي المتغيرات التي ستؤدي الى استمرار احدهما على حساب الاخر ، والى اي مدى ستؤدي قضية المزج بين عناصر التحديث والتقليد الى نشوء نظام يختلف عنهما ويستوعب الواقع المتغير . . ومن هنا تعد هذه الدراسة اهم دراسة تناولت بالبحث والتحليل النظام القانوني في بلادنا .

وقد اوضح الباحث في المقدمة موضوع هذه الدراسة مشيرا الى انها ستقتصر على النظم الفرعية بشكليها التقليدي والحديث في النظام القانوني في المجتمع اليمني وبين هذه النظم وهي :-

١ - التشريع
٢ - النظم القضائية
٣ - المؤسسات التعليمية القانونية
٤ - النظم العقابية
٥ - الانماط الانحرافية للسلوك الاجتماعي

وقد درس الباحث هذه النظم في اطار الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي التي تؤدي هذه النظم وظائفها في حدوده ، وتم اختيار النظام القانوني بانساقه الفرعية كنموذج للدراسة من بين النظم من بين النظم الاجتماعية اليمنية المختلفة لاسباب يعتقد في رجاحتها:

١ - تماسك النظام القانوني وقدرته على الاستمرار ، رغم التغير الاجتماعي الذي شمل الكثير من نظم المجتمع ومعاييره .

٢ - باعتبار النظام القانوني احد المحاور الهامة التي ارتكزت عليه النظم السياسية قبل عام ٦٢ ، بل مثل الوظيفة الرئيسية لتلك النظم ، وقد ترتبت على ذلك انشاء العديد من المدارس ، كانت مهمتها الاساسية اعداد عناصر للعمل في جهاز القضاء بشكل خاص .

٣ - ان دراسة النظام القانوني في مقاومته لعناصر التحديث تمثل اهمية خاصة ، فلا زال هذا النظام يحتوي تفاعلا بين الانماط التقليدية والحديثة وبصورة تجعل من الدراسة لهذا التفاعل ان لم نقل الصراع ، اكثر فائدة لهذا البحث واكثر تجسيدا لمعرفة اشكال التفاعل بين القديم والحديث كما ان هذا النظام قد احتوى في اطاره حلولا توفيقية تعبر عن الاتجاهات العامة داخل المجتمع .

كما يوضح المفاهيم الاساسية التي سترد خلال الدراسة وهي :-

١ - النظم الاجتماعية :- هي مجموعة الاجراءات الجمعية التي تواجه انحرافات الاعضاء ، بدرجة مختلفة من القسوة والصرامة ، وتتعدد النظم بتعدد الانماط والاهداف والوظائف والوظائف فهناك النظم السياسية والقانونية والاقتصادية باعتبارها تشكل وحدات البناء الاجتماعي والاجزاء المكونة له .

٢ - التقليد ، التقليدية : اورد تعريفين لهما ليميز بينهما وبين التحديث ، التقليد : مجموعة التقاليد والممارسات الموروثة والتي قد تكون عرضة للتغير .

التقليدية : تعني تمجيد التقاليد والممارسات الموروثة كشيء ثابت غير قابل للتغير . فالتقليدية بهذا المعنى هي التميز العاطفي والولاء المتزايد للتراث الثقافي حيث تكتسب الثقافة الموروثة مكانة خاصة في المجتمع وفي توجيه سلوك الافراد . .

وهذا المفهوم يشير الى الافكار والقيم والمعايير ونماذج السلوك القديمة ، والنظم المرتبطة بالماضي والتي تتميز بنوع من الثبات النسبي ويتم توارثها من جيل الى جيل مما يعكس تقديرا واحتراما لها .

٣ - التحديث الحداثة : اصبح التحديث شعارا او هدفا تسعى الى تحقيقه الدول النامية ، ويستخدم للاشارة الى الجهود التي تبذل من اجل تحويل المجتمعات التقليدية الى واقع حديث . . فمصطلح التحديث يشير الى انتقال المجتمع من مجتمع ماقبل الصناعة الى انماط تكنولوجية . . ومفهوم الحداثة والتحديث في هذا البحث يشير الى الافكار والمعايير والقيم والمؤسسات ونماذج السلوك الجديدة الوافدة الى المجتمع من الخارج او تلك التي ابتكرها من خلال حركة تجديد واحياء داخلي .

٤ - الضبط الاجتماعي هو السيطرة المقصودة التي تؤدي وظيفة معينة في المجتمع وفي هذا السياق يعني به في هذا البحث تلك الوسائل الاجتماعية او الثقافية التي يفرض المجتمع عن طريقها قيودا منظمة ومنسقة نسبيا على السلوك الفردي بهدف التوصل الى مسايرة العقل لانماط السلوك والمعايير والقيم الاجتماعية السائدة .

والضبط الاجتماعي بهذا المعنى قد يكون رسميا او غير رسمي ، فالرسمي انساق السلطة والقوانين القواعد واللوائح التنظيمية التي تحدد الثواب والعقاب ، بالاضافة الى القيم الدينية المنظمة للسلوك . . التي يدعمها الجهاز الرسمي احيانا .

اما الضبط الاجتماعي غير الرسمي فله صور مختلفة خاصة في المجتمعات التقليدية حيث تشكل

العادات والتقاليد العرفية اهم وسائل الضبط الاجتماعي

٥ ـ النظام القانوني : ويعني في هذا البحث هو مجموعة العناصر التي يتكون منها هذا النظام ، وهذه العناصر هي :-

أ ـ القانون : ويتضمن القواعد الصريحة التي تحدد السلوك المرغوب .

ب ـ المحاكم : وتمثل الاجراءات التي تستخدم في حل المنازعات ومواجهة مواقف الخروج عن القانون .

ج ـ التشريع : ويمثل الاجراءات التي تسن بها قوانين جديدة او يتم بها تغيير قوانين قديمة .

د ـ الشرطة : وتمثل الاجراءات التي تستخدم لتنفيذ احكام القانون .

٦ ـ التعددية القانونية : مصطلح يعني به تعدد نظم التنظيم الاجتماعي النافذة وسط الجماعات الاجتماعية الفرعية .

ويشمل هذا التعدد ، تعدد النظم سواء كانت رسمية ، صادرة بواسطة اجهزة الدولة ، او غير رسمية نافذة فعلا في المجتمع .

والتعريف الاتفاقي للتعدد القانوني الذي يشير اليه هذا البحث يميز بين :-

أ ـ التعدد القانوني الرسمي وله جانبان :

١ ـ تواجد انظمة قانونية رسمية متعددة كمظهر للجمود القانوني .

٢ ـ تواجد انظمة قانونية رسمية في مراحل تاريخية معينة استجابة للتغير الاجتماعي .

ب ـ التعدد القانوني الواقعي : ونعني به وجود جماعات فرعية داخل المجتمع لها نظمها القانونية المتميزة عن النظام القانوني الرسمي .

ثم يشير الى أهداف البحث واهمها معرفة طبيعة العلاقة بين الاشكال والنظم الاجتماعية والثقافية التقليدية والحديثة في المجتمع اليمني .

وكذا مجالات البحث :

المجال المكاني : الجمهورية العربية اليمنية

المجال الزمني : الفترة من عام ١٩٦٢م ـ ١٩٨٥م مع عدم تجاهل الفترة السابقة لهذا المجال الزمني خاصة مايفيد البحث ويساعد على تحقيق أهدافه .

ويذكر المصادر وادوات جمع البيانات التي اعتمد عليها في اعداد هذه الدراسة وهي :

١ ـ الكتب والوثائق التاريخية والتشريعات والنشرات والابحاث المتعلقة بموضوع الدراسة .

٢ ـ الاحصائيات المتعلقة بموضوع الدراسة .

٣ ـ المقابلات والاخباريون : تم الاستفادة من المقابلات المفتوحة الفردية والجماعية لكثير من الافراد كما استعان الباحث ببعض الاخباريين خاصة العاملين في القضاء واجهزة الضبط الاجتماعي .

٤ ـ دراسة الحالة . :

تم اختيار عشر حالات منها خمس مائة من رجال القضاء التقليدي والخمس الاخرى من رجال القضاء الحديث وتم اختيار تلك الحالات ودراستها طبقا للمعايير التي وضعها الباحث . . بعد هذه المقدمة نأتى الى الباب الاول :-

الباب الاول :
التحديث واشكالية الاصالة في العالم العربي
(البحث عن اطار تصوري)

اشار في التمهيد الى ان المجتمع العربي بدأ فيه التحديث سواء بالفرض او بالاختيار بدافع تحديث المجتمع واللحاق بالغرب عن طريق استعارة انظمته وخططه الاقتصادية والاجتماعية الا ان فشل هذه الخطط وما ترتب على التحديث من تداخل بين اشكال ونظم تقليدية واخرى حديثة وما ترتب على الاندماج بالنظام العالمي من تبعية للمجتمعات الغربية كل ذلك ادى الى خيبة امل بجدوى الاستمرار في الاعتماد على خطط التنمية القائمة على مفاهيم نظرية التحديث الغربية .

وقد ادى الفشل في تحديث الواقع العربي وقضية التداخل بين الانماط التقليدية والحديثة الى طرح بدائل ابرزها مفهوم الاصالة والمعاصرة حيث يرى اصحاب هذا البديل ان قضية التخلي عن التراث على حساب الوافد قد ادى الى فشل تلك الخطط الاقتصادية والاجتماعية وبالتالي فان القضية هي قضية الانطلاق

من التراث نحو المستقبل ، بل يرون ضرورة الاعتماد على التراث كاطار مرجعي في تعاملنا مع الحضارة الغربية الحديثة .

وقد تناول في هذا الباب ثلاثة فصول عرض فيها لمفاهيم نظرية التحديث من خلال نقد التطبيق الجزئي لها في العالم العربي ،ثم مفهوم التبعية الاقتصادية والثقافية الذي ادى اليه التحديث ، وفي الفصل الثاني تناول اشكالية الاصالة والمعاصرة من خلال العرض للجذور التاريخية لهذه القضية في العالم العربي ، والاتجاهات الفكرية التي برزت من خلال التفاعل بين الحضارة الغربية والموروث الثقافي والاجتماعي في العالم العربي .

وفي الفصل الثالث عرض لقضية تحديث النظم القانونية في العالم العربي وكيف ساد هذا التحديث وما هي اوجه التفاعل بين النظم القانونية القديمة والحديثة على المستويين التشريعي والتنظيمي .

الفصل الاول
التحديث وقضية التبعية

اورد في هذا الفصل مفهوم التحديث باعتباره استعداد وتهيؤ الفرد في المجتمع للتغير وما يصاحبه من حركة افراد ومجموعات على محور ثقافي في مرحلة او حالة تعرف القيم الثقافية المحلية .

كما اشار الى انماط التحديث المختلفة ثم تناول التحديث وقضية التنمية في العالم العربي والتطبيق الجزئي لذلك - وناقش ايضا قضية التبعية من خلال استعراض الجوانب التي اشتملت على نقد نظرية التحديث وكذا مناقشة قضية التبعية في العالم العربي والافكار والقضايا المتعلقة بها .

الفصل الثاني
الاصالة والمعاصرة
مفهوم التفاعل بين القديم والحديث

تناول في هذا الفصل مفهوم الاصالة والمعاصرة في العالم العربي من خلال محاولة تتبع هذا المفهوم تاريخيا وظهوره في لحظة تاريخية كبديل موضوعي لنظرية التحديث الغربية والمفاهيم التبعية ، وكيف انه اختلف مع مفهوم التبعية حول التراث وكيفية التعامل معه ، واتفق معه في فكرة الاستقلال الاقتصادي .

الفصل الثالث
التقليدية والحداثة في النظم القانونية العربية

وقد تضمن هذا الفصل مناقشة موضوع تحديث النظم القانونية في العالم العربي منذ سقوط الدولة العثمانية .

وقد تم اختيار بعض النظم القانونية كنموذج لذلك التحديث ومناقشة اوجه التفاعل بين النظم القديمة والحديثة على المستويين التشريعي والتنظيمي ، وابراز قضية التعددية في النظم القانونية والعوامل التي افرزت تلك التعددية .

واشار الى ان المجتمع العربي قبل التحديث اتسم بالاتساق الداخلي بين مؤسساته فكان هناك الوالي والقاضي وقاضي القضاه الخليفة كما كان هناك الاعيان والاشراف والطوائف . اما بعد التحديث فان هذا البناء الاجتماعي قد افتقد ذلك الاتساق الداخلي الامر الذي ادى الى ضعف المؤسسات وعدم استقرارها .

واضاف انه لابد من الاشارة ا لى ان الاقطار العربية كانت جزءا من الامبراطورية العثمانية التي طال التحديث جزءا بسيطا منها ، وفق مشروع استعماري غربي ، فلم يرتبط ذلك التحديث بالنظام الفكري السائد كما لم يرتبط بصلة تفاعلية مع النظم والمؤسسات القائمة ، بل على اساس النظرة الى القديم على انه عقبة يجب تجاوزه .

ولم يفرز ذلك التحديث نتائج كالتي شهدتها اوروبا كاحترام حقوق الانسان والمساواة امام القانون ، كما لم يؤد الى خلق تطور حقيقي في مجال السياسة

والتشريع والقضاء ولم يستوعب التطورات الاجتماعية والاقتصادية الحديثة .

فقد ظل النظام القانوني والقضائي بشكله السائد في فترة ماقبل الاتراك ولم يطرأ عليه اي تغيير سوى تعدد القضاة بتعدد المذاهب . . واختصت الاستانة (عاصمة الدولة) بتعيين القضاة في كل الولايات العثمانية ولحق نظام القضاء الاضطراب والفساد نظرا لبيع وظائفه اذ كان قاضي القضاة الذي يعينه الباب العالي معينة يدفع مبلغا من المال لشيخ الاسلام بالاستانة حتى يتم تعيينه ، وترتب على ذلك خلو مناصب القضاة من العناصر المؤهلة والمدركة للقضاء والشريعة الاسلامية .

كما ظل ضغط الفساد الداخلي في اضطراب التشريع وخضوعه لهوى القضاة من جهة والضغط الخارجي المتمثل في محاولة تقويض الدولة العثمانية واقتسامها من قبل الدول الاستعمارية الاوروبية .

وقد ادى ذلك الى تأثر الاقطار ال بية بالتطورات التي حدثت والتعلم من التفوق الغربي . وكان قيام المؤسسات الحديثة جنبا الى جنب مع المؤسسات القديمة .

ويشير الى واقع المؤسسات في مصر والسودان ومصر بعد خروج الاتراك وخضوع هذه الاقطار للاستعمار الغربي . . وكيف ادى ذلك الى وجود تعددية قانونية لازالت آثارها قائمة .

[يتبع]



الأمن الاجتماعي والثأر

د/حسني الجندي

أستاذ القانون الجنائي - جامعة صنعاء

تمهيد :-

نشأ الانسان - منذ بدء الخليقة - وحيدا منعزلا وسط كون هائل عظيم لايدرك مداه ، غامض لم يتمكن - رغم هبة العقل التي انعم الله بها عليه - من سبر اغواره رهيب يشعر - نتيجة تكوينه - بالضآلة فيه ، شديد التعقيد يعجز - رغم مابذله من جهد - عن حصاد المخلوقات التي تعيش عليه .

ولم يكن في مقدور الانسان البقاء على هذه الحالة من العزلة ، فمنذ أدرك معنى وجوده على هذه الارض ، تولد لديه هاجس الخوف والحذر مما يحيط به من طبيعة وكائنات لجهله بها: فقد ولد في بيئة طبيعية فرضت عليه ، وبين مجتمع إنساني يجهل خيره من شره ، كما يجهل طبائع وتطلعات افراده . ولذلك سرعان ما استبان له أنه لايقوى على العيش وحده ، فمضى خطوة بحثا عن أقرانه من بني الانسان، مؤمنا بضرورة التجمع مع غيره من بني البشر للوصول الى ادراك هذا الكون الرهيب ومواجهة تحدياته ورصد الواقع واستقصاء احداثه ، وهكذا اصبح الانسان يملك عالمين: ذاته الخاصة ، والبيئة التي يعيش فيها ..

وعندئذ وجد الانسان نفسه بين نزعتين متعارضتين : النزعة الاولى فردية تجعل من نفسه محورا لكل اهتماماته وتطلعاته فتنطلق منها النزعات الاخرى.

والنزعة الثانية. اجتماعية. تحمله على الاندماج والتجانس مع أبناء جنسه وتفرض عليه واجبات والتزامات نحو اقرانه ونحو نفسه كي تستقيم حياته داخل الجماعة ، ولكي يتحقق ذلك يكون من الضروري ان يقوم الانسان باجراء عملية موازنة بين نزعاته حتى يتوصل الى تحقيق توازنه النفسي والاجتماعي، ويحقق بالتالي التوازن الاجتماعي ككل

وقد أقترن ذلك بشعور اساسي لدى الانسان يكمن في رغبة أكيدة وملحة في الامن : أمنه على نفسه وذويه وما ملكت يداه وكل ماشكل ركنا من اركان وجوده الانساني والاجتماعي وهذا هو (الامن الاجتماعي) ، الامن الشامل للانسان ومجتمعه في كل مقوماتهما .

الانسان والامن الاجتماعي :-

متى كان الانسان يعيش في مجتمع مكون من أمثاله من البشر ، فان ذلك يفرض عليه متطلبات والتزامات معينة في مواجهة غيره من الناس وفي مواجهة المجتمع الذي يعيش فيه .

والمجتمع الانساني نظام ، وكل نظام يخضع في عمله وكيانه لقوانين تنظمه وتحكم سيره وتحركه ، وتفترض عملية التنظيم هذه وجود قواعد وأنظمة تحدد الاطار الذي يتحرك فيه الفرد ويعمل داخل مجتمعه بطريقة تحفظ له حريته دون المساس بحريات وحقوق الاخرين ، وهذا يفرض الالتقاء حول من اوكل اليهم المجتمع مهمة السهر على أمنه ورفاهيته من أجل تامين سلامة الحياة الاجتماعية وصيانتها من كل عبث او خلل يمكن ان يعتريها .

والتزام المجتمع المنظم بتوفير الامن الاجتماعي لافراده لايمكن ان يتحقق الا بمساهمة هؤلاء الافراد في تحقيقه . فالامن الاجتماعي هو عملية مشتركة بين أبناء المجتمع الواحد والمسئولين عنه، أي بالتعاون بين الشعب والسلطة ، ويتطلب ذلك إيقاظ الحس الاجتماعي لدى افراد الشعب ليلتقوا حول المبادىء الاساسية التي ترعى الحياة الاجتماعية وتجمع المواطنين

ضمن مجتمع تنصهر فيه المصالح الخاصة فيدرك كل فرد مسئوليته نحو نفسه ونحو غيره ، ويبادر الى ممارسة دوره الاجتماعي - فتلتقي الارادات الخيرة والبناءه حوله أهداف عليا تنهض بالفرد وتوفر الامن الاجتماعي والرفاهية ضمن مجتمع سليم البنية .

كل ذلك يساعد على تكوين ضمير اجتماعي منفصل عن ضمير كل فرد ، هو المهيمن على ضمائر الافراد الذين يتكون منهم المجتمع ، وبقدر مايكون الضمير الفردي - اي الشخص نفسه - مستعدا للتوافق والتجاوب مع مايفرضه عليه الضمير الجماعي من قيم ومبادىء بقدر مايتحقق الانسجام والتناسق بين الانسان ومجتمعه ، ويؤدي الى استتباب الامن الاجتماعي واستقراره . .

فالامن الاجتماعي الذي ينشده الانسان ماهو إلا سوى حصيلة مايوفره ادراكه لشروط الحياة المستقرة الآمنة تحصينا له مما يمكن ان يهدد نمو شخصيته وتكاملها مع المجتمع .

والمجتمع الانساني شأنه شأن الانسان يكون معرضا للتغير والتطور ، وهو في ذلك يتأثر بالمؤثرات الداخلية والخارجية التي تهب عليه او يتعرض لها ، وقد يتفاعل معها فيتولد عن هذا التفاعل وجود مفاهيم جديدة بعضها متوافق مع ضرورات صيانة المجتمع والبعض الاخر متنافر ومتعارض معه ، ويقتضي ذلك إظهار مدى ماتحتويه هذه المؤثرات من ظواهر إيجابية وسلبية ، وما تحمله من عوامل هدم وبناء بقصد التعرف عليها والابقاء على مايساعد على نمو الحياة الاجتماعية والاقتصادية منها والتخلص مما يضر بسلامة هذا المجتمع . فالمجتمع الآمن والمستقر يقوم على توفير الوجود المستقر لاعضائه كي يتسنى لهم اداء رسالتهم وهم آمنون على انفسهم واموالهم متمتعون بالحرية العاقلة والمتزنة بخير الجميع .

مفهوم الامن الاجتماعي :-

يأخذ الامن الاجتماعي مفهومين :-

الاول : - مفهوم عام : يشمل كل نواحي حياة الانسان المعاصر من اجتماعية واقتصادية وأمنية ، أي كل ماينتظم به أمور حياته .

الثاني : - مفهوم خاص : ويقصد به أمن المواطن على حياته وماله وذويه وما يضمن له إحترام حرياته وحقوقه الفردية والعامة ، وباختصار يشمل الامن الاجتماعي كل مايضمن حياة المواطن في المجتمع دون خوف من اعتداء او سطو أو قتل او إيذاء . . . . الخ .

ويرتبط بذلك ضرورة المحافظة على المجتمع من الانحراف والاجرام ، وما يوفره ذلك من دعائم السياسة الوقائية والتنموية . .

ولكي يحافظ المجتمع على بقائه ونمائه يتعين عليه التخلص من المظاهر العدوانية الكامنة بين افراده او التقليل من تأثيرها - بقدر الامكان - على بنيان هذا المجتمع وسلامته عن طريق التصدي لهذه الظواهر ومعرفة طبيعتها ومصادرها المختلفة والعوامل التي تساعد على اندفاعها وانتشارها بغرض السيطرة عليها ومعالجتها . .

وتحقيق الامن الاجتماعي يفترض الوقوف على مقوماته وسبل الوصول الى اهدافه فتطور المجتمع كان رهنا دائما بمعرفته بدقائق البنية التي تقوم عليها حياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والاخلاقية .

مقومات الامن الاجتماعي :-

لايخلو أي مجتمع من وجود بعض الظواهر التي تحول - احيانا - بين تحقيق الامن الاجتماعي أو تعوق الوصول به الى غايته النهائية .

وتعتبر الجريمة والانحراف عاملين أساسيين يهددان كيان الفرد والمجتمع ، فيتولد عن ذلك زعزعة الثقة بين الافراد وزرع بذور الشقاق والاقتتال بين بعضهم البعض ، فتنشاء العداوة والكراهية تجاه الغير وعدم الثقة به والحذر منه مما يتسبب في قطع اواصر الاخوة التي يجب ان تربط بين أبناء المجتمع الواحد ، علاوة على ذلك فأن الاضطراب الذي تحدثه الجريمة يزعزع الثقة في السلطه فتفقد هيبتها واحترامها وفعاليتها .

وتحقيق الامن الاجتماعي يتطلب تصديا مزدوجا - القضاء على كل مايمس كيان البنية الاجتماعية ككل ، ومكافحة ظاهرة الاجرام والانحراف

وقد ازداد الاهتمام في البلاد العربية بمشكلة

الجريمة والانحراف لدراسة ابعاد المشكلة ومحاولة تحديد العوامل التي قد تؤثر في ارتفاع معدلاتها وكيفية الوقاية منها وأساليب مكافحتها . فالجريمة ليست عرضا مؤقتا او تورما سطحيا يتم ازالته بسهولة . بل انها تمثل مشكلة تثير القلق بين الناس وتزيد من توترهم بسبب الافتقار الى الشعور بالامن (١) وقد يشير إرتفاع معدلات الجريمة في الأونة الاخيرة في مجتمعاتنا العربية الى نوع من الوهن في العلاقات والنظم الاجتماعية . الامر الذي يجعل من غير المجدي مكافحه هذه المشكلة على مستوى الافراد ، بل لابد من المواجهة الشاملة للعوامل الاساسية التي تنشط من حدوث الجرائم وزيادتها ، بغية الاحاطة بمعالمها والتصدي لها بالوسائل الناجحة (٢) .

ولا شك ان الاعتداء على حياة الانسان يشكل ذروة الاجرام والاستخفاف من المعتدين بحياة الآخرين ، وبما يفرضه عليه الاسلام من قدسية واحترام لحقوق الافراد ، وعلى وجه الخصوص «الحق في الحياة» وهو مايعبر عنه القرآن الكريم في قول الله عز وجل «من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ، ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا» (٣)

وتعد ظاهرة (الثأر) من أهم واخطر المشكلات التي تعاني منها كثير من المجتمعات سواء في ذلك المجتمعات الشرقية او الغربية ، ومن بينها جمهورية مصر العربية والجمهورية العربية اليمنية . فجرائم القتل والشروع فيه بدافع الاخذ بالثار تمثل أعلى نسبة من مجموع جرائم القتل عموما (٤) .

تنشأ ظاهرة (الاخذ بالثأر) وتصبح امرا واقعا وملموسا يبث الرعب في القلوب وينشر الحزن على كل من الطرفين المتخاصمين . لسعي كل طرف منهم الى الاخذ بالثار لاسباب غالبا ماتكون تافهة او بسيطة او لإشكال عادي قد لايستغرق حله وقتا او جهودا يذكر :

- نزاع بسيط بين شخصين يبدأ بمشادة كلامية ، فعتاب عنيف يتحول الى تماسك واشتباك ثم ينقلب الى تدخل الرجال باي شيء والتحام بالاسلحة . حينئذ يبدأ تساقط القتلى ويزداد عددهم بحيث يصبح الامر كما لو كانت حالة حرب ، تخرج ابنائها كالبلاغات العسكرية . هكذا تنشأ الظاهرة وهكذا تستمر

الاصـول التـأريخية لظاهـرة الثـأر في المجتمعات العربية :-

يثور التساؤل هنا بشأن ظاهرة (الاخذ بالثأر) هل هي نظام أصيل في المجتمعات العربية؟ ام نظام وافد عليها من الخارج؟؟

المتتبع لتاريخ العرب قبل الاسلام وبعده يجد ان (الثار) عادة أصيلة عند العرب كانوا يمارسونها في جاهليتهم ، وظلت عندهم حتى بعد الاسلام وقد بلغ من اهتمام العرب للاخذ بالثار وتمسكهم به انهم أعتبروه واجبا مقدسا يقع عبئه على كاهل الاهل وبخاصة الاهل المقربين منهم . كما أعتبروا ان من العار على الشخص ان يقصر او يهمل في هذا الواجب ويترك دم قريبه مهدرا بغير ثار .

وتعطي الظروف البيئية والاقتصادية فهما افضل لدراسة هذه الظاهرة اذ يتبين منها ان الثار يرتبط بنفس التنظيم القبلي الذي يقوم أساسا على العصبية للاهل وللعشيرة وللقبيلة والذي يفترض وفاء الفرد للجماعة القرابية التي ينتمي اليها والتي يستمد كل كيانه ومقوماته منها .

فقد كان الفرد متعصبا لقبيلته في البادية والحاضرة وكانت القبيلة شديدة التعصب لافرادها كما كان العرب في الجاهلية يعتبرون القبيلة هي المرجع الاساسي الذي يرجعون اليه في الدفاع عن حقوقهم والاستنصار على عدوهم والتعاون على اعداء بني قبيلتهم سواء كان على حق او على باطل (٥) .

العوامل التي تساعد على وجود ظاهرة الثار واستمرارها :-

إذا أنتهينا الى ان ظاهرة (الاخذ بالثأر) هي عادة أصيلة في المجتمعات العربية فانه ينبغي ان لانغفل ابراز العوامل والظروف التي تساعد على وجود هذه الظاهرة واستمرارها وصبغها بالطابع المحلي الخاص ، فدراسة هذه العوامل يمكن ان يصل بنا الى فهم افضل لنظام (الاخذ بالثار) في المجتمع اليمني . سيما اذا كانت تلك العوامل تتسم بطابع الثبات وبكونها اقل

عرضـه للتغير من غيرهـا من النظم . بل وتؤثر تأثيرا واضحا في بقية النظم الاخرى وتشكلها وتطبعها بهذا الطابع المميز . .

ويمكن حصر عوامـل انتشار (ظاهرة الثار) في خمسة عوامل هي :-

١ - طبيعة الحياة.

٢ - نظام القرابة السائد

٣ - عدم تثبيت فكرة الدولة والسلطة المركزية لدى المواطن .

٤ - دور الدين.

٥ - السلاح الشخصي .

اولا : - طبيعة الحياة :-

وماتفرضه على سكان المجتمع من انماط سلوكية معينـة وانشـطة اجتـماعية محددة ومـا تهيئـه من فرص الاحتكاك والصدام .

فانقسام الاقليم الى عدد من مناطق النفوذ بين العائلات المختلفة يجعل من الصعب على غير افرادها الدخول فيها او الانضمام اليها الا اذا كانوا في علاقة تحالف معهم ، كما ان صغر وتشتت الملكية الزراعية وما يستتبعـه ذلـك من احتـمال تجاور ملكيات اشخاص ينتمون الى عائلات مختلفة يهيء فرصا اكثر للاحتكاك والصدام بين العائلات .

كما ان تكتل افراد العائلة او القبيلة يقوي من شدة الضبط الـداخـلي في العائلة عن طريق اخضاع جميع اعضائها لسلطات العائلة ككل ، مما يكفل عدم خروج اي منهم عن تقـاليد الاخـذ بالثار السـائدة في الـقـبيلة الـتي ينـتمي اليهـا . والتعـاون في الحياة الاقتصـادية والتسـاند وقت الشدة والازمات وبخاصة تلك التي تتعلق بارتكاب الجرائم ومعادات الجماعات الاخرى .

ثانيا: نظام القرابة السائد :-

يثـور التسـاؤل التـالي : الى اي حد يرتبط هذا النظام بوجود ظاهرة (الاخذ بالثار) .

يتمثل هذا النظام في وحدة القبيلة وانحدار جميع افرادها من جد واحد هو اصل القبيلة التي تحمل اسمه ، والانتـماء الى عائلة او قبيلة معينة كثيرا مايكون هو عامـل التفـاخـر في المجتمـع ، ولـذلـك نجد الافراد يحتفـظون بانسـابهم ويعـرفـون كل دقـائقها وتفرعاتها وتفاصيلها . . كما ان الانتماء الى قبيلة او عائلة واحدة يفـرض على جميع افـرادها حقوقا وواجبات معينة ازاء بعضهم بعضا ، ولابد ان تؤدى هذه الواجبات حين تستدعي الحاجة اليها .

ومن الخارج تكون العائلة وحدة كلية متضامنة بغض النظر عما فيها من انقسامات داخلية .

والانقسام الى العائلة يقوم من ناحية الذكور ، حيث تعتبر قيمة الذكر الاجتماعية اعلى من قيمة الانثى ، لانه هو الذي يضمن استمرار العائلة في الوجود . . ويعني ذلـك ان الانثى لاتلعب دورا أساسيا في نظام الثار من حيث الاشتراك الفعلي فيه ، وان كانت تحرص عليه وتشجعه فالذكور هم الأفراد الذين يتولون مهمة الاخذ بالثار .

ويظهر تأثير التفاوت في السن على نظام الثار ، ويبدو ذلك جليا في خضوع افراد العائلة لكبار السن منهم ولرؤساء البيوت وللعائلات الذين يكسبون مركزهم المتميز على اساس السن قبل اي عامل اخر . . فكلمة الرؤساء او الشيوخ فيهم هي القانون الذي يخضع له الجميع بالاضافة الى انهم المرجع الوحيد في المجتمع الذي يمكن الرجوع اليه في حالة الخصومة سواء داخل العائلة او بين العائلات المختلفة ، وهم ايضا الذين يرتبـون مسالة الاخذ بالثار ويعطون الأمر باستئناف القتال او وقفه ، بل انهم الذين يحددون شخص الفرد الذي يوكل اليه مهمة الاخذ بالثار ، ولا يمكن - في هذه الحالة - للشخص ان يرفض ذلك الامر ، وتظهر قيمـة كبـار السن ايضـا في ان الناس عندما يريدون الاخذ بثارهم فأنهم يحاولون النيل من غرمائهم من كبار السن فيهم حتى تكون الخسارة فيه اوقع وأفدح . . الا ان قتل احد كبار السن كثيرا مايثير الرغبة الجامحة في الانتقام بحيث تقوم العائلة بقتل أكثر من رجل للثار لشيخها .

ثالثـا : ـ عدم تثبيت فكـرة الـدولـة ، والسلطة المركزية لدى المواطن :ـ

تعتمد بعض المناطق في اليمن بالدرجة الاولى على سلطان الدولة في تنظيم علاقاتها ونظمها وفي حل نزاعاتها ومشاكلها المختلفة ، وعلى العكس نجد مناطق اخرى تتكـون معـظمها من وحدات اجتماعية قرابية وتخضـع في تقسيماتها الادارية والسياسية والاقتصادية لروابطها القرابية .

كما ان البنية القبلية في اليمن مازال لها تأثير كبير على سلوك المواطن ويدفعـه ذلك الى الصراع داخل نفسه بين الانتماء الى القبيلة والانتماء الى الدولة ، اي ان سلوك الانسان اليمني يكـون مطبوعا بنوع من الولاء المزدوج : الولاء للقبيلة والولاء للوطن وهو وان كان يعتبر الولاء للقبيلة جزء من الولاء للوطن ، الا ان النوع الاول بحسب المجـرى العـادي للامـور ـ مازال له الغلبـة (٦) . . ويتمثل ذلك في الحالة التي يقوم فيها النزاع بين القبيلة والدولة ، فان المواطن يترك الخدمة في الدولة وينظم الى قبيلته في الصراع ضد الحكومة ، بل ويعتبر ذلك التصرف قياما بواجبه نحو قبيلته وأقربائه دون ان يرى في ذلـك إخلالا او انتهاكا لواجبه نحو الدولة او ارتكاب مخالفة قانونية في حق الدولة والوطن (٧) .

وينفـرد المجتمـع اليمني حسب رأي البـاحث اليمني في هذا المجـال (٨) بمجموعـة من الاعراف القبلية لها سطوتها وقوتها على نفوس الافراد في المجتمع ، وذلك يجعلهم ميالون باستمرار ـ تحقيقا لمبدأ الدفاع عن النفس ـ الى التصرف المشـترك في مواجهـة اي نفوذ خارجي بما في ذلك رجال السلطة والقوانين التي تسنها ونبـذ اي قواعـد جديدة لم يجربوها او لم يتوارثوها عن أسلافهم ، وتظهر اهمية وسيطرة العرف في المجتمع الى النفور الذي يبديه الفرد من المحاكم الرسمية (٩) .

كما ان سلطة ونفوذ الـدولـة المـركـزية بالمعنى المعـروف لاوجـود لهما في المناطق القبلية فاعمال القتل والجريمة التي كانت ترتكب في المجتمع القبلي لاتثير اي رد فعل من قبل الحكومة او افراد المجتمع ككل ، وانما ياتي رد الفعـل فقط من قبـل الجـماعة القبلية القرابية والسياسية التي لحقها الاذي باعتبارها وحدها هي التي أصابها الضرر وهي التي يقع على عاتقها رد العدوان او القيام بالانتقـام او اخـذ التعويض حسب الموقف ، ولذلك كانت حالات الحرب والنزاعات والاقتتال شبه المستمر بين القبائل لاتدخل في نطاق الجريمة العامة (١٠)

رابعا : دور الدين :ـ

الـدين له أثـر كبـير في عملية الاخـذ بالثـار فالشخص الذي ينوي الاخذ بالثار يقدم على ذلك وهو ـ في قرارة نفسه ـ مقتنع تماما بانه على حق . . ويؤيده بالطبع كافة من حوله . اي ان المجتمع الذي يعيش فيه وينـادي بالثـار ويعضـد هذا الاقتنـاع اعتقـاده الخـاطىء بأنه دينه ، اي الدين الاسلامي يحث على ذلك اي على الاخذ بالثار مما يجعله بعد اتمام هذه المهمة مستريح النفس راضيا كل الـرضى هادىء البـال ، وغـالبا مايسلم نفسه لرجال السلطة ويعترف ويفتخر بانه قد قام بغسل العار لان العار كل العار في التغاضي عن الاخذ بالثار وصرف النظر عنه نهائيا . . فاذا كان هذا التغاضي مؤقتا والنية متجهة الى الاخذ بالثار فلا يهم بعد ذلك وقت التنفيذ ، وهذا الاعتقاد مبنى على جهل واساءة فهم المعنى الحقيقي لكلمات الله عز وجل «ولكم في القصاص حياة ياولى الالباب» .

خامسا :ـ السلاح الشخصي :ـ

يلعب السلاح الشخصي في المجتمع اليمني دورا هاما : حيث يحدد مكـانة الفرد الاجتماعية. كما ان عضـوية الشـاب في المجتمع القبلي واكتسابه الرجولة وحقوقه كرجل تتحدد الى حد ما بالسلاح الذي يحمله وقـدرته على استخدامه ، بل ان اقتناء السلاح ولبسه يؤكد عضوية الفرد في المجتمع القبلي (١١) .

والسلاح في الصعيد المصري هو الوسيلة الوحيدة للدفاع عن النفس ضد الاعداء وبغيره لايستطيع الفرد ان يأمن على حياته ولو للحظة قصيرة، ويعتبر من العار ان ينـزل الـرجـل عن سلاحـه لخصمه أو ان يستولى الخصم على سلاح الرجل في المعركة لدرجة انهم ينظرون الى السلاح على انه مساوى تماما لحياة الرجل. بمعنى ان الرجل الذي يقتل وياخذ قاتله سلاحه يثار له بقتل

رجلين او بقتل رجل واحد مع الاستيلاء على سلاحه (١٢) .

قانون الثأر :ـ

تأخذ الجماعة القرابية : في بعض المجتمعات العربية ـ كل الاهتمام والاعتبار فشخصية الفرد تذوب وتنصهر في هذه الجماعة التي يستمد منها الفرد كيانه ومقوماته ومكانته الاجتماعية ، وحادث القتل الذي يروح ضحيته فرد واحد يعتبر اهانة للجماعة القرابية وخسارة فادحة لها . كما ان النزاع البسيط الذي يبدأ عادة بين شخصين سرعان مايشتد بانضمام الاقارب من الطرفين اليه . وقد يتطور ليصبح معركة بين القبائل بعضها وبعض ذلك ان الصراع يتعدى في كثير من الاحيان ـ حدود العائلة التي ينتمي اليها كل من القاتل والمقتول ليشمل العائلات الأخرى المنضمه الى الطرفين ، بالاضافة الى ذلك فان قتل احد افراد العائلات القليلة العدد والاهمية لايمر في هدوء وانما يثير العائلة الكبيرة التي ترتبط بها هذه العائلة او العائلات الاخرى المتحالفة تطبيقا لمبدأ (المؤاخاة) .

ويحكم كل هذه الاحداث مايسمى (بقانون الثأر) الذي يتلخص في المبادىء الاتية :ـ

١ ـ يقضي قانون الثار بان الشخص الذي يقتل لابد ان يؤخذ بثارة عن طريق قتل شخص واحد من العائلة المعتدية (١٣) .

٢ ـ يقضي قانون الثار ايضا بان الاعتداء على حياة الشخص انما يعتبر اعتداء على الجماعة القرابية التي ينتمي اليها ، كما ان جماعة الجاني تكون مسئولة عن جريمته .

٣ ـ على العائلة ان تأخذ بثار قتيلها والا لطخت بالعار الى الابد واصبحت مسبه عند العائلات الاخرى .

٤ ـ تأخذ العائلة بثار قتلاها بأيدي ابنائها (١٤) اوعلى أيدي احدى العائلات المتحالفة معها .

٥ ـ لايؤخذ بالثار الا من الرجل البالغ القادر على حمالسلاح والدفاع عن نفسه . .

الخروج على قانون الثار ومخالفته :ـ

اذا كان قانون الثار يقوم على عدة مبادىء اساسية تكفل حصر الاقتتال في أضيق نطاق ممكن دون الوصول الى اهتزاز الأمن الاجتماعي . . فان الواقع يسجل كثير من الحالات التي يتمثل فيها الخروج على قانون الثار ومخالفة احكامه .

فالاصل ان الشخص الذي يقتل لابد ان يؤخذ بثأره من فرد واحد من العائلة المعتدية دون إعتبار لمركز العائلتين ، ومع ذلك فأن قتل رب العائلة ينظر اليه في العادة نظرة مختلفة من ناحية عائلته وقد يدفعها الشعور بجسامة الخسارة فيه وما لحقها من اهانة ومذلة نتيجة الاجتراء عليه الى المغالاة في طلب الثار والاقتصاص له بحيث يقتل في مقابله اكثر من شخص واحد من الطرف المعتدي ويترتب على هذا الاجراء الاستمرار في العداوة والقتال . .

وإذا كان الاصل هو التعادل التام عند القتلى من الطرفين حتى تنتهي مشكلة الثار فانه قد يحدث تفاوت في هذا العدد بالفعل مما يدفع الى استمرار العدواة والثار ويتحقق ذلك عندما تتدخل الحكومة والقضاء في الامر ثم يحكم على احد المتهمين من اي من الفريقين بالاعدام او حتى بالسجن المؤبد ففي هذه الحالة يعتبر ذلك الشخص كما لو كان قد قتل في المعركة ويحسب بذلك على الطرف الاخر ويطالب بثاره ، فكأن العبرة هنا ليست بالطريقة التى فقدت بها العائلة احد افرادها ، وانما بالخسارة التي حدثت بالفعل حيث ان العائلة فقدته وفقدت خدماته ، مما يتعين عليها الاقتصاص له من الطرف الاخر الذي تسبب في هذه الخسارة . .

وحيث ان قانون الثار يقضي بان تأخذ العائلة ثار قتلاها بايدي ابنائها او بأيدي احدى العائلات المتحالفة معها . فان الاخذ بالثار عن طريق هذه الاخيرة يشكل مخالفة صريحة لموقف المشرع اليمني من مبدأ (المؤخاة) الذي اتخذ موقفا رافضا وبنصوص صريحة لهذه الظاهرة واضعا في الاعتبار مايترتب على فكرة المؤخاة من اثار ضارة على المجتمع اليمني ادت الى تفكك عرى الروابط الاسرية والقرابية واثارة الخلافات والحروب بين القبائل .

حقيقة الاخذ بالثار :ـ

يتبين مما تقدم ان (الاخذ بالثار) هي عادة متفشية في كثير من المجتمعات العربية ويستندون في

ذلك الى كونه وسيلة فعالة في تحقيق التعادل والمساواة في الاعتداء واعادة التوازن في المجتمع عن طريق الانتقاص من الجماعة القرابية المعتدية من الافراد بقدر ما انقصت به الجماعة المعتدى عليها ، وهو في ذات الوقت وسيلة لاسترداد الكرامة والشخصية الاجتماعية التي أهدرت كما يعتبرونه وسيلة تحقيق تماسك المجتمع اذا طرأ عليه بعض الخلل او التفكك . . واخيرا فان الثار يحقق وظيفة الضبط الاجتماعي حيث يعتبر بمنزلة القانون الذي يقبله الناس جميعا ويعترفون به . .

ولا يمكن لاحد ان ينكر ان الاخذ بالثار هو عبارة عن قتل ؛اي ازهاق روزح انسان حي (١٥) وان الثار هو القتل بدافع الانتقام يقوم به فرد او اكثر من اقارب المجنى عليه ضد الجاني او فرد او أكثر من الاقربين إليه . . فالانتقام هو الاطار العام الذي يحوي بين جنباته الاخذ بالثار (١٦) .

ولكن هل يمكن ان نعتبر (الاخذ بالثار) ظاهرة اجتماعية في المجتمع اليمني؟ .

في الواقع ان الجريمة هي احدى الظواهر الاجتماعية باعتبارها قديمة قدم النفس البشرية وترتبط في وجودها وتطور اشكالها وصورها بنشأة المجتمع وتطوره، اذ تشكل اعتداء على مصالحه الجوهرية مما يتطلب رد فعل حيال المجرم الذي اضر أو هدد بالضرر هذا المجتمع . .

ومتى اعتبرنا الثار جريمة شأن الجرائم الاخرى ، فأننا بذلك ندخله ضمن الظواهر الاجتماعية التي تضر ببنيان المجتمع او تهدده بالضرر . ومن ثم ينبغي التصدي له بالاجراءات العلاجية والوقائية الكفيلة بالقضاء على هذه الظاهرة او التقليل من حجمها وآثارها .

ويحلل الباحثون مشكلة الثار في العالم العربي ومدى خطورتها على الامن الاجتماعي فيه وينتهي الى ان الثار يمثل عدم اعتراف بالسلطة القانونية الرسمية واحد مكونات البنية القبلية والنظام العرفي فيها (١٧) كما يعكس المركز الاجتماعي والاقتصادي الذي تتمتع به العائلة او القبيلة ، وهو أخيرا يستهدف الانسان نفسه في المرتبة الاولى (١٨) .

ويعكس الثار ـ من الناحية النفسية ـ رد الفعل الغريزي لدى الفرد تجاه من تعرض له في حياته او ماله او ذويه ، ويمثل نزعة نحو انزال نفس مصير الضحية بالجاني . ونوعا من الغليان النفسي الذي ينتاب من أصيب باذى مباشر او غير مباشر ، فتفور نفسه ويتجه بثورتها وغليانها نحو مسبب الاذى لتنفجر فوقه فتلحق به اذى مباشرا ومماثلا يحرمه من لذة فعلته السيئة ويضعه في نفس منزلة المتالم فلا يبكي احد وهو يضحك ، بل يبكي الاثنان كل على مصيره .

واذا كان من يأخذ بالثار يستند الى ان الدين الاسلامي يؤازره في عملية الاخذ بالثار فان ذلك يعتبر فهما خاطئا وتفسيرا مغالطا لأيات الله الكريم ولديننا الاسلامي السمح فاذا تركنا كل فرد يأخذ حقه بيده او يقيم العدالة لنفسه بنفسه لتحول المجتمع الى ادغال يسودها قانون الغاب الذي يبطش فيه القوي بالضعيف ويسلب الكبير حقوق الصغير. فالدين الاسلامي ـ وكل الاديان ـ يقضي بعقاب القاتل ، ولولا ذلك لانتشرت الفوضى وانعدم الامن ، وفقد الانسان شعوره بالامان والاطمئنان على روحه وعرضه وماله بل ان جوهر الاسلام السمح هو البعد عن التناحر وسفك الدماء .

واذا كان من يقول بالاخذ بالثار يستند الى قاعدة (الجزاء من جنس العمل) باعتبارها تعبيرا عن مبدأ (القصاص) اذ الوضع الطبيعي هو الاقتصاص من القاتل نفسه واذا كانت القاعدة صحيحة في معناها ، فأن تطبيقها ـ في معظم الاحوال ـ يجانب الصواب : اذ ان الشخص الذي يقع عليه الاختيار في القتل اخذا بالثار منه يكون غير القاتل ، ويتم ذلك باختيار شخصية كبيرة او ذى مكانة هامة في الاسرة المتخاصمة (من حيث النفوذ او السلطة او التعليم) دون ذنب جناه او خطيئة ارتكبها الا انتماؤه للاسره التي وقع منها الاعتداء . والهدف من ذلك هو تحطيم امل العائلة الاخرى في هذا الشخص واظهار القوة والجرأة باقدامهم على قتله . فكون القاتل ضعيفا او فقيرا لن يفيدهم في شيء كما ان تنفيذ الاخذ بالثار يتسم بالقسوة والعنف ، ويتم باسلوب غادر لضمان النتيجة وهي قتل المطلوب الاخذ بالثار منه .

ولا يجب ان نغفل ابراز ما تتكلفه الدولة من نفقات باهضة من أجل مكافحة الجرائم بصفة عامة وجرائم الثار بصفة خاصة ، ويشمل ذلك نوعين من التكاليف : تكاليف مباشرة وهي تشكل العبء المالي الذي يقع على المجتمع ويزداد هذا العبء نتيجة

تضليل اهالي المجني عليه للشرطة او التأخير في الابلاغ او الارشاد عن شخص اخر غير الجاني حتى يتسنى لهم الاخذ بالثار من الشخص المقصود علاوة على النفقات التي تتحملها الدولة في تنظيم الشرطة والقضاء ومعاملة المجرمين او علاجهم ، والنوع الثاني من التكاليف هي التكاليف النهائية ، وهي تمثل الخسارة المادية التي تنشأ عن النشاط الاجرامي والعواقب والاضرار الاجتماعية التي تسببها جرائم الثار والتي تهدد الاستقرار الاجتماعي (١٩).

دور الاسلام في القضاء على عادة الاخذ بالثار:-

اعتبر الاسلام القتل جناية على المجتمع كله ، باعتباره من أبشع الجرائم ، أخطرها على حياة الانسان فهو يزرع التباغض بين الناس ويبث الحقد والشحناء في القلوب المطمئنة ومن أجل ذلك شرع الاسلام القصاص بين الناس في الدنيا لحكمة عظيمة النفع : هي اقامة العدل بين الناس ، ليكون الجزاء من جنس العمل ولكي يرتدع من أرتكبه ، أو من يفكر فيه أو يحاول الاقدام عليه، فتعيش الامة الاسلامية في أمن ورغد في العيش في ظل الاسلام العادل.

ويشرع الاسلام (القصاص) شفاء لنفس المجنى عليه ونفس ذويه ولهذا اثره حتى لايفكر في الانتقام ، ولا يسرف في الاعتداء أو القتل. ولو لم يشرع القصاص لانتشرت الفوضى وصار كل يأخذ حقه بيده انتقاما من القاتل فتكثر حوادث القتل وإراقة الدماء المعصومة ولذلك تقرر القصاص لما فيه من حفظ النفوس وحقن الدماء.. وقد عبر القرآن الكريم عن هذا المعنى في أبلغ العبارات (ولكم في القصاص حياة يأولى الألباب لعلكم تتقون) ويدخل تحت هذا المبدأ العام مبادىء اخرى أساسية : كشخصية المسئولية والعقوبة بحيث لايسأل عن الجرم إلا فاعله ، ولا يؤخذ امرء بجريرة غيره مهما كانت درجة القرابة او العلاقة ، وقاعدة (لايطل دم في الاسلام) فلا تذهب جريمة قتل من غير عقوبة او من غير ان يقتص من الجاني او يعوض اسرة المجنى عليه.

توصيات المؤتمرات لمكافحة ظاهرة الثار:-

توصي المؤتمرات التي خصصت لبحث ظاهرة الثار باتخاذ التدابير التالية :-

١ - ضرورة موالاة الدراسة والبحث العلمي لظاهرة الثار والغاية من ذلك تجميع الاحصاءات على اسس موحدة على وجه يمكن معه توفير البيانات العلمية اللازمة لتحديد وسائل العلاج على أكمل وجه.

٢ - العمل على توثيق الروابط بين الوحدات الاجتماعية الاساسية في المجتمعات المحلية بمختلف الوسائل كالمصاهرة والمشاركة في أوجه النشاط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والرياضي.

٣ - الاستفادة من الهيئات المحلية في توجيه الوعي نحو مكافحة جرائم الثار والقضاء على المنازعات التي تؤدي الى هذه الجرائم.

٤ - العناية بايفاد الاخصائيين في الارشاد الديني الى المناطق التي تكثر فيها جرائم الثار

٥ - زيادة عدد نقط الشرطة وتدعيم امكانياتها حتى تحل الشرطة محل النظم البالية المعمول بها في مجال الاخذ بالثار.

٦ - ان تكون الاجراءات القضائية سريعة البت في جرائم القتل. وان تكون عقوبة القتل للثار رادعه بالقدر الكافي لتهدئة ثائرة ذوي المجنى عليه وردهم عن محاولة القصاص بانفسهم ولارضاء الشعور العام.

٧ - ان يتوافر على القضاء في جرائم القتل عامة وجرائم الثار خاصة قضاة لهم الخبرة والتخصص مما يجعلهم أقدر على معالجة هذه المشكلات قانونيا واجتماعيا مع زيادةالاهتمام بالعلوم الاجتماعية في مجال الدراسات القانونية.

دور مؤسسات الدولة في القضاء على ظاهرة الثار:-

ان دور الدولة في مجال القضاء على ظاهرة الثار هو من ابرز الادوار في هذا الصدد بل ان المرء نفسه ينتظر من الدولة الكثير من أجل مكافحة هذه الظاهرة ، وبقدر ما يظهر دور الدولة القوي والفعال في هذا

المجال بقدر مايمكن القول بقيام الامل في تحقيق امن اجتماعي مستقـر ، وتوفير أسباب الطمأنينة والرفاهية التي ينشدها المواطن.

ولكن الـدولة لاتعمل وحدها ، وانما ينبغي ان يساهم معها المواطن نفسه بان يشعر بانتمائه الى وطنه ومجتمعه انتماءً وثيقا يؤلف معه وحدة عضوية حية تتفاعل معه وتنمو بنموه وتتبلور بتبلور مقوماته. . ويكون ذلك بان يشعر المواطن بان الوطن له وانه مسئول عن سلامته وامنه ودوامه . . وشعور الفرد بانتمائه وانتسابه الى هذا المجتمع واحساسه بالرابطة التي تربطه باعضائه يوفر التماسك بينهم ، ويولد بالتالي الالفة الجامعة بين مواطني الوطن الواحد ، التي هي شرط أساسي لقيام الامن الاجتماعي ودعـامـة أسـاسية تسنده وتقويه ، ومتى وجدت هذه الـرابطة الانسانية فأنها سوف تشكل سدا منيعا يحول دون ايذاء الافراد بعضهم لبعض ودون اعتداء اي منهم على الاخر ، وهو يعتبر افضل تطبيق لقول الله تعالى (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) وما يؤيده حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الـواحد إذا أشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) . .

والجريمة هي خرق للشعور بالاخوة والرحمة نحو الغير ، وتفـترض الـوقاية من الجريمة تعزيز الشعور بالمحبة والاخوة والرحمة لدى المواطنين ، فلا يخرق اي واحد منهم هذا الشعور ، بل عليه ان يقاوم اي محاولة للمساس به او الاعتداء عليه، ولا شك ان للعقيدة الـدينية دورها العام في مكافحة الثار/ فالاسلام يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو مايشكل عنصرا أساسيا في التماسك الداخلي للمجتمع وتحقيق الامن الاجتماعي بعيدا عن التعصب والكراهية وروح الانتقام.

وينبغي على المواطن ان يدرك ماله من حقوق وما عليه من واجبـات ، وان ارتبـاطـه بالدولة هو ارتباط لايتجزأ ينتمي اليه ويخضع بالولاء - بالدرجة الاولى - لها ، وان يتوافر لديه الشعور بان هناك سلطة علياء اختارها لتسهر على أمنه ومصالحه، فينصرف الى العمل البناء وهو مطمئن على حياته وماله وذويه.

يأتي بعد ذلك دور مؤسسات الدولة في تحقيق الامن الاجتماعي وضمان قيام المواطن نفسه بالدور سابق الذكر ، ونقتصر هنا على بيان مؤسسات الدولة التي لها اتصال مباشر بالتصدي للجريمة وهي اجهزة البوليس والقضاء.

■ اولا : - للشرطة الدور الاهم والاخطر ، في مكافحة ظاهـرة الثار وتحقيق الامن الاجتماعي ويتم ذلك عن طريق اتخاذ الخطوات التالية : -

أ - تأهيل رجـل الشرطـة تاهيلا ماديا وفنيا يمكنه من القيام بالـدور الـوقـائي والاجتماعي المطلوب منه عن طريق عقد الدورات التدريبية والتأهيليلة في المجالات العلمية والفنية المتعلقة بمكافحة الجريمة. والاحاطة بابعاد مشكلة الاجرام بصفة عامة والاخذ بالثار بصفة خاصة لمعرفة حجمها وأبعادها ودرجة خطورتها في الحياة الاجتماعية . .

ب - التدخل السريع عند حصول الجرائم والعمل على تطويق ذيولها والقبض على مرتكبيها والمحافظة على أدلة الجريمة، وهذا يفترض اجراء مزدوج ، التدريب على تقصي وتتبـع الادلـة الجنـائية وتحليلهـا وربط نتائجها بالـواقـع العمـلي المحيط بالواقعة موضوع الدراسة ، والتجهيز المادي والفني الذي يجعل الشرطة تتحرك في المجتمع بالسرعة المطلوبة ، وتتمكن من تأمين الاتصال السريع بوحـداتها ومراكزها الموجودة في القرى والالوية المختلفة واستعمال المعدات والالات الحديثة التي تسهل الانتقال الى مكان الحادث والسيطرة عليه بحيث يطمئن المـواطن الى انها قادرة على السهـر لأمنـه ، والتدخل السريع وقت الحاجة . .

وتدعيم مراكز ونقط الشرطة في القرى والمناطق البعيدة عن العاصمة بالقوى البشرية الكافية والالات والمعدات الحـديثـة التي تتكافا مع الاوضاع الخطيرة السائدة في المناطق التي تكثرفيها المنازعات وعمليات الاخذ بالثار (٢٠) والتي تضمن سرعـة تحرك القـوات الكـافية في الوقت المناسب الى النقط والمراكز حيث تنشب احدى المعارك العنيفة بين القبائل او العائلات . .

جـ - تنفيذ سياسـة وقـائية تضمن اطمئنان الناس في حلهم وترحالهم ، وايجاد شعور لديهم بان هناك سلطة مستمدة من ارادة المجتمع تحميه وتسهر على امنه وراحته ، بحيث يصبح في امكانه التوجه الى الشرطة للحصول على مسـاعـدتهـا في كل ما يتعلق بسـلامـة وجوده في المجتمع وتذليل الصعوبات التي تعترضه اثناء تعامله مع الغير في كل مايهدد استقراره ومصالحه.

د - العمـل على فض المنازعات بالطرق الجديدة من

خلال الثقة والهيبة اللتين توحي بهما الشرطة للمواطنين. وباعتبارها تجد منطق الحق والعدالة، فالشرطي هو القانون في الشارع والقرية والقبيلة، وهو يمثل الدولة في ضرورة السيطرة على كافة ربوع الاقليم وتأمين احترام النظم التي وضعها المجتمع لنفسه كي يسود الامن والاطمئنان.

هـ - ملاحقة مرتكبي الجرائم والعابثين بالقوانين وانظمة المجتمع والمهددين للامن الاجتماعي وتقديمهم للمحاكمة لمعاقبتهم واتخاذ التدابير العلاجية والوقائية ضدهم حتى لايستمروا في تعريض مصالح الاخرين وامنهم للخطر، وتقصي عوامل الاجرام والعمل على إزالتها بتدخل سريع ومباشر ضد من تسول له نفسه التفكير في العبث بمقدرات الافراد وامنهم الاجتماعي.

و - مخاطبة المواطن عن قرب وجعله يشعر ويتحسس باهمية وظيفة الشرطة ومكانتها في المجتمع مما يحمله على التعاون معها، وهنا يبرز دور الاعلام - السمعي والبصري - في التعريف بهذه الوظيفة ونشر مفاهيم الامن الاجتماعي بحيث تنمو الثقة المتبادلة بين المواطن ورجال الشرطة، الامر الذي ينظر اليه على انه المرجع الاخير في حل المشكلات الخارجية التي تقوم بين العائلات المختلفة، وليس شخص اجنبي دخيل عليه.

ز - تنظيم عمليات حمل السلاح واقتناءه وحيازته واحرازه والاتجار به، عن طريق وضع القوانين والانظمة الخاصة بذلك، والتشدد في تطبيق شروطها، فلا يعقل ان يباح للمواطن حيازة واحراز مايراه من أنواع الاسلحة المختلفة بدون ان تتدخل الدولة لتنظيم هذه العملية. كما لايعقل ان يسمح للمواطن بحمل سلاح قاتل بطبيعته استنادا الى عرف او عادة فإذا كان الامر ولابد كذلك فلا اقل من ان تنظمه الدولة بقانون.

■ ثانيا دور القضاة والمحاكم :- يقوم القضاء بدور أساسي في المحافظة على سلامة المجتمع وأمنه فهو يسهر على تطبيق القوانين ويلاحق المجرمين فيقرر لهم مايستحقونه من عقوبات وما يحتاجون اليه من تدابير اصلاح واعادة تأهيل.

وكما ان الامن الاجتماعي يرتبط بفعالية اجهزة الامن الساهرة على سلامة المواطن، فهو كذلك يرتبط بوجود الجهاز القضائي الكفء والفعال (٢١) في مجال مكافحة الجريمة والضرب على ايدي من تسول له نفسه الاخلال بأمن المجتمع وافراده. فالقضاء القادر والعادل المتفهم لامور الناس وقضاياهم هو ركن من أركان الامن الاجتماعي: فهو ملاذ المظلوم وضمانة ضد الظالم، قوي على المعتدي والباغي رؤف بالمذنب، حيث تجب الرأفة، يشعر المواطن بوجوده ويطمئن لعدالته، فيعتبره ملاذه الطبيعي عندما يختل الميزان او يعتدى عليه حتى يتحقق فيه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (السلطان ظل الله في الارض يأوي إليه كل مظلوم).

ولكي يتحقق للقضاء فعاليته واداء رسالته على أكمل وجه ينبغي وجود القوانين المنظمة لعمله والمنظمة ايضا للامور التي يفصل فيها بطريقة واضحة ومحددة، المستخلصة من الشريعة الاسلامية والتي تأخذ في الاعتبار تراث هذا الشعب وثقافته وتقاليده.

ويتعين ايضا ان يتمتع هذا القضاء بالاستقلال المادي والمعنوي الذي يمكنه من فض الخلافات بين المواطنين عن طريق القانون وحده، وقول كلمة الحق بكل جراءة وصفاء ذهن فالقضاء كما يقول الباحثون هو رسالة المجتمع الى افراده وتعبير حي عن الضمير الاجتماعي ينطق باسم الجميع.

واخيرا فان سرعة الفصل في القضايا واعطاء كل ذي حق حقه يعد عاملا مساعدا على القضاء على الثار وتحقيق الامن الاجتماعي.

■ ثالثا :-

لايمكن ان يغفل اهمية الدور الذي تلعبه المؤسسات الاخرى في الدولة في تحقيق الامن الاجتماعي عن طريق تخطيط المدن ومد شبكة الطرق السريعة الى المناطق البعيدة، وخطط التنمية الاجتماعية في الريف وانشاء النوادي للشبان تحت إشراف فني دقيق واقامة الندوات التي تعالج المشكلات الاجتماعية علاوة على متطلب هام وأساسي هو (محو الامية) وتوفير المؤسسات التربوية التي توجه الانسان وتساعده على التعرف على الحياة الاجتماعية وتلقين المواطن منذ حداثة سنه ونمو مبادىء السلوك الاجتماعي وادراك ماهو مفروض عليه من واجبات في سبيل تحقيق الامن الاجتماعي.

(تم بحمد الله وفضله)

«ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا»

□□ الهوامش :-

١ - الدكتور صلاح عبدالمتعال: التغير الاجتماعي والجريمة - الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م
٢ - المؤتمر الثالث لوزراء الداخلية العرب
٣ - سورة المائدة اية (٣٢)
٤ - تمثل هذه الظاهرة في محافظة اسيوط (مصر) نسبة ٢٢٪ من مجموع الجرائم
د. احمد ابوزيد (الثار) دراسة انتروبولوجية باحدى قرى الصعيد - المجلة الجنائية القومية، نوفمبر ١٩٦٣م
٥ - الدكتور محمد اسعد طلسي تاريخ العرب المجلد الاول، الطبعة الثانية ص (٨٦)
٦ - وبنتيجة ذلك ان الفرد يعتنق ويتمثل قيم الجماعة القرابية التي ينتمي اليها فتذوب شخصيته فيها من ناحية، كما يستمد منها كل كيانه ومقوماته الاجتماعية من ناحية اخرى: بحيث يعتبر كل اعتداء على احد أفراد هذه الجماعة بمثابة إعتداء عليه شخصيا ومن ثم وجب عليه أن يردذلك الاعتداء.
٧ - فضل علي احمد ابوغانم البنية القبلية في اليمن بين الاستمرار والتغير ص (٣٣٥)
٨ - رشاد العليمي - القضاء القبلي في المجتمع اليمني ص (٦٥)
٩ - هناك عوامل متعددة تاريخية وبنائية عملت على زعزعة الثقة بين المواطن في القضاء الرسمي، منها التطويل وعدم الفصل السريع في الخصومات وتولي اعمال القضاء ممن لاتتوافر فيهم صفات القضاء (رشاد العليمي ص ٩٠ ومابعدها).
١٠ - فضل علي أحمد أبو غانم البنية القبلية (ص ٧٠ و١١٦)
١١ - رشاد العليمي ص (١٤١ و١٤٢)
١٢ - د. احمد أبوزيد المرجع السابق ص (٣٦١)
١٣ - عدد القتلى من الطرفين له اهمية في استمرار او إنتهاء العداوة والثار. اذ لابد من الوصول الى التعادل التام في عدد القتلى حتى تعتبر العداوة منتهية.
١٤ - قد لاتنهض العائلة الى الثار والانتقام للدم الذي اهدر، وانها تستاجر لذلك احد الاشقياء وتكلفه بقتل احد افراد البدنة المعتدية، ويحدث ذلك عندما تكون العائلة غنية مثلا وتهدف الى عدم تعريض أفرادها للاذى والقتل اذا تطورت المسألة الى صدام مسلح.
١٥ - الاستاذ الدكتور محمد ابراهيم زيد: مقدمة في علم الاجرام والسلوك الاجرامي ١٩٧٨م ص (٢٥٣) وما بعدها.
١٦ - العوامل المشجعة للثار في الاقليم الجنوبي، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة ص (٩١)
١٧ - يعتبر الثأر عند بعض الشعوب هو قانون البقاء، ويكتسب قوة إلزام جماعي يوجب على الافراد اتباعه.
١٨ - الاستاذ الدكتور محمد عاطف غيث: ظاهرة ومشكلة الثار في المجتمع الريفي (اعمال الحلقة الدراسية الاولى لمكافحة الجريمة - القاهرة - من ٢ - ٥ يناير ١٩٦١م المجلة الجنائية ص ١٠٣ وما بعدها ومشار اليه في مؤلف الدكتور محمد إبراهيم زيد سالف الذكر
١٩ - انظر في ذلك ندوة تكلفة الجريمة (القاهرة ١٨ - ٢٠ مارس ١٩٧٢م) المجلة الجنائية القومية.
٢٠ - فلا يعقل مثلا ان يوجد بالنقطة عددا قليلا من الجنود مزودين ببنادق عادية لايمكن مقارنتها بالاسلحة الاوتوماتيكية الحديثة السريعة التي يحرص الاهالي على اقتنائها بشتى الطرق والوسائل.
٢١ - يتطلب ذلك الاعداد المعنى والكافي والصحيح للقضاة بحيث يلمسون الاثر الفعال الذي يتركه عملهم في المجتمع.. فبقدر مايكون القضاء قريبا من الناس متفهما لمشاكلهم وملجأ لهم في الشدائد بقدر ماتكون الثقة فيه كبيرة، وبالتالي يكون له اثره العلاجي والوقائي كبيرا.

حصاد (ثقافي - علمي)

للفترة من سبتمبر ١٩٨٨ - ديسمبر ١٩٨٩

ندوة الوحدة العربية تجاربها وتوقعاتها

عقدت في الفترة من ٥ الى ٩ سبتمبر ١٩٨٨م بمدينة صنعاء اعمال ندوة الوحدة العربية ، تجاربها وتوقعاتها ، والتي اقامها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع جامعة صنعاء . .

وقد شارك فيها ما يقارب المئة من نخبة مفكري الوطن العربي (اساتذة جامعيون ومحامون وصحافيون وادباء) . . وعلى مدى خمسة ايام قاموا بمناقشة سبعة عشر بحثا . . وختموا ندوتهم بحوار مفتوح موضوعه (الوحدة وتحديات المستقبل . . ما العمل ؟) . .

وقد توزعت البحوث المقدمة للندوة على ثلاثة محاور هي :-

المحور الاول :- تقييم التجارب الوحدوية العربية : وشمل هذا المحور البحوث التالية :

البحث الاول : مسألة الوحدة العربية منذ ظهور الاسلام وحتى الحرب العالمية الاولى . . الباحث د. عبد العزيز الدوري

○ البحث الثاني : الحركة القومية العربية بين الحربين . . د. خليل احمد خليل

○ البحث الثالث : عملية تكوين الدولة القطرية : المنظور الوحدوي . . الباحث د. تركي الحمد

○ البحث الرابع : تجربة الجمهورية العربية المتحدة . . د. احمد يوسف احمد

○ البحث الخامس : محاولات التكامل الاقليمي ، وحدة وادي النيل ، سوريا الكبرى ، المغرب العربي الكبير ، الوحدة اليمنية ومجلس التعاون الخليجي . . د. محسن عوض

○ البحث السادس : المنظمات الاقليمية ، ومسألة الوحدة . . د. مجدي حماد

○ البحث السابع : المشاريع الوحدوية العربية في النظام العربي المعاصر د. احمد طربين

٢ - المحور الثاني : مقومات الوحدة وشمل هذا المحور البحوث التالية :-

○ البحث الاول : المعوقات الذاتية لدى الوحدويين . . الباحث معن بشور

○ البحث الثاني : معوقات الواقع القطري . . د. غسان سلامه

○ البحث الثالث : المعوقات الخارجية . . د. موسى الكيلاني

○ البحث الرابع : المعوقات الفكرية والايديولوجية للوحدة العربية . . الباحثان : د. رضوان السيد د. دلال البزري

٣ - المحور الثالث : في سبيل الوحدة ، . . وشمل هذا المحور البحوث التالية :-

○ البحث الاول : دروس التجارب الوحدوية في العالم . . الباحث د. عبد المنعم سعيد

○ البحث الثاني : مداخل تحقيق الوحدة العربية . . الباحث د. احمد صدقي الدجاني

○ البحث الثالث : نحو مشروع دستوري اتحادي عربي . . د. عصام نعمان

○ البحث الرابع : آليات التوحيد العربي . . د. جمال الشاعر

○ البحث الخامس : مشروع ميثاق التعاهد العربي

د. محمد المجذوب

○ البحث السادس : برنامج عملي وحدوي للسنوات الخمس المقبلة . . د. عمر محجوب

الندوة العلمية الثانية لحماية الاثار والاعمال الفنية

في الفترة من ٤ ـ ٦ اكتوبر ١٩٨٨م جرت اعمال الندوة العلمية الثانية لحماية الاثار والاعمال الفنية بمدينة صنعاء والتي نظمها المركز العربي للدراسات الامنية والتدريب بالرياض بالتعاون مع وزارة الداخلية في بلادنا ، وذلك ضمن البرنامج العلمي للخطة الامنية العربية . .

وقد شارك في هذه الندوة عدد من علماء الاثار والاعمال الفنية البارزين وعدد من المسئولين عن ادارة الاثار في البلدان العربية والجهات الادارية ذات العلاقة . .

وطرحت فيها عدد من البحوث العلمية هي :ـ

الاول بعنوان (المدخل العلمي)
الثاني بعنوان (المدخل العلمي التخصصي)
الثالث بعنوان «المدخل الامني»
الرابع بعنوان «المدخل الاداري»

تناولت في مجملها اهمية ايجاد شرطة متخصصة للاثار والوسائل الامنية اللازمة . .

وقد خرجت الندوة بعدد من القرارات والتوصيات اكدت جميعها على اهمية التنسيق والتعاون بين الدول العربية لمواجهة اخطار الاعتماد الكلي على البعثات الاجنبية والاسراع في وضع خطة قومية لترميم الاثار وصيانتها والمحافظة عليها . . وعلى اهمية تسجيل محتويات المتاحف والمنشآت الثقافية . .

ودعت التوصيات الى ضرورة قيام المركز لعربي بتنظيم دورة تدريبية لشرطة الآثار . .

ندوة مشروع مشغل العلوم

في الفترة من ٩ ـ ١١ اكتوبر ١٩٨٨م عقدت ندوة مشروع مشغل العلوم شاركت فيها كل من كلية التربية وجهاز التفتيش وادارة تدريب واعداد المعلمين والمعلمات بوزارة التربية ومركز الوسائل التعليمية ومنظمة اليونسيف . .

وقد ناقشت الندوة على مدى ثلاثة ايام عددا من الموضوعات الاجرائية . . ووقفت امام جملة من القضايا الخاصة بالمعامل والادوات والكادر المحلي في مشاغل العلوم بالمدارس الابتدائية في عموم الجمهورية .

ندوة الوحدة اليمنية

وفي ٢٠ اكتوبر ١٩٨٨م عقدت ندوة الوحدة اليمنية بالمركز الثقافي بصنعاء بمناسبة العيد السادس والعشرين لثورة ٢٦ سبتمبر الخالدة والعيد الفضي لثورة ١٤ اكتوبر المجيدة . . ادار الندوة الاخ / عبد الوهاب المؤيد . . وتطرقت الى الوحدة اليمنية بين الحركة الوطنية والتاريخ عبر مراحله المختلفة . .

كما تناولت دور الحركة الوطنية اليمنية الواحدة ضد الحكم الامامي والاستعمار البريطاني .

وقد شارك في هذه الندوة كل من الاخ / عبد الله الرديني والاخ محمد يحيى شنيف .

الندوة التخصصية في مجال وقاية النباتات من الاخطار

ابتداء من ٢٣ اكتوبر ١٩٨٨م ولمدة اسبوع جرت في صنعاء اعمال الندوة التخصصية في مجال وقاية النباتات من الاخطار والآفات والحشرات والامراض الزراعية . . والتي نظمها مشروع وقاية المشروعات بوزارة الزراعة والثروة السمكية بالتعاون مع الجانب الالماني الاتحادي . .

ندوة الاسس والمعايير التربوية

في الفترة من ٢٩ ـ ٣١ اكتوبر ١٩٨٨م عقدت ندوة الاسس والمعايير التربوية والتي نظمتها وزارة التربية والتعليم بالاشتراك مع مركز البحوث والتطوير التربوي .

وقد خرجت الندوة بالعديد من التوصيات الهامة في مجال الاسس والمعايير التربوية حيث اوصت الندوة بـ :

○ بأهمية عقد ندوة خاصة يتم فيها وضع الاسس والضوابط التربوية .

○ اوصت الندوة بعقد ندوة خاصة لوضع الاسس والمعايير التربوية التي تكتسب صفة الخصوصية في التعليم الفني والتدريب المهني .

○ اوصت ايضا باعطاء حوافز خاصة للمعلمين وتحسين اوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية .

○ وكذلك تطوير نظم اعداد المعلم .

○ ودراسة امكانية مد فترة التعليم الالزامي الى نهاية المرحلة الاعدادية . .

الدورة السابعة للمجلس العالمي للدعوة الاسلامية

وخلال الفترة من ١٠/١٩ ـ ١٩٨٨/١١/٢م عقدت في صنعاء اعمال الدورة السابعة للمجلس العالمي للدعوة الاسلامية . .

وقد وجه الاخ الرئيس القائد الامين العام العقيد علي عبدالله صالح كلمة الى هذه الدورة قائلا للاخوة المشاركين في اعمال الدورة :

سنبذل كل ما يمكن لانجاح مساعيكم الخيرة في سبيل الدعوة الاسلامية . . واكد انه : لن يردع المعتدي عن عدوانه ويرد كيده في نحره الا عودة الامة الاسلامية مجتمعة الى ماضيها المجيد . .

وقد اعتبر المجلس كلمة الاخ رئيس الجمهورية التي القاها نيابة عنه نائب رئيس مجلس القضاء الاعلى عضوا اللجنة الدائمة ، من وثائق المؤتمر .

وخلال فترة الدورة درس المجلس العالمي للدعوة الاسلامية المستجدات في العالم الاسلامي وآثاره في خدمة المسلمين . . وبعد مناقشة مستفيضة خرج المجلس بعدد من التوصيات التي حيا من خلالها ثورة الحجارة في فلسطين المحتلة وابدى ارتياحه لايقاف الحرب العراقية الايرانية . . كما تطرقت التوصيات الى الوضع في كل من افغانستان ولبنان ، وحول مسلمي جنوب الفلبين ومسلمي بورما . . واكد المجلس تضامنه مع جميع الشعوب المناضلة ودعمه الكامل لوحدة الشعوب الاسلامية . .

الندوة العلمية حول التعليم الفني والمهني ودوره في التنمية

وخلال الفترة من ١٣ ـ ١٧ نوفمبر ١٩٨٨م عقد بمركز البحوث والتطوير التربوي بصنعاء الندوة العلمية حول (اهمية التعليم الفني والتدريب المهني ودوره في التنمية) والتي نظمتها وزارة التربية والتعليم بالتعاون مع الاتحاد العربي للتعليم التقني

وقد شاركت في اعمال هذه الندوة وفود من شطرنا الجنوبي من الوطن ومن عدد من الاقطار العربية الشقيقة ومن بعض الدول الصديقة والمنظمات الاقليمية والدولية المتخصصة . .

وقد وقفت الندوة على مدى خمسة ايام امام عدد من البحوث والدراسات والمداخلات المقدمة من المشاركين فيها والمتعلقة باهمية دور التعليم التقني في رفد مسيرة التنمية في بلادنا وفي الاقطار العربية الشقيقة متناولة مختلف جوانب التعليم التقني والفني (الصناعية والزراعية . . والهندسية) . . كما وقفت الندوة ايضا امام دراسة حول اوضاع التعليم المهني والتقني في الارض المحتلة ودراسات اخرى حول واقع تطوير التعليم التقني والمهني في عدد من الاقطار العربية . .

وقد خرجت الندوة بعدد من الاستنتاجات والتوصيات المتعلقة بتطوير وتحديث التعليم التقني والفني في الدول العربية نظرا لاهمية دوره في التنمية الاقتصادية . . حيث اوصت باعتبار تنمية وتطوير مؤسسات التعليم التقني والمهني من اولويات خطط التنمية الوطنية والقومية في الوطن العربي لتنمية الموارد البشرية التي تعتبر الاداة الاساسية لزيادة الانتاج واستغلال الموارد . .

واكدت على ضرورة قيام وسائل الاعلام في الوطن العربي بتوعية الجماهير باهمية العمل اليدوي والتعليم المهني والتقني للمشاركة في عملية التنمية بما ينسجم مع تكوينها الجسمي وظروفه الاجتماعية . كما اوصت الندوة على ضرورة التوسع في بناء مؤسسات التعليم المهني والتقني في الوطن العربي بكافة مستوياتها وتطوير القائم منها حاليا والتوزيع الجغرافي العادل لها في المدن والارياف . وحثت على قيام مؤسسات التعليم المهني والتقني بمشاريع انتاجية وخدمية والاستفادة من منتجات العملية التدريبية والخامات المتوفرة بالبيئة وضرورة ادخال مادة الثقافة المهنية في مدارس التعليم العام في مختلف مستوياتها . .

واوصت الندوة ايضا الحكومات العربية والاتحاد العربي للتعليم التقني والمنظمات العربية بتقديم العون المادي للمؤسسات التعليمية والفنية في الاراضي العربية المحتلة كي تنهض بواجباتها وتحقق اهداف التأهيل وتدريب الطلاب بكفاءة عالية .

ندوة بحوث المستمعين والمشاهدين

خلال الفترة من ٢١ - ٢٩ نوفمبر ١٩٨٨م جرت اعمال ندوة بحوث المستمعين والمشاهدين في معهد خليفة الاذاعي بصنعاء والتي نظمتها وزارة الاعلام والثقافة بالتعاون مع المركز العربي للبحوث في اتحاد الاذاعات العربية .

وقد القى الاستاذ / علي بن علي صبره نائب وزير الاعلام والثقافة رئيس تحرير مجلة الاكليل كلمة في الندوة اكد فيها على اهمية الاستفادة من الخبرات الخاصة بالبحوث لتطوير العمل البراجمي في الاذاعة والتلفزيون ، مشيرا الى اهمية عقد مثل هذه الندوة في بلادنا . .

وأشاد الاخ نائب الوزير في كلمته بالدور الذي يقوم به المركز العربي على المستويات المختلفة .

ندوة المتابعة والتخطيط والتقييم

وفي الفترة من ٢٢ - ٢٤ نوفمبر ١٩٨٨م عقدت ندوة المتابعة والتخطيط والتقييم وقد افتتح اعمال الندوة الدكتور محمد سعيد العطار نائب رئيس الوزراء وزير التنمية رئيس الجهاز المركزي للتخطيط عضو اللجنة الدائمة بكلمة اكد فيها على ضرورة العمل في ضوء توجيهات الاخ رئيس الجمهورية القائد العام الامين العام العقيد / علي عبدالله صالح وقرارات الحكومة الخاصة بضرورة تزامن المتابعة والتقييم لكافة مراحل تنفيذ الخطة الخمسية الثالثة .

وقد اصدرت الندوة في نهاية اعمالها عدد من التوصيات من اهمها :-

○ في مجال الاحصاء :-

ضرورة استكمال انشاء وحدات الاحصاء والتخطيط والمتابعة في بقية الوزارات والمصالح والمؤسسات والهيئات وتشكيل فريق عمل ميداني من الادارات المختصة في الجهاز المركزي للتخطيط . .

○ في مجال التخطيط :-

قيام الجهاز المركزي للتخطيط بالتعاون والتنسيق مع وزارة المالية والجهات ذات العلاقة باعداد برامج تنفيذية ربع سنوية ونصف سنوية

وسنوية .

○ في مجال المتابعة :-

إلزام كافة الادارات داخل الادارات والمصالح والهيئات والمؤسسات بموافاة وحدات التخطيط والاحصاء والمتابعة بالبيانات والمعلومات .

الندوة العلمية حول الجوانب البيئية في محافظات (ذمار - البيضاء - الحديدة)

عقدت بصنعاء في ٢٦ نوفمبر ١٩٨٨م الندوة العلمية حول الجوانب البيئية في محافظات ذمار والبيضاء والحديدة والتي نظمتها وزارتي البلديات والاسكان والزراعة والثروة السمكية . . بهدف انجاز كتيبات عن الزراعة بشقيها النباتي والحيواني والبيئة والصحة العامة .

الندوة العلمية حول: كيف تحسن مشروعك؟

عقدت في صنعاء خلال الفترة من ٤ - ٥ ديسمبر ١٩٨٨م اعمال الندوة العلمية حول كيف تحسن مشروعك ؟ والتي اقامها الاتحاد العام للغرف التجارية والصناعية بالتعاون مع منظمة العمل الدولية ومكتب برنامج الامم المتحدة الانمائي .

وتم خلال الندوة دراسة ومناقشة كتاب ودليل العمل الدولي بعنوان «كيف تحسن مشروعك ؟» كما تم عرض افلام وثائقية حول بعض الصناعات . . وقد صدرت عن الندوة في ختام اعمالها عدد من التوصيات اهمها :-

○ اوصت الندوة بعقد ندوات مماثلة لممثلي المؤسسات الصناعية

○ واوصت كذلك بتنظيم دورات متخصصة تدريبية في المجالات الادارية والفنية لممثلي المؤسسات والمنشآت الصناعية وكذا تطوير الخدمات الفنية والاستشارية .

○ التنسيق بين الاتحادات والمؤسسات الرسمية والمنظمات الدولية المختصة .

الندوة الثقافية في مجال السلامة والصحة المهنية

خلال الفترة ١٧ - ٢٤ ديسمبر ١٩٨٨م عقدت اعمال الندوة الثقافية في مجال السلامة والصحة المهنية والتي اقامها الاتحاد العام لنقابات عمال الجمهورية بالتعاون مع منظمة العمل الدولية وقد وقفت الندوة على مدى ستة ايام امام العديد من المواضيع المتعلقة بمجالات العمل والعمال .

الندوة العلمية للمحافظة على صنعاء القديمة

وخلال الفترة من ١٩ - ٢١ ديسمبر ١٩٨٨م اقيمت في صنعاء الندوة العلمية للمحافظة على صنعاء القديمة وذلك احتفالا بالذكرى الثالثة للحملة الوطنية والدولية للمحافظة على صنعاء القديمة .

وقد نظم هذه الندوة المكتب التنفيذي للمحافظة على صنعاء القديمة وحضرحفل الافتتاح الدكتور حسن محمد مكي نائب رئيس الوزراء عضو اللجنة الدائمة والاخ احمد محمد الانسي وزير التربية والتعليم رئيس الهيئة العامة للمعاهد العلمية عضو اللجنة الدائمة . .

وقد استعرضت الندوة العديد من الدراسات والبحوث ، منها :-

○ تقييم الترميم كوسيلة وهدف .

○ اعمال الترميم : التجربة الاولى في مبنى (سوق النضارة بصنعاء القديمة)

○ الاساسات وتدعيمها في صنعاء القديمة

وخرجت الندوة بعدد من القرارات والتوصيات حيث اعرب المشاركون عن ترحيبهم بتاكيد الحكومة وتأييدها في بيانها لمجلس الشورى للحملة الوطنية مستمدين من الدولة والحكومة الدعم الفني والقانوني والمالي . واكدت القرارات على ضرورة الوقوف بصورة حازمة ضد كل المحاولات لتغيير الطابع التقليدي لمدينة صنعاء وكذا دعوة المسئولين في المحافظة ومديري النواحي والبلديات وكل المكلفين بالتخطيط الحضري والمدني برعاية الطابع المعماري الاصيل . .

واوصت بوضع برنامج ابحاث للزلازل في بلادنا . واعربت الندوة عن شكرها لعدد من الدول الصديقة لدعمها المادي والفني للحملة الدولية وبالاخص جمهورية المانيا الاتحادية ، وهولندا ، والنرويج ، وكوريا الديمقراطية ، وفرنسا ، وكوريا الجنوبية ، وبرنامج الامم المتحدة الانمائي .

الندوة التخطيطية الاولى للتربية الصحية

في الفترة من ٧ - ١٢ يناير ١٩٨٩م جرت في صنعاء اعمال الندوة التخطيطية الاولى للتربية الصحية والتي نظمتها ادارة التغذية المدرسية بوزارة التربية والتعليم بالتعاون مع مؤسسة التعاون الفني الالماني الاتحادي .

وقد تناولت الوضع الصحي في مدارس عمران وهي المنطقة التي يتم فيها تطبيق مشروع الصحة المدرسة والعوامل الرئيسية والمحيطة بها ، وتحليل الاهداف والانشطة التي سيتم انجازها طبقا لمشروع الصحة المدرسة خلال الفترة من عام ١٩٨٨م - الى عام ١٩٩١م . .

ندوة الاسكان في اطار الاسلام

وفي الفترة من ٤ - ٦ فبراير ١٩٨٩م عقدت في صنعاء اعمال ندوة الاسكان في اطار الاسلام والتي نظمتها الامانة العامة للجنة الوطنية اليمنية للتربية والثقافة والعلوم بالاشتراك مع مركز الدراسات السكانية التابع للجهاز المركزي للتخطيط ، ومركز الدراسات الاسلامية الدولية التابع لجامعة الازهر بالتعاون [illegible]ندوق الامم المتحدة للسكان .

وقد وقفت الندوة امام العديد من الابحاث والدراسات المقدمة لها ، واصدرت في ختام اعمالها عددا من التوصيات حيث اشارت الى ان الاهتمام بالانسان وتنميته روحيا وبدنيا وعلميا هي الوسيلة الرئيسية لمواجهة جميع مشكلات المجتمعات الاسلامية ومنها المشكلات السكانية .

واكدت الندوة على اهمية التوجه نحو معالجة المشكلات السكانية القائمة في الدول الاسلامية بوضع الاستراتيجيات والسياسات السكانية . . واوصت الندوة كذلك على تكثيف التوعية السكانية من خلال وضع برامج معرفية وتثقيفية موجهة عبر المؤسسات التعليمية والاعلامية وغيرها . . كما اوصت بضرورة عقد ندوات اخرى تركز على موضوعات اكثر تحديدا . . وبالعمل على وضع برامج تخطيط وتنظيم الاسرة في ضوء ما تقرره الشريعة الاسلامية .

الندوة الاولى لنشر الوعي التأميني لاصحاب الاعمال والعمال

• وخلال الفترة من ١٢ - ١٤ فبراير ١٩٨٩م اقيمت في صنعاء فعاليات الندوة الاولى لنشر الوعي التأميني لاصحاب الاعمال والعمال والتي نظمتها المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية بالتعاون مع منظمة العمل الدولية والبرنامج الانمائي التابع للامم المتحدة . .

وقد وقفت الندوة امام العديد من الدراسات والابحاث الخاصة بموضوع اهمية نشر الوعي التأميني لدى اصحاب الاعمال والعمال .

ملتقى صنعاء الدولي للسلام والامن والتنمية

عقدت في صنعاء خلال الفترة من ١٨ ـ ٢٠ فبراير ١٩٨٩م اعمال الملتقى صنعاء الدولي للسلام والامن والتنمية في الشرق الاوسط والبحر الابيض المتوسط والذي نظمه مجلس السلم والتضامن اليمني بالتعاون مع مجلس السلم العالمي.

وقد افتتح اعمال الملتقى الاخ / عبد العزيز عبد الغني رئيس مجلس الوزراء عضو اللجنة الدائمة نيابة عن الاخ رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الامين العام للمؤتمر الشعبي العام..

وفي كلمة الافتتاح اشار الاخ رئيس الوزراء الى ان هذا الملتقى الذي تشارك فيه وفود على مستوى رفيع من المنظمات الانسانية والهيئات، والمجالس، والذي يضم عدد ا من رجال الفكر والثقافة والسياسة له اهمية خاصة لدى شعوب المنطقة ولدى كل الشعوب المحبة للسلام.

وتناول في كلمته العديد من المواضيع الهامة على المستوى المحلي والعربي والدولي والانساني حيث اكد على ما يلي :ـ

ـ في ظل السلام وحده يزدهر العمران وتنمو الحضارات.

ـ الانتفاضة الفلسطينية المباركة ايقضت الضمير العالمي.

ـ بلادنا تنتهج سياسة واضحة .

ـ حتمية وحدة امتنا العربية .

ـ ضرورة اخضاع المنشآت النووية الاسرائيلية للتفتيش .

ـ ضرورة قيام نظام اقتصادي عالمي جديد .

وقد عقد الملتقى عدة جلسات عمل قدمت خلالها العديد من الاوراق من قبل المشاركين حيث تركزت على قضايا السلم والتضامن الدوليين والدعوة الى نزع السلاح النووي ووقف سباق التسلح بمختلف صوره واشكاله والانتقال بالعالم من اقتصاد سباق التسلح الى اقتصاد نزع السلاح..

وقد صدر عن الملتقى في ختام اعماله بيان بعنوان «اعلان ملتقى صنعاء الدولي للسلام والامن والتنمية» اكد فيه المجتمعون تأييدهم ودعمهم لكل قوى التحرر والسلام وفي المقدمة منها شعب فلسطين وانتفاضته المجيدة .. ورأى المجتمعون ان التأييد الكامل وغير المشروط لشعب فلسطين ولنهجه الثوري والعملي ولاهدافه السياسية المحددة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي والوحيد هو الواجب الملح الذي ينبغي متابعة تنفيذه عمليا، تعزيزا للامن العربي وخدمة للسلام والامن لكل شعوب منطقتي الشرق الاوسط والبحر المتوسط .. ويشارك اللقاء كل القوى المحبة للسلام في العالم ادانة جرائم اسرائيل في الارض الفلسطينية المحتلة..

وقدر المجتمعون موقف العراق البناء والسلمي الذي اظهره من اجل تحقيق السلام في منطقة الخليج العربي .. واكدوا عزمهم على العمل باصرار لازالة كافة الاسلحة النووية من الشرق الاوسط والبحر المتوسط ـ سواء منها اسلحة اسرائيل النووية او اسلحة نووية اخرى تحملها اساطيل وقوات دول كبرى تقوم بعمليات عسكرية تهدد امن وسلامة بلدان المنطقة .. وفي هذا الصدد يشجب المجتمعون اعمال التدخل العسكري والاعتداءات المسلحة التي يقوم بها الاسطول السادس الامريكي بما يحمل من اسلحة نووية وتقليدية ضد الجماهيرية الليبية وغيرها من بلدان المنطقة..

ويرى المجتمعون ان استقرار الامن في العالم لن يكون مالم يتم توازن في المصالح وتكافؤ الفرص بين الدول المتطورة والدول النامية ..

وفي هذا الصدد يرى المجتمعون ان قيام مجلس التعاون العربي واتحاد المغرب العربي خطوة ايجابية لتعزيز السلام والامن والتنمية في الشرق الاوسط ومنطقة البحر المتوسط.

حلقة العمل الاولى للوقاية من الحوادث

خلال الفترة من ٢٧ فبراير - ٢ مارس ١٩٨٩م جرت اعمال حلقة العمل الاولى للوقاية من الحوادث بدار الحكمة بصنعاء ، والتي نظمتها وزارة الصحة بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية .

وقد وقف المشاركون امام عدد من اوراق العمل ووجهات النظر حيث خرجت الحلقة بعد اختتام المناقشات بتوصيات بناءة منها :-

- ايجاد عمل مسح ميداني لتحديد حجم مشكلة الحوادث وفعاليات الاجراءات الوقائية والعلاجية حيالها ، وكذا ضرورة عمل سجل حادثة في كل منشأة صحية تستقبل الحوادث .
- ضرورة تسهيل اجراءات تبليغ المواطنين عن الحادثة وذلك بتخصيص رقم موحد وسهل في جميع انحاء الجمهورية مرتبط بغرفة عمليات موحدة للاتصالات تقوم بتوجيه البلاغ الى الجهة المعنية ذات العلاقة .
- العمل في ظل الامكانيات المتاحة في اقامة اقسام متخصصة لاستقبال حالات الحوادث في مراكز المحافظات .
- وضع برامج خاصة بالتوعية العامة للوقاية من الحوادث عبر وسائل الاعلام .

ندوة تعميم التعليم الابتدائي وتجديده

عقدت في صنعاء خلال الفترة من ٧ - ١٩ مارس ندوة تعميم التعليم الابتدائي وتجديده والتي نظمتها الامانة العامة للجنة الوطنية اليمنية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع منظمة اليونسيف . .

وقد شارك في اعمال الندوة عدد من المختصين في وزارة التربية والتعليم وجامعة صنعاء ومركز البحوث والتطوير التربوي . . حيث قدمت خلالها ثلاث اوراق عمل اساسية تضمنت واقع التعليم الابتدائي والبدائل المقترحة وشكلت الاطار العام لمناقشة مبدأ تعميم التعليم الابتدائي وتجديده .

ندوة طرق اعداد البرامج الزمنية لتنفيذ المشاريع

في ١٦ مارس ١٩٨٩م اقام الجهاز المركزي للتخطيط ندوة طرق اعداد البرامج الزمنية لتنفيذ المشاريع . . وقد افتتح اعمال هذه الندوة الدكتور محمد سعيد العطار نائب رئيس الوزراء وزير التنمية رئيس الجهاز المركزي للتخطيط عضو اللجنة الدائمة . وقد تم في هذه الندوة استعراض الجداول الرئيسية لمكونات اي مشروع من دراسات وبحوث ومبان ووسائل فصل وتجهيزات ومفروشات وبرنامج تدريبي .

الندوة العلمية الاولى لكلية الزراعة

في الفترة من ١٢ - ١٦ مارس ١٩٨٩م جرت اعمال الندوة العلمية الاولى التي نظمتها كلية الزراعة بجامعة صنعاء تحت شعار (التعليم الزراعي لخدمة التنمية) . وخلال جلسات اعمال الندوة استمع المشاركون الى عدد من الدراسات المقدمة والتي حملت العناوين التالية :-

١ - الدور المتكامل لكلية الزراعة في خدمة المجتمع
٢ - علاقة التعليم الزراعي بالتنمية الزراعية .
٣ - التعليم الزراعي وخطط التنمية القومية .
٤ - تطوير التعليم الزراعي في المملكة العربية السعودية وعلاقاته بالتنمية الزراعية .
٥ - علاقة التعليم الزراعي بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية في الجمهورية العربية السورية .
٦ - الزراعة والغابات في خمسة وعشرون عاما .
٧ - القطاع الزراعي في لبنان والمساهمات المحتملة لكليات الزراعة في اعادة تأهيله .
٨ - دور كلية الزراعة بجامعة الامارات العربية المتحدة في التنمية الزراعية .
٩ - تأسيس واهداف برامج كلية الزراعة بجامعة قابوس .

١٠ ـ مقترحات لتطوير تعليم الانتاج الحيواني بهدف التنمية في الجمهورية العربية اليمنية .
١١ ـ البحوث المشتركة في التعليم الزراعي وانتاج الغذاء .. وعلاقة التعليم الزراعي بالتنمية الزراعية في الجمهورية العربية اليمنية .
١٢ ـ مساهمة البحوث الزراعية في التنمية الزراعية .
١٣ ـ دور بحوث الانتاج الحيواني في الوطن العربي .
١٤ ـ الارشاد الزراعي والبحوث وقيمة التنسيق بينهما لتدعيم التنمية .
١٥ ـ مسيرة البحث العلمي لكلية الزراعة .
١٦ ـ منهجية النظام في التعليم الزراعي .
١٧ ـ كلية زراعة الازهر وربع قرن لتطوير التعليم بها .
١٨ ـ التعليم العالي الفلاحي ودوره في التنمية الزراعية بتونس .
١٩ ـ البعد الدولي في التعليم الزراعي وخاصة في مجال المناهج الزراعية .
٢٠ ـ دور التعليم في التنمية الريفية .
٢١ ـ نظرة في الفلاحة عند العرب .. رؤية في التحديث .
٢٢ ـ تجربة جامعة قناة السويس في خدمة البيئة من خلال التعليم الزراعي .

وفي ختام اعمال الندوة خرج المشاركون بعدد من القرارات والتوصيات .. منها :ـ

- افساح المجال امام طلبة كلية الزراعة بعد استكمال المرحلة الاولى والثانية في جامعة صنعاء للدراسة في المرحلة التخصصية في احدى الكليات بقطر عربي اخر .
- اهمية دعم كلية الزراعة بجامعة صنعاء باعضاء هيئة التدريس في التخصصات غير المكتملة .
- امداد الكلية بالوسائل التعليمية المتاحة .
- اهمية اقامة اتحاد لكليات الزراعة العربية .

ندوة المشاكل البيئية وحلولها

نظمت وزارة البلديات والاسكان بالتعاون مع برنامج الامم المتحدة الانمائي بصنعاء ندوة حول المشاكل البيئية وحلولها في بلادنا بتاريخ ٢٠ مارس ١٩٨٩م .

وقد ناقش المشاركون المشاكل البيئية في بلادنا ، وكذا المشاريع التي يتم تنفيذها لحماية البيئة ، بالاضافة الى المقترحات والمشاريع المستقبلية لتنفيذ العديد من المشاريع لحماية البيئة .

ندوة تطوير اساليب الري والاسمدة

وفي ٢١ مارس ١٩٨٩م عقدت ندوة تطوير اساليب الري واستخدام الاسمدة في الجهاز المركزي للتخطيط بصنعاء بالتعاون مع الوكالة الامريكية للتنمية الدولية .

وقد تركزت نقاشات الندوة حول عدد من المواضيع منها :

- **السياسات الزراعية بحسب ما توضحه الخطة الخمسية الثالثة .**
- **اساليب الانتاج الحديثة .**

ندوة سياسات التعليم الفني والمهني

خلال الفترة ٢٢ ـ ٢٤ مارس ١٩٨٩م عقدت ندوة سياسات التعليم الفني والمهني وورشة العمل الخاصة بالمسح الميداني بمركز البحوث والتطوير التربوي بصنعاء ..

وقد ناقش المشاركون في الندوة اوراق العمل المقدمة من وزارة الخدمة المدنية والاصلاح الاداري ومن وزارة الاقتصاد .. ومن وزارة الشئون الاجتماعية والعمل .. والامانة العامة للمجالس المحلية والاتحاد العام للغرف التجارية .

ندوة تحقيق الامن الغذائي ودور الجانب الارشادي في تحديث الزراعة في اليمن

في ٢٨ مارس ١٩٨٩م اقيمت ندوة حول تحقيق الامن الغذائي ودور الجانب الارشادي في

تحديث الزراعة في بلادنا . وتم مناقشة بحثين عن دور الارشاد في تطوير الزراعة . . وقد اثريت الندوة بالمداخلات والنقاشات من قبل الحضور.

الندوة العلمية حول حادثة الزلزال عام ١٩٨٢م وبرنامج الاغاثة والاعمار

وخلال الفترة من ٢ - ٤ ابريل ٨٩م جرت اعمال الندوة العلمية حول حادثة الزلزال الذي تعرضت له البلاد عام ١٩٨٢م . . والتي نظمها المكتب التنفيذي لاعادة اعمار المناطق المتضررة من الزلزال . . وقد تمت مناقشة الاوراق المقدمة للندوة والتي شاركت بها العديد من الجهات منها :-

- جامعة صنعاء .
- المكتب التنفيذي للاعمار
- مكتب البرنامج الانمائي للامم المتحدة بصنعاء .
- معهد الدراسات الاسكانية بمملكة هولندا .
- وزارة البلديات والاسكان .
- المكتب التنفيذي للمحافظة على صنعاء القديمة .

وفي ختام اعمالها اوصت الندوة بنشر وتعميم تجربة البناء الذاتي كما اوصت بضرورة تكوين فريق عمل من الجهات المختصة لوضع خارطة زلزالية اولية .

وطالبت بتطوير المكتب التنفيذي للاعمار وتوسيع اختصاصاته . . واوصت كذلك بضرورة الاسراع في انشاء محطات الرصد الزلزالي واجهزة التسارع . .

ندوة فتح مكة

نظم قسم الدراسات الاسلامية بكلية الاداب بجامعة صنعاء يوم ٢١ ابريل ١٩٨٩م ندوة حول فتح مكة شارك فيها كل من :

- الدكتور حسين الباكري رئيس قسم الدراسات الاسلامية
- الدكتور غالب القرشي الاستاذ بقسم الدراسات الاسلامية بالجامعة . وتناولت الندوة ، نتائج فتح مكة على الامة الاسلامية والدروس المستفادة منها .

الندوة الوطنية الاولى للبساتين

في الفترة من ٢١ - ٢٤ مايو ١٩٨٩م نظمت وزارة الزراعة والثروة السمكية الندوة الاولى للبساتين ، تحت شعار « من اجل التوسع في انتاج الفاكهة كما ونوعا » .

وقد وقف المشاركون امام عدد من البحوث واوراق العمل المقدمة لمناقشتها حيث حملت تلك الدراسات العناوين التالية :-

- **واقع التعارض المرتبط بانتاج الفاكهة وعلاقاته بمحددات تحقيق الامن الغذائي في اليمن .**
- **(ورقة عمل) تضمنت مسحا شاملا لمشاتل الفاكهة القائمة حاليا .**
- **دور القطاع الخاص في مجال انتاج اشجار الفاكهة المتساقطة الاوراق .**
- **التوقعات المستقبلية لانتاج الفاكهة الاستوائية في الجمهورية العربية اليمنية .**
- **تطور زراعة الموز والاناناس من خلال التقنيات الحديثة .**
- **الانضاج الصناعي وتحسين مراحل تداول الموز في الشطر الجنوبي من الوطن . .**
- **علاقة التربس بظاهرة تبقع ثمار الموز في الشطر الجنوبي من الوطن .**
- **(ورقة عمل) عن دور المجالس المحلية في مجال زراعة وانتاج الفاكهة . .**
- **(ورقة عمل) عن دور بنك التسليف التعاوني والزراعي في توسيع مساحة وانتاج الفاكهة .**

وقد شارك في اعمال الندوة عدد من مسئولي

هيئات ومشاريع ومكاتب وزارة الزراعة والثروة السمكية وعدد من المختصين في كل من - الشطر الجنوبي من الوطن - مصر - العراق - الاردن - الولايات المتحدة الامريكية - الجمهورية الفرنسية - مملكة هولندا - جمهورية المانيا الاتحادية - المملكة المتحدة .

وقد خرجت الندوة بعدد من القرارات والتوصيات التي تسهم في الدفع بعملية البستنة ومنها :-

○ التأكيد على ضرورة الاسراع باستصدار قانون لحماية الاراضي الزراعية من التوسعات العمرانية .

○ ضرورة التنسيق بين الهيئة العامة للبحوث الزراعية والجهات المختلفة .

○ ضرورة الاهتمام بالدور الفاعل للارشاد الزراعي في عملية التنمية الزراعية .

○ اهمية منع الاستيراد العشوائي لشتلات او تقاوي اشجار الفاكهة من الخارج وحصر الاستيراد على الجهات المختصة .

○ ضرورة تكثيف التنسيق في كل المجالات الزراعية والبحثية وتبادل الخبرات بين دول مجلس التعاون العربي :

○ ضرورة وضع برامج تنسيقية مشتركة بين شطري الوطن الواحد في كل المجالات الزراعية المختلفة البحثية منها والانتاجية .

○ تكثيف جهود التشجير في جميع مناطق الجمهورية والحد من التحطيب والرعي الجائرين .

○ التأكيد على الدعم المادي والفني لهيئة البحوث الزراعية وتوفير الكوادر الفنية .

○ التأكيد على الاهتمام بالاعلام الزراعي عبر قنواته المختلفة .

ندوة تقييم التعليم في الجامعة

وخلال الفترة من ٢٩ /٥ - ١٩٨٩/٦/١م عقدت في صنعاء ندوة تقييم التعليم بنظام الساعات المعتمد والتي نظمتها عمادة شئون الطلاب بجامعة صنعاء . .

وقد خرجت الندوة بعدد من التوصيات استهدفت تقييم نظام الساعات حيث اقرت العمل بنظام الفصلين مع الاحتفاظ بالمزايا الايجابية لنظام الساعات المعتمدة وتثبيت المقررات ا لدراسية في السنتين الاوليتين من الدراسة .

ندوة المسيرة الديمقراطية في الجمهورية العربية اليمنية

في الفترة من ٢٢ - ٢٣ يونيو ١٩٨٩م عقدت في صنعاء ندوة المسيرة الديمقراطية في الجمهورية العربية اليمنية والتي نظمتها اللجنة الدائمة للمؤتمر الشعبي العام بمشاركة اكاديمية البروفسورات للسلم العالمي . .

وقد سبق نشر ملف الندوة كاملا في مجلة الاكليل « ١٨ » العدد الثالث السنة السابعة - خريف ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م وهو العدد الخاص عن الثورة اليمنية . .

الندوة الفكرية للاحتفاء بالذكرى المئوية الثانية لقيام الثورة الفرنسية

وفي الفترة من ٨ - ١٠ يونيو ١٩٨٩م جرت اعمال الندوة الفكرية للاحتفاء بالذكرى المئوية الثانية لقيام الثورة الفرنسية واعلان حقوق الانسان والتي نظمها مركز الدراسات والبحوث اليمني . . وقد ناقشت الندوة عددا من البحوث والقيت فيها عدد من المحاضرات تناولت في مجملها اثر الثورة الفرنسية على قيام الكثير من الثورات في العالم .

واحتفاءا بنفس المناسبة جرت في صنعاء اعمال لقاء صنعاء الشعري العربي / الفرنسي في الفترة ٢٢ - ٢٧ يوليو ١٩٨٩م . .

وقد شارك في اعمال هذا اللقاء عدد كبير من رموز الشعراء العرب والفرنسيين واليمنيين .

وكان على رأس الحضور الشعري اليمني الدكتور / عبد العزيز المقالح عضو المجلس الاستشاري مدير جامعة صنعاء . . ، والاستاذ / حسن اللوزي وزير الاعلام والثقافة عضو اللجنة الدائمة . . والاستاذ / علي بن علي صبره ، نائب وزير الاعلام والثقافة . .

ندوة ثقافة الطفل

وخلال الفترة ٢٧ - ٣٠ يوليو ١٩٨٩م عقدت ندوة ثقافة الطفل في مقر المعرض الدولي لكتاب الطفل والذي نظمته وزارة الاعلام والثقافة . . وقد شارك في الندوة عدد من الكتاب العرب المهتمين بثقافة الطفل وعدد من رجال الثقافة والفكر في اليمن حيث وقف المشاركون امام عدد من البحوث والدراسات الى الندوة . .

وفي ختام جلسات المناقشة خرجت الندوة بعدد من التوصيات تحت عنوان (اعلان صنعاء لثقافة الطفل) حيث اكدت على اهمية انشاء هيئة وطنية لرعاية الطفولة والاحتفال بيوم الطفولة . . والعمل على انشاء جهاز مختص بثقافة الطفل باسم الادارة العامة لثقافة الطفل (بوزارة الاعلام والثقافة)

. . واكدت التوصيات على ضرورة العمل على اعداد برنامج تدريبي مكثف لتدريس فئتين اساسيتين من الفئات المتعاملة مع الاطفال وهم :-

أ - القيادات التي تعمل او ستعمل في الادارة العامة لثقافة الطفل بالوزارة .

ب - كتاب الاطفال الذين يكتبون اولديهم الاستعداد للكتابة للاطفال .

ومن التوصيات ايضا :-

○ السعي الى اصدار مجلة الاطفال تتناول الموضوعات التي تلبي رغبات الاطفال .

○ الاهتمام بالرياضة البدنية الخاصة بالاطفال .

○ التوسع في انشاء دور الحضانة ورياض الاطفال

○ تدريس مادة آداب الاطفال وثقافاتهم في الكليات الانسانية بجامعة صنعاء .

○ العمل على تكثيف التواصل في مجال ثقافة الطفل بين دول مجلس التعاون العربي والمجلس العربي للطفولة والتنمية والمجلس الاعلى المغاربي للطفولة والمجالس المختصة في الاقطار العربية الاخرى . .

ووقفت الندوة باعجاب واكبار امام الدور البطولي العظيم الذي يقوم به اطفال الحجارة في فلسطين . .

ندوة الاثار اليمنية . . اهميتها وسبل حمايتها

وخلال الفترة ٧ - ١٠ اغسطس ١٩٨٩م جرت في صنعاء اعمال ندوة الاثار اليمنية اهميتها وسبل حمايتها والتي نظمتها الهيئة العامة للاثار ودور الكتب بالتعاون مع منظمة اليونسكو .

وقد سبق نشر قرارات وتوصيات الندوة في مجلة الاكليل (١٧) العدد الثاني السنة السابعة صيف ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

ندوة الادارة التعاونية

وفي الفترة من ٣ - ٧ سبتمبر ١٩٨٩م نظمت وزارة الشئون الاجتماعية والعمل بالتعاون مع منظمة العمل الدولية ندوة الادارة التعاونية شارك فيها خمسة وخمسون من مسئولي واعضاء الجمعيات التعاونية ومشاركين من وزارة الزراعة وبنك التسليف التعاوني والزراعي والامانة العامة للمجالس المحلية ووزارة الاقتصاد .

وتوصل المشاركون الى نتائج منها : عدم وجود تشريع تعاوني مستوعب لطبيعة واغراض ووظائف الجمعيات التعاونية . وتدارس الاوضاع الادارية والتنظيمية وكذا اهمية العنصر البشري المدرب والمؤهل والمستوعب لمهامه ومسئولياته وكذا سبل تحديث وتطوير وسائل النشاط التنموي عن طريق استخدام الوسائل والمستلزمات لتطوير وزيادة

الانتـاج . وطـالب المشاركون احياء مشروع الهيئة العامة لاستيراد الالات ومعدات الانتاج . وناقشوا الاوضاع المالية للجمعيات التعاونية واوضاعها . .

ندوة تقييم مصادر المياه

وخـلال الفـترة من ٨ ـ ٩ اكتوبر ١٩٨٩م انعقـدت في صنعـاء ندوة تقييم مصادر المياه . . قدمت خلالها ثمانية عشر بحثا ودراسة حول تقييم مصادر المياه في الجمهورية العربية اليمنية .

وقد وقفت الندوة امام العديد من البحوث والـدراسـات المتعلقـة بتحـديد مصادر المياه ودور مشروع دعم المجلس الاعلى للمياه لادارة وتخطيط مصادر المياه .

ندوة المرأة والتنمية

وفي الفـترة ٣٠ اكتوبر ـ ٢ نوفمبر ١٩٨٩م انعقدت ندوة المرأة والتنمية تحت شعار « الانسان هدف التنمية» ناقشت الندوة احد عشر بحثا مقدما من الـوزارات المختلفـة في بلادنا ضمن نشاطات اللجنـة العليا للمـرأة والتنمية وادارة المرأة والطفل بوزارة الشئـون الاجتـماعية والعمـل بالتعـاون مع صندوق الامم المتحدة الانمائي للنشاطات السكانية ومن ابـرز اهداف الندوة دراسة وضع المرأة اليمنية وقد عالجت البحوث المقدمة العقبات التي لم تمكن الـوزارة من تحقيق ما جاء في الاسـتراتيجيات وقد خرجت الندوة بعدد من القرارات والتوصيات الهادفة الى تعزيز الجهود الرسمية والشعبية من اجل الارتقاء باوضاع المرأة . .

المؤتمر العربي الرابع للطب النفسي

وفي مجال الـطب النفسي وخـلال الفـترة من الخامس وحتى السابع من ديسمبر ١٩٨٩م جرت اعـمال المؤتمـر العربي الرابع للطب النفسي والذي نظمته الجمعية الطبية اليمنية لاختصاص الامراض النفسية والعصبية . ونقـابـة الاطبـاء والصيادلـة اليمنين بالتنسيق مع اتحـاد الاطبـاء النفسـانيين العرب .

وقد شارك في اعمال المؤتمر حوالي مائة طبيب من تخصصـات مختلفـة بالامـراض النفسية . وقد خرج المؤتمر بعدد من التوصيات منها :ـ

الاهتمام بالدراسات الوبائية لمعرفة مدى انتشار الامراض النفسية واعطاء الاهتمام الكافي لهذا الفرع والتخطيط لخدمة الصحة النفسية والاهتمام بتدريس الطب النفسي في كلية الطب .

الـدورة الثـالثـة للمكتب الـدائم لاتحـاد المحامين العرب

وفي مجال المحاماة وتحت شعار من اجل دعم الانتفـاضــة الفلسـطينية واحياء الـذكـرى العالمية للاعلان العالمي لحقوق الانسان جرت اعمال الدورة الثـالثة للمكتب الدائم لاتحاد المحامين العرب في صنعـاء من ٩ ـ ١٢ ديسمـبر ١٩٨٩م وقد حضر جلسة الافتتاح الاخوان عبد العزيز عبد الغني رئيس مجلس الوزراء عضو اللجنة الدائمة والقاضي محمد اسماعيل الحجي نائب رئيس مجلس القضاء الاعلى عضو اللجنة الدائمة .

وفي نهاية اعـمال الـدورة صدر بيان ختامي تضمن القـرارات والتـوصيات التي تمخضت عن اجتماعات هذه الدورة والتي دعت الى استنهاض الامـة العـربية لدعم الانتفـاضـة وادانة المحاولات الامـريكية والصهيونية لاستبعـاد الممثـل الشرعي والـوحيد للشعب الفلسـطيني وايدت الخـطوات الـوحـدوية على الساحة اليمنية . وطالبت الدول العـربية التي لم تصدر دساتيرها الدائمة الى سرعة اصدارها في اطار الشرعية مما يكفل حق المشاركة لمواطنيها .

دور المؤسسات التقنية في خدمة المجتمع

وفي الفترة من ١٨ ـ ٢٢ نوفمبر ١٩٨٩م عقدت الندوة العلمية عن دور المؤسسات التقنية في خدمة المجتمع والتي نظمتها وزارة التربية والتعليم بالتعاون مع الاتحاد العربي للتعليم التقني . .

شارك في هذه الندوة امين عام الاتحاد العربي للتعليم المهني . وقد ناقشت الندوة (٢٤) اربعة وعشرون بحثا مقدمة من وفود اثنى عشر دولة عربية . وخرجت بقرارات وتوصيات تضمنت العمل على توفير القوى العاملة المهنية والتقنية واعداد تنفيذ برامج التعليم والتنسيق مع المؤسسات الانتاجية والخدمية . . وانشاء الوحدات التدريبية والانتاجية واجراء البحوث والدراسات التطبيقية وتقديم الاستشارات والاهتمام بالتأليف والترجمة . وكذا ضرورة استفادة الاقطار العربية مما يمكن ان يقدمه الاتحاد العربي للتعليم التقني ، والزام الشركات المنفذة للمشروعات الصناعية تخصيص جزء من نفقات المشروع لتدريب العناصر الفنية .

الدورة الثانية للمجلس المركزي للاتحاد الدولي للعمال العرب

وفي الفترة من ٩ - ١٢ ديسمبر ١٩٨٩م انعقدت اعمال الدورة الثانية للمجلس المركزي للاتحاد الدولي للعمال العرب والتي افتتحها الاخ الدكتور حسن محمد مكي نائب رئيس الوزراء عضو اللجنة الدائمة .

وقد ناقشت الدورة عدداً من البنود التنظيمية والمهنية والسياسية والاقتصادية . . ودعت الدورة في قراراتها الى دعم الانتفاضة الفلسطينية وانشاء صندوق دائم لدعمها وطالبت الحكومات العربية تنفيذ ما اقرته المؤتمرات العربية بشأن تقديم الدعم المادي لمنظمة التحرير الفلسطينية ، واقرت اقامة صندوق تضامني نقابي عربي لدعم النقابات العمالية ، كما اقرت تشكيل لجنة من عدد من الاتحادات لصياغة مشروع ميثاق الحريات النقابية ، وتشكيل لجنة للمرأة العاملة .

ندوة الاتصالات الريفية

في الفترة من ٩ - ٢٠ ديسمبر ١٩٨٩م عقدت فعاليات الندوة العلمية للاتصالات الريفية والتي نظمها الاتحاد الدولي للاتصالات السلكية واللاسلكية وبرنامج الامم المتحدة الانمائي بالتعاون والتنسيق مع وزارة المواصلات والمؤسسة العامة للاتصالات السلكية واللاسلكية .

وقد شارك في اعمال هذه الندوة مختصون من شطري الوطن ومن جيبوتي والصومال والسودان ومصر والسعودية واثيوبيا .

الندوة الوطنية لدعم وتحسين خدمات الرعاية الصحية

عقدت في الفترة ١٦ - ٢١ ديسمبر ١٩٨٩م اعمال الندوة الوطنية لدعم وتحسين خدمات الرعاية الصحية الاولية والتي نظمتها وزارة الصحة بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية وصندوق الامم المتحدة للسكان ومنظمة اليونسيف ووكالة التنمية الدولية . . وقد خرجت الندوة بعدد من التوصيات الهادفة الى تطوير وتحسين الرعاية الصحية الاولية في بلادنا وايصالها الى مختلف مناطق المحافظات .

الندوة العلمية للمحافظة على صنعاء القديمة

خلال الفترة من ٢٠ - ٢١ ديسمبر ١٩٨٩م نظم المكتب التنفيذي للمحافظة على صنعاء القديمة بالتعاون مع برنامج الامم المتحدة الانمائي ومنظمة اليونسكو اعمال الندوة العلمية الخاصة بالمحافظة على صنعاء القديمة .

وقد شارك فيها العديد من المختصين في شطري الوطن والدول الشقيقة والصديقة وقدمت عدد من البحوث والدراسات .

وخرجت الندوة بتوصيات اكدت على اهمية دعم المؤسسات والاجهزة المختصة بالمحافظة على صنعاء القديمة .

ودعت المؤسسات العامة والخاصة لتشجيع السياحة الداخلية ، وانشاء مراكز متخصصة في الفنون الحرفية من خلال اقامة المعارض الدائمة والتنسيق وتبادل الزيارات والخبرات ، كما اوصت بسرعة اصدار لائحة المخالفات للبناء والترميم في المدن اليمنية التاريخية .

المكونات الطبيعية والثقافية للوحدة اليمنية

علي بن علي صبره

لقد أخطأ الاممميون الاسلاميون والماركسيون لولائهم للأمة العالمية دون الوطنية والقومية وبذلك وقفوا وما زالوا مواقف سلبية من القضايا القطرية والقومية لايجد المرء لها دليلا أو مبررا من الدين أو النظرية العلمية غير الجهل بهما معا وهو أنسب مايمكن ان نقوله كما يحلو للبعض ممن يدعي العلم بتاريخ اليمن التشكيك في مقومات وحدته في المكونات الطبيعية والثقافية للوحدة اليمنية وسياقها التاريخي.

جاء في الملاحم والأدبيات السومرية ذكر لجزيرة السعادة أو جزيرة الخلود أو مقر الالهة المقدسة المسماة لديهم «إيدن» والتي وصفوها بأنها ذات مراع خصبة وواحات ومستنقعات وغابات وقالوا أنها لاتعرف الحزن ولا الفساد ولا الموت وتتعايش فيها المتناقضات من كل الاجناس وهي المكان الذي آل اليه «أونا بشتم» الذي نجا بسفينته من الطوفان والتحق بعالم الخلود مع الالهة عند مصب الانهار كما في ملحمة «جلجامش» وقد تغنت بها الأدبيات السومرية والأكادية البابلية على أنها الجنة المفقودة او سميت كذلك بـ«دلمون» التي زعم بعض العلماء المعاصرين أنها جزيرة البحرين وقد جاء هذا الاسم في شعر لامرىء القيس في قوله :ـ

(دمون) إنا معشر يمانون وأننا لاهلنا محبون

ونلاحظ هنا اختلافا لهجيا في النطق في قراءة الاسم حيث أدغمت فيه الأداة القمرية بينما أظهرت في القراءة الأولى (دلمون ـ دمون) ومهما يكن الاختلاف فقد أشار الاسم الى المحيط الجغرافي لهذه الجزيرة الواقع بين قراءتي اسمها ـ دلمون البحرين ـ دمون حضرموت ـ ومعنى ذلك ذات المياه ـ مصب الأنهار في الملاحم والأدبيات السومرية والبابلية بالإضافة إلى أن التورات قد اقتبست هذا الإسم لجنات «عدن» التي حددت مكانها بشرقي «عَدَن» والتي جاءت في أدبيات الشرق الأدنى بالجنة التي خرج منها آدم ورحل إلى جده ليلتقي في مكة «بحواء» وكل هذه الاشارات تحوم حول منطقة واحدة تقع في الجزيرة العربية وفي الجانب الشرقي منها بالذات حيث تدل عليها الظواهر الطبيعية مثل الربع الخالي والنفود وصحراء نجد وغيرها من الوديان الكبيرة مثل (الرمه) و(الدواسر) (ومذاب والكسر) كما يدل التاريخ بآثاره على قيام حضارات حوالي هذه المنطقة مثل (حضرموت) ، و(قتبان) و(سبأ) و(معين) المسماة بحضارة (حوض صيهد) كيف صار مصير هذه الجزيرة المقدسة أو الجنة التي كانت تجري فيها أو

تصب فيها الأنهار السبعة؟ لاشك أنها أصيبت في الزمن القديم بانقلاب كوني تتابعت احداثه وتعددت طبيعته ومنها ماجاء في القرآن الكريم عن نكبة عاد (بالريح الصرصر) أو (ريح الصريم) التي ذهبت بهم وبمدينتهم «ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد» وأصبحوا كأعجاز نخل خاوية وحدد القرآن مكان الحدث في «الاحقاف بحضرموت» وكذلك الخسف الذي أصاب أهل «الرس» أصحاب النبي «خالد بن صفوان» من نواحي صيهد ومطر السؤ الذي أنزله الله على قوم «ثمود» في وادي القرى مما يلي الاردن وما أستطرد اليه المفسرون والمؤرخون العرب من ذكر البراكين التي أصاب الله بها قوم (خالد بن سنان) الذي سؤل عنه النبي (ص) فيما روى عنه فقال «ذلك نبي ضيعه قومه» في الحرار - السفوح الغربية المطلة على تهامة ناهيك عن آية قوم سبأ وجناتهم وقوم تبع وخيراتهم والمصير المشؤوم الذي آلوا اليه بالتمزق والشتات وضرب العرب به الأمثال فقالوا (تفرقوا أيدي سبأ) ثم يجيء الحديث النبوي الذي رواه مسلم فيؤكد هذه الظواهر جميعها حيث يقول «لن تقوم الساعة حتى تعود جزيرة العرب كما كانت عليه جنات وأنهارا» وسواء صحت رواية هذا الحديث أم لا فهو إشارة واضحة إلى معرفة دقيقة عن ماضي الجزيرة وما آلت اليه ويجيء العلم الحديث فيثبت في الدراسة الجيولوجية والأركلوجية مصداقيته فيؤكد أن المنطقة قد أصيبت بعدة انقلابات كونية فصلت الجزيرة العربية عن افريقيا من الغرب وعن هضبة إيران من الشرق ونتج عن ذلك البحر الاحمر والخليج العربي كما جاء عند كثير من المؤرخين اليمنيين مثل (ابي الجيش النجاحي) و(ابن المجاور) وذلك في الزمن البعيد.. ومن هذه الكوارث الطبيعية المتلاحقة عبر آلاف السنين، الاعصار العنيف الذي نتج عن انخفاض جوي في جنوب شرق الجزيرة والمحيط الهندي وكذلك الفيضان الناتج عن هطول أمطار غزيرة في زمن ما على جبال أسيا الصغرى حيث تقع منابع نهر الفرات وهو الطوفان الذي أشار اليه القرآن والملاحم السومرية والآكادية وكذلك التورات وتشهد الظواهر الجغرافية والشواهد الجيولوجية والأركلوجية التي كشفت عنها الاقمار الصناعية ان تلك الأنهار الغائرة في أعماق الصحراء العربية «الربع الخالي» لم تزل تجري حتى الآن..

وقد أشار اليها الهمداني في الاكليل وفي صفة جزيرة العرب وبالأخص منها (مفازة صيهد) الممتدة من نجران إلى بيحان وحضرموت والتي كانت تمر في ضفتها الشرقية طريق تجارة البخور الى (العلاء) ومنها تتفرع الى العراق وإلى الشام وأخبرنا بأن القوافل التي تضل هذه الطريق تغرق في بحر من الرمل «الربع الخالي» وزاد قوله بأن هذه المنطقة كانت عامرة في الدهر الأول بقوم (عاد) وان الناس في عصره مازالوا يعدنون مناطق منها فيعثرون على لقي من الاحجار الكريمة والزينات الذهبية وغير ذلك.. وقد عثر العقيد البصراوي في هذه المنطقة على أسماك متحجرة وقواقع نهرية كدلالة عملية على ماسبق ذكره.. كما يروي ذلك معاصروه والناس في اليمن والجزيرة العربية يسمون الربع الخالي إلى الآن «البحر السافي وبحر الرمال والربع الخراب» (وفي التورات - بحر سوف) إذن فقد تحددت لنا المنطقة وملامح ماضيها المزدهر وأسباب مصيرها فمتى كان ذلك..؟

من المعلوم أن الجزيرة العربية عاشت فترة جفاف طويلة قدرها العلماء المعاصرون ب ١٤٫٠٠٠ - ١٠٠٠٠ قبل ميلاد المسيح عليه السلام. ويقدرون زمن الطوفان في هذه الحدود وربما إلى ٨٠٠٠ قبل الميلاد إلا أنهم قالوا بأنه لم يتجاوز منطقة الفرات. ومن خلال تحديدهم للهجرات الجزرية إلى مصر والشام بالألف الرابع قبل الميلاد نستطيع ان نخمن زمنا لكارثة عاد في هذه الحدود وهو الزمن الذي حددوه بظهور حضارة مصر «الدولة» وحضارة مابين النهرين «وتل العبيد» و «أوروك» «وسومر» التي يقولون أنها أول دولة وحضارة قامت في العراق بعد الطوفان وقد حددوا زمنها بهذا القدر.

ثم اننا من تحديدهم لزمن تواجد الثموديين من خلال ذكرهم في الأدبيات المصرية والسومرية بحوالي

الألف الثالث قبل الميلاد يدرك أنهم اصيبوا بكارثة لاحقة للطوفان ولعاد أيضاً وأن عدة كوارث لاحقة قد منيت بها الجزيرة كما سبق ذكره نتج عنها عدة هجرات إلى الشام والعراق أولاها في الألف الثالث قبل الميلاد فنتج عنها ماعرف «بالكنعانيين والاكاديين أو الكلدانيين والأراميين والعموريين» وهي مسميات لأمة واحدة عرفت بالأمة السامية - الجزرية ذات الأصول الأثنية واللغوية والعقدية الواحدة .. ولعل ذلك بسبب استمرار فترة الجفاف بما يزيد عن عشرة الآف سنة .

وأخيرا تأتي الكشوفات الاثارية للبعثات الألمانية والايطالية والسوفيتية في مناطق مختارة من وطننا الحبيب مثل «حجر بن حميد» و«بني ظبيان» و«مأرب» لتثبت أن الإنسان قد عمر هذه الأرض قبل عشرات الآلاف من السنين .

ولا شك ان الدراسات القائمة اليوم على قدم وساق في عمان الشقيق ستكشف عن حقائق مذهلة ربما غيرت مجرى المسلمات العلمية القديمة لا عن أول موطن للانسان وحسب ولكن عن الانسان ومراحل تطوره بيلوجيا وحضاريا وتلك المسلمات الواردة حتى الآن عن أولى الحضارات وعن موطنها الاصلي أيضا ..

ولما أشتد المد الصحراوي الناتج عن هذه الكوارث الكونية تراجع الانسان العربي الى الجبال المحيطة بمنطقة الربع الخالي بما عرف باليمن والحجاز ونجد والعروض وذهب الفائض من السكان الى الوطن العربي الكبير في أسيا وافريقيا حيث لم تزل تعرف مناطقهم باسمائها الاصلية في المنطقة مثل (صور وجبيل وميسور مصر والعبر وسامور وبني يمن بنيامن وعنت وعشيرة ويون وغيرها فحجزوا مياه الامطار بالسدود وبنوا المدرجات الزراعية في الجبال .

وتواصلوا بجدودهم عن طريق التجارة برا وبحرا واستمر تدفقهم للأنتجاع حتى بلاد الاناضول .. فمن طبيعة هذا المناخ الجغرافي الطبوغرافي الجديد والتمازج الأثني تنوعت وسائل الإنتاج ومواسمه وتداخلت بعدة روابط ومثيرات في استجاباتها لصرورة الحياة الجديدة للسكان ومن ثم ما أفرزته من انماط تعامل وعلاقات اجتماعية وانتاجية تشابكت هي الأخرى باللغة وعطاءاتها الثقافية وبالحياة العامة والحضارة وكان شأنها في ذلك شأن الحضارات والدول العظمى في التاريخ التي بدأت جميعها من التمحور حول مدن عرفت فيما بعد تلك الدول باسمائها مثل : (أشور ، وبابل ، وقرطاجة ، وتل شمره أو «أجرت» - أو غاريد ، وكذلك أثينا واسبرطة ، وكريت ، وروما ، ونحوها ، ثم تطورت إلى اتحاد ضم مدن المقاطعات المحيطة ومن ثم إلى الدولة المركزية الوطنية ثم الامبراطورية . كقانون سائد في المسارة التاريخية للبشر في سلم النشؤ والارتقاء . كما اتفقت معها في سبب نشؤ المدن (الهجر) وتكور الناس حول معبدها من مختلف الاثنيات نحو بناء المجتمع والسلطة الدينية والمدنية وقد مر التطور العقيدي والاجتماعي في بلادنا عبر آلهة مركزية ثلاث تبعا لتطور المشتركات الأثنية إلى مقاطعات كبيرة كان لهذه الالهة فروع في مدن هذه المقاطعات وأصقاعها كا(المقة) وفروعه و(اثر) وفروعه وعم وفروعه ثم صارت أسماء لمسمى واحد تماهت فيه على طريق توحيد الاله الغائب المتصاعد السامي وهو ماعرف ب (ذي سموي) أو (الرحمن ذي بالسماء) و(رحمانن مترحمن) ومن ثم إلى (الله سبحانه وتعالى) حيث طالعتنا صيغ تولوجية في النقوش بتوسلهم بجميع آلهات كل الشعوب وآلهات الأرض والسماء والهات المشرق والمغرب وآلهات البحر والبر في تزامن وصل بالمجتمع والعقيدة واللغة ونظام الحكم إلى الدولة المركزية الديمقراطية كنموذج لبنية متكاملة تطابقت تشريعاتها وأعرافها وتقاليدها مع متطلبات الطبيعة وحاجات الناس ومع الدور التاريخي لها في مجتمع طبقي تعاوني توزعت فئاته سائر الأعمال والمهام في السلم والحرب .. حيث كان الملك يقف على قمة الهرم الهيكلي السياسي والاجتماعي على رأس مجلس استشاري عام مكون من رؤساء البلد الذين عرفوا ب «المسودين» الممثلين لمناطقهم في الحكومة المركزية

، وبما عرف فيما بعد بنظام (المعاشرة) و(المثامنة) كما كان يوجد في المقاطعات أو الاقاليم مجالس محلية شبهها بعض الباحثين من المستشرقين بمجالس (العمد) أو (المختارين) أما في البناء الاجتماعي فكان يلي هذه الطبقة طبقة (الطّبن) وتعني الطبقة العاملة في حقل الزراعة والتجارة والصناعة وهي الطبقة الوسطى ، يليها الطبقة العامة التي عرفت ب (أدوم) حسب وصف إسترابون .

وكما جاء في نقش (سمة علي ينوف) المكرب السبئي حوالي (٨٠٠ ق . م) الذي ذكر فيه بناءه لمعبد المقة في صرواح حيث أشار الى هذه الطبقات التي شاركت في البناء وهم (آل جوم - وحمرم وكل ذي حبلم) أي سكان المدينة والقرى المجاورة -(حورن) والتجار - والمزارعون .

وعبر هذا التكون الذي أشير اليه في النقوش اليمنية ب (حِلْفَن ، وربعن . وخلتم ، ومودت ، واخوت ومقتت وأخيرا أدوم وأعربن) كان يجمع هؤلاء مايشبه نظام الحكم المحلي اليوم الممثل بالمحافظات والمجالس البلدية والمحلية وقد كان لبعض القادة اليمنيين في سياق هذا التطور الاجتماعي والسياسي دور بارز مثل (كرب ايل وتر ٧٠٠ ق . م) الذي كان أول من عزل المعبد في دولة سبأ الأولى عن الحكم والسياسة ووحد الممالك والمقاطعات وحمد الإله الذي أعانه على توحيد بلاده وكذلك المحاولات التاريخية الوحدوية بين حضرموت ومعين وقتبان حيث تماهت في اتحاد (سبأ وذي ريدان) ثم صارت في آخر العصر الحميري القرن السادس بعد الميلاد (سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت) تلتها عدة محاولات من قادة أفذاذ في العصر الإسلامي في مرحلة استقلال الأقاليم عن الدولة الإسلامية المركزية مثل علي بن الفضل اليافعي ، أسعد اليعفري ، علي محمد الصليحي ، علي بن المهدي الرعيني ، عامر بن عبدالوهاب الطاهري وغيرهم من ملوك آل رسول والأئمة تلك هي مكونات ومقومات الوحدة اليمنية وعوامل الازدهار والاستقلال في ظل دولة الوحدة و التي قادت الى مجتمع ديمقراطي تعاوني موحد ، أشار اليه القرآن الكريم فيما جاء على لسان بلقيس (قالت يا أيها الملأ افتوني في أمري ماكنت قاطعة أمرا حتى تشهدون ، قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين) ، حيث تدل كلمة (افتوني) على المرجعية السياسية والدينية للمجتمع والى العلاقة الديمقراطية بين الحاكم والمحكومين ، كما تدل عبارة (في أمري) على ما ألم بها من أمر وعلى الموقف الذي يجب ان تتخذه ازاءه كحاكمة ، ولذا قالوا لها (الأمر إليك) وليس (الأمر لك) وانما هو لنا نحن أولو القوة والبأس المادي والمعنوي وخولوا لها النظر في الامر وزيادة في الحيطة وحتى لاتنفرد بالقرار ذكرتهم بقولها [ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون] أي استشعروا مسئوليتكم ياأولوا القوة والبأس فإن الاستبداد والحكم الفردي يسحق المجتمعات ويفسدها وإن كانت قوية .

الملمح الثاني أن الامة العربية في الجزيرة العربية في هذا التاريخ قد وصلت الى أوج تطورها ونضجها حيث حكمتهم أكثر من امرأة هي (بلقيس) في جنوب الجزيرة وأواسطها و(زبيبة) و(شمس) في شمالها و(تلغون) و(زنوبيا) في تدمر (بادية الشام) كما جاء في النقوش الأشورية من عهد سرجون الثاني في القرن التاسع قبل الميلاد واسرحدون وسنحاريب وغيرهم الذين ذكروا ماحصلوا عليه من هدايا وجزيات من هؤلاء الملكات شملت الذهب والفضة والصناديق المطرزة بالعاج والثياب المذهبة والاحجار الكريمة والطيور الملونة والطيوب المتعددة والخيول والجمال . . وكلها ماعون حضارة مزدهرة لا ماعون بادية مقفرة كما لايخفى .

والملمح الثالث ما أجمعت عليه المصادر الاخبارية من أن بلقيس ذهبت الى سليمان لتغالبه في الحكمة في رحل حملت فيه الأعاجيب التي فتحت لسليمان شهية توسيع ملكه واستيلائه على مناجم الذهب السبئية في (عضبر) و(حدوله) في افريقيا

الشرقية وفي (سراة عسير) وكذلك السيطرة على تجارة البحر حيث استعان بالبحرية الفينيقية فشكل أول اختراق الى مقوم رئيسي للحضارة والدولة اليمنية القديمة .

ومن هنا يمكننا رصد أسباب وعوامل التدهور بالتالي :-

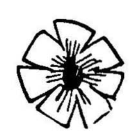
١ - ازدهار النشاط التجاري بمردوداته على الانتاج الزراعي وافرازاته مما سبب في اهمال السدود والقضاء على روح العمل الجماعية وقاد المجتمع نحو الحيازة على حساب الملكية العامة، تبعه اختلال في النظام السياسي والمحصل الثقافي والنشاط الحضاري وقاد إلى طبقية إقطاعية ارستقراطية على حساب نظام توزيع العمل السابق .

٢ - شكل انتكاسة سياسية واجتماعية نحو ماقبل المجتمع الديمقراطي الموحد الأمر الذي أحل الحرب محل السلام والتنافس المصلحي محل التنافس الانتاجي وبالتالي أوقع البلد تحت الاحتلال الاجنبي ، بحيث لم تأت المحاولات الحميرية الاخيرة في الوحدة إلا وقد وقع الوطن العربي كله تحت وطأة العملاقين الدوليين الروم والفرس وما أشبه الليلة بالبارحة . . ليأتي الاسلام بعد ذلك ليشكل انبعاثه عربية جديدة في مضامين إنسانية عادلة أعطى الأولوية لعملية تحرير الوطن العربي ثم البناء الكلي كمشروع حضاري خالد لم يكن غريبا عن اليمنيين وسياق تطورهم وطبيعة موروثهم ولا صعب عليهم فهمه لذلك فقد انخرطوا فيه دون قتال وكان لهم الدور البارز في نشره وتدوين علومه وفي النضال الدائم ضد محاولات الاختراق اليه والانحراف عنه والتسلط منه وحملوا رأية الثورة من أجل المساواة بين المسلمين مهما كانت اعراقهم وطرق معاشهم في الحقوق والواجبات السياسية والاجتماعية وبعد ان ضربت شوكتهم بالصراع بين القيسية واليمانية انخرطوا في جميع الحركات والمذاهب الثورية وارتكسو كغيرهم الى مرحلة الاقليمية والجهوية وأستمر نضالهم الاقليمي من أجل يمن ديموقراطي موحد في نطاق النضال القومي من أجل وحدة عربية هي الأخرى الاساس الاول أو المدخل الرئيسي الى وحدة الامة الاسلامية .

والبحث في هذا الموضوع يطول شرحه وقد اكتفيت بتلخيصه الى حد غير مخل وآمل اذا أمد الله في عمر اللقاء بكم على صفحات المجلة ان أبذل قصاري جهدي بمزيد من البسط والاستدلال . . وفوق كل ذي علم عليم . .

إلا أنه لايفوتني القول في نهاية هذه الاستطراده المختصرة بالأشارة الى عامل تاريخي مهم كان حصيلة هذه الوضعية الطبيعية ومعطياتها الثقافية والحضارية ذلك هو رجوع اليمنيين دائما الى ذاتهم لتجدد من خلالها أو الاحتماء بها كلما داهمتهم الحياة العامة بمفاجآتها أو كلما فشلت مشاريعهم السياسية الوحدوية القومية او جوبهوا بغزو أجنبي خارجي أي من مواجهة التحدي الخارجي وطموحات التوسع والانتشار خارج الاقليم الى مواجهة التحدي الطبيعي الداخلي الأمر الذي حافظ على رصيدهم من الطاقات والقدرات والانظمة الاجتماعية والتواصل المستمر بماضيهم وأمجادهم واستقلال شخصيتهم وتمتعهم دائما بالدور البارز والفعال خارج الوطن وداخله وقدرتهم على تمثل المثال أيا كان مصدره والاتحاد معه وتجاوزه الى مشروع خاص ومرونة التقبل والتكيف مع الحضارات الاخرى بالمساهمة فيها دون ارتهان لها وعلى مدى كل العصور واحتفاظهم بتاريخهم شفاهيا يتوارثونه جيلاً عن جيل على مستوى الوطن والأمة والعالم .

هذه هي مقومات الحضارة والثقافة اليمنية . . فما هي إذا ماهية الثقافة وعلاقاتها بالانسان والارض والحياة والتاريخ، بالفرد والمجتمع والدولة وبالتنمية الشاملة . .



المنطلقات النظرية والفلسفية للخطة الثقافية اليمنية

هذا تعريف بالثقافة من منظور منظومي برؤية بنيوية فرضتها العلاقة بين الثقافة وبين النظام الفكري وآليات العمل الإعلامي من جهة وبينها وبين نظام التنمية الشاملة وعلى ضوء التطورات النظرية والعملية في ظل الجهود المبذولة من أجل التنمية ذات العلاقة الايديولوجية الجدلية والفلسفية بالديمقراطية والوحدة اليمنية .. اذ لايمكن بدون تعريفها ان تحدد منطلقاتها ووسائلها وأهدافها في رسم خطة شاملة ولا المراحل والاولويات التنفيذية لهذه الخطة .

كما انه لايمكننا وضع تصور شامل لطبيعة الخطة وأفاقها العامة دون تحديد المنهج والرؤية في مفهومنا للثقافة ..

فماهي إذن الثقافة ..؟

الثقافة هي مجمل النشاطات المتحققة على الواقع والممكن تحققها مستقبلا في إطار الانتاج الانساني والاجتماعي والروحي بحكمها مقوما تربويا وحضاريا ومؤثرا سيكلوجيا اجتماعيا للفرد والمجتمع ترتكز على مبدأ حرية الفرد والجماعة في العلم والتعلم وفي التفكير والابداع ومن ثم تعويده على المسائلة والبحث في حقائق الامور وعلى تنمية ملكة الذوق الجمالي وتذوق قيمه المعنوية والمادية في اطار توكيد علاقة الفرد المبدع بالوعي الجماعي وتناغم ابداعه بايقاع النظام الاخلاقي والمعرفي للمجتمع حيث يتحقق ربط نشاط الانا الانسانية بالاخر ربطا تكامليا اخذا وعطاءاً ويتحقق الدور الريادي الحضاري للمبدع .

وبما ان الثقافة في منظورها العام وفي عطائها وفعلها منظومة كلية تنبت في ارضية الواقع وتتسق وتنتشر في مناخه العام فهي تنمو وتضمر وتذبل تبعا لموارده وللتقلبات الكونية فيه أو ما في حكمها وبما أنها في الغالب الأعم تنمو نموا ديناميكيا كسيرورة طبيعية جبرية الا انها في حقيقة أمرها تخضع وتتأثر بأمور كثيرة مثل العزلة والتخلف الاجتماعي والاقتصادي وبالموروث والمسلمات السائدة

والنظام العقلي العام ولذلك يتحدد دور المثقفين والمبدعين على وجه الخصوص بالتبشير بالجديد النافع وإقتحام آفاقه وعبر اختراق السائد للارتفاع بمستواه لا لمقاطعته في عملية ارتقاء .

ولهذا كله فأن الثقافة ترتبط بالتاريخ والجغرافيا واللغة والقيم الاجتماعية والدينية كمنظومة معرفية يتسق فيها الايماني بالعقلاني والمادي بالروحي والنظري بالعملي ويشكل التراث الانساني العنصر المركب النوعي والاساس الذاتي والموضوعي فيها لانه بمكوناته وروافده يشكل بدوره الشخصية اليمنية والهوية الحضارية المتميزة ومن خلال تحديد ماهية الثقافة تتحدد الهوية ومكونات الموروث الحضاري. ومن تحديدنا للهوية الثقافية والحضارية اليمنية يتبين لنا أوجه القوة كمسلك وغاية للعمل الوطني من خلال تحديد الموقف من التاريخ والتراث بإعادة قراءته لا كتابته ومحاكمتها في اطار زمكانيتها وظروفها الموضوعية وذلك بالتقديم والتعليق وكذلك تحديد الموقف من العادات والتقاليد على ضوء علاقتها بالتحولات الثورية المعاصرة وما تتركه من أثر في تبدل العلاقات القديمة وغرس علاقات جديدة وبفتح باب الاجتهاد في الدين للمحافظة على ديمومة رسالته وعالميتها وتأكيد دور العقل والعلم في الخلاص من سيطرة النصوص الجامدة وقطع حبال الشر الى الخلف بحكمهما ركنين أساسيين في الايمان وان العمل من أجل اكتساب القوة هو غاية الايمان في الاسلام من الفرد المسلم والامة وبذلك نملك القدرة على تحديد اشكاليات النهضة العربية الحديثة التي من أبرزها اشكالية الاصالة والمعاصرة وتحديد الموقف من الحضارة العالمية واشكالية العروبة والاسلام والاسلام وقضايا العصر واكتساب التكنولوجيا .

ومن هنا تتشكل طبيعة منهجنا ورؤيتنا للثقافة ومعالجة قضاياها والتعرف على علاقاتها وأبعادها وأثارها حيث ننظر اليها من زاوية تجمع بين الخاص والعام وبين الشكل والمضمون معا وتندرج فيها علاقة الفرد بالمجتمع وتوحي اشكالها وانماطها وظواهرها الابداعية عما يكمن خلفها من حقائق ومميزات موروثات ومتأثرات خصائص ومكتسبات كما تشمل علاقة القطري بالقومي وعلاقتهما معا بالانساني في افق المخيلات العامة .

وهكذا حددنا منابعها الرئيسية وقنواتها وروافدها وغاياتها كما أستطعنا ان نحدد وسائلها ومستلزماتها النظرية والمادية والفنية وكذلك الضوابط المعرفية والقانونية المنظمة لمساراتها والحامية لها في نفس الوقت اذ بعلاقتها المنطقية والايديولوجية بالتنمية الشاملة استحقت كل ما يترتب عليها من حقوق وواجبات بل استحقت في ذلك الاولوية في الاهتمام والرعاية لعلاقتها بالانساني فردا ومجتمعا وتحدد تبعا لذلك طبيعة واطار الاهتمام والرعاية بتوجيه الحراك التأريخي العام وحفز الادراك الذهني والفردي والجماعي نحو حاضر متطور بأثارته وشحذ قدراته وطاقاته لالتقاط قيم ومقومات المستقبل وعبر خلق تراكم معرفي من محصلات التجارب الانسانية وتكوين عقل اجتماعي واعي قادر باستمرار على الرفض والابدال والفرز والتمييز وحسن الاختيار ولكون الثقافة في مجراها الخاص والعام عملية ابداعية كالنهر الذي يتجدد كل لحظة يجب ان لا تخضع للتحكم الفوقي المطلق ولا لسيادة المألوف من الانماط الجامدة وانما تتأثر تلقائيا وتوجيهياً بالاثارات والتحديات الطبيعية وحب البحث عن المجهول والرغبة البشرية في التفوق ومن المحاولات والتجارب المستمرة في تجسيد الصور والايقاعات الداخلية وكل ومضات الالهام والمخيلات الوجدانية ومكونات الذاكرة التأريخية الفردية والجماهيرية

واكتشاف أسرارها الغامضة وابراز محصلات المعاناة الفردية والجماعية في التعبير عنها في اعمال محسوسة وملموسة ترى فيها الانا الانسانية ذاتيتها بكبرياء مشروعة فهي اذن معطى كلي متنوع للمجتمع باسره هو في حقيقته الهوية والقوة للمجتمع .

لذلك فأن الرديف الطبيعي والمعادل الموضوعي لحقوق المثقف والمبدع هي الواجبات الملقاة عليه ازاء نفسه ومجتمعه تتموضع في الالتزام المبدئي والخلقي بقضايا المجتمع وهمومه وثوابته العقائدية والاخلاقية مقابل ما يتمتع به من سيادة ابداعية واولوية اعتبارية وجدلية بهدف توطيد العلاقة بين المبدع والعمل الابداعي ووجدان المجتمع في خطاب عام مشترك هو ذات المشروع الحضاري الذي هو موضوع وغاية التنمية الشاملة ولتجرى الممارسات الفردية والجماعية ثقافية وعملية في رحابه ومن أجله في حوار قائم على التثقيف والمثاقفة والمباحثة والمساءلة وعلى الدعوة والتبشير بالحسنى وتعدد الهوايات والمنابر واشاعة روح النقد البناء والنقد الذاتي في حركية تاريخية عامة ومتنوعة ومتناغمة بنفس المقدار والاهمية المعطاة للقوانين والتشريعات التي تكفل حقوق المبدع وتصونه من القمع الجسدي والنفسي ومن الاستلاب والارتهان لآليات الادلجة السياسية أو الهيمنة الفوقية الاحادية او الحزبية ومن البابوية الدوغمائية وباعتبار كل شيء ممكن هو قابل للتحول والتطور والتبدل طبقا لمنطق الحياة والتاريخ وقانون النسبية ويوازي هذين المعادلين توفير وسائل الانتاج المادية والبشرية والفنية والمعنوية بل أن بينهما تلازماً وجودياً (اذاعه تلفزيون ـ سينما مسرح ، مطابع ، ترويج ، ندوات ، مؤتمرات ، مهرجانات ، معارض ، مسابقات وجوائز ونحوها) .

ويظل الكتاب والمكتبة وميادين البحوث العلمية والاجتماعية واللقاءات الجماعية المباشرة في الداخل والخارج أهم هذه الوسائل جميعها في أجواء مشبعة بوهج الشوق وطيوف الاحلام والوان الرؤى الندية بمعاني الجمال المنفتحه في بستان الحياة .

ومن هذا المنظور والمفهوم الشموليين لماهية الثقافة والمثقف وعلاقاتها بالتاريخ والمجتمع وبالدين والحياة . ادركنا أهمية الفرد الخلاق والصفوة الطلائعية في عمليات التحولات الحضارية في تاريخ البشرية وفي خلق قابلية الاستجابة لدى المجتمع للتحرك نحو الافضل في تجدد مستمر عن طريق تفجير طاقاته وتهيئة المناخ الملائم لاستغلال قدراته وامكاناته وابراز أسرار مكنوناته بحسب المواهب والملكات لتصب جميعها في محيط واحد متناغم دون أن يدعي فرد او مجموعة الحق المطلق في التفكير والتنظير والبرمجة بالنيابة عن الآخرين كي لايتحول العقل الفردي والجماعي الى وعاء سالب يستقبل ولا يرسل ويمتلي بالمعلومات امتلاءاً حشويا دون أن يهضم ويتمثل ويفرز لان الغرض من الثقافة كمكون تربوي حضاري ومقوم تنموي أساسي ومؤثر سيكولوجي هو خلق انسان سوى متوازن متسق الداخل والخارج بين ما يعتقده وبين ما يتجسد على صعيد الواقع والممارسة قادر في نفس الوقت ان يتحقق في المسارة العامة لمجتمعه تحققا فاعلا في سائر المجالات المتطابقة مع قدراته الذهنية والعملية .

وهكذا تنفتح أمامنا آفاق العمل التنموي الوحدوي بأبعادها ومجالاتها المختلفة وباهدافها القريبة والبعيدة ووسائل تحققها المعنوية والمادية وبضوابطها المنطقية والضرورية في إطار الحقوق والواجبات بثوابتها ومتحولاتها .

كما تبرز من خلال ذلك أهمية الاولويات الواجب البدء بها في طريق البناء الكلي عبر تصفية آثار الاستعمار البريطاني والاستبداد الامامي ومخلفات التشطير والانتماءات الضيقة النظرية والسياسية والاجتماعية المتسمة بالسلفية الحديثة او الدغمائية الايديولوجية واعادة علاقة ماجرى ويجري في الواقع اليمني الى مداره الحقيقي التاريخي في الفلك القومي والعالمي الحديث والمعاصر . .

فماهي إذن مكونات ومقومات الثقافة والحضارة اليمنية . . وأهداف ووسائل الخطة - والقوانين المنظمة للعلاقة بين الثقافة والإعلام والتربية والتعليم وبينها وبين كل الوزارات والمؤسسات التنموية والخدمية . ؟

هذا ما تحاول الخطة الاجابة عليه في الصفحات التالية . .

علي بن علي صبره
عضو اللجنة اليمنية المشتركة للخطة الثقافية

الخطة الشاملة للثقافة اليمنية

في هذه المقدمة الرئيسية للخطة الشاملة للثقافة اليمنية نحاول تعريف الثقافة وتحديد مفهومها فالثقافة بمعناها الواسع ينظر اليها على انها جماع السمات الروحية المادية والفكرية والوجدانية التي تميز مجتمعا بعينه وهي بذلك تشمل الفنون والآداب وطرائف الحياة والتراث الحضاري كما تشمل النظم والقيم والمعتقدات والتقاليد والحقوق الاساسية للانسان.

والثقافة بمعناها الخاص ترتبط بنوع الاساليب واشكال القيم التي يبتكرها الانسان ليكسب انسانيته معناها الخاص، وينظم بها حياته الخاصة الاجتماعية والفكرية والروحية والجمالية وبهذا المعنى فان الثقافة هي التعبير الواعي عن واقع مجتمع معين، باسلوب ولغة التعبير السائدة في المجتمع.

وهي لذلك تشكل في نظرنا عاملا اساسيا من عوامل تكوين الهوية الوطنية للمجتمع اليمني بما يؤكد الشخصية اليمنية بصورة لا تؤدي الى العزلة والجمود بحجة الحفاظ على هذه الشخصية، وبحيث لاتنفصم عن عرى الشخصية العربية الاسلامية بل بما يتجاوز ذلك الى دفع المجتمع اليمني في خضم التحدي الثقافي العالمي.

ان الهوية اليمنية ليست دعوة الى الانكفاء على الماضي وانما هي في نظرنا وببعدها العربي تصبح عاملا من عوامل تطوير الابداع والتواصل مع الثقافة العربية، وتشكل جزءا لايتجزأ منها تتفاعل معها اخذا وعطاءا على مر العصور.

والهوية الثقافية المعاصرة لا تقتصر على ذلك الارث الحضاري والثقافي الذي تتناقله الاجيال، بوعي او بدون وعي، ومنذ فجر التاريخ اليمني او فترات ازدهار حضارته القديمة او فترات التألق التاريخي ابان الحضارة العربية الاسلامية وانما هي فعل ثقافي يتغذى باستمرار مما يبدعه الانسان اليمني عبر كفاحه الطويل في سبيل نيل مبتغاه في حياته المعاصرة، وتحقيقا لاهداف الثورة اليمنية كما تتجلى في ثورتي السادس والعشرين من سبتمبر والرابع عشر من أكتوبر المجيدتين ومن هذا المنطلق فأن الخطة الشاملة للثقافة التي نحن بصددها تسعى الى استثمار الدور الحيوي والمستمر للثقافة اليمنية على اعتبار انها اساس متين لعملية التكوين السوي المتوازن للفرد اليمني بحيث يمكن له ان يحيى حياة متسقة داخليا وخارجيا ومنسجمة في مابين ما يعتقده، وما يتجسد فعلاً على صعيد الواقع والممارسة، وكذلك على إعتبار ان الثقافة عمليه إبداعية دائبة كالنهر الذي يتجدد كل لحظة.

وتسعى الخطة الى تحرير الثقافة من كل المعوقات التي تحد من انطلاقتها وذلك من خلال التاكيد على حرية الثقافة وديمقراطيتها وضمان مشاركة فئات الشعب كافة في صياغة خطط الثقافة

وبرامجها وتشجيع المبادرات الفردية ، والشعبية واشاعة روح النقد البناء بحيث تتوازن وتتنسق وتتكامل القوانين والتشريعات التي تكفل حقوق المبدع وتحفظ حريته في التفكير والتعبير دون قسر أو حيف ودون ان يسقط في مهاوي الاستلاب والارتهان لاليات الهيمنة والوصاية .

لذلك فان التفكير في وضع خطة ثقافية شاملة في هذه المرحلة بالذات ، هو جزء من عملية المراجعة النقدية لمسارنا الثقافي وتخليصه من اية تشوهات .

وهو كذلك محاولة لوضع اسس ثقافية جديدة تدفع المسألة الثقافية الى الامام باعتبارها حلقة الوصل الهامة بين الدولة والمجتمع تسعى نحو تحرير الانسان اليمني اقتصاديا واجتماعيا وتحرير عقليته من التقاليد البالية المهترئة .

ولابد من التنويه في البدء الى ان مشروع الخطة الثقافية لايحمل القول الفصل في قضايا الثقافة الوطنية ، كما انه لا يسعى الى تسطير نشاط المثقفين وتوجيهه وتحديده باطار الخطة ، على العكس من ذلك ، ان هذا المشروع يقوم في الاساس على حقيقة مبدأية وهي ان المسألة الثقافية مفتوحة للنقاش وان الثقافة ميدان حوار حر وغير محدد كذلك فان هذا المشروع لايتجه الى تقديم اجوبة جاهزة لتلك الاسئلة التي يثيرها الواقع الثقافي التي تتعدد وتتنوع بتقديم الحياة وتطورها ، فالواقع الثقافي ليس معطى ثابتا ، وبالتالي لايمكن لاي مشروع ثقافي ان يدعي لنفسه استيعاب المتغيرات في الحياة العامة وفي الحياة الثقافية بشكل خاص . .

الا ان هنالك عددا من الامور التي ينبغي ابرازها ونحن بصدد تقديم رؤية شمولية لثقافتنا الوطنية فالخطة لاتدعي لنفسها القيام بالتفكير نيابة عن المثقفين وبالتالي فهي لا تقدم نفسها كبديل لنشاطهم الحر والواعي لكنها تضع خطوطا عامة لاتجاهات النشاط الثقافي تسير بموزات التطور التاريخي للمجتمع وبما يكفل الاتجاهات المستقبلية لنمو الثقافة اليمنية ، فهذا المشروع يقوم في الاساس على اعتبار الثقافة عاملا اساسيا من عوامل الاندماج الجماعي ويهدف الى تسييد قيم الوحدة الوطنية في الثقافة وهذه الحقائق لا تنفي وجود اشكال اخرى من الثقافة تعمل في المجتمع وتسعى الى فرض ثقافات تجزيئية تمزيقية بكل المعاني التي تحتملها العبارة ومما لاشك فيه ان اندماج الفرد في ثقافة معينة ليس معطى ثابتا ، بل هو ثمرة صراع بين الوعي الذي يحاول ان ينفذ الى الواقع مباشرة وبين الجماعة التي تحاول ان تفرض عليه مجموعة القواعد التي تعتبرها شرطا لوجودها وتنجح الثقافة حين تتمكن من تعزيز اشكال التعبير عن المجتمع برمته بدلا ، من تلك الاشكال التي تعبر عن بنى اجتماعية فئوية ضيقة (طائفية قبلية ، مذهبية مناطقية) وعلى هذا الاساس فان مشروع الخطة الثقافية في الوقت الذي لايسعى لتشكيل خطاب ثقافي نموذجي وفرضه كبديل عن تنوع وغنى الاشكال الثقافية المختلفة التي يبدعها المثقفون والوعي الشعبي الا انه يؤكد في الوقت ذاته على تسييد قيم الوحدة الوطنية في ثقافتنا وانتمائنا القومي العربي ويعمل على نقد الاشكال المختلفة للثقافة التشطيرية وكذلك اشكال التعبير المذهبي والقبلي والطائفي التي يمكن ان تظهر في بعض الاعمال الثقافية . .

لذا فان الحديث عن الوحدة ، والتنوع في ثقافتنا الوطنية يتجه في الاساس الى تحقيق نسخة للخطاب الثقافي والابداعي الذي يتناغم مع اتجاهات المجتمع بشكل عام بحيث يتاح المجال للجميع للتفكير بصوت عال في قضايا الثقافية والمجتمع دون خوف من مخاطر التأويل او الاتهام التي يمكن ان تقام تحت اي تفسير ديني او ايديولوجي او سياسي لان محاصرة الثقافة وتحديد مجالها بحدود ايديولوجية او سياسية لا يؤدي في الاخير الا الى جمودها وموتها وهو امر مخالف لاتجاهات العمل التي نحاول ابرازها في هذا المشروع الذي يسعى ايضا الى اتاحة المناخات اللازمة التي

تعين على تطور الثقافة اليمنية وتجددها وازدهارها وقضية انتاج الثقافة الوطنية ليست قضية الحكومة بل هي قضية المجتمع بشكل عام ويشارك الجميع في عملية انتاج الثقافة وتطويرها.

ان هذه الخطة الثقافية تستلهم ايضا مشروع الخطة الشاملة للثقافة العربية وتضع في حقيقة الامر تفصيلات لها على المستوى القطري لتؤكد من جديد وحدة الثقافة العربية الاسلامية والتنوع الضروري الذي تقتضيه احوالها وعلى اساس من ذلك كله تم بناء هذه الخطة وما اشتملت عليه من تعريف للثقافة ودورها الحيوي في المجتمع والوقوف امام وحدة الثقافة اليمنية سماتها وخصائصها بين الماضي والحاضر من اجل امتلاك رؤية تاريخية تاسيسية للعمل الثقافي تتواصل مع الحاضر والمستقبل ثم الاسس العامة للخطة واهدافها والمتطلبات الرئيسية لتنفيذها واخيرا برامج الخطة ومشاريعها ومجالات عملها وصولا بذلك كله الى الخاتمة.

وحدة الثقافة اليمنية سماتها وخصائصها

الشعب اليمني شعب عربي مسلم له ماض عريق وحضارة تمتد الى ابعد فترات عصور التاريخ . . فقد عاشت على الارض اليمنية حضارة سبأ وقتبان وحمير وحضرموت ومعين واوسان وغيرها احتفظت بسلطانها المركزي زمنا طويلا وامتزجت فيها القوة الروحية بالقوة المادية وكانت الثقافة هي الاساس الذي ارتكزت عليه في تاريخها والاستمرار الحضاري الذي يحمل في صفحاته البارزة قيما ومدنية تليدة ومنجزات هندسية وزراعية وتجارية وسياسية وعادات وتقاليد وفكرا وابداعا ومهارات تشكلت منها جميعا الحضارة التي قامت على الارض اليمنية ونشأت في ظل ظروف توحيدية حياة المجتمع اليمني كالدين والادب والفنون والاخلاق والاجتماع والاقتصاد والسياسة وغيرها.

وتعتبر هذه الوحدة الثقافية الحضارية اليمنية الاداة الفعالة التي نجحت على مر القرون ، في المحافظة على وحدة المجتمع في مراحل غياب وحدة النظام السياسي ولعل من ابرز عوامل وحدة الثقافة الوطنية اليمنية ما يلي :-

١ - وحدة العقيدة الوطنية :-

ففي القرون السابقة لظهور الاسلام اتضحت هذه الحقيقة الدالة في غلبة اسم اله وطني على أسماء الالهة المحلية العديدة التي ظهرت في المراكز المختلفة للحضارة اليمنية القديمة وتعايشت في جو من التسامح والاخوة . . وبعد ميلاد المسيح بنحو ثلاثة قرون اتجهت اليمن نحو عقيدة التوحيد الالهي «المطلق» كما تمثل في عبادتهم «الرحمن» وفي السنة السابعة للهجرة النبوية بدأ تأريخ التوحيد السماوي الإسلامي في اليمن حيث تثبت في هذا التأريخ الايمان المطلق بالله سبحانه وتعالى الواحد الاحد الفرد الصمد .

٢ - وحدة الحرف الوطني :-

لقد نشأت قبل الاسلام وحدة الحرف الوطني الاول المسند وانداحت خارج جغرافية اليمن الطبيعية واصبحت في منعطفات التاريخ ومحطاته المعلم المنير لهوية الثقافة الوطنية في بلاد اليمن.

وفي القرون التي تراخت فيها الدولة المركزية اليمنية قبل الميلاد ، وفي مقابل ذلك ماكانت الحياة الاقتصادية الملكية قد بلغته وحققته من ازدهار تجاري وثقافي وبدخول الاسلام في بداية العقد الثالث من القرن السابع الميلادي تطورت المسألة اللغوية لصالح لغة القران الكريم وشكلت الاطار الابدي لمعارف ووجدان الثقافة الوطنية اليمنية ومكوناتها واتجاهاتها.

٣ - وحدة الانظمة الاقتصادية والتشريعات الضريبية

في المراحل التاريخية السابقة للاسلام كانت الحياة الاجتماعية والاقتصادية محكومة بوحدة العقيدة

الروحية لذا كان التماثل واضحا في انظمة الاسواق وتوزيع المياه وتقسيمها والبيع والشراء ونحو ذلك ونكتفي بالاشارة هنا الى حقيقة واحدة تضيئ عامل وحدة الانظمة الاقتصادية والتشريعات الضريبية وهي سيادة ما يعرف بالعشر المقدس الذي يستقطع للمعبد السائد في اي مركز من مراكز الحضارة اليمنية القديمة . .

وبعد عام ٧ هـ ٦٢٨م اصبح التشريع الاسلامي جملة وتفصيلا هو الذي يحدد الصياغة الجوهرية للحياة الاجتماعية والعلاقات الاقتصادية في داخل اليمن وغيرها من ديار العرب والاسلام . .

٤ ـ وحدة المعارف العلمية والفنية لاهل اليمن

من المهم ان نشير الى ان الزمان لم يستطع ان يردم في الذاكرة او سطح اراضي البلاد اليمنية ما يؤكد على عامل وحدة المعرفة العلمية لاهل اليمن . . وهو العامل الوحدوي المتجسد في سيادة انظمة واحدة للهندسة المائية والزراعية والمعمارية من حيث انماطها الانشائية واهدافها في السدود والخزانات واقنية الري والمدرجات الجبلية كما في القصور والمقلاع والبيوت وفي تاريخ اليمن الاسلامي اصبحت وحدة المعارف التي صاغتها وانجزتها الحضارة العربية الاسلامية هي ذاتها العامل الاساسي في وحدة المعارف العلمية اليمنية . .

وبالاجمال جاء الاسلام ليعزز علوم اهل اليمن والحكمة اليمانية صاقلا شتى معارفهم بقيمه الانسانية السامية كما برز في معارفهم العسكرية والتاريخية وتخطيط المدن والفلك والتعدين والفنون كافة .

٥ ـ وحدة المجتمع اليمني

تشير المصادر التاريخية الى ان المجتمع اليمني مجتمع متكامل يتألف من عدة شرائح اجتماعية ويستدل من تاريخه انه كان محكوما بعرف تعاوني غايته توفير الدفاع عن القوة الاقتصادية وحركتها وعلاقاتها التجارية لضمان التكامل في الحياة اليمنية القديمة كما اغنى الاسلام تكامل المجتمع اليمني واثرى وحدته الثقافية والحضارية .

٦ ـ وحدة الوجدان اليمني

ان وحدة الوجدان اليمني وعلى مدى تاريخه القديم وتاريخه العربي الاسلامي قد لعبت دورا هاما في صد الغزوات الاجنبية واحتواء اثارها وفي مناهضة الظلم بمختلف اشكاله .

وقد كان النسق التكاملي لعوامل الوحدة الثقافية التي اشرنا اليها سابقا مصدرا للتطور المعرفي والحضاري في البلاد اليمنية التي استطاعت ايصال تأثيرها الى خارج الاراضي اليمنية ولعل اخرها ما اسهم به الاجتهاد الاسلامي اليمني من تأثير شمل بلدانا اسلامية عديدة وفيما يلي يمكننا ان نرصد ابرز السمات والخصائص للثقافة اليمنية .

اولا :

ان الذاتية الثقافية هوية حضارية انسانية تنحدر من طبيعة الثقافة العربية والاسلامية وتتنامى فيها امتدادا في تاريخها المستقبلي وتنتسب الى اللغة العربية المنتجة للعمل الثقافي والفكري والى المناخ الثقافي للغة العربية ذلك لان اللغة ليست رموزا ولكنها ايضا فكر وهي ليست وعاء فحسب ولكنها مضمون متلازم ومتكامل مع الفكر.

ثانيا :-

ان الثقافة اليمنية جزء لايتجزأ من الثقافة العربية ولها خصوصيتها ،كمصدر وتعبير عن ذاتها اليمنية . . وتعني التاكيد على خصوصية الضرورة التاريخية لليمن باعتبار التاريخ عاملا جوهريا للتراكم الكمي والنوعي للثقافة بما له من ابعاد واثار وتأثيرات في تكوين الذاتية الثقافية اليمنية التي نشأت كهوية حضارية تاريخية انسانية وانشأت للانسان اليمني حالة اجتماعية متنوعة وخصبة وتحددت بها ذاته

وتشكلت من خلالها علاقاته ونظراته ومعرفته من ناحية ومن ناحية اخرى فالثقافة اليمنية كانت موصولة بتكامل وبصورة فريدة بالثقافة العربية كحقيقة ولم ينقطع سندها اللغوي والتاريخي والجغرافي والثقافي على مر العصور اذ ارتبطت في صلب مضمونها كما وكيفا وزمانا ومكانا وفكرا وتاريخا فهي لايمكن الا ان تكون متوحدة بها.

ثالثا :-

ان ثقافة اليمن وحضارتها قامت دائما على اساس الجمع بين المعرفة العلمية والنظرية والفكرية والتطبيق العملي في مجالات الزراعة والتشييد وغيرها وعلى أساس الجمع في الوقت نفسه بين العلم والعمل والايمان بل وعلى مراعاة الترابط الوطني بحيث كانت اليمن للجميع.

رابعا :

ان الذاتية الثقافية اليمنية تمثل قوام الوجود التاريخي والتراث الفكري والرؤية الحضارية للشعب اليمني والتي تتجسد فيها قيمه الروحية والاجتماعية وغاياته ومثله وتقاليده واعرافه ومنجزاته الحضارية وكانت لذلك محك اختبار لقدراته في صناعة وصياغة حياته الاجتماعية.

خامسا :-

عرف عن الانسان اليمني منذ قديم الازمان انه صاحب سجية بسيطة وغريزة مهذبة وانه قد صقل عقله ودرب يده فعرف حقائق الاشياء وشارك في بناء المدينة والحضارة والفن كذلك فان الانسان اليمني كان نزاعا الى البحث والتفكير نتيجة ميول فطرية نحو الايمان (فالايمان يمان والحكمة يمانية).

سادسا :-

ان شخصية اليمن التاريخية المزدهرة ، لم تبنها روح ثقافتها فحسب وانما تبلورت بفعل عوامل الانتاج المادي لانسانها المكافح وشعبها الواحد وثمار جهده الانساني الذي تمثل في بناء السدود والمدرجات الزراعية وتسخيرها في خدمة حضارته وفي استدرار خيرات الارض وفي استثمار للموقع الجغرافي الذي تميز به الوطن اليمني الواحد.

سابعا :-

كانت ثقافة اليمن جزءا اصيلا من تاريخها العام حضاريا وتاريخيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا حيث لايمكن فهم التاريخ اليمني واعطاؤه حقه اذا لم يتم تناول شخصية اليمن الثقافية.

ثامنا :-

ان الثقافة اليمنية ذات صلة عضوية بالاسهام الحضاري للثقافات الانسانية افادت واستفادت من عمليات التبادل والتعاون مع الثقافات الاخرى اخذ وعطاءا.

تاسعا :-

تشكل الثقافة اليمنية في العقد الاخير من القرن العشرين معطى نوعيا من بين معطيات الاصالة والمعاصرة اي عبر التواصل مع الاصول الجوهرية للتكوين الحضاري الثقافي لليمن والتفتح الايجابي مع الثقافات الانسانية الاخرى لكي ينتج منها خصوصية حضارية تتميز باستقلالية الارادة اليمنية التي اثمرتها تجربة الثورة اليمنية والتي تقوم من خلال تثبيت وتعميق قيم الاعتماد على الذات.

عاشرا :-

من الواضح ان الاساس القوي للثقافة الوطنية قد بات اليوم مهددا باخطار الاستلاب للتأثير السلبي لوسائل الاعلام الاجنبية الموجهة ضد نهوضنا الحضاري.

احد عشر :-

يرتبط المهاجرون اليمنيون بالوطن عن طريق الانتماء الثقافي وهم يحملون في مهاجرهم صور الثقافة اليمنية واشكالها المتعددة ، من كتب ومخطوطات تراثية وموسيقى واغان شعبية ومن عادات وتقاليد تميزهم وتبرز هويتهم الوطنية ويشكل التراث اليمني في المهجر واحدا من عوامل الوحدة الثقافية للمجتمع اليمني التي تصل المهاجرين بالوطن وتربطهم به.

الاسس العامة للخطة الشاملة للثقافة اليمنية

ان صياغة الخطة الشاملة للثقافة اليمنية وقد اعتمدت التواصل بالتراث الوطني والقومي عقيدة وحضارة واخلاقا وقيما فانها تستند في رسم اسسها الاستراتيجية واهدافها الى الاهداف العظيمة للثورة اليمنية المجيدة التي اطاحت بالامامة المستبدة والاستعمار البغيض واكدت على ضرورة التمسك بمبادئ الحرية والديمقراطية والعدالة والمساواة والسلام والوحدة والايمان باعتبار ان هذه المبادئ تشكل اهم قيم الانسان اليمني اضافة لكونها تعبر عن اهم ملامح ثقافته ومن اجل تشكلها الواضح في واقع حياتنا المعاصرة تتخذ هذه الخطة الاسس الاستراتيجية التالية :-

اولا :-
الالتزام العملي في وضع البرامج التنفيذية لهذه الخطة بمبدأ ان الثقافة حق اساسي من حقوق المواطنين تعمل المؤسسات الثقافية على ايصالها اليهم بكل الوسائل والامكانيات المتاحة وبتوظيف الطاقات والنشاط في المجالات الثقافية بهدف تنمية وتكوين ثقافة وطنية ثورية اصيلة متطورة متجددة مواكبة لتطور العصر وتوعية المواطنين بالمفاهيم الثورية الصحيحة للقضاء على التخلف بكل صوره واشكاله وفق مبادئ الثورة اليمنية واهدافها . .

ثانيا :-
العمل عند تنفيذ هذه الخطة على تجسيد مبدأ ان التنمية الثقافية ركن اساسي وهام في التنمية الشاملة وانها المدخل الصحيح الى التنمية الاقتصادية والاجتماعية لانها تستهدف تنمية الانسان لنفسه ببناء شخصيته وتكوين معارفه وصقل مداركه على اعتبار ان الانسان هو هدف التنمية ووسيلتها في آن واحد.

ثالثا :
العمل على تحقيق مبدأ ديمقراطية الثقافة على اساس من التزام الدولة بتوفير فرص الثقافة للجميع واعطاء اسبقية للفئات المحرومة من المواطنين واختيار الوسائل والادوات اللازمة للتوصيل الثقافي .

رابعا :-
العمل على ترجمة مبدأ المشاركة الشعبية الواسعة في الحياة الثقافية وايجاد التمازج والتواصل بين كافة المستويات الثقافية الموجودة في الواقع تنوعا وخصوبة .

خامسا :-
اعطاء عناية اكبر باللغة العربية التي هي اداة امتلاك الانسان اليمني لوجوده الحضاري المتطور كركن حيوي من اركان ذلك الوجود الفاعل في الحاضر والمستقبل ولكونها ايضا اداة التواصل بالماضي المشرق في حياة شعبنا وامتنا العربية والاسلامية وهي قوام الشخصية الوطنية والهوية العربية ولسان القرآن الكريم ولغة الابداعات الثقافية العلمية وككائن حي مترابط بحركة التطور والتقدم في حياتنا الجديدة ، والمتجددة على المستويات الوطنية والقومية والانسانية والاجتهاد المستمر من اجل تطويرها وامتلاكها لفاعلية البقاء والعطاء والمنعة والانفتاح والتحصين والتطوير والثراء باتساع كل المعارف والعلوم والمعلومات والمستجدات وكفالة هيمنة الفصحى على حياتنا .

سادسا :-
العمل على تجميع الثقافة الوطنية في ماضيها وحاضرها وبلورة ونشر الجوانب المشرقة منها وتعريف المواطن اليمني بالفكر والادب والفن والسعي لخلق نهضة ثقافية تمكن الثقافة الوطنية من الاسهام في مجالات الثقافة العربية والاسلامية والانسانية الساعية الى التطور والتقدم .

سابعا:-
الاهتمام بالثقافة العربية الاسلامية والانسانية وبث المفاهيم الحضارية السليمة بين المواطنين وبحيث تسهم الثقافة في تنمية الكيان الوطني المترابط كجزء لايتجزأ من بنية مجتمعنا العربي والاسلامي وبحيث تعبر الثقافة عن صورته المشرقة ونسيجه المتماسك

كمواهب انسانية لها خاصيتها ولها حضورها الانساني في الزمان والمكان ولها فعلها في تسيير الحركة التاريخية الفكرية والابداعية والادبية وتأثيرها في عمليات قيادة التطور الانساني اللاحق في الارض اليمنية جنبا الى جنب مع التواصل بالثقافات الاخرى وفي عمليات حضارية مشتركة تندمج فيها كل الافعال التي تسيرها النوايا البشرية المشتركة والخبرة من اجل انتصار قيم الحق والعدالة والحرية والمساواة والسعادة البشرية.

ثامنا ـ:

احترام العقل والاختيار وكل طرق التفكير باعتبارها الادوات الرئيسية لتشرب ثقافة غير مشوشة ولا ممتلكة لامن داخلها ولا من خارجها لانها كما ترفض الجهل والظلم والطغيان والقهر فانها ايضا ترفض التبعية والارتهان والسقوط والتأكيد المستمر بان التفكير في الاشياء في الكون بكل جزئياته ومعرفة اسراره وطاقاته وتسخيرها بالعلم لخير الانسان واجب من الواجبات المقدسة.

تاسعا:

محاربة الانهزام والاستسلام للتيارات المعادية لقيمنا ومثلنا ومبادئنا والعمل بكل الوسائل الممكنة وعن طريق بناء المؤسسات الثقافية التي تعمل على تنمية القيم الاسلامية والوطنية والديمقراطية وتعزيز الاستقلال والسيادة وتصحيح المفاهيم الخاطئة ونقد عوامل التفرقة والتناحر التي من شأنها تمزيق كياننا الواحد.

عاشرا:

ادماج الثقافة في عملية البناء الوطني الشامل وفي عملية تنشئة الاجيال الصاعدة وان تشكل الثقافة اليمنية الثورية المتجددة صورة الفكر الذي يتكون لديه والرؤية الحياتية التي يتسلح بها وتعبر عنه تجاربه الذاتية والعملية وتملي عليه مواقفه ودوره الفاعل في الحياة..

حادي عشر :ـ

الاعتماد على التربية اساسا ومنطلقا اوليا لتغرس في نفوس النشء والمجتمع الجديد ماهية الثقافة اليمنية المتفتحة على كل الثقافات لتساعد الانسان في وطننا اليمني على امتلاك المقدرات الانسانية المتعددة والتحامه بشتى مجالات الفكر والعلم والفن والادب وتواصله بكل معارف وفنون الحياة بشكل عام مما يساعد على صياغة الضمير الوطني الثوري الجديد وبناء الكلمات الابداعية وتنمية كافة القدرات الانسانية لدى الفرد والمجتمع.

ثاني عشر :

الاهتمام ببناء الشخصية الوطنية اليمنية بناءا يعتمد على ان تكون الثقافة الوطنية هي مادته الجوهرية ومن خلال تعميق صلة الشخصية المعاصرة بمنابعها الاصيلة والمتفتحة المتمثلة بالشخصية الحضارية اليمنية وبالعطاءات الحضارية العربية الاسلامية التي مثلت مناخات حرة وصافية للتخلق الايجابي الاصيل ولامتلاك مقدرات الابداع والعمل من جانب اخر على صقل مقدرات الانسان اليمني وتنمية ذكائه وتفتحه العلمي والابداعي ليظل قادرا على الابتكار والتخيل والتخطيط للفعل والابداع بالممارسة الصائبة والمثمرة على الصعيد التنموي والديمقراطي والحضاري.

ثالث عشر :

التعجيل بالعمل على اصدار التشريعات التي تكفل وتضمن حرية الابداع الثقافي وحماية المبدعين في شتى المجالات الثقافية كفالة عملية لتحقيق اهداف الخطة الشاملة وحسب ماهو موضح في متطلبات تنفيذ هذه الخطة.

رابع عشر :

العمل على القضاء على الامية باعتبارها صورة قائمة ومريرة من صور التخلف الموروثة من عهود الاستبداد والاستعمار واعتبار تحرير الفرد والمجتمع من ربقة الجهل هي مفتاح امتلاكه لحريته الانسانية..

خامس عشر :

التواصل مع ابداعات الحياة الانسانية بطولها وعرضها وهو ما يعبر عنه تعدد وتنوع وتشابك

الثقافات الانسانية وتكاملها اخذاً وعطاءاً دون ان يعني ذلك التفريط بخصائص الثقافة اليمنية الثورية او التجاهل لطبيعة الثقافة العربية الاسلامية التي هي منابع النهر الذي تنحدر منه الثقافة اليمنية وتتنامى فيه امتدادا عبر تاريخها المستقبلي وعلى طريق النمو الثقافي في مجرى انساني متميز تكون له قنواته وفروعه التي ترفده بكل عطاءات الثقافة الانسانية.

سادس عشر :
العمل على كشف كل مراحل وظروف ووسائل وأدوات الاستلاب الثقافي في تاريخ شعبنا وامتنا العربية والتي سعت الى تعطيل العقل والاجتهاد وايقاف العطاء الثقافي العربي وبكل الاساليب بما في ذلك استغلال الدين وتزييف قيمه من اجل تجهيل الامة العربية وتعطيل فكرها ومسخ عقيدتها الاسلامية السامية والانغلاق بها في كهف الاستعباد.

سابع عشر :
الإبراز المستمر لعناصر القوة التاريخية التي جعلت شعبنا يقاوم الموت والانقراض برغم جبروت التخلف الامامي والسيطرة الاستعمارية ومحاربة كل القيود التي فرضتها على مختلف جوانب حياتنا بما في ذلك تكريس الافكار اللاانسانية وتحقير المهن المنتجة..

ثامن عشر :
التركيز على عنصر الرؤية الذاتية واستقلالية الارادة اليمنية التي اثمرتها تجربة الثورة اليمنية وذلك من خلال تثبيت وتعميق قيم الاعتماد على الذات والاعتزاز بما تمثله العروبة من وجود حضاري انساني اصيل..

تاسع عشر :
التركيز على خطط حماية واحياء التراث الحضاري اليمني وبعثه من جديد وذلك لمزيد من استكشاف الامدادات الجوهرية للحضارة اليمنية التليدة والمتواصلة باعتبارها من اهم الابعاد التاريخية والفكرية والوجدانية لحاضر يمننا الثوري وتشكل خلفيته الانسانية والحضارية والتي دلت عليها الاثار والمخطوطات والموروث الشعبي والعمل على احياء تراثنا الحضاري بخصائصه الانسانية الوطنية وبما يشتمل عليه من فكر واخلاق وسلوك.

عشرون :
الاهتمام بالثقافة ومؤسساتها المتعددة، وتوجيهها هو اهتمام بحياة الفرد والجماعة في مجتمعنا للبلوغ بشعبنا الى مستوى الحصانة والمتانة والتفاعل مع تطور الحياة وصولا الى تحقيق الرفاهية والسعادة..

اهداف الخطة الشاملة للثقافة

اولا :
صياغة عناصر قوة جديدة لارادة ووجدان وفكر افراد الوطن اليمني الواحد وذلك من خلال.

١ ـ العمل على تأصيل وتعميق مشاعر الحب والولاء للوطن اليمني الواحد وترسيخ روح الانتماء الوطني الذي تعمل الثقافة على ان يسكن وجدان وضمير ابناء الوطن اليمني ويشكل صور تعاطفهم وافراحهم واحزانهم المشتركة.

٢ ـ تنمية وتعزيز قيم العقيدة الاسلامية في حياة الشعب باعتبارها مع اللغة العربية والتراث الحضاري ومنجزات الثورة اليمنية حجر الاساس في مكونات الثقافة.

٣ ـ تحقيق الاندماج الاجتماعي وكسر الحواجز الاجتماعية والنفسية التقليدية التي تجعل الانسان مرتبطا بوحدات اجتماعية مغلقة بدلا من الارتباط والولاء للوطن اليمني كله.

٤ ـ العمل على تعميق روح ومشاعر الانتماء القومي للامة العربية الواحدة لدى الانسان اليمني واذكاء ايمانه بالوحدة العربية كحاجة حضارية عصرية ماسة وحتمية تاريخية باعتبار ان الوحدة العربية هي الهدف الاساسي والاكثر حضارية وثورية في حياة امتنا العربية المعاصرة واستمرار العمل على حب الامة العربية وحب الارض العربية وحب القيم العربية وحب اللغة العربية في نفوس المواطنين وتعميق روح التفاني في سبيل الدفاع عن الوطن

العربي الواحد وتحقيق اهدافه وآماله في التحرر والسيادة وتطوير بنائه الاقتصادي والاجتماعي . .

٥ - العمل على اظهار مكانة واهمية العمل والعلم وروح المسئولية ومحاربة التهاون والتواكل وكل الامراض الاجتماعية والاشكال السلبية مع الحرص على ان يجري التعبير عنها بارقى الاشكال.

٦ - ضرورة تفاعل الإنسان اليمني بشكل خلاق مع معطيات الحضارة الانسانية المعاصرة.

ثانيا :

العناية باللغة العربية على اعتبار انها تمثل اداة هامة لامتلاك الانسان اليمني لوجوده الحضاري والثقافي المتطور كركن من اركان ذلك الوجود الفاعل في الحاضر والمستقبل كما تعد ايضا اداة التواصل بالماضي المشرق في حياة شعبنا وامتنا العربية والاسلامية وبالتركيز على ما يلي :-

١ - الاجتهاد الجدي المستمر من اجل تطوير اللغة العربية لتمتلك الفاعلية والبقاء والعطاء والمنعة والانفتاح والتحصين والثراء باتساع كل المعارف والعلوم وكفالة هيمنة الفصحى على حياتنا كضرورة لاغنى عنها.

٢ - اعتماد اللغة العربية في التعليم بجميع مراحله واختصاصاته وفي مختلف المؤسسات الثقافية واجهزة العمل والادارة والإعلام بشتى صورها ووسائلها وادواتها وفي مؤسسات نشر الثقافة والتأليف والابداع بجميع فنونه وادابه كسبيل امثل لاستعادة اللغة العربية الرصينة وظائفها الطبيعية وهو الشرط اللازم لاثراء الثقافة اليمنية والعربية لممارسة حق الامة العربية في الاسهام الايجابي في الحضارة الانسانية.

٣ - بذل الجهود الفعالة لتيسير تدريس اللغة العربية وقواعدها وحمايتها من التشويه والتسلل اللغوي للالفاظ والتعابير الاجنبية بما يتلائم مع طبيعتها وخصوصيتها.

٤ - بذل كل الجهود للتعاون مع كافة الاقطار العربية من اجل توحيد المصطلحات الفنية والعلمية الحديثة بما يضمن انتشار لغة علمية واحدة ووضع المعاجم المتخصصة في مختلف المعارف ومستجدات الفكر الانساني وبما يساعد على استيعاب المنجزات العلمية والتقنية الحديثة ومتابعة الجديد في العلم.

٥ - تنشيط الترجمة في بلادنا من مختلف اللغات الحية المعبرة عن مستجدات المعرفة الانسانية والابداعات الثقافية العالمية الى اللغة العربية من اجل الاسهام في تنمية الثقافة العربية كوسيلة ناجحة للحفاظ على اللغة العربية.

٦ - اشاعة استخدام اللغة العربية الفصحى وتعليمها كعمل متصل بالمسئولية التربوية والثقافية والاعلامية وكعمل وطني وقومي استراتيجي يجب ان تتصل اهدافه ومقاصده بالابعاد العلمية والتربوية والثقافية والسياسية وكالتزام حضاري لتمكين الامة العربية من الاسهام في الحضارة المعاصرة وفي استيعابها والمشاركة في صنعها وتطويرها . .

ثالثا :

الاهتمام بالتراث والعناية به والعمل على ابرازه . .

١ - التراث هو انجاز اجتماعي ينتسب الى الماضي في صوره المختلفة سواء كان ذلك عملا علميا أم أدبيا ام فلسفيا ام فنيا وينضوي في ذلك جميع اشكال التعبير الثقافي مادية وغير مادية . .

٢ - ان تراثنا الوطني جزء من التراث الشامل للامة العربية اسهم اليمنيون بشكل فاعل في رسم صورته الحضارية وتأثروا بما في هذا التراث من تنوع وغنى وبكل ما فيه من عوامل الوحدة والشمولية مع غيرها من الحضارات القديمة في البلاد العربية . .

٣ - ان تراثنا العربي الاسلامي سجل تاريخي حضاري له خصائصه وسماته وهو امتداد لتراث حضاري سابق له وذو شخصية متميزة ومفتوحة انطلق من موقع الاصالة والتفتح واستوعب الثقافات السابقة له ثم تمثلها وتجاوزها اضافة وابداعا ولذلك كله فلابد من العمل على اعادة قراءة التاريخ اليمني في زمانه ومكانه ومحاكاة احداثه

بشروطها وظروفها الموضوعية واستنطاق وثائقه واستجلاء اثاره التي تركها في حياة الانسان اليمني وسلوكه وعلاقاته ونظراته بموضوعية وشمولية دون اسقاط او تضليل بغية استخلاص العبرة والعثور على المرتكزات الاساسية للذاتية الثقافية . .

رابعا :

العمل على القضاء على الامية وتحرير الانسان من الجهل.

ان الامية والجهل المنتشرين في بلادنا يشكلان وضعا اجتماعيا وثقافيا خطيرا على الوعي الثقافي والتقدم الاجتماعي والاقتصادي للوطن اليمني وان مشكلة الامية تنطلق من ان الاميين لايقدرون قيمة العلم والمعرفة لجهلهم اياها فلا يشجعون اولادهم على التعليم واذا ارسلوهم الى المدرسة فتربية هؤلاء في البيت لاتساعد المعلم على تحقيق هدفه التربوي فقد يتعلم الطفل امورا في المدرسة ويتعلم في البيت نقيضها ولذلك فلابد من العمل على القضاء على الامية كضرورة وطنية قبل ان تكون ضرورة ثقافية تربوية على اعتبار ان الامية صورة قاتمة ومريرة من صور التخلف الموروث من عهود الاستبداد والامامة والاستعمار واعتبار تحرير الفرد والمجتمع من ربقة الجهل مفتاح امتلاكه لحريته الانسانية ولهذا ينبغي التركيز اكثر من اي وقت مضى على تعليم الكبار والتعليم المستمر بهدف رفع المستوى الثقافي لديهم وجعلهم قادرين على المشاركة في عملية التقدم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وبحيث لايقتصر تعليمهم على القراءة والكتابة وانما ينبغي تزويدهم بالمعارف الثقافية والمهنية . .

خامسا :

نشر الثقافة الوطنية بوضع الثقافة في متناول كل انسان :

ان الثقافة هي اولا واخيرا من ابداع الشعب الذي ترتبط به وتعود اليه وحياة الشعب هي المنبع الاساسي لكل ابداع ثقافي ومن اجل ذلك فلابد من العمل على :

١ ـ تحقيق الانتشار الثقافي ليشمل كل قطاعات الشعب .

٢ ـ توزيع الوسائل الثقافية جغرافيا بشكل عادل .

٣ ـ تقديم الانتاج الثقافي بتكلفة تراعي مستويات الحياة .

٤ ـ رفع المستوى الثقافي وتحصينه من عمليات تسطيح الثقافة .

٥ ـ تجويد العطاء الثقافي وتعميق مكامن الابداع فيه .

سادسا :

تقديم العون والرعاية للابداع الادبي والفني والفكري .

ان الابداع يشكل محور الحياة الثقافية في المجتمع وان عظمة الثقافة تكمن في شكل ونوعية الابداع الادبي والفني فيها ولن يتهيأ للابداع ان يسود الحياة الثقافية إلا بانجاز ما يلي :

١ ـ توفير الظروف الملائمة للابداع كي ينمو ويزدهر في جو من الحرية ،

٢ ـ العمل على اتاحة المجال لذوي الملكات الابداعية ان ينتجوا اعمالا ابداعية وان يكتشفوا ويبتكروا اشكال تعبير متقدمة وان يبرزوا الفنون والاداب الابداعية الماضية والحاضرة ويجعلوها في متناول العدد الاكبر والممكن من الباحثين المهتمين وان تشملهم الدولة بالرعاية وتقدم لهم المساعدة التي من شأنها ان توفر لهم سبل العيش الكريم وفرص اكتسابهم لمعارف واساليب العمل الفني المبدع والاصيل اضافة الى التكفل بنشر اعمالهم وكذلك العمل على تعزيز جسور وقنوات التواصل الثقافي بين ابناء الامة العربية في اقطارها المتعددة والعمل على نشر نتائج الابداع العربي في شتى فنونه .

سابعا :

تنمية التبادلات والاتصالات الثقافية بين شعبنا والشعوب والامم الاخرى وتأكيد الحوار الثقافي كسبيل للتعاون والتكامل مع مختلف الثقافات العالمية .

ثامنا :
تحقيق الحرية الثقافية لكي تكون الثقافة حرة ديمقراطية وذلك بتوفير الشروط التالية :
١ - أن تكون هما للمجتمع اي ان تتحول الى مشكلة حياة يلتزم بها المجتمع بوصفها حقا وواجبا في وقت واحد وفي نواحي الحياة كافة . .
٢ - الديمقراطية ممارسة وليست مجرد شعار عام ولذلك فان ديمقراطية الثقافة وحريتها يجب ان تكفلها التشريعات الثقافية اللازمة وتلمس في الممارسة الواقعية .
٣ - اعتبار ان حرية الثقافة جزء من كل اي انها من المكونات الكلية للمجتمع ولايمكن ان تعيش وسط جو عام من انعدام الحرية .
تاسعا :
شمولية المشاركة الثقافية :

ان نجاح الخطة الثقافية يكمن في تحقيقها الاكبر قدر من المشاركة لكل فئات الشعب في خطط الثقافة وبرامجها وانتاجها وتعني الشمولية تعميق عناصر الابداع رأسيا وتوسيع انتشار الانتاج الثقافي افقيا والاهتمام بتقديم القيم الثقافية لفئات الشعب المختلفة بمختلف اعمارها .

وعليه فان هذه الخطة تضم ضمن مهامها الاساسية ما يلي :
١ - الاهتمام بثقافة الطفل لان الاطفال هم المستقبل وحملة التغيير في المجتمع خلال المرحلة القادمة لذا فان الاهتمام بثقافة الطفل جزء اساسي من الخطة الثقافية .
٢ - تشكل الشباب الغالبية بين فئات الشعب اليمني اذ هم يمثلون خصوصية اجتماعية نفسية واخلاقية سريعة التأثر وقدرات كبيرة على العطاء لذا فان هذه الخطة الثقافية تولى عناية خاصة لهذا القطاع العام في المجتمع .
٣ - تشجيع المرأة على المساهمة الفعالة في الحياة الثقافية وتحفيزها على التعبير عن قضاياها ككيان يشكل نصف المجتمع ويكمله حتى لا تبقى المرأة مجرد مستهلك للثقافة مما يشل قدرات المجتمع ويعطلها عن المشاركة في الابداع والعطاء في مختلف مجالات الثقافة .

المتطلبات الرئيسية لتنفيذ الخطة الشاملة للثقافة اليمنية ومراحل تنفيذها

انه من اجل التنفيذ الكامل والدقيق للمهمات التي تضمنتها الخطة الشاملة للثقافة اليمنية لابد لنا من العمل على توفير مجموعة من وسائل العمل الاساسية لامتلاك متطلبات وشروط نجاح الخطة والتي تتصل بالاجراءات والاطار التنظيمي والمقومات البشرية والمادية والادوات الفنية والادارية المتصلة بالمشروعات والبرامج التنفيذية الى جانب ما تتطلبه الخطة من تكاتف وتكامل لدور المؤسسات الرسمية والشعبية داخل الجمهورية وتتركز هذه المتطلبات فيما يلي :

اولا : الاجراءات التشريعة :-

وينبغي ان تتبلور هذه الاجراءات على اساس مستقبلي بمعنى انها تكون قائمة على اساس استيعاب الحاضر الثقافي والتمهيد للتطورات الثقافية التي يحتمل وقوعها في بنى الثقافة وادارتها في المستقبل القريب والتشريع ضروري اذ هو توجيه للتنمية الثقافية وضمان لتطبيق الخطة الثقافية ولتنظيم مسيرتها المالية وتكامل برامجها ومشروعاتها التنفيذية .

وهناك نوعان من التشريعات تحتاجها الخطة الشاملة للثقافة اليمنية وهي :
١ - تشريعات وقائية :
غايتها الدفاع عن عناصر الهوية الثقافية الوطنية وحفظ اسمها مثل : حماية التراث وصون الاثار والوثائق والمخطوطات وتسجيل الفنون الشعبية والتراث الشعبي وحماية حقوق المبدعين وصون اللغة العربية وازالة العوائق في وجه انتشار الثقافة .

٢ ـ تشريعات تشجيعية :
غايتها تنشيط العمل الثقافي سعة وعمقا ونوعا وكما مثل تشريع انشاء مجلس البحث الثقافي وحق تشكيل المؤسسات والروابط الثقافية المتنوعة وحق نشر وتوزيع الانتاج الثقافي بانواعه المتعددة وتنظيم العلاقة بين الدولة والمنتج الثقافي ومنح الجوائز وتكريم المبدعين .

ثانيا : الاطار التنظيمي :-

ان الادارة الثقافية يجب ان تعتمد على البناء التنظيمي الملائم لطبيعة العمل الثقافي والذي يشمل مجالات النشاط المختلفة في المسرح والسينماء والفرق الموسيقية الفنية والمتاحف ومراكز الثقافة ونشر الكتاب والمعارض . الخ وهذا يتطلب من الفكر الاداري والاسترشاد بالتجارب والصيغ التنظيمية التي ظهرت في هذا المجال بحيث تعمل على اقامة تنظيمات ومؤسسات ثقافية يتوفر لها عناصر الاستقرار والنماء . .

ان منطلق البداية بالممكن وتطويره يقتضي قيام الاطار التنظيمي بالاعتماد على المؤسسات والادارات الثقافية القائمة في اليمن الواحد ومن ثم دمجها وتوحيدها في اطار تنظيمي واحد متصل وملتحم مع طبيعة الاهداف الاستراتيجية للخطة الشاملة للثقافة اليمنية . .

ثالثا : المقومات المادية :-

ينبغي أن تقوم النظرة الواضحة الى العمل الثقافي بمؤسساته المتنوعة باعتباره نشاطاً وعملاً قائماً على اداء خدمة عامة كخدمة للتعليم والصحة مثلا ومن ثم فأنها تقوم بالنظر الى عائدها التنموي والثقافي والاجتماعي الحضاري . .

ان هذا يصوب كثيراً من النظرة غير الواضحة الى انشطة ومجالات العمل والعطاء الثقافي المسرحي والموسيقي والسينمائي وحركة النشر وحماية الاثار وخدمات المتاحف . الخ على ان هذه النظرة لاتجوز أن تصرفنا عن وجود اقتصاديات للخدمات الثقافية ومن ثم فان المدخل الاقتصادي في العمل الثقافي يتصل بتوفير الاعتمادات المالية المناسبة واللازمة لتحقيق اهداف الخطة ، كما يتصل بذلك ترشيد الانفاق وحسن توجيه الاعتمادات المالية المخصصة للخطة الثقافية من أجل اداء الخدمة الثقافية باقل تكلفة وأكثر عائد ثقافي ممكن .

ان جانب تمويل الدولة للخطة الشاملة للثقافة اليمنية هو دور أساسي وكلي يشمل انشطة ومجالات العمل الثقافي الواسعة ويقوم على أساس العون والدعم للانتاج الثقافي والتشجيع والرعاية للجانب الابداعي ورعاية ومساندة واقامة بعض النشاطات الثقافية وانشاء المراكز الثقافية والمتاحف والمعارض والمكتبات العامة وانشاء المؤسسات الثقافية التأهيلية والتعليمية المختلفة .

وتحقيقا للوظيفة الثقافية والاجتماعية للمال يجب ان يتحمل القطاع الخاص للرأسمال الوطني مسئولياته التاريخية والوطنية في جانب تمويله لبعض المشاريع الثقافية مثل اقامة بعض الصناعات الثقافية أو بتمويل ودعم بعض الانشطة الثقافية مثل اقامة المعارض الادبية والفنية والمتاحف والمهرجانات والمواسم الثقافية وغيرها من وسائل نشر الثقافة .

كما ينبغي ان تعمل الدولة على الاستفادة المثلى من الدعم المالي للمنظمات العربية الثقافية ومن المنظمات الثقافية الدولية ومن المعونات المالية من الدول الشقيقة والصديقة مما يزود العمل الثقافي بالنمو . .

رابعا : المقومات البشرية

يمثل العنصر البشري الركيزة الهامة والفعالة في نجاح الخطة الشاملة للثقافة اليمنية التي تتطلب عددا معينا ونوعية خاصة من العناصر البشرية يتوافر

فيها الوطنية والصدق والحماس والحب للعمل والكفاءة والخبرة والدراية والتأهيل وهذا يقتضي الاهتمام باختيار افراد العمل الثقافي في كافة مستويات العمل المختلفة اختيارا قائما على الاساس الموضوعي مع الاهتمام باستكمال متطلبات الاعداد والتاهيل والتخصص والتدريب المستمر لهذه العناصر ومنها توفير المقابل المادي والعادل لعملها . .

خامسا : تسخير الوسائل والاجهزة الاعلامية لتحقيق اهداف الخطة الشاملة للثقافة اليمنية

تقوم الاجهزة والوسائل الاعلامية بدور متزايد الاهمية في تشكيل سلوك الافراد والتأثير على معطيات تنشئتهم الاجتماعية والثقافية ولا نحتاج الى ان نذكر ما للاجهزة ووسائل الاعلام من دور في ايصال الثقافة الى الافراد ومن تأثيرات كبيرة في تشكيل نظراتهم الى الحياة وبلورة قيمهم الاجتماعية والثقافية . .

ان الوسائل والاجهزة الاعلامية في عصرنا الراهن تمثل اخطر مؤسسات المجتمع واكثرها تأثيرا على الانسان . . وانطلاقاً من هذه الاهمية والمكانة التي تحتلها وسائل وأجهزة الاعلام فلابد ان يكون لها دور اعظم وايجابي في تحقيق اهداف الخطة الثقافية باعتبارها من وسائط نقل ونشر الثقافة الجادة ومن وسائل اغناء وقت الفراغ بالفكر والاداب والفنون المعبرة عن الانسان اليمني الجديد المستشرف لطموحات التقدم والتطور وبمعنى اخر فانه يجب ان يكون لوسائل واجهزة الاعلام المختلفة وظيفة ثقافية محددة المعالم لابد ان تفرد بها وتقوم على توظيف امكانياتها وقدراتها بما يتفق ويتكامل مع مبادىء واهداف الخطة الثقافية من اجل رفع مستوى الوعي الثقافي وبلورة نسق ايجابي للقيم الثقافية والاجتماعية ومن اجل حماية وصيانة مقومات الهوية الوطنية العربية الاسلامية من مظاهر الاستلاب الثقافي فضلا عن قيامها بتوعية الانسان بالمتغيرات المعاصرة وتبصيره بالتحديات المحيطة به ومن البديهي ان كل وسيلة من وسائل واجهزة الاعلام من صحف واذاعة وتلفزيون . . الخ تحتاج الى برامج ثقافية تفصيلية خاصة بها .

سادسا : تحديث وتطوير الامكانات الثقافية

ان سعة الرقعة الجغرافية للارض اليمنية وتمتع الوطن اليمني بامكانات ومؤسسات ثقافية محدودة ونظرا لاتساع المجالات التي تنشط فيها الثقافة في الطموح الى تحقيق اهداف الخطة الثقافية كل ذلك يستدعي ولاشك الى اعادة صياغة لوظائف المؤسسات الثقافية القائمة والى توسيع نشاطها وتنمية طاقاتها مع مراعاة انشاء اجهزة ومؤسسات ثقافية جديدة قد تستدعيها الحاجة لتسهم في تنمية الثقافة الوطنية تراثا ومعاصرة واستشراقا مستقبليا .

ان بناء الثقافة وتحديثها وتطويرها لايعني اقامة صرح باذخ ولكنه رفع من كفاءة ومستوى النشاط الثقافي وتوفير الحد الاساسي والضروري لنجاح اهداف الخطة الثقافية هو تحديث وتطوير وبناء لايمكن بدونه ان تتوافر مقومات نجاح الخدمة الثقافية وربما كان خير مثال على ذلك الخدمات الثقافية التي يمكن ان تسهم بها المراكز الثقافية في التنمية الثقافية الجماهيرية اذ هي تتطلب الاتي :-

١ - قصور للثقافة في عاصمة دولة الوحدة وحواضر المحافظات الرئيسية .
٢ - مراكز ثقافية في المدن الرئيسية .
٣ - بيوت للثقافة في المدن الثانوية .
٤ - قوافل الثقافة في المحافظات .
٥ - فرق الفنون الشعبية في المحافظات
٦ - المكتبات العامة ومكتبات دور الثقافة

٧ ـ المعسكرات والمخيمات الشابية في الاجازات الدراسية .

وما تقوم به هذه المراكزمن الخدمات والانشطة الثقافية يتمثل في الآتي :-

المسرح . . السينما . . الفنون التشكيلية . . الموسيقى والانشاد الصناعات والحرف البيئية محو الامية والتعليم المستمر ثقافة الطفل والمرأة والندوات والحلقات الثقافية ان في مقدمة اغراض هذه المراكز الثقافية ان يقضي الناس اوقات فراغهم فيما يفيد ويثرى الشخصية اضافة الى دور هذه المراكز في تعميق الشعور الوطني والقومي والانساني وتنشئة المواطن الصالح وتنميته روحا وعقلا وذوقا وجسما . . ولذا فان هذه المراكز تعمل على اساس :-

١ ـ زيادة حصيلة المواطن من المعرفة .

٢ ـ اكساب عدد من المواطنين هويات في الموسيقى والفنون التشكيلية والفنون الشعبية . . . الخ . .

٣ ـ تربية النشء على حب القراءة والرسم .

٤ ـ اكتشاف الطاقات والمواهب الابداعية التي لم تجد فرصة الظهور

٥ ـ رفع مستوى الكفاية التأهيلية والمهنية للعاملين في الصناعات والمهن الحرفية .

٦ ـ الكشف عن العناصر والمواهب الجديدة في التمثيل والموسيقى .

٧ ـ الاحساس باهمية الجماعة والتعود على العمل الجماعي .

٨ ـ شغل اوقات الفراغ بالصالح والمفيد

٩ ـ زيادة الكفاءة العلمية والعملية للافراد .

سابعا : العلاقة بين الثقافة والتربية :-

يعتمد توفير العناصر والكفاءات البشرية اللازمة لانجاح الخطة الشاملة للثقافة اليمنية على نوعية الاعداد والرعاية التي نفذتها المدرسة لاجيال المستقبل في تنمية مواهبهم وهواياتهم وميولهم في سن مبكرة وتوفير المناخ الملائم لتطويرها وتنميتها انطلاقا من العلاقة الجدلية بين التربية والثقافة والتنمية فالتربية هي التنمية بكل ابعادها البشرية والاقتصادية والتنمية هي باب الحضارة التكنولوجية والعلمية ومفتاحها ولكي يكون الانسان اداة وغاية التنمية الشاملة يحتاج الى ان تتاح له فرص التربية الشاملة جسما وفكرا ووجدانا وارادة وخلقا وحتى تتطور شخصيته تطورا متوازنا ويكون قادرا على المشاركة الفعالة في اتخاذ القرارات ذات الصلة بعمله وحياته وان تكون ممارسته لواجباته مؤدية الى إغناء حياته والارتفاع بمستواها ونوعيتها .

ومن اجل تحقيق النهوض الثقافي المنشود ينبغي الاهتمام بتربية النشء وغرس القيم الثقافية والحضارية فيه وربطه بتراثه الثقافي والحضاري الحي وبهذا الخصوص توجه العناية الى التالي :-

١ ـ مساعدة المدرسة لجعلها مؤسسة يمارس فيها التلاميذ كافة المناشط الفنية والادبية بهدف تنمية المواهب والميول لدى الناشئة وتشجيعها وتوفير الامكانيات اللازمة لممارسة هذه المناشط حتى تصل المدرسة الى وضع يمكنها من تخريج الكفاءات الادبية والفنية والفكرية .

٢ ـ العناية بتزويد المكتبات المدرسية بالكتب العلمية والادبية والفنية والصحف والمجلات المفيدة لخلق علاقة مبكرة بين التلميذ والكتاب وغرس عادات القراءة لدى التلاميذ في سن مبكرة مع مراعاة ملائمة الكتب المختارة للتطور العقلي للتلاميذ في كافة الفئات العمرية .

٣ ـ بالتنسيق والتخطيط الجيدين مع مؤسسات التربية والتعليم والاعلام في اختيار البرامج والمواد الهادفة للاطفال والشباب والمجتمع عامة بما يتفق مع اهداف الخطة الشاملة للثقافة وبناء وتطوير شخصيات التلاميذ تطورا متوازنا من كل الجوانب

٤ ـ تعزيز دور التثقيف في المدرسة بحيث تجمع بين المعرفة والثقافة والتسلية وذلك من خلال تقديم البرامج المصاحبة للمناهج الدراسية والهادفة الى ربط التلاميذ بالبيئة المحلية والتراث الثقافي اليمني

والعربي الاسلامي والانساني .

٥ ـ الاهتمام بالنشاطات الخاصة بالتنمية الثقافية الريفية من خلال اقامة العروض السينمائية والمسرحيات والمسابقات الثقافية والحفلات الغنائية والمعارض الفنية والعلمية ,والثقافية والمكتبات المتنقلة وتوجيهها نحو مساعدة طلاب المدارس وفئات المجتمع الاخرى للاستفادة منها في الحياة العامة الثقافية المنتجة .

٦ ـ اعداد الكفايات اللازمة للعمل في مختلف حقول التثقيف وبخاصة في مجالات الاطفال والشباب والمرأة والمعوقين .

٧ ـ وضع الدراسات العملية التي تتناول المستوى الثقافي لدى طلاب المدارس والجامعات وذلك لكي تكشف عن حاجاتها الثقافية وعن الوسائل المناسبة لتطويرها .

٨ ـ دعم وحدة الثقافة بين الاطفال في المستويات وفي الفئات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والبيئية المختلفة في المجتمع وتنميتها من البحث الذاتي عن المعرفة واستيعابها وذلك من خلال تشجيع اصدار المجلات الخاصة بهم او استيرادها وكتابة او جلب الكتب والقصص المناسبة لهم . .

مراحل تحقيق اهداف الخطة الثقافية

تنقسم مراحل تنفيذ اهداف الخطة الشاملة للخطة الثقافية الى ثلاث مراحل قصيرة المدى ومتوسطة المدى وطويلة المدى حسب الامكانيات المتاحة التي تتوفر لها في الموازنات السنوية وخطط التنمية للدولة ويمكن رسم ملامحها كالاتي :ـ

أ ـ تشكيل المجلس الاعلى للثقافة والفنون والاداب

ب ـ القيام بالمسح الميداني لحصر الواقع الثقافي الراهن والمسح الشامل في مجال الآثار والمدن التاريخية والمخطوطات والموروث الشعبي والوثائق .

جـ ـ الاستفادة من الانشطة الثقافية الناجحة ودمجها في اطار واحد لاستمرار نشاطها في اطار الخطة .

د ـ استكمال النواقص في وسائل العمل الثقافي .

هـ ـ اعداد الاطر والبنى التنظيمية والادارية

و ـ اعداد الاطر والبنى التشريعية

ز ـ تدريب وتاهيل العاملين في المجال الثقافي .

ح ـ اقامة الانشطة الثقافية المختلفة مثل الاسابيع الثقافية واقامة مواسم ثقافية في المحافظات واقامة مهرجانات ثقافية . . اقامة ندوات ثقافية متخصصة في مجالات الفكر والادب والفنون .

ط ـ انشاء وتكوين لجان مختصة بحسب متطلبات الخطة الشاملة للثقافة اليمنية في المجالات المختلفة مثل لجنة التشريعات واللجنة الفكرية واللجنة الفنية واللجنة الادبية واللجنة العلمية .

على ان يتكون في مجموع هذه اللجان في المرحلة الثانية نواة المركز الوطني للبحوث والدراسات الثقافية والذي يرتبط عند انشائه ببنك المعلومات والارشيف الوطني العام .

المرحلة الثانية

وقد تكون متداخلة مع المرحلة الاولى وتنطلق في عملها في البدء بما هو قائم وتطويره وتقوم بتنفيذ ـ

أ ـ خطة العمل للحفاظ على التراث الحضاري بحمايته وحصره وتسجيله وجمعه .

ب ـ خطة العمل لجمع التراث الشعبي بما فيه اللهجات الحية .

ج ـ اعداد مدونة للنقوش اليمنية القديمة .

د ـ خطة العمل لجمع الموسيقى والغناء والرقص الشعبي .

هـ ـ تشكيل لجنة فنية لجمع التراث الفكري اليمني والعربي والاسلامي .

و ـ تشغيل وتجهيز البنك الوطني للمعلومات والارشيف والمخطوطات

ز ـ انشاء معهد متوسط للفنون «يشمل الفنون الجميلة والموسيقى والرقص والسينما والمسرح» .

ح ـ تكوين مؤسسة وطنية للسينما والانتاج التلفزيوني

ط ـ انتاج الموسوعات والسلاسل والكتب والدوريات الثقافية التاريخية والعلمية .
ي ـ انشاء مراكز للحرف الشعبية .
ك ـ العمل باتجاه التنمية الثقافية الجماهيرية .
ل ـ انشاء وتكوين المعاهد والمراكز الثقافية المتخصصة
م ـ اقامة مواسم ثقافية متخصصة في المسرح والفنون والرواية . . الخ .

المرحلة الثالثة

وهي ايضا قد تتداخل مع المرحلتين السابقتين :-
أ ـ احياء التراث الحضاري بالتنقيب والبحث والتحقيق والنشر والاعلام عنه .
ب ـ قيام وانشاء صناعات ثقافية وطنية مثل صناعة السينما والورق واشرطة التسجيل . . الخ
ج ـ وضع البرامج الثقافية للخطة على اساس اعتبارات تربوية باعطاء عناية للانشطة الثقافية المدرسية من مسرح مدرسي وموسيقي وفنون جميلة ومسابقات ادبية . . الخ .
د ـ استخدام الوسائل والادوات والاجهزة العلمية الحديثة في نشر الثقافة .
هـ ـ التكامل الثقافي مع وسائل الاعلام والاتصال .
و ـ تكوين قناة تلفزيونية ثقافية تربوية تعليمية .

مشاريع الخطة

ان اتساع مجالات العمل الثقافي وتنوعه تستدعي صياغة جديدة لوظائف بعض المؤسسات الثقافية القائمة في اليمن ودمج بعضها وانشاء مشاريع ثقافية مستحدثة تتفق وطموح واهداف الخطة الثقافية وترفع من مستوى العمل الثقافي وتوسع من غاياته وتنمي من طاقاته وبحيث تتمتع المؤسسات الثقافية بنظام قانوني خاص بها ينظم عملها وبما يدعم النشاط والانتاج الثقافي حماية وصناعة وتسويقا وتبادلا واحياء وان تعمل المؤسسات على النهوض بالعمل الثقافي ورعايته واستخدام الامكانات والموارد الثقافية الممكنة دون ان يكون غاياتها مجرد الكسب المادي .

واهم المشاريع التي تتطلبها الخطة الثقافية هي :

اولا : حماية واحياء التراث الثقافي الوطني

١ ـ في مجال الاثار والمعالم التاريخية وفن العمارة وانشاء المتاحف
أ ـ اصدار التشريعات الضرورية لحماية وصون الاثار والمعالم التاريخية والحضارية .
ب ـ القيام بالمسح الاثري الشامل .
جـ ـ الحفاظ على الثروات الاثرية والحضارية والتاريخية .
د ـ تسجيل المواقع والمعالم الاثرية والتاريخية .
هـ ـ انشاء متحف وطني شامل والتوسع في انشاء المتاحف الاثرية المحلية .
و ـ تشجيع الدراسات والبحوث والتنقيبات الاثرية .
ز ـ صيانة الاثار وترميمها وتهيئتها سياحيا .
ح ـ الرقابة على تجارة التحف والمنتوجات الاثرية ذات القيمة التاريخية .
ط ـ الحفاظ على الطابع المعماري اليمني المميز ودراسة وتطوير اساليبه .
ي ـ صيانة المدن والقلاع ذات القيمة التاريخية والمعمارية وتهيئتها سياحيا .
ك ـ العناية بالتراث الطبيعي وحمايته وتهيئته سياحيا .

٢ ـ في مجال المخطوطات والوثائق :

أ ـ اصدار التشريعات الضرورية لحماية وصون المخطوطات .
ب ـ القيام بالمسح الشامل للمخطوطات .
ج ـ اقامة دار مركزية للمخطوطات .

د ـ جمع الفهارس الدالة على المخطوطات اليمنية في الخارج والقيام بفهرسة المخطوطات في الداخل.

هـ ـ تصوير المخطوطات اليمنية الموجودة في الخارج.

و ـ تصوير المخطوطات في الداخل وتوفيرها في المكتبات لتكون في متناول الباحثين

ز ـ توفير سبل تحقيق المخطوطات للدارسين والمراجع اللازمة والوسائل المساعدة.

ح ـ تنظيم التعاون بين الباحثين والمؤسسات الثقافية ذات العلاقة في سبيل تحقيق ونشر المخطوطات.

٣ ـ في مجال الفنون الشعبية :

أ ـ اصدار التشريعات الضرورية لحماية وصون الفنون الشعبية.

ب ـ القيام بالمسح الشامل للفنون الشعبية.

ج ـ يتم اعداد دراسات تمهيدية يقوم بها الباحثون ترسم صورة عامة للفنون الشعبية في اليمن وتبين جملة الظروف الاجتماعية والثقافية والتاريخية والجغرافية لليمن بشكل عام في المرحلة الاولى ثم تتفرع منها دراسات للمناطق المقترح دراستها.

و ـ جمع الفنون الشعبية باستخدام الوسائل التسجيلية الصوتية والتصويرية وغيرها.

هـ ـ رعاية الفنون الشعبية ودعمها ونشر الجوانب المشرقة منها.

و ـ احياء مواسم ومواكب للفنون الشعبية في المناسبات المختلفة

ز ـ اقامة مهرجانات شعبية متميزة والعمل على استمرارها سنويا.

ح ـ رعاية وانشاء فرق للفنون الشعبية في المحافظات.

ط ـ تطوير الحرف والصناعات الشعبية على مستوى القرى والمدن وتسويق انتاجها واقامة المعارض الدائمة لها.

ي ـ نشر الفنون الشعبية في الخارج عبر التبادل الثقافي.

□□ ثانيا : نشر الكتاب :ـ

١ ـ تأسيس دار وطنية للتأليف والطباعة والترجمة والنشر.

٢ ـ اصدار ونشر السلاسل والموسوعات الثقافية كمادة ابداعية بالاضافة الى المجلات الثقافية والدوريات.

أ ـ السلاسل الثقافية.

١ : سلسلة التراث الوطني الاسلامي.

١ : ٢ السلسلة الادبية القصة الشعر الرواية

١ : ٣ السلسلة الفكرية والعلمية : فكر وطني قومي انساني دراسات وابحاث ثقافية.

١ ـ ٤ سلسلة كتاب التاريخ اليمني.

١ ـ ٥ سلسلة ثقافة الناشئة : كتيبات مبسطة معارف علمية مختارات قصة.

ب : السلسلة المترجمة.

ج ـ الموسوعات الثقافية المتخصصة في اللغة، العلوم، الادب، الاعلام، التاريخ والفكر.

د : اصدار مجلات ثقافية شهرية متنوعة ودوريات فصلية.

٣ ـ اقامة معارض الكتاب.

٤ ـ اقامة المسابقات الثقافية حول التأليف.

٥ ـ انشاء جوائز ثقافية للكتب المتفردة.

المكتبة الوطنية والمكتبات العامة :

١ ـ اعداد التشريعات واللوائح المنظمة للمكتبات.

٢ ـ تحديد الدار الوطنية للكتب.

٣ ـ التوسع في اقامة المكتبات العامة.

٤ ـ انشاء مكتبات متخصصة في ثقافة الطفل وتعميمها.

رابعا الفنون

أ ـ الفنون التشكيلية.

أ - العمل على استلهام التراث الوطني في الاعمال الفنية المعاصرة .
ب - احياء الفنون التشكيلية بصيانة وتشجيع وتطوير ماهو قائم وتكريم الفنانين المبدعين
ج - انشاء قاعات ومعارض للفنون في المحافظات والمدن الرئيسية .
د - اقامة معارض للناشئة لاستظهار المواهب والطاقات الابداعية فيهم
هـ - اقامة معارض خارج الوطن .
و - تشجيع اقامة الروابط والاندية الفنية .

٢ - الغناء والموسيقى والرقص :

أ - اقامة فرق وطنية للانشاد والموسيقى والرقص .
ب - اقامة فرق على مستوى المحافظات .
ج - اقامة مهرجانات فنية للغناء والموسيقى والرقص .
د - العناية بنشر الاناشيد الوطنية .

٣ - السينما :

أ - انشاء مؤسسة وطنية للانتاج السينمائي والتلفزيوني تعمل على انتاج افلام تسجيلية ووثائقية واخبارية وروائية .
ب - التوسع في اقامة دور للعرض السينمائي وتحسينها وخاصة في المدن التي لم تنشأ فيها دور عرض حتى الان .
ج - تشجيع جماعات هواة السينما وتطوير روابطها .
د - ايجاد قوافل للعرض السينمائي في الاماكن المحرومة
هـ - المشاركة في المهرجانات السينمائية العربية والاجنبية .

٤ - المسرح :

أ - اقامة فرقة وطنية للمسرح .
ب - اقامة مسارح للعرض على مستوى المحافظات .
ج - اقامة فرق مسرحية على مستوى المحافظات .
د - تشجيع ورعاية المواهب وتدريبهم وتأهيلهم .
هـ - اقامة عروض مسرحية للطفل ومسارح للعرائس .
و - اقامة المهرجانات المسرحية والمشاركة في المهرجانات العربية والدولية .
ز - تشجيع نشاط المسرح الشعبي ورعايته .

٥ - ثقافة الطفل

أ - اصدار مجلات خاصة للاطفال وتشجيع مطبوعات الطفل في مجال القصة والشعر ، والعلم والابداع .
ب - الاهتمام بمسرح الطفل ومسرح الدمى والعرائس
ج - تنظيم معارض خاصة بكتاب الطفل .
د - اقامة المسابقات الابداعية للاطفال في مجال المقالة والقصة والشعر .
هـ - حث الادباء على الكتابة للطفل والعناية بادب الطفل .

قرارات الاجتماع الأول لمجلسي وزراء الشطرين المنعقد في صنعاء في الفترة ٢٠-٢٢ يناير ١٩٩٠م

صنعاء //سبأ// . . اختتمت قبل ظهر يوم الاثنين ٢٢/١/١٩٩٠م بقاعة الاجتماعات بالقصر الجمهوري أعمال الأجتماع الأول المشترك لمجلسي الوزراء في شطري الوطن التي عقدت في عاصمة دولة الوحدة صنعاء خلال الفترة من ٢٠ إلى ٢٢ يناير الجاري برئاسة الاخوين عبدالعزيز عبدالغني رئيس مجلس الوزراء عضو اللجنة الدائمة والدكتور/ ياسين سعيد نعمان عضو المكتب السياسي رئيس مجلس الوزراء في جنوب الوطن. . والذي تم خلاله استعراض ومناقشة كافة القضايا الموكلة إلى المجلسين من اتفاق عدن التاريخي وبلاغ صنعاء الصحفي وذلك استكمالا للاجراءات والخطوات الوحدوية لتحقيق الهدف المنشود لابناء شعبنا اليمني والمتمثل في اعادة تحقيق وحدة الوطن اليمني ارضا وانسانا .

وقد صدر عن هذا الاجتماع عدد من القرارات تناولت الجوانب الاقتصادية والمالية والاعلامية والثقافية والتربوية وفي المجالات التشريعية والقضائية والشئون الخارجية والتمثيل الدبلوماسي والقنصلي . . وكذا التصورات بشأن الدمج للوزارات والاجهزة والمصالح والمؤسسات والمواضيع الاخرى .

وقد وقع الاخوة الوزراء مع نظرائهم محاضر الاجتماعات التي تمت خلال الاجتماع المشترك . . كما وقع الاخوان رئيسا الوزراء عبدالعزيز عبدالغني والدكتور ياسين سعيد نعمان على القرارات الصادرة عن الاجتماع الأول لمجلسي الوزراء وفيما يلي نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

قرارات الاجتماع الأول لمجلسي وزراء الشطرين.

مواصلة للجهود الوحدوية من خلال النشاط العملي الذي يشهده الوطن اليمني على كافة المستويات . . واستنادا إلى البلاغ الصحفي الصادر عن اجتماع قيادة الشطرين بصنعاء في الفترة من ٢٤-٢٦/١٢/١٩٨٩م .

عقد مجلسا الوزراء لشطري الوطن أول اجتماع لهما في عاصمة دولة الوحدة صنعاء خلال الفترة ٢٠-٢٢/١/١٩٩٠م للنظر في تنفيذ المهام الموكلة إليهما في ضوء البلاغ واتخذت القرارات التالية :

○ أولا : اللجنة الاقتصادية والمالية :

١- يؤكد المجلسان على اللجنة الاقتصادية والمالية بالاسراع في انجاز اعمالها على ان تولي اهتمامها في البت بالقوانين الاتية :

أ - التعريفة الجمركية الموحدة .
ب - البنك المركزي وتوحيد العمله .
جـ - ضريبة الدخل وكسب العمل .
د - البنوك التجارية .
هـ - الانظمة المالية العامة .

وذلك من خلال لجان متفرعه لانجاز هذه القوانين واللوائح والانظمة الخاصة بدمج الاجهزة والمؤسسات الاقتصادية الاخرى .

○ ثانيا : لجنة التربية والثقافة والاعلام :

يؤكد المجلسان على اللجنة بسرعة انجاز مهامها خلال الفترة المحددة . . وعليها اعداد مشاريع القوانين التالية :

١- قانون التعليم الاساسي .
٢- قانون التعليم العام . .
٣- قانون التعليم التخصصي .

وبالنسبة للثقافة والأعلام فان على الوزيرين المختصين وضع التصورات لتطبيق الاسس الثقافية والاعلامية التي انجزتها اللجان . . وتشكيل لجان فنية لاستكمال الانظمة واللوائح الخاصة بدمج الاجهزة والمؤسسات الاعلامية والثقافية في الشطرين .

ويكلف مجلس الوزراء وزيري الاعلام والثقافة في الشطرين العمل على تطوير قطاع السياحة باعطاء المزيد من التسهيلات السياحية واجراءات السفر للمجاميع السياحية والافراد وزيادة مساهمة قطاع الدولة والقطاع الخاص في الاستثمارات السياحية في المجالات المختلفة. كما يجب انجاز استكمال البث التلفزيوني لمحطتي الشطرين لتغطية كل مناطق اليمن بشطريه.

○ ثالثاً: اللجنة التشريعية والقضائية:

يؤكد المجلسان على اللجنة بسرعة انجاز مهامها والبت في التشريعات الاساسية في دورتها القادمة وعليها انجاز القوانين الاساسية التالية:

١- قانون السلطة القضائية..
٢- قانون العقوبات..
٣- قانون الاجراءات الجزائية.
٤- القانون المدني.
٥- القانون التجاري وفروعه.

كما ان عليها انجاز بقية القوانين الاخرى لدولة الوحدة.

○ رابعا: الشئون الخارجية والتمثيل الدبلوماسي والقنصلي:

يتم العمل بموجب ماتوصل اليه وزيرا الخارجية بهذا الصدد.

● خامسا: التصورات بشأن الدمج للوزارات والاجهزة والمصالح والمؤسسات:

١- تكلف لجنة الادارة والمرافق العامة باعداد قانون تنظيم مجلس الوزراء بحيث يشمل تنظيم الوزارات واختصاصاتها العامة. يتضمن تخويل مجلس الوزراء باصدار اللوائح التنظيمية للوزارات بما في ذلك اصدار الهياكل التنظيمية لها واعادة التنظيم بقرارات تتم في مجلس الوزراء.

٢- تكلف اللجنة باعداد اللائحة النمطية لتنظيم الوزارات والاجهزة الاخرى.

٣- تكلف اللجنة لجنة فرعية باعداد مشروع النظم واللوائح للاجهزة التابعة لرئاسة الدولة.

كما تكلف لجنة فرعية باعداد لائحة لتنظيم الامانة العامة لمجلس الوزراء ومكتب رئاسة الوزراء.

٤- يرى المجلس ان تتكون حكومة دولة الوحدة من الوزارات التالية:

١- وزارة الشئون القانونية.
٢- وزارة الخارجية.
٣- وزارة الخدمة المدنية والاصلاح الاداري.
٤- وزارة التأمينات والشئون الاجتماعية.
٥- وزارة العمل والتدريب المهني.
٦- وزارة المالية.
٧- وزارة الداخلية والامن.
٨- وزارة العدل.
٩- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
١٠- وزارة التربية والتعليم.
١١- وزارة الثقافة.
١٢- وزارة الاعلام.
١٣- وزارة النقل.
١٤- وزارة الانشاءات.
١٥- وزارة الادارة المحلية.
١٦- وزارة الزراعة والموارد المائية.
١٧- وزارة الثروة السمكية.
١٨- وزارة النفط والثروات المعدنية.
١٩- وزارة الكهرباء والمياه.
٢٠- وزارة الصحة العامة.
٢١- وزارة التموين والتجارة.
٢٢- وزارة الصناعة.
٢٣- وزارة الاوقاف والارشاد.
٢٤- وزارة التخطيط والتنمية.
٢٥- وزارة المواصلات.
٢٦- وزارة الشباب والرياضة.

٢٧- وزارة الدفاع .
٢٨- وزارة التخطيط الحضري والاسكان .
٢٩- وزارة السياحة .
٣٠- وزارة شئون المغتربين .
٣١- وزير دولة لشئون مجلس النواب .
٣٢- وزير دولة لشئون مجلس الوزراء .
٣٣- وزير دولة للشئون الخارجية .

٥- يتم العمل على دمج الوزارات والاجهزة والمصالح والمؤسسات العامة المركزية ولهذا الغرض يكلف نواب الوزراء ووكلاء الوزارات بوضع الهياكل التنظيمية للوزارات والاجهزة الاخرى المتقابلة في الشطرين بحيث يتم دمج كل منها في هيكل تنظيمي واحد . كما تتولى وزارتا الخدمة المدنية والاصلاح الاداري . والعمل والخدمة المدنية بوضع الهياكل التنظيمية للوزارات الجديدة التي لايوجد لها مقابل في كلا الشطرين.

٦- يكلف وزيرا العمل والخدمة المدنية في الشطرين ووزيرا المالية بوضع تنظيم وقوانين تحدد الدرجات الوظيفية الموحدة . . وتوحيد الاجور والدرجات وتحديد اوضاع العاملين الوظيفية عند انتقالهم في ظل دولة الوحدة . وقوانين التنظيم الاداري واسلوب العمل وحقوق العاملين في مختلف اجهزة الدولة . وكذا لانجاز المهام الاخرى التي اقرتها لجنة الادارة والمرافق العامة التي تدخل ضمن اختصاصاتهم.

٧- يكلف الوزراء كل في مجال وزارته بوضع تصور لاستيعاب العاملين في اطار وزارة واحدة . وكيفية تصنيفهم وتحديد مراكز عملهم.

٨- على الوزارات والمؤسسات في الشطرين والتي لم يسبق ان شكلت لها لجان وحدوية اجراء الاتصالات والتنسيق فيما بينها من اجل تحقيق الدمج خلال فترة زمنية محددة.

٩- تكلف لجنة فرعية من وزارات العمل والشئون الاجتماعية والخدمة المدنية والاصلاح الاداري باعداد القوانين الاساسية التالية :
أ- قانون الخدمة المدنية .
ب : قانون الضمان الاجتماعي .

١٠- تشكل لجنة فرعية من الاتحاد العام للمجالس المحلية ووزارة الداخلية قطاع الوحدات الادارية ووزارة العدل وسكرتارية مجلس الوزراء وادارة الحكم المحلي وذلك لاعداد مشروع قانون الحكم المحلي كأساس لسلطة الدولة المحلية.

○ سادسا :

يلزم المجلس المشترك الجهات المختصة بازالة اية عوائق او حواجز امام تنقل المواطنين بين الشطرين عبر جميع مناطق الاطراف والعمل على تسهيل انتقالهم بحرية تامة وتقتصر مهام النقاط الموجودة حاليا بمناطق الاطراف في الرقابة على تنقل البضائع التجارية .

○ سابعا :

ناقش المجلسان الفقرة ٦ من البند - ثانيا - من بلاغ صنعاء الصحفي والتي تتعلق بحصر القوانين والانظمة المتصلة بالحقوق والحريات الشخصية للمواطنين وذلك بغرض سرعة توحيدها بما يحافظ على كرامة المواطن اليمني وتأكيد سيادة القانون وقد توصل المجلسان الى الآتي :
أ :- بالنسبة للقوانين والانظمة تم حصرها وتحديد الجهات المعنية بها كالاتي :

القوانين المطلوب اعدادها

١- قانون الصحافة والمطبوعات ويتولى . وزيرا الاعلام مهمة اعداده.
٢- قانون الاجراءات القضائية يتولى وزيرا العدل متابعة اللجنة المختصة بسرعة البت فيه.
٣- قانون العقوبات . يتولى وزيرا العدل اعداده .
٤- قانون الطوارىء . يتولى وزراء العدل والداخلية مهمة اعداده .
٥- قانون النقابات والجمعيات . يتولى وزيرا

الشئون الاجتماعية والعمل مهمة اعداده .
٦ـ قانون السجون . يتولى وزراء العدل والداخلية مهمة تدقيقه بما يكفل المحافظة على كرامة المواطنين .

وقد اقر المجلسان ضرورة تضمين قانون العقوبات تحريم اي تمييز بين المواطنين بالمخالفة لنص المادة ٢٧ من مشروع دستور دولة الوحدة . كما اقر تحديد مدة زمنية محددة بثلاثة اشهر كحد اقصى للانتهاء من اعداد مشاريع القوانين المحددة انفا .

ب :ـ بالنسبة لبعض الممارسات السلبية التي تتم بالمخالفات للقوانين النافذة ناقش المجلسان هذا الموضوع وتوصلا الى ما يلي :

١ـ إلغاء اي مراكز للاحتجاز ماعدا السجون الرسمية المحددة وفقا لقانون السجون في الشطرين . وكذا مراكز الشرطة التي يجب ان يقتصر الحجز فيها على المدة المقرة قانونا .

٢ـ ضرورة التدقيق في لوائح السجون بما يكفل انهاء اي ممارسات تتعارض مع القيم الدستورية وبالذات الممارسات المتمثلة في استخدام القيود او التأديب بما يخل بالحقوق الاساسية للمواطنين .

٣ـ ضرورة التقيد بما تقضي به الانظمة النافذة المتعلقة باحضار المواطنين امام اجهزة الدولة والتي تمنع تقاضي اجور التنافيذ واتخاذ الاجراءات التأديبية ضد من يمارس شيئا من ذلك .

ويرى المجلسان ضرورة ايجاد النصوص القانونية لتحديد الجزاءات القانونية والتأديبية الرادعة التي تكفل انتهاء هذه الممارسات ومعاقبة مرتكبيها .

كما تناول المجلسان في مناقشتهما موضوع ضمان حق المواطنين في تقديم الشكاوي والتظلمات ويقران بهذا الصدد أهمية اعداد نظام للشكاوى تلتزم كل الجهات به للتدقيق والبت في هذه الشكاوى كما يرى المجلسان ضرورة تنظيم اعمال اللجان الخاصة بالشكاوى في اجهزة السلطة الشتريعية .

○ ثامنا :

قرر المجلسان الافراج عن اي مساجين سياسيين فورا ويكلف كل من المدعي العام والنائب العام بالشطرين بالتأكد من تنفيذ هذا القرار وعلى وزيري العدل ابلاغ رئيسي الوزراء بالنتائج .

○ تاسعا :

يؤكد المجلسان على لجنة التنظيم السياسي انجاز اعمالها في موعد اقصاه ٢٠ فبراير القادم . بما في ذلك البدء في تنظيم الحوار مع التنظيمات السياسية والشخصيات الوطنية .

○ عاشرا :

يخول رئيسا المجلسين في الشطرين بتشكيل لجنة نوعية برئاسة نائبي رئيسي الوزراء للقيام بالتقويم الشامل لتجربة الشطرين بالمجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية وفي مجال الممارسة الديمقراطية .

حادي عشر :

يكلف مجلسا الوزراء جميع الوزراء باستمرار العمل لاستكمال كافة الاجراءات المتعلقة بوضع النظم والقوانين والتصورات الخاصة بدمج الاجهزة والمؤسسات والمصالح الحكومية في الشطرين وكذا متابعة انجاز وتنفيذ ما تم التوصل اليه في محاضر الاجتماعات خلال اجتماع المجلسين في صنعاء وبما يتفق والقرارات المتخذة من مجلسي الوزراء والقيادتين السياسيتين في هذا الصدد .

هذا وقد اتفق على ان يعقد الاجتماع الثاني لمجلسي الوزراء في عدن في شهر مارس القادم .

● حرر في صنعاء في ٢٦ جماد الثاني ١٤١٠هـ الموافق ٢٢/١/١٩٩٠م .

د/ ياسين سعيد نعمان عضو المكتب السياسي رئيس مجلس الوزراء .

عبدالعزيز عبدالغني رئيس مجلس الوزراء عضو اللجنة الدائمة .

محضر اللقـــاء المشتـــرك بين رئيسي مجلس وزراء الشطرين تعز ١ـ٢ مارس ١٩٩٠م

انطلاقا من اسمى اهداف شعبنا اليمني في اعادة وحدته وسعيا نحو تطوره وتقدمه وازدهاره ، وتنفيذا لاتفاق عدن التاريخي في الـ٣٠ من نوفمبر ١٩٨٩م ولقـــاء صنعـــاء ، ومكـيراس بين قيادتي شطري الوطن ممثلة بالاخ العقيد علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الامين العام للمؤتمر الشعبي العام ، والاخ علي سالم البيض الامين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني ، واستنادا الى قرارات الاجتماع الاول المشترك لمجلس الوزراء الذي عقد في صنعاء في يناير الماضي والتي حددت الخطوات والسبل التنفيذية للسير في انجاز ما تبقى من مشروعات القوانين الوحدوية وصياغة الانظمة والهياكل التنظيمية لدمج الوزارات والاجهزة التنفيذية لدولة الوحدة .

انعقد في القصر الجمهوري بتعز لقاء مشتركا بين الاخوين عبد العزيز عبد الغني رئيس مجلس الوزراء عضو اللجنة العامة والدكتور ياسين سعيد نعمان عضو المكتب السياسي رئيس مجلس الوزراء خلال الفترة من ١ ـ ٢ مارس ١٩٩٠م . وتم خلال الاجتماع استمرار ومناقشة ما تم انجازه من اعمال اللجان الوحدوية وعلى وجه الخصوص تم مناقشة المواضيع الاقتصادية ، والمالية والنقدية والتبادل التجاري ، وشئون الصناعة ، والنقل ، والمواصلات ، ودمج المؤسسات والمصالح والهيئات بين الشطرين بمشاركة الاخوة المسئولين في الشطرين الموضحة اسماؤهم في المرفق رقم (١) .

وقد تم الاتفاق على ما يلي :ـ

اولا : في مجال دمج المؤسسات والمصالح :

يتم في المرحلة الاولى دمج المؤسسات والمصالح الاتية :ـ

١ ـ وكالتي الانباء .

٢ ـ الاذاعة والتلفزيون

٣ ـ البريد والهاتف والاتصالات السلكية واللاسلكية .

٤ ـ الهيئة العامة للطيران المدني والارصاد ، ومصلحة الطيران .

٥ ـ المؤسسة العامة للسياحة .

٦ ـ مصلحتي الجمارك .

٧ ـ مصلحة الضرائب ، والادارة العامة للضرائب .

٨ ـ المؤسسة العامة للموانئ والشئون البحرية ، ومصلحة الموانئ .

٩ ـ البنك المركزي والمصرف المركزي .

١٠ ـ شركتي الخطوط الجوية (اليمنية ـ واليمدا) .

ثانيا : ابتداء من الاسبوع الاول من شهر مارس ١٩٩٠م . تعتبر خطوط الطيران بين صنعاء وعدن خطوط نقل داخلية .

ثالثا : تعتبر تأشيرة الدخول الممنوحة لغير اليمنيين لدخول اي شطر من شطري اليمن سارية المفعول للشطر الاخر ، وعلى الجهات المختصة اتخاذ الترتيبات اللازمة لتنفيذ ذلك .

رابعا : ١ ـ تم التأكيد على ان تقوم مدينة عدن بدورها الاقتصادي والمالي والتجاري في ظل دولة الوحدة بما يتناسب مع مكانتها التاريخية والمزايا الجغرافية التي تتمتع بها وتتخذ السياسات اللازمة لتحقيق ذلك .

٢ ـ منح فروع الوزارات والاجهزة والبنك المركزي في عدن بصلاحيات اكبر وعلى وجه الخصوص الوزارات الاقتصادية والمالية والخدماتية وبعض الوزارات الاخرى .

خامسا : تنسيق التجارة الخارجية في اتجاه توحيد الاستيراد المشترك للشطرين بما في ذلك الاستفادة المشتركة من اي تسهيلات تجارية او ائتمانية يحصل عليها اي من الشطرين وذلك لصالح الشطرين وتبحث عملية تسوية هذه التسهيلات فيما يتعلق بالسلع الاساسية مع الاستفادة من الوفورات المخصصة في اطار برامج الاستيراد لصالح استيراد سلع اخرى للشطرين .

سادسا : استغلال الطاقات الانتاجية المتاحة في المشآت الصناعية القائمة مثل استغلال الطاقات المتاحة بمصفاة عدن والبحث عن مصادر تمويل لتطويرها من الان .

سابعا : التاكيد على استمرار انتقال السلع بين الشطرين ، ويتولى البنكان اليمني والاهلي في الشطرين تنفيذ ما توصلت اليه اللجنة الاقتصادية بشأن تسوية المدفوعات المتعلقة بانتقال السلع .

ثامنا : تحل مشكلة الرصيد الدائن المتراكم لصالح البنك اليمني والبالغ (١٢٧ ـ مليون ريال) لدى البنك الاهلي والمبالغ التي ستراكم مستقبلا عن طريق احد البدائل الاتية :-

(١) ـ ان يتم استثمار الرصيد او بعضه من قبل البنك اليمني في بناء مقرات له في الشطر الجنوبي لممارسة نشاطه .

(٢) ـ ان يدخل البنك اليمني في عمل استثمارات مشتركة مع البنك الاهلي كبناء مشروع سكني يسوق للمغتربين ويساهم البنك اليمني من رصيده المتراكم لتغطية النفقات المحلية .

(٣) ـ ان تحل هذه المشكلة عندما يتم الاتفاق على استخدام العملتين كوسيلة دفع في كلا الشطرين .. ويتم التسوية بواسطة البنك المركزي ومصرف اليمن استنادا الى ما سيأتي فيما يتعلق بالعملة .

تاسعا : العملة :

١ ـ يتم اتخاذ الاجراءات اللازمة بشأن حرية تداول العملتين الريال والدينار في الشطرين ويكلف البنك المركزي ومصرف اليمن بتنظيم ذلك خلال فترة لا تتجاوز شهر واحد .

٢ ـ تنسيق السياسات النقدية في الشطرين بما يكفل المصلحة المشتركة لهما . .

٣ ـ اتخاذ الاجراءات الحاسمة لتنفيذ القرارات والضوابط في منخ خروج ودخول العملتين من والى الوطن .

٤ ـ عدم طبع اي كمية جديدة من العملتين حتى يتم تحديد عملة دولة الوحدة .

٥ ـ التنسيق بين البنك المركزي ومصرف اليمن في الحصول على القروض الخارجية وتنظيم استخدامها

عاشرا : العملة الوطنية لدولة الوحدة :

اختيار نوع وقيمة وكلفة العملة الوطنية لدولة الوحدة في ضوء سلسلة من المؤشرات والمعطيات والاجراءات والامكانيات اهمها :-

- حجم النقد المصدر والمتداول من العملتين الساريتين وعلاقته بالمؤشرات الاقتصادية العامة .
- حجم النقد اللازم لتغطية الاحتياج الفعلي للتداول في دولة الوحدة .
- كميات النقد المتسرب خارج الشطرين والمجمد (مكتنز) خارج الدورة النقدية .
- القيمة التعادلية الفعالة وصلتها بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية .
- تكلفة الطبع .
- آلية الاحلال والاستبدال وكلفته .
- حجم الاحتياطي والتغطية من النقد الاجنبي .

ويكلف فريق عمل من وزارتي المالية ، والبنك المركزي ، ومصرف اليمن يتم تسميته من قبل الوزيرين لتولي تحديد عملة الوحدة على ضوء ما ذكر وذلك لتحقيق الاتي :-

(١) ـ اعداد دراسة وتصورات لمختلف البدائل للسعر التبادلي لعملتي الشطرين والاثار السلبية والايجابية على كل بديل من البدائل . مع الاخذ في الاعتبار بسلسلة المؤشرات الموضحة (سابقا) واي مؤشرات اخرى مفيده .

(٢)ـ تكليف وزارتي المالية ، والبنك المركزي ومصرف اليمن بتوفير البيانات اللازمة لعمل الفريق .

(٣) ـ ينجز فريق العمل مهمته خلال (شهر) . . .

حادي عشر يكلف فريق عمل من الجهاز المركزي للتخطيط ، ووزارة التنمية والتخطيط باعداد تصور حول خطة التنمية الانتقالية مع العمل على توحيد المفاهيم التخطيطية ووضع التصورات بشأن منهج الخطة الخمسية القادمة .

ثاني عشر : (١) يكلف وزيرا المالية في الشطرين باعداد مشروع ميزانية موحدة لدولة الوحدة لعام

١٩٩١م ويستمر العمل بميزانيتي الشطرين لعام ١٩٩٠م الى نهاية العام .

(٢) ـ تكليف وزارتي المالية في الشطرين بتقديم مشروع التعريفة الجمركية للاجتماع القادم لمجلسي وزراء الشطرين .

ثالث عشر التاكيد على استيعاب كل الوزارات والاجهزة والمصالح والمؤسسات في دولة الوحدة لكل العاملين في الشطرين والحفاظ على حقوقهم المكتسبة وتحقيق الاستقرار لهم .

رابع عشر : تثبيت وتوحيد الاسعار للسلع الضرورية والمواد الاساسية في كافة انحاء دولة الوحدة بما يحقق استقرار وتحسين المعيشة للمواطنين .

خامس عشر : تم تكليف لجنة مشتركة من وزيري الوحدة وسكرتارية مجلسي الوزراء في الشطرين لاستكمال اعداد التقارير واوراق العمل التي ستقدم في الاجتماع المشترك الثاني لمجلسي وزراء الشطرين الذي سيعقد بمدينة عدن يوم ٢٠ مارس ١٩٩٠م .

حرر في مدينة تعز يوم الجمعة بتاريخ ٥/ شعبان ١٤١٠هـ

الموافق ٢ مارس ١٩٩٠م

عبد العزيز عبد الغني
رئيس مجلس الوزراء
عضو اللجنة العامة

د. ياسين سعيد نعمان
عضو المكتب السياسي
رئيس مجلس الوزراء

قرارات الاجتماع الثاني لمجلسي وزراء الشطرين عدن ٢٠ـ٢٢ مارس ١٩٩٠

عدن //سبأ/.. اختتم ظهر يوم الاربعاء ٢١/٣/١٩٩٠م بقاعة الملكة سبأ بفندق عدن أعمال الاجتماع الثاني المشترك لمجلسي الوزراء لشطري الوطن اليمني برئاسة الأخوين/ عبدالعزيز عبدالغني رئيس مجلس الوزراء عضو اللجنة العامة. والدكتور ياسين سعيد نعمان عضو المكتب السياسي رئيس مجلس الوزراء في جنوب الوطن. وقد صدر عن الاجتماع الثاني المشترك لمجلسي الوزراء لشطري الوطن اليمني القرارات التالية :

نص قرارات الاجتماع الثاني لمجلسي وزراء الشطرين عدن ٢٠ـ ٢٢ مارس ١٩٩٠م

استنادا إلى نتائج لقاءات القمة للقيادتين السياسيتين والاجتماع الأول لمجلسي وزراء الشطرين في صنعاء ٢٢/١/١٩٩٠م ونتائج لقاء رئيسي الوزراء في تعز خلال الفترة من ١ـ٢ مارس ١٩٩٠م عقد مجلسا وزراء الشطرين اجتماعهما الثاني في عدن خلال الفترة من ٢٠ـ٢٢ مارس ١٩٩٠م واتخذ القرارات التالية :

○ أولا: مشروعات القوانين التي تم انجازها..

٤٥ مشروع قانون

(أ) اقر المجلسان مشروعات القوانين التالية :

١ـ مشروع قانون مجلس الوزراء .

٢ـ مشروع قانون الصيد واستغلال الاحياء البحرية .

٣ـ مشروع قانون التنظيم الصناعي .

٤ـ مشروع قانون السجل التجاري .

٥ـ مشروع قانون التموين .

٦ـ مشروع قانون تنظيم التجارة الخارجية .

٧ـ مشروع قانون المواصفات والمقاييس .

٨ـ مشروع قانون المؤسسات العامة .

٩ـ مشروع قانون المقاييس والاجهزة والالات والوزن والكيل .

١٠ـ مشروع قانون رسم ومراقبة المصوغات والمعادن الثمينة .

١١- مشروع القانون المالي .
١٢- مشروع قانون تحصيل الاموال العامة .
١٣- مشروع قانون المناقصات والمخازن الحكومية .
١٤- مشروع القانون الجمركي .
١٥- مشروع قانون التعريفة الجمركية .
١٦- مشروع قانون الضرائب .
١٧- مشروع قانون الضرائب على المركبات .
١٨- مشروع قانون ضريبة الدمغة .
١٩- مشروع قانون البنوك التجارية .
٢٠- مشروع قانون بنك التسليف التعاوني الزراعي .
٢١- مشروع قانون البنك الصناعي اليمني .
٢٢- مشروع قانون بنك الاسكان .
٢٣- مشروع قانون الرقابة والمحاسبة .
٢٤- مشروع قانون الاتصالات السلكية واللاسلكية .
٢٥- مشروع قانون المساعدات والضمان الاجتماعي .
٢٦- مشروع قانون التأمينات الاجتماعية لعمال القطاع الخاص .
٢٧- مشروع قانون تنظيم النقابات العمالية .
٢٨- مشروع قانون الخدمة المدنية .
٢٩- مشروع قانون العمل .
٣٠- مشروع قانون الحكم المحلي .
٣١- مشروع قانون دخول واقامة الاجانب .
٣٢- مشروع قانون الجوازات والهوية .
٣٣- مشروع قانون السجون .
٣٤- مشروع قانون المعاشات والمكافآت في القوات المسلحة والأمن .
٣٥- مشروع قانون شروط الخدمة في القوات المسلحة .
٣٦- مشروع قانون المرتبات والعلاوات في القوات المسلحة .
٣٧- مشروع قانون خدمة الدفاع الوطني .
٣٨- مشروع قانون المتاحف العسكرية ,
٣٩- مشروع قانون الاحتياط العام .
٤٠- مشروع قانون التأمين الالزامي على السيارات .
٤١- مشروع قانون الاسلحة النارية والمتفجرات .
٤٢- مشروع قانون المخدرات والمؤثرات العقلية وتنظيم استعمالها في النواحي العلاجية .
٤٣- مشروع قانون الجنسية .
٤٤- مشروع قانون المرور .
٤٥- مشروع قانون السلك الدبلوماسي والقنصلي .

(ب) يكلف المجلسان وزيري العدل والاوقاف والشئون القانونية بالتدقيق في مشروعات القوانين المذكورة اعلاة وفي حالة وجود أي تعارض مع مشروع دستور دولة الوحدة أو فيما بينها يتم رفع مذكرة بالتعديلات المقترحة إلى الاجتماع المشترك الثالث .

○ ثانيا : مشروعات اللوائح التنفيذية والانظمة .

اقر المجلسان مشروعات اللوائح التنفيذية والانظمة التالية :

١٤ لائحة تنفيذية

١- لائحة تنظيم عمل مجلس الوزراء .
٢- اللائحة المالية والنظام المحاسبي الحكومي .
٣- التبويب النمطي للموازنة العامة للدولة .
٤- دليل اعداد الموازنة العامة للدولة .
٥- اللائحة التنفيذية لقانون المناقصات والمخازن .
٦- لائحة قانون تحصيل الاموال العامة .
٧- دليل التسويات للمخالفات الجمركية وجرائم التهريب .
٨- اللائحة التنفيذية لقانون السلك الدبلوماسي والقنصلي .
٩- لائحة تنظيم اصدار الجوازات الدبلوماسية والخاصة وجوازات المهمة .
١٠- النظام الخاص بمهام واختصاصات موظفي البعثات الدبلوماسية والقنصلية .
١١- لائحة المهام والاجراءات القنصلية .
١٢- لائحة تنظيم الاعفاءات الجمركية لموظفي وزارة الخارجية العائدين للعمل في الديوان العام للوزارة .

١٣- نظام الامتحان للالتحاق بوزارة الخارجية .
١٤- نظام قواعد الجزاءات لموظفي وزارة الخارجية .
١٥- لائحة المرتبات والعلاوات في القوات المسلحة .

○ ثالثا : مشروع قانون انشاء البنك المركزي اليمني .

اقر المجلسان قانون انشاء البنك المركزي اليمني .

○ رابعا : مشروعات اللوائح والهياكل التنظيمية الخاصة بدمج الوزارات والاجهزة والهيئات والمصالح والمؤسسات .

اقر المجلسان اللوائح والهياكل التنظيمية التالية :

١- اللائحة النمطية لتنظيم الوزارات والاجهزة المدنية .
٢- اللائحة التنظيمة والهيكل لوزارة الزراعة والموارد المائية .
٣- الهيكل التنظيمي لوزارة الثروة السمكية .
٤- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لوزارة النفط والثروات المعدنية .
٥- اللائحة التنظيمية لوزارة الصناعة .
٦- اللائحة التنظيمية لوزارة التموين والتجارة .
٧- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لوزارة المالية .
٨- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لوزارة النقل .
٩- الهيكل التنظيمي لوزارة المواصلات .
١٠- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لوزارة الكهرباء والمياه .
١١- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لوزارة الانشاءات والتعمير .
١٢- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لوزارة الاسكان والتخطيط الحضري .
١٣- الهيكل التنظيمي لوزارة الشباب والرياضة .
١٤- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لوزارة الصحة العامة .
١٥- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لوزارة التأمينات والشئون الاجتماعية .
١٦- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لوزارة العدل .
١٧- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لوزارة الشئون القانونية .
١٨- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لوزارة الاوقاف .
١٩- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لوزارة الخدمة المدنية والاصلاح الاداري .
٢٠- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لوزارة العمل والتدريب المهني .
٢١- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لوزارة الادارة المحلية .
٢٢- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لوزارة الاعلام .
٢٣- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لوزارة الثقافة .
٢٤- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لوزارة السياحة .
٢٥- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي للامانة العامة لرئاسة الوزراء .
٢٦- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لوزارة الخارجية .
٢٧- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لجهاز الرقابة والمحاسبة .
٢٨- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي للهيئة العامة للمواصفات والمقاييس .
٢٩- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي للهيئة العامة للطيران المدني والارصاد .
٣٠- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي للهيئة العامة للمواني اليمنية .
٣١- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي للهيئة العامة للشئون البحرية .
٣٢- اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي للهيئة العامة للطرق والجسور.

٣٣ـ اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لمصلحة الضرائب.
٣٤ـ اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لمصلحة الواجبات.
٣٥ـ اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي للمؤسسة العامة للنفط والثروات المعدنية.
٣٦ـ اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي للمؤسسات العامة للكهرباء.
٣٧ـ اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لوكالة الانباء اليمنية.
٣٨ـ اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي للمعهد العام للاتصالات.
٣٩ـ اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لكلية القيادة والاركان.
٤٠ـ اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي للكليات العسكرية.
٤١ـ اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي للمعاهد العسكرية.
٤٢ـ اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي للمدارس العسكرية.
٤٣ـ اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لاكاديمية الشرطة.
٤٤ـ اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي للادارة العامة للبحث الجنائي.
٤٥ـ اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي المعهد الشرطة التخصصي.
٤٦ـ اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي لمدرسة الأمن العام.

قوانين ولوائح استكمالية

○ خامسا: القوانين واللوائح المطلوب استكمالها.

الجهات التي قامت بتقديم مشروعات القوانين عامة أو لوائح وهياكل تنظيمية للدمج ولم تقر من قبل المجلسين في هذا الاجتماع فيتم استكمالها من قبل الجهات المعنية وتقديمها إلى الاجتماع المشترك الثالث للمجلسين.

○ سادسا: تبعية الهيئة العامة للمواصفات والمقاييس.

اقر المجلسان ان تتبع الهيئة العامة للمواصفات والمقاييس رئاسة الوزراء.

دمج مصلحة المساحة

○سابعا: مصلحة المساحة والادارة العامة للمساحة:

اقر المجلسان دمج مصلحة المساحة والادارة العامة للمساحة في هيكل تنظيمي واحد يتبع رئاسة الوزراء ويكلف المجلسان رئيس مصلحة المساحة والادارة العامة للمساحة باعداد اللائحة والهيكل التنظيمي في موعد اقصاه ٣٠ ابريل ١٩٩٠م.

○ ثامنا: الاحصاء والاسعار:

يشكل فريق عمل برئاسة الاخ نائب رئيس الوزراء وزير التنمية لدراسة تجربة تطور ادارات واجهزة الاحصاء والاسعار في الشطرين وتقويمها واقتراح البديل الافضل لتحديد تبعية كل من الاحصاء والاسعار في دولة الوحدة وتقديمه الى الاجتماع المشترك الثالث للمجلسين.

فريق عمل

○تاسعا: الجهات التي تتداخل اختصاصاتها مع جهات اخرى:

يتولى رئيسا الوزراء تشكيل فريق عمل لمتابعة وحسم تبعية الاجهزة الاتية:
١ـ مصلحة الاراضي ٢ـ مكتب الشهداء المدنيين ٣ـ

مجلس حماية البيئة ٤ـ السجل العقاري والمدني ٥ـ صندوق التقاعد العسكري ٦ـ الموارد المائية.
وتعرض النتائج في الاجتماع المشترك الثالث.

اجازة خطة الثقافة الوطنية

○ عاشرا: الخطة الشاملة للثقافة الوطنية:
اقر مجلسا الوزراء الخطة الشاملة للثقافة الوطنية اليمنية المقدمة من لجنة التربية والثقافة والاعلام وكلفا وزيري الثقافة والاعلام بالبدء في تنفيذها وفقا لما جاء في الاتجاهات الاساسية للعمل الثقافي.

لجنة مشتركة

○ حادي عشر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي:
تشكل لجنة برئاسة وزيري التربية والتعليم وعضوية رئيس ومدير جامعتي عدن وصنعاء وممثلي الهيئات المركزية للبحث العلمي في الشطرين لاعداد مشروع اللائحة والهيكل التنظيمي لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي ومشروع قانون التعليم العالي على ان تنجز اللجنة مهمتها في نهاية شهر ابريل ١٩٩٠م.

○ثاني عشر: قانون الصحة العامة:
يكلف المجلسان وزيري الصحة باعداد مشروع قانون الصحة العامة بحيث يشمل تنظيم ممارسة اعمال المهن الصحية ويقدم في الاجتماع المشترك الثالث للمجلسين.

لجنة مشتركة لقانون التعاون

○ثالث عشر: قانون التعاون:
تشكل لجنة من وزارات الشئون الاجتماعية والعمل ـ العمل والخدمة المدنية ـ الخدمة المدنية والاصلاح الاداري الامانة العامة للمجالس المحلية الزراعة والاصلاح الزراعي الزراعة والثروة السمكية الاقتصاد والتموين والتجارة الصناعة والتجارة والتموين ـ واتحاد الفلاحين واتحاد التعاونيات الاستهلاكية وذلك للقيام باعداد مشروع قانون التعاون ويقدم في الاجتماع المشترك الثالث للمجلسين.

لجنة الشعار والنشيد الوطني

○رابع عشر: الشعار والنشيد الوطني:
يكلف المجلسان وزيري الثقافة والاعلام بالاعلان عن مسابقة لتصميم الشعار الرسمي للجمهورية اليمنية وكتابة النشيد الوطني ولحنه على ان يتم عرض نتائج المسابقة في الاجتماع المشترك الثالث للمجلسين.

○خامس عشر: استكمال تنفيذ قرارات الاجتماع الاول.

الحقوق والحريات الشخصية

١ـ يؤكد المجلسان على ضرورة تنفيذ قرارات الاجتماع الاول الخاصة بالقوانين والانظمة المتصلة بالحقوق والحريات الشخصية وهي:
- قانون الصحافة والمطبوعات
- قانون الاجراءات القضائية
- قانون العقوبات
- قانون الطوارىء ـ قانون السجون

على ان يتم انجازها في الفترة المحددة لها بثلاثة اشهر من تاريخ اصدار القرار في الاجتماع الاول.
٢ـ يؤكد المجلسان على ضرورة تنفيذ قراريهما/ سابعا وثامنا/ من قرارات الاجتماع الاول على ان يقدم تقرير مكتوب لرئيس الوزراء في موعد اقصاه ٣٠ ابريل ١٩٩٠م.
٣ـ يؤكد المجلسان على ضرورة تنفيذ قراريهما / تاسعا و عاشرا/ من قرارات الاجتماع الاول ورفع نتائج التنفيذ لرئيسي الوزراء في موعد اقصاه ٣٠ ابريل ١٩٩٠م.

لجنة التشريع والقضاء

١ ـ اللجنة التشريعية والقضائية : على اللجنة التشريعية والقضائية المشتركة سرعة انجاز مهامها وانجاز التشريعات الاساسية وعلى وجه اخص انجاز القوانين التالية :

- قانون السلطة القضائية
- قانون العقوبات
- القانوني المدني
- قانون الاجراءات الجزائية
- القانون التجاري وفروعه

على اللجنة المشتركة الانتهاء من اعداد هذه القوانين في موعد اقصاه نهاية ابريل ١٩٩٠م .

٢ ـ لجنة التربية والتعليم : على وزيري التربية والتعليم سرعة انجاز القوانين التالية :

- قانون التعليم الاساسي
- قانون التعليم العام
- قانون التعليم التخصصي

على ان تقدم مشاريع هذه القوانين في موعد اقصاه ٣٠ ابريل القادم .

تنفيذ قرارات لقاء رئيسي الوزراء في تعز خلال الفترة ١/٢ مارس ١٩٩٠م . ،

١ ـ على وزير التجارة والصناعة ووزير الاقتصاد والتموين في الشطرين العمل على تنفيذ القرار رقم /٥/ المتخذ في لقاء رئيسي الوزراء في تعز .

٢ ـ يؤكد المجلسان على ضرورة تنفيذ القرارين /٧/٨/ من لقاء تعز من قبل البنكين في الشطرين وتقديم نتائج التنفيذ الى رئيسي الوزراء خلال اسبوعين من تاريخ هذا الاجتماع .

٣ ـ يؤكد المجلسان على ضرورة تنفيذ القرارات المتخذة في اجتماع رئيسي الوزراء في تعز رقم /١١ و١٢ و١٣ و١٤ و١٥/ من قبل الجهات المكلفة بالتنفيذ في الشطرين ورفع نتائج اعمالها الى اجتماع المجلس القادم .

ميزانية الفترة الانتقالية

○ **سادس عشر: موازنة الفترة الانتقالية :** اقر المجلسان بان يتم العمل بالموازنة المالية لعام ١٩٩٠م المعتمدة في الشطرين وخلال الفترة الانتقالية يتم انشاء صندوق تسويات في وزارة المالية بعاصمة دولة الوحدة يخصص له مبلغ من الاعتمادات المركزية في كل شطر وذلك لصرف فوارق واستحقاق الموظفين الذين سينتقلون الى العمل في العاصمة .

○ **سابع عشر:**

أ ـ في مايتعلق باستخدام الريال والدينار كوسيلتي دفع للشطرين يخول المجلسان رئيسي مجلسي الوزراء صلاحيات اتخاذ قرار بشأن تحديد سعر التبادل للعملتين .

ب ـ يتولى الوزراء المختصون استيعاب الموظفين وفقا للهياكل التنظيمية المقرة من المجلسين . وعليهم تحديد الاستيعاب من مديري ادارات عامة فما دون .

على أن يقدم الوزراء كشوفات بالعاملين حاليا في الشطرين بالنسبة لنواب الوزراء ووالوكلاء ومساعدي نواب الوزراء والوكلاء المساعدين متضمنا المعلومات الكافية وتقديمها إلى رئيسي مجلسي الوزراء قبل الاجتماع المشترك الثالث .

ج ـ يكلف الاخوة وزراء الشئون الاجتماعية والعمل والخدمة المدنية ـ الخدمة المدنية والاصلاح الاداري ـ وزير الصحة بإعداد مشروع قانون التأمينات والمعاشات للعاملين في الخدمة المدنية والقطاع المختلط ، كما يكلفون باعداد مشروع اللائحة التنظيمية والهيكل التنظيمي للهيئة العامة للتأمينات والمعاشات على أن يتم تقديم ذلك في الأجتماع المشترك المشترك الثالث .

● ثامن عشر: اقر مجلسا الوزراء حق التوظيف للمواطنين اليمنيين دون اشتراط الحصول على شهادة حسن سير وسلوك .

● تاسع عشر: اقر المجلسان التأكيد على حق المرأة اليمنية في احتلال مواقع قيادية في مختلف الوزارات والاجهزة والمؤسسات وفقا لكفاءتها وخبرتها .

●عشرون : يكلف المجلسان الوزراء المختصين

باعداد الجداول والكشوفات المحددة لاحقا لعرضها في الاجتماع المشترك الثالث للمجلسين وذلك على النحو التالي :

١ - يكلف وزراء الخدمة المدنية والاصلاح الاداري والخدمة المدنية والمالية باعداد الجداول الوظيفية الاتية :

أ - جدول توزيع الموظفين في كل اجهزة الدولة والمؤسسات حسب الدرجات المالية .

ب - جدول توزيع الموظفين في كل اجهزة الدولة والمؤسسات حسب الوظائف .

ج - جدول توزيع الموظفين في كل اجهزة الدولة والمؤسسات حسب المؤهلات .

د - جدول النفقات الفعلية على الموظفين للثلاثة الاشهر الاولى من عام ١٩٩٠م والمتوقع صرفه الى نهاية العام .

٢ - يكلف وزيرا المالية باعداد الجداول الاتية :

أ - جدول المصروفات الفعلية للدولة والمؤسسات العامة حسب الابواب والبنود للثلاثة الاشهر الاولى من عام ١٩٩٠م والمتوقع صرفه الى نهاية العام .

ب - جدول الايرادات الفعلية للدولة والمؤسسات العامة حسب الابواب والبنود للثلاثة الاشهر الاولى من عام ١٩٩٠م والمتوقع تحصيلها الى نهاية العام .

٣ - يكلف وزراء التنمية والتخطيط والمالية ومحافظا البنك المركزي والمصرف اليمني باعداد جدول مراكز القروض كما هو في ٣٠ مارس ١٩٩٠م على ان توضح في الجداول كافة البيانات المتعلقة باتفاقيات القروض ومُستخدم والمتاح للاستخدام والمسدد من الاقساط والفوائد المتبقية .

٤ - يكلف وزيرا الاقتصاد والتموين والتجارة والصناعة والتجارة والتموين باعداد جدول الميزانية السلعية والنقدية كما هو في ٣٠ مارس ١٩٩٠م والمتوقع الى نهاية العام .

٥ - يكلف وزراء الخارجية والتخطيط والتنمية والاقتصاد والتموين والصناعة والتجارة والشئون القانونية باعداد كشوفات بالمعاهدات والاتفاقيات والبروتوكولات والمحاضر الموقعة بين الشطرين ومختلف دول العالم والمنظمات العربية والدولية .

● حادي وعشرون : موعد الاجتماع القادم : اقر المجلسان عقد الاجتماع القادم في مدينة صنعاء في شهر مايو القادم .

عدن في ٢٥ شعبان ١٤١٠هـ الموافق ٢٢ مارس ١٩٩٠م

ياسين سعيد نعمان عضو المكتب السياسي رئيس الوزراء

عبدالعزيز عبدالغني رئيس مجلس الوزراء عضو اللجنة العامة

نص البلاغ الصحفي الصادر في ختام اجتماعات قيادة الوطن اليمني في عاصمة دولة الوحدة صنعاء بتاريخ ٢٧ رمضان ١٤١٠هـ الموافق ٢٤ ابريل ١٩٩٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

والوطن اليمني يعيش مرحلة الاعداد الكامل لإعادة بناء وحدته وانشاء دولة الوحدة وما تشهده الساحة اليمنية من نشاطات متواصلة على كافة المستويات القيادية والحكومية والتنظيمية والشعبية والهيئات والاتحادات النقابية والجماهيرية لتنفيذ اتفاق عدن التاريخي في الثلاثين من نوفمبر ١٩٨٩م من العام الماضي . . ومواصلة للمشاورات المخلصة والجادة التي تساهم فيها قيادتا الوطن من اجل تعزيز الارادة الواحدة لقيادة العمل الوحدوي وترسيخ واجب المسئولية لدى كافة القيادات وعلى كافة المستويات ، ومن اجل سلامة الخطوات والاجراءات الوحدوية في المرحلة الانتقالية وقيام دولة الوحدة وتقديرا من القيادة لكل ما يطرح على المستوى الوطني من نقاشات وحوارات وطنية استهدفت في مجملها خدمة قضية وحدة الوطن بشكل عام وانسجاماً مع ما تشهده مسيرة الوحدة من مناخ ديمقراطي وتعزيزاً لهذا المناخ الذي يعبر عن اهم الاهداف والمكاسب الوطنية لثورتي سبتمبر واكتوبر الخالدتين كمرتكز اساسي قامت عليه حوارات ابناء

الوطن اليمني من اجل اعادة وحدتهم وتأكيداً على نقاوة البناء الوحدوي الذي يقوم على اسس وطنية مستندة على اهداف ثورتي سبتمبر واكتوبر المجيدتين . . ومنطلقة من انتمائهم القومي والاسلامي والانساني . .

فقد شهدت صنعاء اول اجتماع كامل لقيادتي الوطن اليمني ممثلة في الاخوين العقيد علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الامين العام للمؤتمر الشعبي العام وعلي سالم البيض الامين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني واعضاء المكتب السياسي واللجنة العامة والمجلس الاستشاري وعدد من اعضاء هيئة رئاسة مجلس الشعب الاعلى ومجلس الشورى والحكومتين واللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني واللجنة الدائمة للمؤتمر الشعبي العام ومن كبار المسئولين المدنيين والعسكريين وذلك خلال الفترة من ١٩ الى ٢٢ ابريل ١٩٩٠م الموافق ٢٤ الى ٢٧ رمضان ١٤١٠ هـ . .

وفي هذا اللقاء الذي ساده روح التفاهم الاخوي الصادق استعرضت القيادة كافة النشاطات الوحدوية التي جرت منذ اتفاق الـ ٣٠ من نوفمبر التاريخي عام ١٩٨٩م ومستوى تنفيذ نتائج اجتماعات القمة اليمنية واجتماعات مجلسي الوزراء في الشطرين ونتائج اعمال اللجان الوحدوية في مختلف المجالات . .

وعبرت عن تقديرها للجهود الكبيرة التي بذلت لانجاز الاعمال الوحدوية في اوقاتها المحددة . كما وقفت القيادة السياسية امام ما تبقى من المهام والترتيبات الاجرائية المتعلقة بقيام دولة الوحدة ومنها الخطوات المتعلقة بمشروع دستور دولة الوحدة واستكمال اجراءات المصادقة عليه من مجلسي الشورى والشعب تنفيذاً لاتفاق عدن التاريخي وكذلك ما يتعلق بالترتيبات اللازمة للفترة الانتقالية على صعيد الهيئات والمؤسسات التي ستمارس مهامها في الفترة الانتقالية اتخذت القيادة لذلك الانجاز عددا من القرارات التي من شأنها استكمال الترتيبات في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتي من شأنها التعجيل والدفع بمسيرة العمل الوحدوي بما يستجيب لارادة الشعب اليمني التي تتوق للتقريب بيوم الوحدة المنشودة . .

ولانجاز هذه المهام كلفت القيادة السياسية فرق عمل من داخل الهيئات القيادية لمتابعة انجازها وتنفيذها وفي اطار هذا التكليف الزمت القيادة السياسية لجنة التنظيم السياسي لانجاز اعمالها المتعلقة بالعمل السياسي في ظل دولة الوحدة .

وأكدت على مشاركة كافة القوى الوطنية والشخصيات الاجتماعية في الحياة الديمقراطية .

كما اكدت القيادة السياسية للوطن اليمني ان انجاز العمل الوحدوي على صعيد الوطن اليمني سوف يعزز من الروابط الاخوية مع كافة الدول العربية والاسلامية .

مثمنة في هذا الصدد التأييد العربي الشامل لاعادة وحدة الوطن اليمني من خلال ان الوحدة اليمنية بنى اساسية على طريق الوحدة العربية الشاملة وتقوية لدورها القومي لنصرة القضية الفلسطينية وهي تشهد اروع صور من صور النضال والتضحية من خلال تعاضد الانتفاضة في مقاومتها للعدو الصهيوني وهي تشهد اروع صور النضال والتضحية .

ولدى استعراض القيادة اليمنية للوضع على الساحة العربية اكدت على موقف اليمن بجانب العراق الشقيق لمواجهة التهديدات العدوانية والدعايات المغرضة .

كما اعربت عن املها في ان يتمكن لبنان الشقيق من تجاوز الظروف الصعبة التي يمر بها في سبيل اعادة التقدم والاستقرار في ظل سيادة الشرعية .

وفي ختام الجلسة وقع الاخوان العقيد علي عبدالله صالح وعلي سالم البيض على محضر الاجتماع الاول للقيادة اليمنية الموحدة .

نص محضر اللقاء الثاني لرئيس الوزراء الصادر في صنعاء بتاريخ ٤ مايو ١٩٩٠م

صنعاء/وكالة الانباء اليمنية/ سبأ :

تواصلا مع الاجتماع التاريخي الاول لقيادة الوطن

اليمني المنعقد في عاصمة دولة الوحدة صنعاء خلال الفترة من ١٧-١٩ ابريل ١٩٩٠م الذي اعطى بنتائجه وقراراته على مختلف الاصعدة دفعة نوعية هامة للتعجيل بأعلان يوم الوحدة المنشود وبما ينسجم مع آمال وطموحات شعبنا اليمني في اعادة تحقيق وحدته .

واستمرارا للقاءات الوحدوية على مختلف المستويات التي دشنها اتفاق عدن التاريخي في ٣٠ نوفمبر ١٩٨٩م كعلامة انطلاق مميزه من التاريخ اليمني المعاصر التقى في صنعاء الاخوان عبدالعزيز عبدالغني رئيس مجلس الوزراء عضو اللجنة العامة للمؤتمر الشعبي العام والدكتور ياسين سعيد نعمان عضو المكتب السياسي للحزب الاشتراكي اليمني رئيس مجلس الوزراء خلال الفترة من ١-٤ مايو ١٩٩٠م وتم خلال هذا اللقاء دراسة ومناقشة الترتيبات والاجراءات التنفيذية لاستكمال المهام العاجلة للفترة الانتقالية واعلان قيام دولة الوحدة بمشاركة عدد من الاخوة المسئولين في الوطن اليمني الواحد . . وقد تم الاتفاق على مايلي :-

○ اولا : العملة :-

لما كانت العملة تعبيرا عن السيادة الوطنية للدولة فقد جرى الاتفاق الكامل على تنظيم عملة دولة الوحدة بما يضمن حماية الاقتصاد الوطني للجمهورية اليمنية وحماية مصالح المواطنين والافراد والمؤسسات العامة والشركات . . تم الاتفاق على اساس هذه القاعدة الوطنية العريضة تنظيم مستقبل العملة الوطنية . . وانطلاقا من هذا تم الاتفاق على اعتبار الريال والدينار عملة للوطن الواحد . . قابلة للتداول في شطري الوطن اعتبارا من تاريخه وتصبح العملتان وفقا لذلك وسيلة دفع قانونية في كل انحاء الوطن اليمني بسعر تبادل يساوي /٢٦/ ستة وعشرين ريالا للدينار الواحد . . ويترتب على هذا الاتفاق استخدام العملتين بموجب سعر التبادل المشار اليه في كل المعاملات التجارية والبنكية ووسائط الدفع للمواطنين . . ولتنظيم العمل بذلك يكلف مصرف اليمن والبنك المركزي اليمني باتخاذ الاجراءات العملية اللازمة التي من شأنها ضمان تنفيذ ذلك . . وانسجاما مع ذلك فقد اتخذ اللقاء قراراته بشأن السياسة النقدية لدولة الوحدةوتنظيم عملتها الوطنية . .

○ ثانيا : الميزانية :-

يكلف وزيرا المالية بمناقشة واعداد موازنة دولة الوحدة للفترة مابعد الاعلان حتى نهاية العام على ان يتم الانتهاء من ذلك حتى ٢٠ مايو الجاري . .

○ ثالثا : النقل والاتصالات :-

الموافقة على محضري الاجتماع الموقع بين وزراء المواصلات والنقل والاشغال بشأن شركتي الطيران وهيئتي الاتصالات ويعتبر المحضران اساسا لدمج شركتي الطيران وهيئة الاتصالات .

○ رابعا : الخدمة المدنية والعمل :-

١- يستكمل الوزراء مناقشة قوانين الموظفين وترتيب اوضاعهم الوظيفية وفقا للهياكل واللوائح التنظيمية حتى ١٥ مايو ١٩٩٠م وذلك بدءا من منصب المدير العام فأدنى . . وتترك المناصب العليا للبت فيها من قبل القيادة السياسية ويتم اعداد القوائم على اساس استيعاب كل العاملين في الاجهزة القائمة . .

٢- وضع برنامج زمني من قبل الوزراء لانتقال العاملين من عدن الى صنعاء والعكس وفقا لتقديراتهم على ان لايتعدى البرنامج الزمني لاستكمال الانتقال ستة اشهر كحد اقصى يبدأ من يوم اعلان دولة الوحدة .

٣- تم اقرار الاطار العام لنظام الرواتب والاجور المقدم من وزراء الخدمة المدنية والمالية . . ويكلف وزراء الخدمة المدنية والمالية باستكمال وضع التفاصيل لهياكل الرواتب والاجور خلال فترة لاتتعدى ١٥ مايو ١٩٩٠م .

٤- في ضوء قرارات رئيسي الوزراء في لقاء تعز بشأن منح فروع الوزارات في عدن كعاصمة اقتصادية صلاحيات

اكبر للقيام بجزء من مهام الاجهزة المركزية تنشأ مكاتب للوزارات بصلاحيات ينظمها مجلس وزراء دولة الوحده

٥ـ يتم تنظيم الارشيف بنقل الارشيف الخاص بالكادر الوظيفي الذي سينتقل الى صنعاء والعكس . . وكذا نقل الاتفاقيات والمعاهدات وكل مايترتب عليه من التزامات على دولة الوحدة للغير . . ويكلف الوزراء بتحديد ذلك واعداده بصورة مناسبه . . اما الارشيف السري وماعداه فيحفظ ويختم بالشمع الاحمر في كافة مرافق العمل التي ستنتقل مراكزها الى عاصمة دولة الوحدة ولايجوز فتحها بعد ذلك الا بقرار من مجلس وزراء دولة الوحدة وفقا لحاجة الاستخدام .

○ خامسا : الانتقال والسكن :-

قامت اللجنة المكلفة باعداد التصورات وتقديم المقترحات الخاصة بانتقال وسكن الكوادر القيادية والادارية من عدن الى العاصمة صنعاء والعكس بتقديم ورقة تتضمن الاسس العامة لذلك . . وسيتم دراستها والبت فيها من قبل رئيسي مجلسي الوزراء .

○ سادسا :-

يكلف وزير العدل والشئون القانونية بتحديد مشاريع القوانين التي ستقدم الى مجلس النواب في دورته الاولى للمصادقة عليها وخاصة تلك القوانين التي سترتبط باعلان دولة الوحدة وتقدم هذه المشاريع الى رئيسي الوزراء في فترة لاتتعدى ١٥ مايو ١٩٩٠م .

○ سابعا : قرارات الاجتماع الثاني لمجلسي الوزراء :-

يكلف جميع الاخوة الوزراء والمختصين بانجاز المهام الموكلة اليهم بقرارات الاجتماع الثاني لمجلسي الوزراء / عدن ٢٠ـ٢٢ مارس ١٩٩٠م / في موعد اقصاه ١٥ مايو ١٩٩٠م .

حرر في مدينة صنعاء يوم الجمعة تاريخ ٩شوال ١٤١٠هـ الموافق ٤ مايو ١٩٩٠م
عبدالعزيز عبدالغني رئيس مجلس الوزراء عضو اللجنة العامة
د/ ياسين سعيد نعمان عضو المكتب السياسي رئيس مجلس الوزراء .

نص البيان الختامي للدورة الرابعة للجنة التنظيم السياسي الموحد - تعز ٥/٥/١٩٩٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان ختامي صادر عن الدورة الرابعة والختامية للجنة التنظيم السياسي

وشعبنا اليمني يزهو بغبطة الفرح الثوري بانجاز نصره الوحدوي العظيم وبلوغه انبل وأسمى المرافئ النضالية الثورية الخالدة .

عقدت لجنة التنظيم السياسي دورتها الرابعة الختامية في مدينة تعز في الفترة من ٢ـ٥ مايو ١٩٩٠م برئاسة الأخ سالم صالح محمد الأمين العام المساعد سكرتير اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني متوجه اجتماعاتها السابقة باستكمال المهام الموكلة إليها . . وقد ساد عملها الحرص الوطني على ايجابية الاسهام الفاعل في تجذير الضوابط والاساسيات اللازمة للعمل السياسي في الجمهورية اليمنية في الاتجاه المعزز للممارسة الديمقراطية الحره لكل قطاعات الشعب بمختلف قواه وفئاته الملتزمة بأهداف الثورة اليمنية . . وبها يؤمن استنفاد كل امكانيات العطاء الشعبي وتوظيفها في عمليات التحول التاريخي ترسيخا وتطويرا لمكتسبات شعبنا التي نسجها بمعاناته وتضحياته على امتداد مسيرته الكفاحية .

وفي مناخات ديمقراطية وحدوية وبروح حميمه وبعد مناقشات جادة ومسئولة توصلت اللجنة إلى انجاز المهام التي كلفت بها وتم الاتفاق على رفعها للقيادة السياسية لاقرارها وهي :

١ـ مشروع الاتجاهات الاساسية لقانون الاحزاب والتنظيمات السياسية .

٢ـ مشروع الاتجاهات الاساسية لميثاق العمل السياسي للاحزاب والتنظيمات السياسية .

٣ـ اتفـاق حول وثيقـة العمـل الحـزبي والسياسي في المؤسسات العسكرية والامنية .

٤ـ مشروع اتفـاقية العمل المشترك بين المؤتمر الشعبي العام والحزب الاشتراكي اليمني . . ورفعه لقيادة المؤتمر والحزب لاقراره .

كما تم الاتفاق على تشكيل لجنة لاجراء الحوار مع الاحزاب والتنظيمات والشخصيات السياسية .

وبهذا تكون اللجنة قد انجزت المهام المحددة لها . . لترسى بذلـك الاسس الـلازمـة للعمـل السياسي في الجمهورية اليمنية وضمانات ممارسته الديمقراطية الحره والمسئولة .

وإذا كانت لجنة التنظيم السياسي قد دشنت اعمالها في الفترة من ٣١ اكتوبر وحتى ٢ نوفمبر ١٩٨٩م فأنها وبعد اتفاق عدن التاريخي تختتم اعمالها وقد بلغ الحلم مرتجاه واثمرت باسقات المنى النضالية نصرا رائعا مؤزرا يعلن ميلاد الجمهورية اليمنية شامخة عظيمة .

وليدرك اعـداء الشعب اليمني والوحدة اليمنية ان محاولاتهم اليائسة لايقاف مسيرة وحدة وتقدم الوطن لن تكـون اقـوى من ارادة شعبنا الذي تمكن من افشال مختلف المؤامرات التي تعرض لها في مختلف مراحل مسيرة الثـورة اليمنية الـظافرة والمنتصرة ابدا . . وسوف يكون المتآمرون على الدوام من النادمين .

المجـد للثورة اليمنية والخلود لشهداء دربها العظيم . . والنصر كل النصر للوحدة اليمنية .

كلمة الاخوين علي عبدالله صالح وعلي سالم البيض في ختام اجتماعهما بمدينة تعز ١٠ ـ ١٩٩٠/٥/١٢م

تعز/سبأ/ رأس الاخوان العقيد على عبدالله صالح رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الامين العـام للمؤتمر الشعبي العام وعلي سالم البيض الامين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني اجتماعا مشتركـا ضم عددا من الاخوة اعضاء اللجنة العامة والمكتب السياسي واللجنـة الـدائمـة واللجنة المركزية والوزراء . .

كلمة الأخ الرئيس القائد الامين العام

وقد تحدث الاخ الرئيس القائد في بداية اللقاء . . حيث رحب في مستهل كلمته بالاخوة علي سالم البيض الامين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني واعضـاء المكتب السياسي واللجنـة العـامـة واللجنـة المركزية واللجنة الدائمة والوزراء وقال اسمحوا لي ان استعـرض امـامكم ماتم التـوصل اليه من مشاورات خلال اليومين الماضيين حول الترتيبات الخاصة بأعلان الـدولـة اليمنية وفي الحقيقـة لقـد جرى حوار اخوي مسئول على كافة المستويات . . وقد تلخص الامر في الاتي .

● اولا : تشكيل لجنة حوار مع التنظيمات السياسية والقـوى الوطنية والشخصيات الاجتماعية على السـاحة اليمنية من عدد من الاخوة من لجنة التنظيم السياسي الممثلة للحزب الاشتراكي اليمني والمؤتمر الشعبي العام .

● ثانيا : تم الاتفـاق والتشـاور بعد حوار مسئول ان المصلحة الوطنية العليا تقتضي اخلاء العاصمة صنعاء والعـاصمـة الاقتصـادية عدن من القـوات المسلحـة وسحبها الى مناطق عسكرية يتفق عليها المسئولون في رئاسة الاركان ضمن المناطق العسكرية للدولة اليمنية . . والحفاظ على الامن العام في مدينتي صنعاء وعدن من خلال الترتيبات الامنية الكفيلة بحفظ الامن العام . . وهذا ماترى القيادة ان المصلحة العامة تقتضيه بدلا من تكديس الاسلحة في العواصم وبما يكفل تفويت الفـرصـة على اي مندس القيام بشكل مباشر او غير مباشر في التسبب في كارثة لاسمح الله .

وقال الاخ الرئيس انه لايشرف اي مسئول في دولة الوحدة ان تتحول عواصمنا الى محنة ولهذا رأينا ان تخلى العواصم من القوات المسلحة ضمن مناطق عسكرية

محدده.

واوضح الاخ الرئيس القائد بأن الامور تسير في الاتجاه الصحيح .. وقال / لقد سادت في الماضي الكثير من العقد والشكوك وكان لكل شخص حساباته الخاصة .. فلتنته كل الحسابات الخاصة ولنتحمل مسئوليتنا ونحتكم للديمقراطية والوحدة .. والشعب هو مصدر السلطة ومصدر القرار وصاحب القرار في اختيار قيادته ..

واننا كمسئولين علينا ان نقود هذه الدولة بروح مسئولة وبروح اخوية تجنب وطننا الكوارث والمشاكل .. وهذا ماراينا تحقيقه بالترتيبات في الجانب الامني .. حيث تم تشكيل لجنة من الاخوة وزيري الداخلية ورئيسي جهازي الامن الوطني وأمن الدولة .. حيث قررنا ان يصبح هذان الجهازان محلولين من اليوم .. ولايبقى هناك داع بعد الان لبقاء جهاز امن الدولة في عدن ولاجهاز الامن الوطني في صنعاء .. فهما محلولان في اطار دولة الوحدة .. انطلاقا من ايماننا بالديمقراطية وبالرأي والرأي الاخر.

واضاف الاخ الرئيس القائد / ان كل مواطن يمني يتحمل مسئولية امن دولة الوحدة سواء كان سفيرا او دبلوماسيا أو فلاحا او عاملا او عسكريا او سياسيا الجميع يتحملون المسئولية الامنية لدولة الوحدة والكل يشكل السياج للامن القوى والامن الوطني لدولة الوحدة .. وهناك جهاز في الداخلية سيكون مسئولا عن الامن العام وعن الامن في العواصم وفي سائر الجمهورية اليمنية.

الترتيبات جارية

وأشار الاخ الرئيس القائد الى انه سيتم التوقيع بين قيادة المؤتمر الشعبي العام والحزب الاشتراكي على اتفاقية تنظيم العمل المشترك بينهما طبقا لما اوصت به لجنة التنظيم السياسي في اجتماعها الاخير بمدينة تعز ..

وأكد الاخ الرئيس بأن المشاورات جارية حول بعض الترتيبات موضحا بأنه لم يتبق شيء اكثر مما كان محل بحث حول الموضوعات التي تم استعراضها في هذه الجلسة .. والتي تم التوصل اليها بروح المسئولية الوطنية وبالقناعة .. وقال / واعتقد ان ذلك يعزز الثقة ويخلق الاطمئنان لدى كل جماهير شعبنا ويطمئن كل القوى السياسية .. وكل من كان يخاف او يتخوف من ان تواجه الوحده اليمنية اي كارثة في المستقبل لان هناك من يزرع الشكوك حول هذا الامر ..

وفي ختام حديثه قال الاخ الرئيس / ان هذا ما احببنا ان نطلع عليه اخواننا وزملاءنا في القيادة الواحده .. وهذا ماتم التشاور عليه ونحن على استعداد لفتح صدورنا لاي ملاحظة حول اي ترتيب ترون انه كان خاطئا .. فنحن نتحمل المسئولية ونقبل بالرأي السليم الذي يأتينا من اخواننا وزملائنا في القيادة الواحدة .. هذا ماتذكرته واترك المجال للأخ الامين العام ليتحدث عما لهم اتطرق اليه ..

كلمة علي سالم البيض

بعد ذلك تحدث الاخ علي سالم البيض الامين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني حيث قال .. الاخوة قادة اليمن الموحد .. ..

اعتقد اننا كلما اقتربنا من يوم اعلان الوحدة وقيام اليمن الواحد ازددنا تمسكا بالديمقراطية واتسعت بلادنا لها اكثر وعالجنا اوضاعنا بالروح التي على اساسها اتفقنا منذ الثلاثين من نوفمبر عام ١٩٨٩م بأن نكون شركاء نحن والاخرين من القوى الوطنية والديمقراطية ..

وأوضح بأن كل الترتيبات والاجراءات التي اشار اليها الاخ الرئيس القائد العقيد علي عبدالله صالح تنبع من هذه الروح .. مؤكدا بأن الوحدة هي هدف شعبنا اليمني وهو حاميها وقوتها ووقودها وسياجها المنيع ..

أتفق في كل ما أعلنه الاخ الرئيس

وقال .. انا متفق في كل ما اعلنه الاخ الرئيس علي عبدالله صالح فهذا اتفاقنا المشترك الذي كنتم فيه معنا وهو ثمرة جهودنا جميعا .. وبحكم مسئوليتنا فإننا نعلن

عن بعض النتائج ولكن هذه النتائج هي نتائج لجنة التنظيم السياسي الموحده التي انجزت كل هذه الاعمال الطيبة والنتائج الطيبة التي كانت ثمرتها هذه الوثائق التي نوقع عليها اليوم والتي سبق للجنة ان انجزتها وكذلك اعلان لجنة الحوار والاتصال مع القوى الوطنية والتنظيمات السياسية والشخصيات الاجتماعية . .

وفي اعضاء اللجنة هذه الكفاية والكفاءة للقيام بهذا العمل الذي على اساسه سيتم الاتفاق على اشكال العمل المشترك والاتفاق على المهمات المشتركة لتحقيق يوم الوحدة وصيانتها والتوجه مع كل قوانا الوطنية للعمل في كل المجالات لبناء المجتمع اليمني الجديد وتدشين رحلة حضارية جديدة في تاريخ شعبنا ومجتمعنا اليمني . .

إرتياح بالغ

وعبر الاخ علي سالم البيض عن ارتياحه البالغ للمناقشات التي تسير في هذا الاتجاه . . وقال كلما اقتربنا من يوم الوحدة . . كلما زالت المخاوف وتعمقت فيما بيننا روح الاخاء والثقة . . الثقة فيما بيننا . . والثقة في الشعب وفي كل المناضلين على مختلف المستويات وبكل الكوادر الوطنية اليمنية في كل موقع . .

واضاف قائلا . . / انه كلما اقتربنا من الوحدة كلما ازداد استعدادنا جميعا وعلينا ان نعمل مع الاخرين بنفس الروح الديمقراطية وان نبني اليمن الديمقراطي فالجمهورية اليمنية هي نظام ديمقراطي يستند على دستور دولة الوحدة الذي اتفقنا عليه . . وأكد الاخ علي سالم البيض في كلمته اشارة الاخ الرئيس القائد العقيد/ علي عبدالله صالح بخصوص وضع جهازي الامن الوطني وأمن الدولة . . مشيرا الى ان مهمتهما قد انتهت وظائفهما السابقة فقلنا بان هناك تشكيلا جديدا في دولة الوحدة . . وقال الاخ علي سالم البيض ان كل هذه الخطوات تؤكد سيرنا الحثيث وثقتنا ببعض وتؤكد روح الاخاء والديمقراطية التي تحكمنا ايضا . . مؤكدا ما اشار اليه الاخ الرئيس من اتفاق المؤتمر الشعبي العام والحزب الاشتراكي اليمني .

واضاف لقد قمنا بهذا العمل ونريد ان نقيم فيما بيننا علاقة طيبة ونفتح صفحة طيبة مع الاخرين للعمل المشترك بروح المشاركة مع كل الوطنيين مشيرا الى ان هذا الاتفاق الثنائي لايحجب ولايعرقل الاتفاق مع الاخرين في اي عمل مشترك . . وقال اننا ندعوهم ان يكون هذا الاتفاق فاتحة عمل فيما بيننا مع الاخرين .

الشعب هو الامان وهو الدفاع

وحول الترتيبات الدفاعية والامنية حول عاصمة دولة الوحدة صنعاء والعاصمة التجارية والاقتصادية عدن قال الاخ علي سالم البيض ان الشعب هو الامان وهو الدفاع فهو قوتنا واخواننا في الاجهزة المختصة سواء في قوات الدفاع او الامن كلما كان وراءهم الشعب كلما كان دورهم اكبر وافضل . .

وقال/ ان عاصمتي الوحدة صنعاء وعدن عاصمتان ديمقراطيتان ينبغي ان تسود فيهما المؤسسات والوضع الامني والمدني الذي يخلق المزيد من الاطمئنان كما يخلق الظروف المناسبة لتوجيه طاقات الناس للعمل والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمل الديمقراطي الذي يشرع الان في كل هيئات دولة الوحدة وحول اتفاقية العمل المشترك بين المؤتمر الشعبي العام والحزب الاشتراكي اليمني اوضح الاخ علي سالم البيض ان ذلك من أجل العمل مع الاخرين وهي بداية تدعو الاخرين الى الاشتراك معنا فيها بروح المشاركة والاخوة الوطنية والمستقبل الذي ننشده جميعا . .

وقال الاخ علي سالم البيض في ختام كلمته اشعر بالسعادة للتوصل الى نتائج طيبة وفي تعز نفسها . . فتعز في ثورة سبتمبر واكتوبر قدمت الكثير ودائما نحن نستلهم من هنا الصمود والعمل ولتعزيز قوة الثورة وقوة اليمن وبناء اليمن اللاحق . . اعبر لكم عن ارتياحي واؤكد لكم بأننا نسير قدما بخطوات حثيثة صوب يوم الوحدة وهو قريب جدا وان شاء الله نفرح جميعا نحن وشعبنا بالتوصل الى مافيه خيرنا وسعادتنا جميعا .

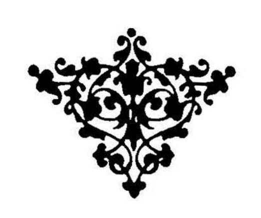
هذا وقد قام الاخوان العقيد/ علي عبدالله صالح وعلي سالم البيض بالتوقيع على اتفاقية العمل المشترك

بين المؤتمر الشعبي العام والحزب الاشتراكي اليمني . .
وقد اقر الاجتماع كافة النتائج التي توصلت اليها لجنة التنظيم السياسي في دورتها الرابعة والاخيرة المنعقدة بمدينة تعز ومنها مشروع الاتجاهات الاساسية لقانون الاحزاب والتنظيمات السياسية ومشروع الاتجاهات الاساسية لميثاق العمل السياسي للاحزاب والتنظيمات السياسية في الجمهورية اليمنية والوثيقة المنظمة للعمل السياسي في المؤسسات العسكرية والامنية خلال الفترة الانتقالية .

وقد تم تشكيل لجنة الحوار مع القوى والتنظيمات العامة والشخصيات الاجتماعية من الاخوة :

سالم صالح محمد ود. عبدالكريم الارياني ومحمد حيدره مسدوس والدكتور احمد الاصبحي والدكتور سيف صائل وعلي لطف الثور . .

هذا وكان الاخوان العقيد/ علي عبدالله صالح وعلي سالم البيض قد عقدا اجتماعا ثنائيا مغلقا استكملا فيه مشاوراتهما حول القضايا التي تهم الوطن اليمني وفي طليعتها الاستعدادات المرتبطة باعلان قيام الجمهورية اليمنية .



خطـاب علمـاء اليمـن الـى الـشعـب الـيمني

قال تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المؤمن للمؤمن كالبنان او كالبنيان يشد بعضه بعضا» كما قال « انما يأكل الذئب من الغنم القاصية» ولما كانت الوحدة من القيم العالية التي حث عليها الاسلام باعتباره دين التوحيد وعلى اساس ان الوحدة سبباً من اسباب قوة المسلمين ومنعتهم وتحقيق مصالحهم وسر غلبتهم على عدوهم. حيث عمل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في كل اعماله ومواقفه على تماسك وحدة الامة والغاء تفتتها وضعفها وتمزقها بتوحيد صفوف المسلمين وترسيخ جذور وحدتهم وهو ما اكدت عليه كل مقاصد الشريعة ، ولان الله جلت قدرته قد شاء لنا ان نكون جزء من الامة العربية والاسلامية وشعبا واحدا قام بأدواره في نصرة العقيدة وحمل رسالة الاسلام لاقرار الحق الالهي باقامة شريعة الله فكان الانصار والفاتحون ، فاذا كانت ارادة اعداء الامة الجاهدين على تمزيقها وضعفها قد عملوا على تقطيع اواصرها وتفتيت وحدتها فقد اصاب شعبنا من ذلك نصيب اذ تشطر الشعب بفعل ارادة الاعداء ولحق بابنائه المؤمنين ضرر بالغ من جراء ذلك وبعلمنا على مجريات وظروف التشطير والجهود التي بذلت لاعادة تحقيق الوحدة اليمنية والمخاطر الكبيرة والاضرار البالغة التي ترتبت على تقسيم اليمن الى شطرين فقد ادركنا اهمية العمل من اجل تحقيق دولة الوحدة التي يوجب الشرع الشريف مواصلة الجهود لاتمامها باعتبارها فريضة شرعية لانها تقود الى وحدة الامة جمعاء ومقدمة هامة لها . .

وبإطلاعنا على مشروع دستور دولة الوحدة ولانـه قد قرن قيام الوحدة اليمنية باقراره من قبل ابناء الشعب ولان الوحدة واجب شرعي عظيم ورد لكيد اعداء الامة وسبيل لقوة ايمان الشعب وتماسكه وتقدمه . . فاننا نؤكد شرعا على ضرورة بلوغ الغاية بقيام الوحدة اليمنية حيث تظل تحفظاتنا قائمة على بعض فقرات مشروع الدستور الى حين قيام مجلس النواب في دولة الوحدة لمناقشتها والعمل على تعديل الدستور في ضوئها بالتاكيد على شريعة الله المطهرة وسيادة دينه شريعة وعقيدة ومنهاج حياة وذلك ما نؤمن ونديـن الله به . .

ونحث كل ابناء الشعب للعمل على قيام الوحدة اليمنية والتصويت لصالح كل ما يؤدي الى ذلك وتبقى التحفظات على مشروع الدستور الى حين قيام دولة الوحدة وبذل قصارى جهودهم في عملية انتخاب اعضاء مجلس النواب لدولة الوحدة من الصالحين الحريصين على الوحدة اليمنية المتمسكين بشريعة الله قولا وعملا وذلك هو خير العمل للحفاظ على وحدة شعبنا وشموخ صرح الشريعة المطهرة في اليمن الواحد يمن الحكمة والايمان . .

وانا لنؤكد بان البلوغ باهداف الشعب الى التحقق بقيام الوحدة اليمنية لابد وان يقترن بحركة اصلاح كبيرة في كل المجالات وعلى كل مستويات العمل في دولة الوحدة . . اذ لابد من تعزيز اشاعة قيم الحرية الشرعية التي جعلها الله قوام حياة الانسان وفطرة خلقه . . وعلى اساسها ترتبت المسئولية والتكليف وناط الله بالانسان مهمة الاستخلاف في الارض فبالحرية والعدل تنتصر ارادة شعبنا المسلم وقدراته على صنع كل عمل خير ينفع البلاد والعباد . . وحتى يتحقق للوحدة اليمنية - كفريضة شرعية - رسوخها وقوتها ويمكن شعبنا من اداء دوره الرسالي الذي اراده الله له فلا بد من ترسيخ الحق والعدل في ظلها وسيادة قيم الشورى والاصلاح لاطلاق طاقات الشعب ودوافعه الايمانية لاداء دوره في نصرة دينه وتحقيق كامل اهدافه وبلوغ غاية جهاده بقيام وحدة امته الكبرى التي شاءها الله ورسوله من هذا الدين . .

وان علماء اليمن يحثون كل ابناء الشعب اليمني في الشطرين على مواصلة الجهود المخلصة

لاقامة دولة وحدتهم والحرص على استمرار قوتها ورسوخها وعطائها والعمل في ظلها على تحقيق الخير كله وقد اخذوا على انفسهم عهدا ان يكونوا في مقدمة السعاة والدعاة للوحدة والخير والاصلاح باعتبارهم القدوة وورثة الانبياء تمسكا بالاسلام الذي يستحيل ان يحقق شعبنا قوته ونصره وتقدمه الا به وان يعملوا على كيد اعداء الامة ومنع كل محاولة تعرقل مسيرة الوحدة اليمنية التي هي عطاء الله كما يحثوا ابناء الشعب على التمسك بهذه المبادئ التي هي الضمانة الحقيقية لسعادتهم واستقرارهم في دولة الوحدة .. سائلين المولى عز وجل ان يجمع شمل شعبنا وامتنا على الوحدة والحق والخير والقوة والسلام ..

ولينصرن الله من ينصره ..

كشف بأسماء العلماء الموقعين على هذا الخطاب من كافة انحاء اليمن

العلامة اسد حمزة عبد القادر عضو مجلس الشورى
العلامة احمد محمد الشامي رئيس محكمة استئناف لواء تعز سابقا
العلامة عبدالله محمد السوسوة ذمار
العلامة احمد محمد زبارة مفتي الجمهورية
العلامة محمد قاسم الوجيه رئيس محكمة استئناف لواء صنعاء سابقا
العلامة حمود شرف الدين وكيل المعاهد العلمية
العلامة عبدالله محمد الدولة من علماء ذمار
العلامة المرتضى بن زيد المحطوري
العلامة يحيى محمد الجرباني رئيس محكمة استئناف حجة
العلامة احمد عبدالله المحبشي رئيس محكمة استئناف الحديدة
العلامة يحيى محمد نجم الدين عضو محكمة استئناف حجه
العلامة اسماعيل يحيى نصار رئيس المحكمة الجزائية في حجة
الشيخ ابراهيم عقيل مفتي تعز
العلامة عبدالله محمد شرف الدين رئيس محكمة غرب حجة
العلامة عبدالله نور الدين رئيس محكمة شبام
العلامة محمد علي الهيصمي
العلامة محمد المطاع عضو مجلس الشورى
العلامة حامد علي الهيصمي
العلامة ناصر الشيباني عضو مجلس الشورى
العلامة محمد عبدالله شرف الدين
العلامة يحيى بدر الدين الحوثي عضو مجلس الشورى
العلامة عبدالله بن يحيى الديلمي عضو محكمة استئناف لواء ذمار سابقا
العلامة حسن بن يحيى الديلمي عضو محكمة استئناف لواء ذمار
العلامة زيد علي الاكوع
العلامة محمد حسن الكحلاني عضو محكمة استئناف لواء حجة
العلامة علي محمد المرتضى
العلامة حسن محمد الشهاري
العلامة يحيى عبدالله راوية
العلامة عبدالله حسن يحيى المؤيد
العلامة صلاح احمد فليته
العلامة احسن يحيى سهيل
العلامة يحيى حسين الحشحوش
العلامة محمد حسن الحوتي
العلامة صلاح بن محمد الهاشمي
العلامة حسن محمد الفيشي
العلامة يحيى التعزي
العلامة محمد عبدالله السوسوة رئيس محكمة
العلامة عبدالله بن يحيى العنسي رئيس محكمة استئناف ذمار
العلامة عبدالله حمود عباد
العلامة يحيى محمد عامر عضو محكمة الاستئناف
العلامة يحيى الكحلاني
العلامة محمد محمد الاكوع
العلامة عبد الصمد احمد قطران
العلامة محمد اسماعيل السوسوة خطيب الجامع الكبير بذمار
العلامة يحيى محمد الشهاري عضو محكمة استئناف حجة
العلامة محمد حمود عباد رئيس محكمة الجميمة والمغربة
العلامة علي حمود الديلمي عضو مجلس القضاء الاعلى والنقض والابرام
العلامة حمود عباس المؤيد نائب مفتي الجمهورية
العلامة محمد علي الفران
العلامة احمد عبد الرزاق الرقيحي خطيب الجامع الكبير بصنعاء عضو مجلس الشورى
العلامة طارق الظاهري من علماء عدن

والمجلة ماثلة للطبع وفي جلستين تاريخيتين عقدهما مجلس الشورى في صنعاء ومجلس الشعب في عدن صباح يوم الاثنين ٢١/٥/١٩٩٠م صادق اعضاء المجلسين بالاغلبية الساحقة على اتفاقية اعلان الجمهورية اليمنية وتنظيم الفترة الانتقالية وعلى مشروع دستور (الجمهورية)

وفي صباح يوم الثلاثاء ٢٧ شوال ١٤١٠هـ الموافق ٢٢/٥/١٩٩٠م عقد بمقر هيئة الرئاسة بعدن اجتماع مشترك للمجلس الاستشاري وهيئة رئاسة مجلس الشعب الاعلى وفي هذا الاجتماع تمت عملية انتخاب اعضاء مجلس الرئاسة والذي تكون من

١ ـ الفريق / علي عبدالله صالح
٢ ـ علي سالم البيض
٣ ـ القاضي / عبد الكريم العرشي
٤ ـ سالم صالح محمد
٥ ـ عبد العزيز عبد الغني

وعقب ذلك عقد مجلس رئاسة الجمهورية اليمنية اول اجتماع له حيث تم فيه انتخاب الاخ الفريق / علي عبدالله صالح رئيساً للمجلس والاخ / علي سالم البيض نائباً للرئيس

وقد قدم الاخ رئيس مجلس الرئاسة خطابا حدد فيه معالم سياسة الجمهورية اليمنية الداخلية والخارجية واصدر المجلس عددا من القرارات المتعلقة بشان العلم الوطني وشعار الجمهورية وخاتمها الرسمي ونشيد الدولة الوطني للجمهورية اليمنية وكذا بشان اليوم الوطني للجمهورية

وكلف الاخ حيدر ابو بكر العطاس بتشكيل الحكومة

وسيكرس العدد القادم من مجلة الاكليل لليمن التاريخ والحضارة والفكر

نص اتفاقية اعلان الجمهورية اليمنية وتنظيم الفترة الانتقالية

والوطن اليمني يعيش مرحلة الاعداد الكامل لاعادة بناء وحدته وانشاء دولة الوحدة بما تشهده الساحة اليمنية من نشاطات متواصلة على كافة المستويات القيادية والحكومية والتنظيمية والشعبية والهيئات والاتحادات النقابية والجماهيرية لتنفيذ اتفاق عدن التاريخي في الثلاثين من نوفمبر ١٩٨٩م من العام الماضي

ومواصلة المشاورات المخلصة والجادة التي تتم بين قيادتي الوطن من اجل تعزيز الارادة الواحدة في قيادة العمل الوحدوي . وتثبيت واجب المسئولية لدى كافة القيادات وعلى كل المستويات . ومن اجل سلامة الخطوات والاجراءات الوحدوية في المرحلة الانتقالية . وقيام دولة الوحدة وتقديرا من القيادة لكل مايطرح على المستوى الوطني من نقاشات وحوارات وطنية استهدفت في مجملها خدمة قضية وحدة الوطن بشكل عام.

وانسجاما مع ماتشهده مسيرة الوحدة من مناخ ديمقراطي وتعزيزا لهذا المناخ الذي يعبر عن اهم الاهداف والمكاسب الوطنية لثورتي سبتمبر واكتوبر الخالدتين كمرتكز اساسي قامت عليه حوارات ابناء الوطن اليمني من اجل اعادة وحدتهم . وحرصا على توفير كامل السلطات الدستورية لدولة الوحدة فور قيامها وعدم وجود فراغ دستوري في ظلها . وتحقيقا للشرعية الكاملة في المشاركة الشعبية والديمقراطية في الحكم.

ونظرا لضرورة ان تكون الفترة الانتقالية بعد قيام الجمهورية اليمنية محددة بمدة كافية لاستيعاب عملية الاعداد لمستقبل الدولة اليمنية واجراء الانتخابات العامة لمجلس النواب . وحرصا على ان يسود العمل بدستور دولة الوحدة والشرعية الدستورية . و عدم اللجوء الى تجاوز الدستور او تعديله من قبل اي جهة غير مخولة حق التعديل

وتاكيدا على نقاوة البناء الوحدوي الذي يقوم على اسس وطنية مستندة على اهداف ثورتي سبتمبر واكتوبر المجيدتين منطلقا من انتمائه القومي والاسلامي والانساني . فقد شهدت صنعاء اول اجتماع لكامل قيادتي الوطن اليمني ممثلة في الاخوين العقيد علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الامين العام للمؤتمر الشعبي العام . وعلي سالم البيض الامين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني والاخوة الامين العام المساعد للحزب الاشتراكي اليمني ورئيس مجلس الشورى ورئيس هيئة رئاسة مجلس الشعب الاعلى ورئيس الوزراء واعضاء المكتب السياسي واللجنة العامة والمجلس الاستشاري وعدد من اعضاء هيئة رئاسة مجلس الشعب الاعلى ومجلس الشورى والحكومتين واللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني واللجنة الدائمة وذلك خلال الفترة من ٢٤ ـ ٢٧ رمضان / ١٤١٠ هـ الموافق ٢٢ ابريل ١٩٩٠م حيث تم الاتفاق على مايلي

● مادة (١) تقوم بتاريخ الـ٢٦ من مايو عام ١٩٩٠م الموافق الاول من ذي القعدة ١٤١٠هـ بين دولتي الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (شطري الوطن اليمني) وحدة اندماجية كاملة تذوب فيها الشخصية الدولية لكل منهما في شخص دولي واحد يسمى (الجمهورية اليمنية) وتكون للجمهورية اليمنية سلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية واحدة

● مادة (٢) بعد نفاذ هذا الاتفاق يكون مجلس رئاسة للجمهورية اليمنية لمدة الفترة الانتقالية يتالف من خمسة اشخاص ينتخبون من بينهم في اول اجتماع لهم رئيسا لمجلس الرئاسة ونائبا للرئيس لمدة المجلس

ويشكل مجلس الرئاسة عن طريق الانتخاب من قبل اجتماع مشترك لهيئة رئاسة مجلس الشعب الاعلى والمجلس الاستشاري ويؤدي مجلس الرئاسة اليمين الدستورية امام هذا الاجتماع المشترك قبل مباشرة مهامه

ويمارس مجلس الرئاسة فور انتخابه جميع الاختصاصات المخولة لمجلس الرئاسة في الدستور

● مادة (٣) تحدد فترة انتقالية لمدة سنتين وستة اشهر ابتداء من تاريخ نفاذ هذا الاتفاق ويتكون مجلس نواب خلال هذه الفترة من كامل اعضاء مجلس الشورى ومجلس الشعب الاعلى بالاضافة الى عدد ٣١، عضوا يصدر بهم قرار من مجلس الرئاسة ويمارس مجلس النواب كافة الصلاحيات المنصوص عليها في الدستور عدى انتخاب مجلس الرئاسة وتعديل الدستور

وفي حالة خلو مقعد اي من اعضاء مجلس النواب لاي سبب كان يتم ملئه عن طريق التعيين من قبل مجلس الرئاسة

● مادة (٤) يصدر مجلس الرئاسة في اول اجتماع له قرارا بتشكيل مجلس استشاري مكون من ٤٥، عضوا وتحدد مهام المجلس في نفس القرار

● مادة (٥) يشكل مجلس الرئاسة حكومة الجمهورية اليمنية التي تتولى جميع الاختصاصات المخولة للحكومة بموجب الدستور

● مادة (٦) يكلف مجلس الرئاسة في اول اجتماع له فريق فني لتقديم تصور حول اعادة النظر في التقسيم الاداري للجمهورية اليمنية بما يكفل تعزيز الوحدة الوطنية وازالة اثار التشطير

● مادة (٧) يخول مجلس الرئاسة اصدار قرارات لها قوة القانون بشان شعار الجمهورية وعلمها والنشيد الوطني وذلك في اول اجتماع يعقده المجلس . كما يتولى مجلس الرئاسة في اول اجتماع له اتخاذ قرار بدعوة مجلس النواب للانعقاد وذلك للبت فيما يلي

(أ) المصادقة على القرارات بقوانين التي اصدرها مجلس الرئاسة
(ب) منح الحكومة ثقة المجلس في ضوء البيان الذي ستقدمه
(جـ) تكليف مجلس الرئاسة بانزال الدستور للاستفتاء الشعبي العام عليه قبل ٣٠ نوفمبر ١٩٩٠م .
(د) مشاريع القوانين الاساسية التي سيقدمها اليه مجلس الرئاسة

● مادة (٨) يكون هذا الاتفاق نافذا بمجرد المصادقة عليه وعلى مشروع دستور الجمهورية اليمنية من قبل كل من مجلسي الشورى والشعب

● مادة (٩) يعتبر هذا الاتفاق منظما لكامل الفترة الانتقالية وتعتبر احكام دستور الجمهورية اليمنية نافذة خلال المرحلة الانتقالية فور المصادقة عليه وفقا لما اشير اليه في المادة السابقة وبما لايتعارض مع احكام هذا الاتفاق

● مادة (١٠) تعتبر المصادقة على هذا الاتفاق ودستور الجمهورية اليمنية من قبل مجلسي الشورى والشعب ملغية لدستوري الدولتين السابقة

تم التوقيع على الاتفاق في صنعاء بتاريخ ٢٧ رمضان ١٤١٠ هـ الموافق ٢٢ ابريل ١٩٩٠م

العقيد علي عبدالله صالح
رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الامين العام للمؤتمر الشعبي العام

علي سالم البيض
الامين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني